

جامعة قسنطينة 3
كلية الهندسة المعمارية و التعمير
قسم الهندسة المعمارية



الشعبة: هندسة معمارية / الفرع: هندسة معمارية التخصص: هندسة معمارية

"المبادئ و القيم الاسلامية في العمارة التقليدية الجزائرية
- دراسة حالة المدينة العتيقة بقسنطينة "

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

إعداد الطالب:

العبد هشام

السنة الجامعية 2021 / 2022

جامعة قسنطينة 3
كلية الهندسة المعمارية و التعمير
قسم الهندسة المعمارية



الرقم التسلسلي:...../2021/
الرمز: .. / ..

تخصص: هندسة معمارية

شعبة: هندسة معمارية / فرع: هندسة معمارية

"المبادئ و القيم الاسلامية في العمارة التقليدية الجزائرية
-دراسة حالة المدينة العتيقة بقسنطينة"

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

إشراف الأستاذ:

أ.د. دكومي جمال

إعداد الطالب:

العبد هشام

أعضاء لجنة المناقشة

- | | | | |
|---------------|----------------------|--|----------------------|
| رئيسا | أستاذ التعليم العالي | جامعة قسنطينة 3 -صالح بوبنيدر | 1. ساسي سعاد |
| مشرفا و مقررا | أستاذ التعليم العالي | جامعة قسنطينة 3 -صالح بوبنيدر | 2. دكومي جمال |
| عضوا مناقشا | أستاذ التعليم العالي | جامعة باتنة 1 -الحاج لخضر | 3. ديب بلقاسم |
| عضوا مناقشا | أستاذ التعليم العالي | جامعة المسيلة -محمد بوضياف | 4. رجم علي |
| عضوا مناقشا | أستاذ محاضر «أ» | جامعة قسنطينة 3 -صالح بوبنيدر | 5. قيناديز زين الدين |
| عضوا مناقشا | أستاذ محاضر «أ» | المركز الجامعي ميله-عبد الحفيظ بوالصوف | 6. طاوطاو حسين |

السنة الجامعية 2021 / 2022

تصريح شخصي :

بعد الاطلاع على أحكام الأمر رقم 1082 المؤرخ في 2020/12/27 و خاصة المادة الثالثة منه،أصرح أن الأطروحة التي قدمتها للحصول على شهادة دكتوراه علوم من كلية الهندسة المعمارية،جامعة قسنطينة 3،هي نتيجة جهد شخصي،احترمت فيه أخلاقيات البحث العلمي. (و خاصة منها:تجنب السرقة العلمية و احترام خصوصية المبحوثين)،مما يجعلني صاحب حقوق ملكيتها الفكرية مع تحمل مسؤولية محتوياتها.و أعلن أنه يُسمح بالإقتباس منها شريطة الإقرار بذلك وفق قواعد المنهجية العلمية.كما أؤكد أن نص أطروحتي تمت مراجعته لغويا من قبل متخصصين.

العيد هشام

شكر و تقدير :

لكل مبدع انجاز ، لكل شكر قصيدة ، لكل مقام مقال و لكل نجاح
شكر و تقدير. فجزيل الشكر نهديه الى أساتذتي ؛

الى الأستاذ الدكتور دكومي جمال على اشرافه على هذا البحث،
و تقديمه للنصائح القيمة.

و الى الأستاذ القدير الأستاذ الدكتور زغلاش حمزة.

الى روح الأستاذ الدكتور مخلوف مختار، رحمه الله...

الى روح الأستاذ الدكتور ريبوح بشير، رحمه الله...

أقدم كل الشكر الى أعضاء اللجنة الموقرة على قبول تحكيم
و مناقشة هذه الأطروحة.

الى الأساتذة و الإداريين الذين قدموا لي كل التسهيلات في
كلية الهندسة المعمارية و التعمير، بجامعة صالح بوبنيدر قسنطينة (3).
و الى كل من يسعى في سبيل العلم.

إهداء:

أهدي هذا البحث إلى الوالدين الكريمين؛

إلى روح أمي العزيزة رحمها الله...

إلى أبي العزيز رزقه الله دوام الصحة و العافية.

إلى أخي محمد فوزي و إلى كل العائلة و الأصدقاء.

إلى كل من أعانني على انجاز هذا البحث.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع، مع تقديم كل الشكر و الامتنان، سائلا المولى عزَّ و جلَّ أن يتقبله منا. و أجمل الختام ، الصلاة و السلام على خير الأنام، سيدنا محمد بن عبد الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، خاتم الأنبياء والمرسلين، نبي الأمة و شفيعها يوم القيامة.

هشام

الملخص :

نتناول من خلال هذا البحث موضوع المبادئ و القيم الاسلامية في العمارة التقليدية بالمدينة العتيقة بقسنطينة لفترة ما قبل الاستعمار الفرنسي. يهدف هذا البحث الى دراسة علاقة العمارة التقليدية بالنصوص القرآنية من خلال المبادئ عامة و القيم الإسلامية ابتداء من النص القرآني و مدى تطبيقها في العمارة التقليدية للمدينة العتيقة بقسنطينية مع محاولة إبراز تأثيراتها في اختيار التنظيم الفضائي و المعماري. كان التساؤل يكمن في دور توجيه النص القرآني لتطبيق العمارة التقليدية القسنطينية.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على منهج الاستنباط للنصوص القرآنية و منهج التحليل للعمارة التقليدية من خلال الاستدلال من العمارة التقليدية التاريخية و علاقتها بالنصوص القرآنية و الاستنباط من تفاسيرها. كما اقتضت العملية الاستدلالية استخراج المبادئ من المقدمات حيث يتم الاعتماد على الملاحظة الجيدة و التي من خلالها يتم فهم الظاهرة من جميع جوانبها التاريخية المعمارية و الفنية. فتم استخدام أدوات كالقياس و التركيب في الاستنباط من النصوص القرآنية. كما اقتضى التحليل المعماري الملاحظة الجيدة للظاهرة انطلاقا من تفسيرها و توضيحها ثم تقويمها بأسلوب علمي صحيح للوصول الى الاستنباط عن طريق الاستنتاج بتركيب النتائج.

ينطلق الجزء النظري من خلال التعريف ببعض المفاهيم العامة عن الفن ، العمارة و التقاليد و علاقتها بالاسلام. مع اختيار النصوص القرآنية للبحث في العمارة التقليدية و فنها الزخرفي. هذا من خلال تحديد مصطلحات المسكن التقليدي وعلاقته بالنص القرآني في التشكيل الفضائي و المعماري بدقة، بما يتلائم مع الخصوصية العربية الاسلامية . مع استنباط المبادئ عامة و القيم الاسلامية العليا ابتداء من النص القرآني في العمارة التقليدية و ينتهي بتقديم نماذج مهمة في دول البحر الأبيض المتوسط.

تطبيقات البحث شملت تقديم البحث عن العمارة التقليدية و عناصرها و مواد البناء المذكورة في النصوص القرآنية عن طريق التفسير و الاستنباط. ثم دراسة تاريخية لمدينة قسنطينة منذ فترة العصور القديمة الى غاية فترة ما قبل الاستعمار الفرنسي. فكانت الدراسة التحليلية للمسكن التقليدي القسنطيني تمهيدا لدراسة العمارة التقليدية للمدينة العتيقة بقسنطينية للفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني.

تناقش الدراسة مدى تأثير النص القرآني في العمارة التقليدية و الفن الزخرفي بالمدينة العتيقة بقسنطينة في الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني. كما تثبت أن النص القرآني كان دائما المصدر الابتدائي في توجيه لكل تفاصيل العمارة منذ أول المدن الاسلامية و أن العناصر المعمارية عبر التاريخ الاسلامي هي أحد المجالات التي اهتم بها الانسان باستخدامه للعناصر الزخرفية وتطويرها و الابداع فيها.

يجدر بالاشارة الى أن العمارة التقليدية بالمدينة العتيقة بقسنطينة تمتاز بالتوحيد في تطبيقاتها المعمارية و الاستمرارية في تطبيق التقاليد المعمارية الفنية المحلية في فترة الانتداب العثماني ، كما شهدت تنوعا معماريا و فنيا كبيرا و باضافة تقاليد عثمانية جديدة للعمارة التقليدية القسنطينية.

الكلمات المفتاحية: تقاليد، فن زخرفي، قسنطينة ، مدينة عتيقة ،نصوص قرآنية ،هندسة معمارية تقليدية.

Abstract :

In this study, we examine the subject of Islamic principles and values in the Medina of Constantine for the period preceding French colonization. This research aims to study the relationship of traditional architecture with the Quranic texts through the general principles and Islamic values from the Quranic text and the extent of their application in the traditional architecture of the Constantine Medina. The question lay in the orientation role of the Quranic text towards the application of the traditional architecture of Constantine.

In this research, we relied on the method of deduction for the Quranic texts and the method of analysis for the traditional architecture of inferring from the traditional historical architecture and its relation to the Quranic texts and inferring from their interpretations.

The inferential process also required extracting premises, on which good observation is based, through which the phenomenon is apprehended in all its historical, architectural and artistic aspects. Thus, tools such as analogy and synthesis were used in deduction from Quranic texts. The architectural analysis also required a good observation of the phenomenon based on its interpretation, its clarification, then its evaluation in a scientifically correct way to arrive at the deduction by deducing the synthesis of the results.

The theoretical part proceeds by introducing some general concepts of art, architecture and tradition and their relationship to Islam. With the choice of Quranic texts to research traditional architecture and its decorative art.

This is by defining the terms of the traditional dwelling and its relationship with the Quranic text in the space and architectural configuration, to suit Arab-Islamic privacy. With the development of general principles and higher Islamic values starting with the Quranic text in traditional architecture and ending with the presentation of important examples in the Mediterranean countries.

The applications of the research included the research of traditional architecture and its building elements and materials mentioned in the Quranic texts through interpretation and deduction. Then a historical study in the Medina of Constantine from the period of antiquity to the period before the French colonization. The analytical study of the traditional Constantine habitation was a prelude to the study of the traditional architecture in the Medina of Constantine for the Islamic period and the period of the Ottoman mandate.

The study deals with the impact of the Quranic text with the traditional architecture and decorative art in the Medina of Constantine during the Islamic period and under the Ottoman mandate. It also proves that the Quranic text has always been the main source of guidance for all details of architecture since the earliest Islamic cities, and that architectural elements throughout Islamic history are one of the areas to which the man became interested in using the decorative elements, developing them and being creative.

It should be noted that the traditional architecture in the Medina of Constantine is characterized by the uniformity of its architectural applications and the continuity in the application of local architectural traditions during the period of the Ottoman mandate, as well as by a great architectural diversity and artistic marked by the addition of new Ottoman traditions to the traditional architecture of Constantine.

Keywords: Traditions, decorative art, Constantine, Medina, traditional architecture, Quranic text.

فهرس المحتويات	
الصفحة	الموضوع
	الشكر
	الاهداء
2	الملخص بالعربية
3	الملخص بالانجليزية
4	فهرس المحتويات
9	فهرس الصور
12	فهرس الخرائط
13	فهرس الأشكال
14	المقدمة
14	1. مقدمة
16	2. إشكالية البحث
18	3. أسباب اختيار الموضوع
18	4. أهداف البحث
19	5. الدراسات السابقة
24	6. منهجية البحث
25	7. محتوى البحث
29	الفصل الأول: مفاهيم عامة عن الفن و العمارة و التقاليد وعلاقتهم بالاسلام
29	مقدمة
29	1.1 مفاهيم عامة عن الفن و العمارة و التقاليد
29	1.1.1 مفهوم العمارة
33	2.1.1 مفهوم الفن
38	3.1.1 مفهوم التقاليد
40	2.1 ماهية الفن الاسلامي و العمارة الاسلامية و التقليدية
40	1.2.1 الفن الاسلامي
51	2.2.1 ماهية العمارة الاسلامية
52	3.2.1 مفهوم العمارة التقليدية
53	خلاصة
56	الفصل الثاني: الثابت و المتغير في علاقة المبادئ و القيم الاسلامية بالعمارة التقليدية
56	مقدمة

56	الثابت و المتغير في علاقة العمارة التقليدية بالدين الاسلامي	1.2
60	المبادئ الاسلامية في العمارة التقليدية	2.2
61	مبدأ التوحيد	1.2.2
63	مبدأ المركزية	2.2.2
63	مبدأ التجمع	3.2.2
64	مبدأ دفع الضرر	4.2.2
66	مبدأ التحصين أو الأمان	5.2.2
67	القيم الاسلامية في العمارة التقليدية	3.2
67	مصطلح القيم في القرآن الكريم	1.3.2
70	منظومة القيم العليا في النص القرآني	2.3.2
72	التوحيد	1.2.3.2
76	التزكية	2.2.3.2
79	العُمران	3.2.3.2
82	مقاصد النص القرآني في تثبيت القيم	3.3.2
85	مصطلح الوسطية في القرآن الكريم	4.3.2
89	الوسطية الاسلامية في العمارة التقليدية	1.4.3.2
92	خلاصة	
94	الفصل الثالث: نماذج عن العمارة التقليدية الاسلامية حول البحر الأبيض المتوسط	
94	مقدمة	
94	نبذة تاريخية عن العالم الاسلامي والعمارة التقليدية الاسلامية في حوض البحر المتوسط	1.3
94	نبذة تاريخية عن العالم الاسلامي	1.1.3
95	دولة المماليك 1250 – 1517 م	1.1.1.3
95	الدولة العثمانية 1299 – 1924 م	2.1.1.3
95	الدولة الصفوية 1501 – 1785 م	3.1.1.3
96	الدويلات المغولية	4.1.1.3
96	جنوب شرق آسيا	5.1.1.3
96	المغرب الإسلامي	6.1.1.3
97	المماليك الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء	7.1.1.3
97	العمارة الاسلامية في البحر الأبيض المتوسط	2.1.3
97	موقع البحر الأبيض المتوسط	1.2.1.3
98	نماذج عن العمارة التقليدية الاسلامية حول البحر الأبيض المتوسط	2.3
98	المسجد الأقصى بالقدس-فلسطين	1.2.3
101	جامع سليمان القانوني أو جامع السليمانية في اسطنبول -تركيا	2.2.3

104	جامع السلطان أحمد أو الجامع الأزرق في اسطنبول -تركيا	.3.2.3
106	جامع القيروان الكبير في تونس	.4.2.3
110	جامع وجامعة القرويين في فاس بالمغرب	.5.2.3
110	جامع القرويين	.1.5.2.3
112	جامعة القرويين	.2.5.2.3
114	العمارة الاسلامية في الأندلس-اسبانيا	.6.2.3
116	مسجد قرطبة في الأندلس -اسبانيا	.1.6.2.3
118	قصر الحمراء و مدرسة غرناطة باسبانيا	.2.6.2.3
122	العمارة التقليدية في الجزائر	.7.2.3
122	مساكن و قصور مدينة الجزائر	.1.7.2.3
125	مساكن مدينة غرداية	.2.7.2.3
130	مسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة	.3.7.2.3
133	خلاصة	
139	الفصل الرابع:العمارة التقليدية وعناصرها و مواد البناء المذكورة في النصوص القرآنية	
139	مقدمة	
139	النص القرآني	.1.4
142	العمارة التقليدية من خلال النص القرآني	.2.4
142	البيت و النص القرآني:	.1.2.4
142	مصطلحات المباني السكنية في النص القرآني	.1.1.2.4
142	البيت	.1.1.1.2.4
143	المسكن	.2.1.1.2.4
143	المنزل	.3.1.1.2.4
144	الدار	.4.1.1.2.4
144	القصر	.5.1.1.2.4
145	خصائص البيت في النص القرآني	.2.1.2.4
145	التعريف القرآني للبيت	.1.2.1.2.4
146	التصور الشكلي للبيت في النص القرآني	.2.2.1.2.4
147	التصور المكاني للبيت في النص القرآني	.3.2.1.2.4
147	خصوصية البيت من الداخل و الخارج في النص القرآني	.4.2.1.2.4
148	المسجد و النص القرآني	.2.2.4
162	المدرسة و النص القرآني	.3.2.4
163	الزوايا و الرباط في النص القرآني	.4.2.4
166	عناصر العمارة التقليدية المذكورة في النص القرآني	.3.4

166	الأسس و النص القرآني	.1.3.4
167	العمود و النص القرآني	.2.3.4
170	السقف و القبة في النص القرآني	.3.3.4
175	الزخرفة في النص القرآني	.4.3.4
177	مواد البناء المذكورة في النص القرآني	.4.4
177	الحديد	.1.4.4
178	الصخر و الحجارة	.2.4.4
179	النحاس	.3.4.4
180	البلور	.4.4.4
180	الطين و الأجر	.5.4.4
181	جلود الأنعام	.6.4.4
182	خلاصة	
188	الفصل الخامس: التطور التاريخي لمدينة قسنطينة الى غاية فترة الانتداب العثماني	
	وحالة عمارتها التقليدية المتبقية	
188	مقدمة	
188	موقع ومحيط مدينة قسنطينة	.1.5
189	تاريخ قسنطينة قبل فترة الاستعمار الفرنسي	.2.5
189	قسنطينة في فترة ما قبل الانتداب العثماني	.1.2.5
189	قسنطينة في العصور القديمة	.1.1.2.5
189	قسنطينة في العهد النوميدي-عاصمة نوميديا	.1.1.1.2.5
190	قسنطينة في العهد الروماني و الوندال و البيزنطيين	.2.1.1.2.5
190	قسنطينة في العهد الروماني	.1.2.1.1.2.5
190	قسنطينة أيام الوندال و البيزنطيين	.2.2.1.1.2.5
191	قسنطينة في العهد الاسلامي	.2.1.2.5
191	قسنطينة ابان الفتح الاسلامي	.1.2.1.2.5
193	قسنطينة في عهد الأغالبة و الفاطميين	.2.2.1.2.5
195	قسنطينة في عهد الزيبيين و الحماديين	.3.2.1.2.5
196	قسنطينة في عهد الموحدين و الحفصيين	.4.2.1.2.5
198	قسنطينة في فترة الانتداب العثماني	.2.2.5
200	حالة المسكن التقليدي القسنطيني في فترة الانتداب العثماني	.3.5
200	دراسة حالة مدينة قسنطينة	.1.3.5
200	تقديم المدينة العتيقة لقسنطينة	1.1.3.5
202	دراسة تحليلية للفضاء المعماري لفترة الانتداب العثماني	.2.3.5
202	أنواع المباني السكنية التقليدية	.1.2.3.5

203	المكونات الداخلية للمباني السكنية التقليدية	.2.2.3.5
208	تحليل مكونات المسكن التقليدي القسنطيني	.3.2.3.5
208	التدرج و الخصوصية	.1.3.2.3.5
210	عامل الضوء	.2.3.2.3.5
211	تقنيات البناء	.3.3.2.3.5
211	حالة قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	.4.5
214	حالة المساجد و المدارس و الزوايا التاريخية القسنطينية في الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني	.5.5
214	حالة المساجد التاريخية في المدينة العتيقة بقسنطينة	.1.5.5
219	حالة المدارس التاريخية في المدينة العتيقة بقسنطينة	.2.5.5
221	حالة الزوايا التاريخية في المدينة العتيقة بقسنطينة	.3.5.5
223	خلاصة	
227	الفصل السادس: تأثير النص القرآني في العمارة التقليدية المتبقية بالمدينة العتيقة بقسنطينة و في فنها الزخرفي	
227	مقدمة	
227	تأثير المبادئ عامة و القيم الاسلامية ابتداء من النص القرآني في العمارة التقليدية المتبقية بالمدينة العتيقة بقسنطينة	.1.6
242	تأثير النص القرآني بالفن الزخرفي للعمارة التقليدية المتبقية بالمدينة العتيقة بقسنطينة	.2.6
248	عناصر الزخرفة الإسلامية في العمارة التقليدية القسنطينية	.2.2.6
248	الزخرفة النباتية في العمارة التقليدية القسنطينية	.1.2.2.6
251	الزخرفة الهندسية في العمارة التقليدية القسنطينية	.2.2.2.6
257	الزخرفة الخطية في العمارة التقليدية القسنطينية	.3.2.2.6
259	زخرفة الكائنات الحية في العمارة التقليدية القسنطينية	.4.2.2.6
261	زخرفة العناصر المعمارية في العمارة التقليدية القسنطينية	.5.2.2.6
266	خلاصة	
273	الخاتمة	
273	1. نتائج البحث	
280	2. التوصيات	
282	القائمة العامة للمراجع	
288	الملاحق	

فهرس الصور:

الرقم	عنوان الصورة	الصفحة
1	قبة السلسلة ومن خلفها مسجد قبة الصخرة في القدس-فلسطين	100
2	قبة الصخرة من الداخل في القدس-فلسطين في القدس-فلسطين	100
3	منظر علوي لجامع السليمانية في اسطنبول-تركيا	101
4	واجهة لجامع السليمانية في اسطنبول-تركيا	101
5	تفاصيل الزخرفة الكتابية على الخزف في جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا	102
6	تفاصيل للزخرفة الكتابية في اسطنبول-تركيا	102
7	الزجاج الملون لنافذة في جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا	102
8	منظر داخلي لبيت الصلاة في اسطنبول-تركيا	103
9	الزخارف على سقف جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا	103
10	منذنة و قباب جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا	103
11	صحن جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا	103
12	المقرنصات في تاج العمود في اسطنبول-تركيا	104
13	المقرنصات بين الأقواس في جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا	104
14	منظر داخلي لجامع السلطان أحمد في اسطنبول-تركيا	105
15	منظر خارجي لجامع السلطان أحمد في اسطنبول-تركيا	105
16	ساحة جامع السلطان أحمد من الداخل وتظهر فيه النافورة في اسطنبول-تركيا	106
17	صحن جامع القيروان الكبير في تونس	108
18	منذنة جامع القيروان الكبير في تونس	109
19	قباب جامع القيروان الكبير في تونس	109
20	بيت الصلاة جامع القيروان الكبير في تونس	109
21	محراب جامع القيروان الكبير في تونس	109
22	منظر علوي في جامع القرويين بفاس-المغرب	110
23	تفاصيل زخرفية في أعلى واجهة محراب جامع القرويين بفاس-المغرب	111
24	صومعة مربعة تنتهي بشرفات تقع في محور ساحة جامع القرويين بفاس-المغرب	111
25	منبر جامع القرويين بفاس-المغرب	112
26	محراب جامع القرويين بفاس-المغرب	112
27	مكتبة جامعة القرويين بفاس-المغرب	113
28	منظر خارجي علوي لمسجد قرطبة في الأندلس-اسبانيا	116
29	منظر داخلي لطبقتين من الأقواس في بيت الصلاة بمسجد قرطبة في الأندلس-اسبانيا	117
30	المحراب بمسجد قرطبة في الأندلس-اسبانيا	117

119	بهو باحة الأسود، الفناء الرئيسي بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا	31
119	رواق باحة الأسود، الفناء الرئيسي بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا	32
119	حوض الماء في فناء الريحان بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا	33
119	الزليج في فناء الريحان بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا	34
120	تفاصيل الفن الزخرفي في تيجان الأعمدة بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا	35
120	تفاصيل الفن الزخرفي في تيجان الأعمدة بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا	36
120	زخارف هندسية على الزليج بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا	37
120	زخارف خطية على الزليج بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا	38
121	صورة داخلية تبين تفاصيل الفن الزخرفي في قبة داخلية بقصر الحمراء بغرناطة - اسبانيا	39
121	صورة داخلية تبين الفن الزخرفي في مدرسة غرناطة -اسبانيا	40
121	صورة داخلية تبين الفن الزخرفي في مدرسة غرناطة -اسبانيا	41
124	نماذج لأبواب مساكن في القصبه العتيقة بمدينة الجزائر	42
124	تجميعات مختلفة لبلاطات خزفية في قصور القصبه بالجزائر العاصمة	43
125	منظر داخلي في قصر خداج العمية بقصبه مدينة الجزائر	44
126	مباني سكنية متراسة في النسيج العمراني الميزابي	45
128	نموذج للمدخل و العتبة لمساكن في غرداية.	46
128	خصوصية المدخل المنكسر - السقيفة -مساكن في غرداية.	47
130	مواد و تقنيات البناء الميزابي-غرداية	48
131	منظر خارجي يبين خصائص معمارية متنوعة في مسجد كتشاوة	49
131	منظر داخلي يبين خصائص معمارية متنوعة في مسجد كتشاوة	50
132	منظر خارجي و داخلي للقبه المركزية في مسجد كتشاوة الجزائر العاصمة	51
133	الزخرفة الكتابية من آيات قرآنية داخل مسجد كتشاوة الجزائر العاصمة	52
201	منظر للمدينة العتيقة بقسنطينة	53
202	شارع سيدي الجليس في المدينة العتيقة بقسنطينة	54
202	شارع بومعزة في المدينة العتيقة بقسنطينة	55
203	المدخل الرئيسي لدرج بن شريف بقسنطينة	56
203	مدخل بيت عائلة بن شريف بقسنطينة	57
204	تدرج الدخول الى الفناء عبر أبواب لسقيفة منكسرة مرتين بزواوية 90° في بيت عائلة بن شريف-قسنطينة	58
204	المقدمة في بيت عائلة بن شريف بقسنطينة	59
204	المقدمة في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة	60
205	منظر علوي للصحن في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة	61

205	واجهة داخلية في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة	62
205	واجهات داخلية في صحن بيت عائلة بن شريف بقسنطينة	63
206	مجلس ببيت عائلة بن شيكو -قسنطينة	64
206	واجهة داخلية لغرفة في بيت العلي - قسنطينة	65
207	غرفة في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة	66
207	نافذة في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة	67
207	باب غرفة في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة	68
207	نافذة غرفة في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة	69
208	سلام في أحد أركان مسكن بن شيكو - قسنطينة.	70
211	تقنية البناء في مسكن تقليدي بالمدينة العتيقة قسنطينة	71
212	المدخل الرئيسي لقصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	72
212	حديقة النخيل في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	73
213	جناح من قصر أحمد باي تتوسطه نافورة بالمدينة العتيقة بقسنطينة	74
215	مدخل مسجد الأربعين شريف في المدينة العتيقة بقسنطينة.(في طور الترميم)	75
215	مدخل جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة	76
216	العمودان و التاجان في محراب الجامع الكبير من العهد الاسلامي	77
217	جامع سوق الغزل بالمدينة العتيقة بقسنطينة	78
218	بيت الصلاة في جامع سيدي لخضر بالمدينة العتيقة بقسنطينة	79
219	منذنة جامع سيدي الكتاني بالمدينة العتيقة بقسنطينة	80
222	زاوية بن عبد الرحمن بالمدينة العتيقة بقسنطينة	81
222	بيت الصلاة في زاوية بن عبد الرحمن بالمدينة العتيقة بقسنطينة	82
223	محراب في زاوية بن عبد الرحمن بالمدينة العتيقة بقسنطينة	83
232	بيت الصلاة في جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة	84
236	نماذج لأعمدة في البيوت التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينة	85
236	نماذج لمختلف الأعمدة الرخامية في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة	86
237	استخدام 4 أعمدة رخامية محراب جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة	87
237	نماذج من قواعد الأعمدة في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة	88
238	نماذج من تيجان الأعمدة في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة	89
240	عقد مقبض القفة في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة	90
241	قياب في جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة	91
242	شرفات محيطة بالقبة الكبيرة في جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة	92
250	رسم لشجرة السرو في قبة بيت الصلاة في زاوية بن عبد الرحمن بالمدينة العتيقة بقسنطينة	93

250	نماذج لمربعات الزخارف النباتية في مسجد سيدي الكتاني في المدينة العتيقة بقسنطينة	94
252	زخرفة هندسية لتعدد المثلثات بسقف خشبي في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	95
254	مربعات خزفية باطارات النوافذ في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	96
254	مربعات خزفية باطارات الأبواب في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	97
254	نماذج للزخرفة الهندسية لأبواب داخلية في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة	98
256	الهلال منحوت في تيجان و قواعد الأعمدة في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة	99
257	الكتابة الخطية القرآنية في محراب جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة.	100
258	كتابة عبارة العافية النافية في محراب جامع زاوية بن عبد الرحمن في المدينة العتيقة بقسنطينة	101
260	مربعات خزفية لطائر الطاووس مع عناصر نباتية في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	102
262	نماذج لدرايزينات في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة	103
262	منبر الجامع الأخضر في المدينة العتيقة بقسنطينة	104
263	الزخرفة الخشبية لباب بيت الصلاة لزاوية بن عبد الرحمن في المدينة العتيقة بقسنطينة	105
263	نماذج من الاطارات الرخامية للأبواب في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة	106
264	الزخرفة على الجص في جدار القبلة لجامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة	107
264	رسومات جدارية تجسيد لرحلة الحج في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	108
265	رسومات جدارية تظهر المساجد و النخيل في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	109

فهرس الخرائط :

الرقم	عنوان الخريطة	الصفحة
1	خريطة العالم الاسلامي حاليا	94
2	خريطة دول البحر الأبيض المتوسط	98
3	موقع قسنطينة و الولايات المحيطة بها	189
4	قسنطينة (قبرطا) ضمن حدود السيطرة الوندالية	191
5	انتماء قسنطينة للمملكة الأغلبية	193
6	انتماء قسنطينة للمملكة الفاطمية	195
7	قسنطينة في العهد التركي	199
8	التجهيزات الدينية للمدينة العتيقة بقسنطينة سنة 1837	214

فهرس الأشكال :

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
1	نظرية فيتروفوس في العمارة	30
2	الفرق بين العلم و الفن عند علي بيكوفيتش عزت	36
3	العوامل المشتركة بين كل من الفن ،الدين و الأخلاق(الحسنة)	38
4	دائرة الإسلام البصري والفكري والاجتماعي عند معتوق فريدريك	51
5	تدرج مبدأ المركزية الى غاية المدينة	63
6	مكانة منظومة القيم الثلاثية باعتماد النص القرآني كمرجعية أساسية.	71
7	علاقة منظومة القيم الثلاثية العليا و منظومة مقاصد النص القرآني	85
8	الوسطية الاسلامية في اختلاف التجسيد المعماري و الفني لمبدأ الخصوصية	91
9	الوسطية الاسلامية توائم بين الفردية و الجماعية في المسكن التقليدي	91
10	توضيح لأبرز معالم المسجد الأقصى في القدس-فلسطين	99
11	تخطيط لجامع السلطان أحمد والأبنية الملحقة به في اسطنبول،تركيا	105
12	مخطط جامع القيروان الكبير في تونس	107
13	مخطط الطابق الأرضي لقصر عزيزة بالجزائر العاصمة	123
14	مخطط الطابق الأول لقصر عزيزة بالجزائر العاصمة	123
15	رسم توضيحي لتقنيات الراحة في المسكن الميزابي-غرداية	128
16	رسم توضيحي لعرف البناء في المسكن الميزابي-غرداية	129
17	المخطط الأرضي لمسجد كتشاوة اعتمادا على Ravoisié في 1850	132
18	مخطوط أندلسي للقرآن من القرن الثاني عشر مكتوب بالخط الكوفي.	140
19	خصوصية خارجية تمثل تدرج خارجي في المدينة الى غاية المسكن	202
20	رسم توضيحي لتدرج دقيق و متخصص للغرفة في المسكن التقليدي القسنطيني	209
21	خصوصية داخلية تمثل تدرج داخلي من مدخل المسكن الى غاية غرفة النوم	209
22	رسم توضيحي لمستويات تدرج الإضاءة في المسكن التقليدي & الغرفة	210
23	تصنيف المربعات الخزفية حسب مصدرها في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	255
24	الهلال في مجموعة من بلاطات خزفية في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة	256
25	السماء مصدر تمثيل في النصوص القرآنية للسقف و القبلة	277
26	الجبال و الأرض مصدر تمثيل في النصوص القرآنية لعناصر و مواد البناء	277
27	النص القرآني مصدر الفن الزخرفي في العمارة التقليدية القسنطينية	279

المقدمة

1. مقدمة :

تُمثل العمارة انعكاس الصورة الثقافية للمجتمع و تأثيرها عليه، كما أن ارتباطها به يتضمن علاقتها بالدين و الثقافة. و تختلف الثقافة و التراث من مجتمع لآخر. فالعمارة مرتبطة بالانسان و المجتمع مما تستوجب اشراكهما فيها.

و التحديث في العمارة مرتبط أساسا بالأصالة أين تعبر فيه عن هويتها و خاصة اذا كانت عمارة تتميز بموروث تاريخي عريق، غير أن مفهوم الحداثة أُسيئ فهمه في العمارة الغربية الى درجة الانقطاع عن التقاليد و عن الطبيعة و عن الانسان. و بذلك تحولت المدينة الحديثة الغربية الى مجموعة من الكتل الهندسية المُجردة. فقدت طابع عمارتها السابقة كالعمارة الكلاسيكية والروكوكو، و بقيت مُنجرّة نحو الابتكار و التجريب و التجريد. وهذا ما تم تبنيه في جميع البلاد الاسلامية.

و قد أصاب التحديث العمارة في البلدان العربية الاسلامية ، فأنشأت بذلك بيئة معمارية معاصرة بعيدة عن قيمها الاجتماعية و منقطعة عن أصولها التاريخية. كما أفرز تفاعل المسلمين مع ثقافات الأمم منتجات فكرية طرحتها البيئة الثقافية التي فرضت على الأمة. و هذا ما دفع علماء المسلمين من بينهم العلامة عبد الحميد بن باديس¹، للتصدي للأفكار الواردة بتجديد الفكر الاسلامي. فالتجديد يحافظ على جوهر الدين و يستفيد من نقاط قوة التراث في اطار المبادئ و القيم الاسلامية. إن اهمال الجانب التاريخي في العمارة الحديثة دفع بالمعماريين الى تعويض التاريخ بمزايا الصناعات الحديثة. فالمعماري شارلس جينكز (Charles Jenks) هو أول من أعلن نهاية الحداثة و نادى بعمارة ما بعد الحداثة. و تم ادخال جميع المفاهيم الجديدة و جميع الأفكار المتنوعة التي تحدد معنى ما بعد الحداثة المعمارية، فدعى اتجاه التيار التاريخي الى ضرورة ادراك الأشكال الحضارية من خلال المجتمع حيث وظفوا اللغة المحلية التاريخية التقليدية. كما أن الاتجاه المشترك لاتجاهات حركة ما بعد الحداثة يدعو الى الربط بين القديم والحديث. فمبنى سوني بنيويورك يمزج

¹ عبد الحميد بن باديس، (1307-1358هـ الموافق لـ 1889-1940م) من رجال الاصلاح في الوطن العربي و رائد النهضة الاسلامية في الجزائر، و مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

بين دلالات التكنولوجيا الحديثة و عناصر من العصور القديمة الكلاسيكية. هذا ما يتفق مع الدعوة الى الأصالة و الحداثة في العمارة الاسلامية. فتم تبني هذا المذهب من طرف بعض المعماريين المسلمين دون الرجوع الى آراء و تطبيقات العمارة الاسلامية، فاستمرت عمارتهم المعاصرة بالتقليد و بالكثير من التحولات التي لا تمت كثيراً الى تلك المبادئ و القيم التي انتمت اليها العمارة الاسلامية.

فرغم الأبحاث الحديثة والمتطورة حول تنظيم العمارة و العمران، نجد أن معظم المجمعات السكنية الحديثة تفتقد إلى الروح و الهوية و تعتمد أساساً على الفردية ، ذلك نتيجة إتباع التيارات الغربية و الاعتماد على بعض العناصر الثانوية من العمارة الإسلامية من حيث المظهر و الشكل فقط و إهمال الجوهر.

إن العيش ضمن المُجمعات السكنية يعتبر مبدأ من مبادئ بلدان البحر الأبيض المتوسط، والتي تعتمد على العيش ضمن مجموعات تربطها صفات التكافل و التضامن الاجتماعي، فهي تعتبر ضمن التراث الموروث من التراث الإغريقي-روماني ، العربي و العثماني-الإسلامي. و الجزائر من بين البلدان العربية المغاربية التي تتميز بتراث محلي متنوع ومثير للاهتمام: عمراني، معماري، تاريخي و ثقافي. نظراً لموقعه الجغرافي و الاستراتيجي المحاذي للقارتين ، متأثراً بالبحر الأبيض المتوسط شمالاً و إفريقيا جنوباً، و الذي أعطى للجزائر ميزات عديدة و متنوعة، للأسف يتعرض اليوم للاهمال و الضياع لعدة أسباب من بينها: جهل القيمة التاريخية، السياسات المحلية و العولمة.

و تعتبر المدينة في الجزائر، المركز التاريخي للمدن القديمة والتي تتكون عموماً خلال الفترات الاسلامية، فهي القطب الذي يجمع جميع أهل المدينة، والذي يمثل المركز الحضاري والاجتماعي والسياسي و التجاري والديني. كما أنها تتوفر على تراث ثمين في مجال العمارة و الفنون الإسلامية، والتي تميزها عن باقي الدول الإسلامية نظراً لتعاقب فترات تاريخية عديدة جعلتها تعتمد على بعض العناصر من الحضارات السابقة التي لا تتعارض مع مبادئها الاسلامية. تزخر العمارة التقليدية و فنونها في الجزائر على ثروة كبيرة من الأشكال، مواد و تقنيات البناء المحلية و كذلك على فضاء معماري تحكمه منظومة وظيفية انتجت ملامحها المعمارية. فهناك العديد من الأمثلة في الجزائر التي تجسد تنوع و ثراء هذا التراث في المدينة العتيقة ، نذكر

منها: قسنطينة، عنابة ، الجزائر ، تلمسان ، مدينة مزاب و قصور الصحراء.تعتبر مدينة قسنطينة من بين هذه المدن التي شهدت تطورا لافتا في العهد الاسلامي وخاصة العثماني، فكان اختيارها من طرف العثمانيين كعاصمة لبايلك الشرق الجزائري الى غاية سقوطها كآخر مدينة جزائرية على يد الاستعمار الفرنسي في عام 1837م. فتميزت بالتنظيم العمراني، بالتنوع المعماري و الثراء الفني في فترة حكم البايات كما شهدت بناء العديد من العمائر الدينية و المدنية على يد قادة اداريين و مشايخ و علماء المنطقة.

و بناء على ما سبق فالملاحظ أنه لم يتم الاستفادة من مزايا العمارة التقليدية و فنونها في العمارة المعاصرة بقسنطينة. كما أن البحث في التاريخ الاسلامي للعمارة التقليدية لمدينة قسنطينة لم يعطى الاهتمام الكافي من المعمارين الباحثين.مما يستوجب البحث عن جوهر التعاليم الاسلامية الموجه للعمارة التقليدية لمدينة قسنطينة.

2. إشكالية البحث:

تميزت العمارة المعاصرة في مدينة قسنطينة، بتغير شكل و مبدأ تكوينها ، و البعد عن طابعها التقليدي.و هذا من نتائج تبعات تيارات الحداثة و التي جعلت منها مدينة فاقدة للهوية و منقطعة عن تاريخها و بيئتها و مبتعدة عن عادات و تقاليد ساكنيها.بالاضافة الى اهمال المبادئ و القيم الاسلامية للعمارة التقليدية في تشكيل الفضاءات المعمارية و التي كانت تتميز بلامح أصيلة منسجمة مع متطلبات الانسان و مع تقاليد و معطيات بيئته.

و في ظل تجاهل مزايا التاريخ الاسلامي لعمارة مدينة قسنطينة و الاستمرار في البحث المتواصل عن قواعد و مبادئ لمنهج متكامل لأمتنا و تصور شامل لعمارتنا.ارتأينا أن نبحت في خصائص التصور الاسلامي و منهجه الذي جاء لينشأ أمة ذات طابع خاص مُتميز و مُتقرد.و لهذا توجب علينا التعرف على المصدر الأساسي للتشريع و ما يحتويه من نصوص متنوعة.

و القرآن الكريم يعتبر أكبر مصادر اللغة العربية التي أنزل بها،غير أن ما يحتويه من نصوص متنوعة تجعل منه جامعا لهذه اللغة ،مما يقودنا الى العودة لكتاب الله.أما المصدر الثاني للتشريع الذي يعتمد عليه المسلمون في قضايا دينهم و دنياهم بعد القرآن الكريم يتمثل في نصوص السنة النبوية ، التي جاءت شارحة مبينة لما جاء في كتاب الله عز و جل.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»، و يجمع أغلب المفسرين على أن معنى (ومثله معه): هذا واضح الدلالة على أن السُّنة وحي، و التي تفسر القرآن و تُبين معناه.قال تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. (النحل: الآية 44) .

فهو صلى الله عليه و سلم أوحى الله إليه القرآن و أوحى إليه أيضاً السُّنة كما يجمع العلماء على دورها في حفظ و تطوير اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم.و من هنا تأتي فكرة اختيار القرآن الكريم كمصدر أولي للتشريع الاسلامي في البحث.

تتمثل اشكالية البحث في مدى تأثير النصوص القرآنية بالعمارة التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينية ، في التشكيل الفراغي و التعبير الفني المعماري.و ذلك بالبحث عن كل من العمارة التقليدية و عناصرها و مواد البناء المذكورة في النصوص القرآنية،و باستنباط القيم الأصيلة و الموجهة لتشكيل الفضاءات المعمارية.و باستلها م معاني النصوص القرآنية في تحديد الفضاء المعماري،و للبحث في مدى التوجيه في التطبيق المعماري و الفن الزخرفي للعمارة التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينية خلال الفترة الاسلامية وفترة الانتداب العثماني.

و مما سبق يمكن تحديد متغيرين وهما المبادئ عامة و القيم الاسلامية المستمدة انطلاقا من النص القرآني كمتغير مستقل و الناتج المعماري المتمثل في العمارة التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينية كمتغير تابع.و هذه العلاقة السببية بينهما تدفع الى طرح التساؤلات الرئيسية التالية :

◀ هل المبادئ الاسلامية عامة و القيم الاسلامية المستنبطة من النص القرآني خاصة لديهما توجيه في التطبيق المعماري للعمارة التقليدية بالمدينة العتيقة في قسنطينية خلال الفترة الاسلامية وفترة الانتداب العثماني ؟ و هل للنص القرآني علاقة بفنها الزخرفي؟

◀ هل اعتمدت المدينة العتيقة بقسنطينية خلال الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني على نتائج تفاعل الحضارات السابقة في عمارتها التقليدية و فنها الزخرفي ؟

إن الاجابة على تساؤلات البحث ما هو الا فرضيات مؤقتة لحين التأكد من صحتها، بعد تحليل نتائج البحث النهائية،و منه فان فرضيات البحث تلخص فيما يلي :

✓ إعتمدت العمارة التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينة خلال الفترة الإسلامية وفترة الانتداب العثماني ، على المبادئ الإسلامية عامة و القيم الإسلامية المستنبطة من التوجيه الأولي، للنص القرآني خاصة في التطبيق المعماري كما للنص القرآني توجيه أولي لفنها الزخرفي.

✓ إعتمدت العمارة التقليدية للمدينة العتيقة بقسنطينة خلال الفترة الإسلامية وفترة الانتداب العثماني، على استخدام و تطوير عناصر معمارية في العمارة و فنها الزخرفي من حضارات سابقة.

3. أسباب اختيار الموضوع :

لقد كان اختيارنا لموضوع المبادئ و القيم الإسلامية في العمارة التقليدية الجزائرية-دراسة حالة المدينة العتيقة بقسنطينة مبنيا على عدة أسباب منها :

- الأهمية البالغة للموضوع وتميز التراث العمراني و المعماري للمدينة العتيقة بقسنطينة مما يحفزنا لدراسة تأثير النص القرآني في مختلف العناصر المعمارية وعلاقته بالفن الزخرفي لعناصر المدينة.
- قلة الدراسات و ندرتها حول الموضوع.و قد كان لهذا السبب الدور الكبير و المحفز القوي للخوض في هذه الدراسة مما سيكسبها أهمية بالغة. باعتبارها أول بحث يعتمد على النص القرآني و تفاسيره في التحليل المعماري للعمارة التقليدية للمدينة العتيقة بقسنطينة.
- قلة المراجع الخاصة بالفترة الإسلامية و فترة الانتداب العثماني لمدينة قسنطينة.
- تدهور معظم العنصر التقليدية و خطر انهيارها نتيجة عدم وجود برمجة دورية للحفاظ عليها و ترميمها مسبقا.و قد كان لتواجد معظم العنصر الدينية المتبقية في حالة الغلق للترميم منذ 2015، صعوبة في البحث الميداني.

4. أهداف البحث :

يهدف هذا البحث للوصول لتحقيق مجموعة من الغايات و المقاصد منها مايلي :

- ✓ توضيح الثابت و المتغير في علاقة المبادئ و القيم الإسلامية بالعمارة التقليدية.
- ✓ دراسة علاقة العمارة التقليدية بالنصوص القرآنية ، عن طريق إظهار العمارة التقليدية و عناصرها و مواد البناء المذكورة في النصوص القرآنية.
- ✓ الاستفادة من دراسة نماذج للعمارة التقليدية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

✓ إستنباط المبادئ عامة و القيم الإسلامية ابتداءً من النص القرآني و مدى تطبيقها في العمارة التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينية و محاولة إبراز تأثيراتها في اختيار التنظيم الفضائي و المعماري و علاقتها بالفن الزخرفي في الفترة الإسلامية و فترة الانتداب العثماني.

✓ محاولة حصر الحقبة الزمنية للعمارة التقليدية الإسلامية عبر دراسة تاريخية لمدينة قسنطينة منذ فترة العصور القديمة الى غاية فترة ما قبل الاستعمار الفرنسي.

✓ التأكد من استخدام و تطوير عناصر من الفن الزخرفي و المعماري من حضارات سابقة.

✓ محاولة إبراز دور توجيه النص القرآني في تحديد شكل و ملامح الفضاء المعماري بدقة؛ عن طريق دراسة تحليلية للعمارة التقليدية للمدينة العتيقة بقسنطينية ، من خلال دراسة حالة المساكن التقليدية القسنطينية و كذلك تأثير النص القرآني في العمارة التقليدية و الفن الزخرفي في المدينة العتيقة بقسنطينية خلال الفترة الإسلامية و فترة الانتداب العثماني.

5. الدراسات السابقة :

لم تحض العمارة التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينة خلال الفترة الإسلامية و فترة الانتداب العثماني بدراسات بشكل دقيق و معمق من الجانب المعماري ، رغم الأهمية التاريخية للمدينة. ومن بين الدراسات التي تناولت المدينة العربية الإسلامية في تخصص العمران و التي كان لها أوجه الاستفادة في البحث:

◀ بن يوسف إبراهيم. (2010). *إشكالية العمران والمشروع الإسلامي*. مطبعة أبو داود .الجزائر.

و في كتابه يعتمد في تساؤله عن ماذا تمخض عن المسيرة الطويلة للعمران البشري؟ و عن ما يتخبط فيه الانسان من أزمة و هل هي حضارية أم عمرانية؟ و كيف ينظر الاسلام الى هذه الأزمة و ما هو البديل الذي يقدمه الاسلام؟ حيث يعتمد الباحث على دراسة تاريخية للعمران الإسلامي، عمارة و تنظيمًا و تشريعًا.

◀ جميل أكبر. (1992). *عمارة الأرض في الإسلام*. دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم

القرآن.بيروت.في كتابه يتخصص بشرح أسباب جمال وفعالية العمارة الإسلامية التي استمدت من روح دين الإسلام ، مقارنةً لذلك بأنظمة العمران الوضعية.

◀ صالح الهذلول.(1994). المدينة العربية الإسلامية: أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية. دار السهن. المملكة العربية السعودية. ط 1. و يركز في كتابه على الواقع الحاضر من خلال تقدير الماضي و أصالته و بالتالي تثمين قيمته كمصدر للحاضر. كما حاول في دراسته ايضاح عملية تحول المدينة العمرانية التقليدية الى شبه عمرانية معاصرة، عن طريق استخدام التشريع في تحليل البيئة التقليدية و المعاصرة، مما أضفى الى الوصول الى مستويين لجزئين من التحليل : المستوى الفكري و التركيبي للمجتمع و كذلك المستوى التطبيقي للأنظمة و التشريعات بالإضافة الى التمكن من التعامل مع الأشكال و التكوينات العمرانية في اطارها الاجتماعي و الثقافي.

◀ عبد الباقي ابراهيم.(1986). المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية. مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية، القاهرة. حيث بين الباحث في كتابه ضرورة بدأ البحث في الأصول والآليات التنظيمية التي كانت سائدة في العصور الإسلامية والتي أثرت على البناء المعماري في هذه العصور كما بدأ البحث في مراجعة آيات القرآن الكريم والسنة المحمدية وكتب السلف الصالح بهدف استخلاص القيم التي تبني الإنسان وأخذها بالقياس في بناء العمران مع الأخذ بأساليب البناء الحديثة والمتطلبات المعاصرة. من هنا يجيء المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية لمواجهة النظريات المعمارية التي تتدفق تباعاً من الغرب.

وكذلك كتاب : عبد الباقي ابراهيم.(1987). المنظور التاريخي لعمارة المشرق العربي. مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية. القاهرة. و يعرض الباحث في كتابه العمارة العربية كإفراز حضاري على مر العصور التي مرت بها المنطقة، منذ فجر التاريخ عبر العصور الإسلامية حتى التاريخ المعاصر. مبينا أن العمارة الإسلامية اكتسبت خصائص حضارية ارتبطت بوجودان المجتمع الإسلامي، وأصبحت نبع القيم المعمارية، بما فيها من ثوابت امتدت على مر العصور ومتغيرات تتغير بتغير الزمان والمكان. كما يتعرض الباحث في نهايت الكتاب لربط الأصالة بالمعاصرة مع حركة التاريخ وما يطرأ عليها من إنجازات تقنية متقدمة ومتوافقة.

استطاع الباحث أن يوضح من خلال طريقة السرد التاريخي لعمارة المشرق العربي أن العمارة التي أفرزتها العصور الإسلامية كان الوحيدة التي لها التأثير الراسخ في ذهن الإنسان العربي المسلم. وأصبحت العقيدة هي الموجه الأساسي لمكوناتها الداخلية التي انعكست على مختلف

تشكيلاتها الخارجية.و كذلك دراسته لكتاب:عبد الباقي ابراهيم.(1993). *تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الاسلامية المعاصرة*.مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية. القاهرة.حيث يبين فيه الباحث أن تأصيل القيم الحضارية في بناء المدن الاسلامية أمر حتمي للبناء الحضاري للمجتمع.كما أن السلوك الاسلامي في الحياة أساس للبناء العمراني في المدن مع تحقيق الهدف الأساسي ، و هو نقل النظرية الى الواقع من التصميم الى التنفيذ.

◀ عبد الستار عثمان.(1988).*المدينة الاسلامية*.المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب. الكويت.حيث تحدث الباحث عن تخطيط المدن في الحضارة الإسلامية، كما وضع تمهيداً وضح فيه علاقة الفكر الإسلامي واستراتيجية العمران، عرض فيه نظريات علماء المسلمين حول تعريف المدينة وطريقة نشأتها، وملخصاً منهجية الفكر العمراني الإسلامي. و وضح المؤلف كذلك كيف توافقت منهجية العمارة وتخطيط المدن في الدولة الإسلامية، بتوافق تام مع أحكام البناء و الإرتفاق التي أقرها علماء الفقه استناداً إلى ماورد في القرآن والسنة. كما بين الباحث مدى التوافق ما بين المبادئ الإسلامية التي يلتزمها الناس في سلوكياتهم وكذلك في التكوين المعماري لمدينتهم المختلفة.

◀ بن حموش مصطفى.(1999).*المدينة والسلطة في الاسلام : نموذج الجزائر في العهد العثماني*. مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دار البشائر.دبي.ط 1. يتعرض الباحث في كتابه الى مناقشة العمران في الجزائر العثمانية بكل الجوانب النظرية و التطبيقية من خلال دراسة العلاقة الموجودة بين شكل العمران و طبيعة السلطة من المنظور التاريخي و الفقهي. و يبين أن نوعية البيئة الحضرية المتوازنة بمدننا العتيقة تعود الى حسن توزيع الأدوار بين الممارسين الحضريين و صياغة الممارسة الحضرية أساسا ، عكس البيئة الحضرية المعاصرة التي تعاني من أزمة تبعات العمران العصري.وقد اتخذت المدينة العتيقة الى حد ما نمودجا لاستنباط الحلول للمشكلات التي تعاني منها السياسة الحضرية المعاصرة ، و هذا تبعا لفرضية اعتبار العلاقة الموجودة بين المدينة و السلطة تتجاوز حدود الزمان و المكان.

وكذلك كتاب: بن حموش مصطفى.(2013).*جوهر التمدن الإسلامي*.دراسات في فقه العمران. دار باليمبسات.الجزائر العاصمة.و يبرز في كتابه أن للتمدن الاسلامي جوهرًا و مظهرًا.

فالاهتمام بجوهر التمدن الاسلامي يدعو الى توظيفه للغايات الاسمى للبشرية في عمارة الأرض وفق ما جاء بها الاسلام.

ومن بين الدراسات التي تناولت العمارة التقليدية و التي كان لها أوجه الاستفادة في البحث : رافيرو أندري،(Ravereau André)، للكاتب أبحاث في دراسة البنايات والثقافات المتوسطة، بهدف مقارنة أهمية البادرة العلمية مع تلك المعرفة التقليدية المحلية،حيث يرى أن المدن الإباضية تقدم أحسن مثال للتكيف مع : قيود البيئة ، الهندسة المعمارية وتخطيط المدن الذي يحترم البيئة. و باستقراره في غرداية سنة 1959، و إدراكا لأهمية العمارة التقليدية المحلية ، أسس بما يسمى ورشة الصحراء، أين كان نمط الحياة والبناء ، موضوع ملاحظات دقيقة وأوصاف يدعى الطلاب إلى نسخها في الرسم والممارسة على مواقع البناء.فكان يسعى دائما الى فهم أشكال العمارة التقليدية المحلية من أجل صياغتها و ترسيخها ثقافيا.كما أن دوره كمهندس للآثار التاريخية في الجزائر مكنه من فهم أسس العديد من البنايات والدفاع عن مبادئ تكوينها.كما توجت أبحاثه باصداره لأول كتابه عن العمارة التقليدية الميزابية بعنوان :- المزاب درس في العمارة، باللغة الفرنسية.

- RAVEREAU, A. (1981). *Le M'Zab, une leçon d'architecture*. Sindbad.Paris.

أهت أندريه رافيرو هذه العمارة بدون مهندس معماري لتبني فلسفة المدينة: بدءاً من الاحتياجات الأساسية للإنسان ، ودراسة المواد المحلية ، والمناخ ، والبناء بدون زخارف ،من خلال القيود الأكثر صرامة.كما يأخذنا كتابه من نماذج لمنازل مزاب إلى المعابد اليونانية ، من ليدو إلى غاودي ، من الكاتدرائيات إلى الإسكان منخفض التكلفة، للاستفادة من العديد من الدروس التي تقدمها هندسة محلية أخذت ما يلزمها من : الراحة الحقيقية ،الضوء والتقاليد.كما أصدر رافيرو كتابا حول قصبة الجزائر باللغة الفرنسية بعنوان: - قصبة الجزائر و الموقع ينتج المدينة.

- RAVEREAU, A. (1989). *La Casbah d'Alger, et le site créa la ville*. Sindbad. Paris.

حيث أن تفكير رافيرو كان يدور حول فكرة رئيسة و هي أن قصبة الجزائر فريدة و لا مثيل لها.مبينا ذلك عبر وصف عناصر المباني السكنية.و بالمقارنة تكشف الاختلافات محتوى الخصوصيات لجميع العناصر التي تميز قصبة الجزائر. ويعتبر أن القصبة ككل ، فيما يتعلق

بالموقع أو بأدق تفاصيله البنائية والمعمارية ، مثلاً أكيداً على تنسيق المساحات والوظائف والأشكال.

ومن أهم الدراسات الأقرب الى موضوع البحث و تناولت تاريخ و عمران مدينة قسنطينة و تخطيطها نجد :

◀ باقون برنار، (Pagand Bernard) و يعتبر من أهم الباحثين الذين درسوا مدينة قسنطينة في كتاب هو في الأصل أطروحة دكتوراه باللغة الفرنسية بعنوان:-مدينة قسنطينة ، الجزائر : من المدينة التقليدية إلى المركز الحضري المعاصر.

-PAGAND, B. (1989).*La Medina de Constantine,Algerie : de la ville traditionnelle au centre de l'agglomeration contemporaine*. Centre interuniversitaire d'études méditerranéenne. Poitiers.

ينتظر الباحث الى كل مكونات المدينة و مرافقها و يرى أن المدينة التقليدية تحتل مكانة قطبية و وظيفية، ضمن التكتل الحضري القسنطيني. كما أن التطور الكبير لمواقعها التجارية وأهمية مؤسساتها الإدارية تجعل منها مركز جذب للمدينة بأكملها ، يتعداه الى الامتدادات المحيطة. و يقترح الباحث تهيئة موقع الدراسة عبر منظور مزدوج يتمثل من جهة في الحفاظ على الدور المركزي الهام للمدينة التقليدية من خلال ترميمها و الحفاظ على مكوناتها بالاضافة الى تنظيم كل المؤسسات و النشاطات المحيطة التي تضمن السير الحسن لكل المركز الحضري، عن طريق انشاء مركز ثانوي. وكذلك حماية الاطار المبني و الذي يمثل تراثا منفردا للجزائر.

إن لهذه الدراسات أهمية بالغة لاثراء موضوع البحث بالنسبة للمدينة العربية الاسلامية و العمارة التقليدية في مدينة قسنطينة .أما موضوع البحث الدقيق حول علاقة العمارة التقليدية بالنص القرآني و محاولة ابراز دور حسم النصوص القرآنية في التطبيق المعماري و توجيهه. فلم تكن هناك دراسات سابقة في هذا المجال ،على حد علمنا عدا دراسات:

◀ وزير ي يحيى: من أهم الباحثين الدكاترة المعماريين المصريين و المتخصصين في جوانب الإعجاز في كتاب الله الكريم أو فن الهندسة المعمارية في الإسلام.و هو صاحب أكبر موسوعة في الزخارف الإسلامية، رئيس ومدير دار الفن الإسلامي، وعضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

◀ وزير ي يحيى.(2008).إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران.مكتبة عالم الكتب.القاهرة. يهدف الباحث في كتابه الى إظهار جانب من أوجه الإنجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال علوم

ال عمران والبنيان. وكذلك كتاب: وزير ي يحيى. (2008). العمران والبنيان في منظور الإسلام. وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية الكويتية. الكويت. أين يتناول فيه الباحث أسس و مميزات العمران والبنيان في القرآن الكريم ، بالاضافة الى تاثير المنهج الاسلامي على تصميم المباني.

6. منهجية البحث :

لقد اعتمدنا في منهجية البحث على ستة فصول متسلسلة و مترابطة، يمكن القول أنها تعتمد على :
 ✓ منهج الاستنباط للنصوص القرآنية: يعتمد على التعريفات، المسلمات و الأولويات من خلال الاستدلال من النصوص القرآنية المتعلقة بالعمارة التقليدية و عناصرها و مواد بنائها باعتبارها مصدر أولي للتشريع مع الاستنباط من تفاسيرها.

✓ منهج التحليل للعمارة التقليدية: يعتمد على تفكيك عناصرها الأساسية و دراستها بأسلوب معمق. تقتضي العملية الاستدلالية أدوات لاستخراج المبادئ من المقدمات حيث يتم الاعتماد على الملاحظة الجيدة لكل الظواهر و الفرضيات بدقة و عناية من أجل الحصول على نتائج و تفسير الاستنتاجات. فمن خلال الملاحظة يتم فهم الظاهرة من جميع جوانبها التاريخية المعمارية و الفنية، بعد جمع كمية كبيرة من المعلومات المتعلقة بها. فالقياس يستخدم عمليات استدلالية منطقية أين تكون النتائج موجودة في المقدمات بطريقة ضمنية. أما التركيب ينطلق من مقدمات مسلم بها ناتجة عن عمليات استدلالية منطقية يتم التأليف بينهما للوصول الى نتائج أخرى. و كان اختيار المنهج الاستنباطي نظرا لتوفره على الأسلوب العلمي في البحث و لدوره الفعال في الاعتماد على فرضيات البحث للوصول إلى نتائج محددة ، و كذلك اقتداء بالمنهج القرآني نظرا لاعتماده على الاستنباط. حيث يتم الاعتماد على الملاحظة الجيدة لكل الظواهر و الفرضيات، بالانتقال من الكل إلى الجزء و من التفكير العام إلى التفكير الخاص. و يقتضي التحليل المعماري الملاحظة الجيدة للظاهرة انطلاقا من التفسير و توضيح الظاهرة ثم تقويمها بأسلوب علمي صحيح للوصول الى الاستنباط عن طريق الاستنتاج بتركيب النتائج.

يندرج البحث بالتسلسل من التعريفات الى توضيح المجالات الثابتة في الأحكام الشرعية ، و من ثم برهان خاصية الثبات في خصائص التصور الاسلامي و مقوماته الذاتية و كذلك في مصطلح الدين، مع الاستدلال بالنص القرآني و بعض تفاسيره، لتبيان فكرتي الثابت و المتغير في الناتج المعماري. أما بخصوص العمارة التقليدية فنندرج بالتعريف بأبرز المبادئ العامة في المدينة والعمارة التقليدية

فيها مع التركيز على أهميتها من حيث قوة وعمق في مدلولاتها، و بيان أهمية القيم كنظام من خلال النصوص القرآنية في معظم آياته و تفاسيره، مع استنباط دلالات مختلفة لمجمل الألفظ القرآنية. ثم استنباط منظومة القيم العليا من خلال النصوص القرآنية و بيان منظومة مقاصدها في تثبيت القيم و ناتج العلاقة بينهما، بالإضافة الى التركيز على شرح و تفسير الوسطية كأحد القيم التي تقدم مفهومها معماريا مستمدا من النواة الدينية الاسلامية، و هذا من خلال تقديم نماذج تطبيق الوسطية الاسلامية في العمارة التقليدية و الفن الزخرفي. ثم تقديم العمارة التقليدية و عناصرها المذكورة بالنصوص القرآنية، مع توضيح جوهر اختيار النص القرآني عن طريق تقديم شرح و تفسير الآيات و كذلك العلاقة الموجهة و المؤثرة في اختيار تنظيمها للفضاء المعماري. بالتقديم المكثف للنصوص القرآنية ذات العلاقة بالعمارة التقليدية و عناصرها، من أجل استنباط كل التفسيرات و المعاني. و بعد تقديم نماذج للعمارة المتواجدة في البحر الأبيض المتوسط بما فيها الجزائر، يتم تقديم لمحة تاريخية عن التطور التاريخي لمدينة قسنطينة منذ فترة العصور القديمة الى غاية فترة ما قبل الاستعمار الفرنسي. للتمكين من حصر الحقب الزمنية الخاصة بحالة الدراسة و المتمثلة في العمارة التقليدية للمدينة العتيقة بقسنطينة خلال الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني. و المذكورة في النص القرآني و التي تتضمن: القصر، المساكن، المساجد، المدارس و الزوايا. و كذلك العناصر المعمارية و مواد البناء، حيث يتم الاعتماد على الجانب النصي بالاستدلال بالنصوص القرآنية و الاستنباط من تفاسيرها و كذلك المتعلقة بجانب العمارة. ثم التحليل المعماري لعناصر العمارة التقليدية و ابراز علاقة النص القرآني بالفن الزخرفي للعمارة التقليدية القسنطينية، و هذا للوصول الى نتائج البحث.

7. محتوى البحث :

إن موضوع بحث القيم و المبادئ الاسلامية في العمارة التقليدية الجزائرية-دراسة حالة المدينة العتيقة بقسنطينة، يعتمد على الاستعانة بمراجع مختلفة كالكتابات التاريخية والمخطوطات القديمة كالنص القرآني و تحليل مدى تأثيره في العمارة التقليدية لفترة ما قبل الاستعمار الفرنسي. فهو يسمح بتوضيح المفاهيم و رفع اللبس و تصحيح الصورة المشوهة عن العمارة التقليدية الاسلامية عن طريق ابراز مزايا التصميم الوظيفي الذي يحترم الخصوصية و يبرز ثراء العناصر المعمارية و الزخرفية للعمائر الاسلامية .

هذا ما يقودنا الى توضيح الخطوات التي اتبعناها في هذا البحث، والتي جاءت مقسمة الى ستة فصول مترابطة و متناسقة، زيادة على مقدمة عامة عرضنا فيها لأهمية الموضوع الذي نعالجه في هذه الفصول وخاتمة أين تتضمن أهم النتائج المتحصل عليها من خلال البحث، كما تم تدعيم هذا البحث بمجموعة من الخرائط، المخططات و الصور التوضيحية بالإضافة الى اثبات للعديد من المصادر و المراجع المعتمد عليها و التاريخية منها ، و أولاها القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع بالإضافة الى بعض التفاسير. و يتمثل محتوى موضوع البحث في ما يلي:

◀ المقدمة:

تشمل مدخل للموضوع و الاشكالية المطروحة ، مع استعراض تساؤلات البحث و صياغة الفرضيات يتبعها تقديم لأهداف البحث و المنهجية المتبعة ثم محتوى و خطة البحث.

◀ الفصل الأول:

خصص للتعريف بالمفاهيم العامة عن الفن و العمارة و التقاليد ثم علاقة كل منهم بالاسلام. و ذلك بالاستعانة بأفضل التعريفات الخاصة بمختلف ميادين الباحثين و التي من شأنها تقديم الاضافة لفهم أكثر لمفهوم كل مصطلح.

◀ الفصل الثاني:

تناول هذا الفصل دور الدين الاسلامي في تحديد ملامح العمارة التقليدية من خلال فكريتي الثابت و المتغير، مع الاستدلال بالنص القرآني و بعض تفاسيره. أما بخصوص العمارة التقليدية، فنترج بالتعريف بأبرز المبادئ الاسلامية في المدينة و العمارة التقليدية فيها مع التركيز على أهميتها من حيث قوة و عمق في مدلولاتها. ثم بيان أهمية القيم كنظام من خلال الاهتمام البالغ من المصدر الأول للتشريع في معظم آياته و تفاسيره، مع استنباط دلالات مختلفة لمجمل الألفظ القرآنية. مع استنباط منظومة القيم العليا من خلال النصوص القرآنية و بيان منظومة مقاصدها في تثبيت القيم و ناتج العلاقة بينهما.

◀ الفصل الثالث:

نقدم في هذا الفصل نبذة تاريخية عن العالم الاسلامي مع تحديد للدول المتواجدة في حوض البحر الأبيض المتوسط، ثم يليه تقديم لمختلف النماذج عن العمارة الاسلامية فيها. إن تقديم أفضل النماذج عن العمارة التقليدية في حوض البحر الأبيض المتوسط من قصور و مساجد و مدارس، في كل

من فلسطين، تركيا ، تونس ، المغرب و اسبانيا -الأندلس و الجزائر. و من شأنه توضيح أشمل للدرجة الرفيعة التي وصلت اليها العمارة و الفن في الحقبة الاسلامية.و للتمكين من تكوين فكرة واضحة و متميزة عن مدى اتباع المبادئ عامة في تحديد الخصائص التصميمية و تطبيق الحلول التقنية للعمارة التقليدية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

◀ الفصل الرابع:

تناول هذا الفصل العمارة التقليدية و عناصرها و مواد البناء المذكورة في النصوص القرآنية، مع توضيح جوهر اختيار البحث بصفة أساسية في المصدر الأصلي و الأولي في الشريعة الاسلامية. كما يعتمد على التقديم المكثف للنصوص القرآنية ذات العلاقة بالعمارة التقليدية و عناصرها و مواد بنائها.بدءا بتقديم استنباط من النص القرآني لبعض الباحثين للمفهوم الدقيق للمصطلحات المعمارية المتقاربة الخاصة بالمباني السكنية.و التطرق الى تحديد التصور المكاني و الشكلي للبيت في النصوص القرآنية.و كذلك العلاقة الموجهة و المؤثرة في اختيار تنظيم الفضاء المعماري للعمارة التقليدية. ثم تقديم الجانب التاريخي لطبيعة نشأة كل من: المسجد و عناصره ، المدرسة، الزاوية و الرباط.و تبيان مدى تواجد كل منهم بالنص القرآني.بالإضافة الى عناصر العمارة التقليدية و مواد البناء المذكورة في النص القرآني، عن طريق تقديم تسلسلي لشرح مختلف المعاني و التفسيرات من أجل الوصول الى الاستنباط.

◀ الفصل الخامس:

هذا الفصل خاص بدراسة تاريخية لمدينة قسنطينة منذ العصور القديمة الى غاية فترة الانتداب العثماني،ومن ثم حصر الحقبات الزمنية الخاصة بالعمارة التقليدية الاسلامية.وتكمن أهمية هذا الفصل في كونه جزء أول تطبيقي،ينطلق من تحليل لخصائص المسكن التقليدي القسنطيني، يتبعه تقديم حالة قصر أحمد باي و حالة كل من المساجد و المدارس و الزوايا الخاصة بالفترة الاسلامية .والذي يعتبر منطلقا لما سيأتي بعده من دراسة تحليلية للعمارة التقليدية و الفن الزخرفي في الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني.

◀ الفصل السادس:

هذا الفصل مكمل للفصل السابق في الدراسة التطبيقية ، للتأكد من فرضية البحث عن طريق الاستعانة بالمراجع و المصادر التاريخية و الزيارات الميدانية لمختلف هذه العمائر.و هو عبارة

عن تحليل مدى تأثير النص القرآني في العمارة التقليدية و الفن الزخرفي الاسلامي في المدينة العتيقة، للفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني. و تتمثل الدراسة التطبيقية في تحليل و استنباط تأثير المبادئ عامة و القيم الاسلامية ابتداء من النص القرآني في من خلال اسقاط ما درسناه في الجانب النظري على العمارة التقليدية المتبقية في المدينة العتيقة بقسنطينة. و تأثير النص القرآني بالفن الزخرفي مع التفصيل لكل العناصر الزخرفية الاسلامية، بالاستدلال بالنصوص القرآنية و بعض تفاسيرها مع الاستنباط، بالاضافة الى التحليل المعماري للعمارة التقليدية، مع اثبات استخدام و تطوير عناصر معمارية في العمارة و فنها الزخرفي من حضارات سابقة.

◀ الخاتمة:

تتضمن الخاتمة كلا من النتائج الأساسية التي توصل اليها البحث، بالاضافة الى مقترحات مواضيع علمية و بحثية مهمة أين يرى فيها الباحث تقديمها كتوصيات.

1. نتائج البحث:

تتضمن ملخصاً لأهم النتائج المتحصل عليها من خلال البحث، و الاجابة على كل تساؤلات البحث.

2. التوصيات:

تتضمن توصيات البحث بعض الاقتراحات للموضوعات التي تتصل بموضوع بحثي، و التي من شأنها أن تكون مسارات لمواضيع بحث مكملة لبعض المجالات الغير مدروسة به. كالبحث في تأثير نص الحديث الشريف في العمارة التقليدية القسنطينية في العهد العثماني. و ذلك للاسهام في توضيح طبيعة البحث في التراث المعماري الاسلامي والاعتناء به للحفاظ على الهوية المعمارية المحلية. و هذا من خلال مختلف المخلفات النصية من مصادر تاريخية أخرى كالمخطوطات التاريخية.

الفصل الأول

مفاهيم عامة عن الفن و العمارة و التقاليد

و علاقتهم بالاسلام

مقدمة :

تميزت العمارة و الفنون الإسلامية بمجموعة من الأساليب و الخصائص التصميمية التي استعملها المسلمون و التي كونت هوية لهم ،حيث تأثرت خصائصها و صفاتها بشكل كبير بالدين الاسلامي و النهضة العلمية التي تبعتها.

إن تأثر المسلمين ببعض الحضارات السابقة، جعلهم يطورون نمطا معماريا مميزا عبّر عن خصوصيتها، لارتباطها بالعقيدة الاسلامية. والتي يمكن من خلال دراسة العمارة و الفنون الاسلامية، أن تمثل مصدراً لمجموعة من الأسس والقيم التي لا بد من البحث في مصدر توجيهها و سر ازدهارها.

في هذا الفصل الأول سنحاول أولاً، استكشاف المعاني المختلفة و التعريف بالمفاهيم العامة لكل من الفن ، العمارة و التقاليد ، عن طريق تحديد الفرق بين الفن و العلم. و كذلك بين كل من الفن و الأخلاق و الدين و البحث عن العامل المشترك بينهم ، مع القاء الضوء على العلاقة بين كل من الفن و العمارة و مختلف الديانات السماوية. ثم سنتطرق ثانياً، الى فهم و تحديد كل المفاهيم السابقة من منطلق اسلامي، عن طريق تقديم التعريفات الخاصة بكل من الفن الاسلامي ،العمارة الاسلامية و العمارة التقليدية.

إن الاستعانة بأفضل و أدق التعريفات الخاصة بمختلف ميادين الباحثين من شأنها التعمق أكثر في تصنيف و شرح المفاهيم و هذا من أجل تقديم الاضافة لفهم أكثر لمفهوم كل مصطلح و تبيان علاقته الخاصة بالدين الاسلامي.

1.1 مفاهيم عامة عن الفن و العمارة و التقاليد:

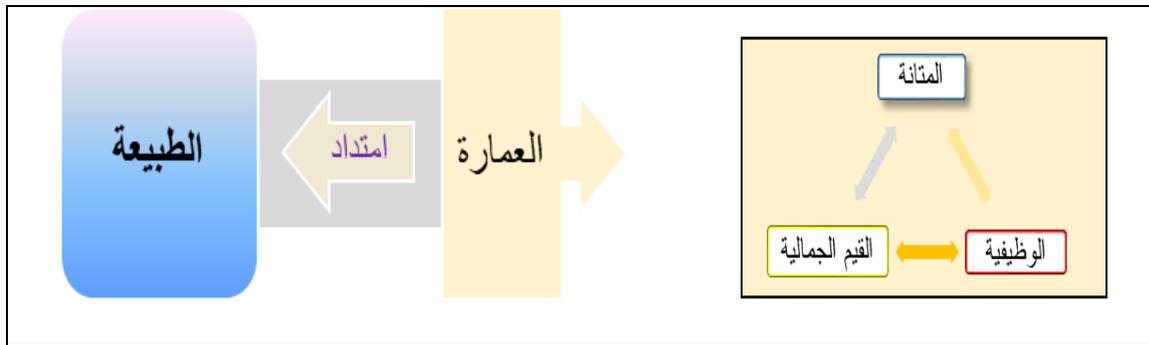
قبل الحديث عن الفن الاسلامي و العمارة الاسلامية و التقليدية بصفة خاصة ، نحاول ان نلقي الضوء على المقصود بالعمارة والفن و التقاليد بصفة عامة ،ذلك لأن ايضاح و تدقيق هذه المفاهيم يمهد لفهم العلاقة بين كل منهم و بين كل ما هو اسلامي.

1.1.1 مفهوم العمارة :

نشأت العمارة و ارتكزت على أسس متعددة منها العلمية والاجتماعية، فلقد اقترنت كلمة العمارة بالفن في أغلب المراجع التاريخية و خاصة المتعلقة بتاريخ العمارة.و العمارة أول الفنون فهي تعتبر أم الفنون في الحضارة اليونانية.ان اليونان القدماء هم الذين صنفوا الفنون الستة، وكانت

الفنون المُعتبرة عندهم هي:العمارة ،الموسيقى،الرسم،النحت،الشعر ،الرقص والفنون التعبيرية. « فعندما شعر الانسان في عصور ما قبل التاريخ بالحاجة للمأوى،لجا الى المغارات فنظم و رتب فراغاتها حسب احتياجاته و نشاطاته،وعلى هذا الشكل عرف الانسان المبادئ الأولى للعمارة »¹. اعتبر (Vitruvius) فيتروفيوس² ، العمارة أم الفنون كما يُعد أول من عرفها من خلال كتابه: (The ten books on architecture)-الكتب العشرة عن العمارة ، أشار فيتروفيوس الى أن العمارة هي امتداد للطبيعة ، تعمل على استمرار قوانينها و تطوير أشكال من تراكيبها و مستوحاة منها، خاصة في تصوّر الجمال حيث كان يستشهد على مقدار جمال الطرز بتشبيهها بالمرأة أو الرجل.و تمكن من خلال فهمه للبناء و النسبة و الطبيعة أن يضع نسب حسابية للجسم البشري من خلال نسب حسابية دقيقة لما بين مكوناته بتواصل مع الدوائر و المربعات. فالمعماري له دور في توفير الوظيفة و الأمان و الجمال في المباني.و يقول فيتروفيوس:« الهندسة المعمارية هي المباني التي دمجت venustas, firmitas ,utilitas ». فقد اعتمدت نظرية فيتروفيوس في العمارة على ثلاثة محاور رئيسية.(أنظر الشكل رقم 1 أدناه).

الشكل رقم 1: نظرية فيتروفيوس في العمارة



المصدر : اقتباس و رسم الباحث،2019

¹ رثيف مهنا، ويسن بحر.(1992) نظريات العمارة. ديوان المطبوعات الجامعية.ج.1.الجزائر.ص.19-20.
² (Marcus Vitruvius Pallio)- ماركوس فيتروفيوس باليو ، مهندس معماري روماني،عاش في القرن الأول قبل الميلاد،ولد ما بين 80 و 70 ق م ،و توفي بعد العام 15 ق.م ،عمل مهندسا حربيا تحت امرة القيصر في أفريقية، و شارك في فتح اسبانيا و بريطانيا،و كان مهندسا معماريا في عهد «أوغسطس » ؛ اعتزل العمل الرسمي في شيخوخته ليكتب في القرن الأول الميلادي أصول أعظم الفنون الرومانية باللاتينية بكتابه المسمى: الكتب العشرة في العمارة-(Ten Books on Architecture).و هو أول كتاب موثق عن طرق الإنشاء والفكر المعماري.

أ. النفعية أو الوظيفة: وهو ما توفره الوظائف التي تحتوي عليها العمارة ذات منفعة للناس مثل السكن و الدراسة و العلاج.

ب. الإنشاء أو المتانة: و يعني ثبات البناء و هو ما يوفره من الإنشاء المتين و الاستقرار البنائي.

ت. القيم الجمالية: و هو المظهر الجذاب الذي ما يوفره النسب الأشكال أو الألوان.

و عرف فيتروفوس العمارة على أساس أنها تعتمد على الترتيب والتنظيم والإنسجام والملائمة والإقتصاد، و وضع مجموعة من المبادئ الذي تستطيع بالسير عليها الوصول لعمارة متوازنة بين قيم الوظيفة والإنشاء والجمال، وهي :

أ. النظام: و هو الذي يؤدي الى استخدام وحدات قياسية صحيحة لأجزاء العمل المعماري كل على حدة بصورة متناسبة حتى الوصول الى انسجام العناصر المعمارية في عمل كامل و متناسق. وتحدث عن الأنظمة اليونانية الثلاث ونسبهم : دورى، أيونى و كورنيثى.

ب. الترتيب: ويفضي الترتيب المتناظر الى تناسب الكل ببعده ببعض ، حيث يشمل وضع العناصر المختلفة للعمل المعماري فى مكانها المناسب عن طريق تمثيل ذلك بدراسة المسقط الافقى والواجهة والرسم المنظوري. فهي تنتج من أعمال الفكر الحريص الجاد و ايجاد حلول لمشاكل مستعصية، و اكتشاف مبادئ جديدة عن طريق البراعة و التنوع في المواهب. و تعد تلك أول البدايات لدراسة عناصر البناء هندسياً من خلال الرسومات فى العصور الكلاسيكية.

ت. الإيقاع :و هو الجمال و الدقة في تنسيق عناصر المنتج المعماري كما يظهر في تناسب الأبعاد الثلاث كالطول و العرض و الارتفاع لأجزاء العمل المعماري و تنظيمها في منتج معماري موحد.

ث. التماثل :و هو الاتزان و التوافق الصحيح بين أجزاء المبنى و هو العلاقة التوافقية بين اجمالي المشروع العام مع اختيار جزء محدد كمعيار.

ج. النسب : هي مرجعية الشكل لشيء أو أصل، كمرجعية نسب العمود الدورى لنسب الرجل، و الأيونى لنسب المرأة.

ح. الصلاحية والإتقان :أي أن يكون الإتقان في انجاز العمل المعماري مع صلاحية الطراز المعماري و وفق مبادئ مصرح بها ، فهي تتبع عن كل من : ملائمة الموضع الطبيعي، إستعمال المنشأ و وضوح سمات الطراز.

خ. الإقتصاد : ويشير الى الاستخدام الصحيح للموقع و مواد البناء مع احداث الموازنة بين التكلفة و المتطلبات المنطقية لتنفيذ أعمال البناء.

بالإضافة الى تحديد نوعية و مستوى البناء الاقتصادي و ايجاد الحلول البديلة لعدم توفر مواد محلية للبناء من خلال إستخدام المواد المتاحة. وكذلك مراعاة الوضع الاقتصادي في البناء لكل طبقة اجتماعية.

د. الزخرفة : وهي إنطباع يعتاد عليه بالممارسة، مثل تيجان الأعمدة وتوجيه الفتحات وأشكالها وأضفاء صفات النسب والجمال على العناصر المعمارية والانشائية.

ذ. التوزيع : وهو قائم على الناحية التخطيطية في طريق وضع المنشآت بالنسبة لمقاصد إستهدافها.

و يقسم فيتروفينوس فن البناء الى جزئين :

أ. انشاء المدن المحصنة و الأعمال المتصلة بالاستخدام العادي في الأماكن العامة.

ب. اقامة منشآت الأفراد.

و يراعى في البناء تأكيد وجود المتانة في وضع الأساسات على أرض صلبة مع حسن اختيار المواد الملائمة.و كذلك مراعاة ملائمة ترتيب الحجرات بحيث تستفيد كل منها من الاضاءة الطبيعية الكافية.كما أن عامل الجمال يشكل دورا أساسيا في المظهر العام للمبنى و أن تكون الأجزاء متناسبة حسب مبادئ التناسب و التناظر.و يصنف الأبنية العامة الى ثلاثة أقسام:

أ. الدفاعية: و يكون عبر التخطيط للأسوار و الأبراج و البوابات و الأدوات الدائمة من أجل ضمان الحماية و الأمن ضد أي عدوان خارجي.

ب. الدينية: تشييد المعابد و الهياكل.

ت. المرافق:وهي المباني العامة المستعملة من قبل عامة الناس ، كالموانئ و الأسواق و المسارح و الحمامات و المنتزهات و الشوارع المعمّدة و كل ما يتبع ذلك من الترتيبات الخاصة بالسير الحسن للأماكن العامة في المدينة.

يقول فيتروفينوس أيضا : « على المعماري أن يكون رجلاً متقفاً لإبداع ذكرى خالدة من خلال أعماله المكتوبة، وأن يكون على علم بالرسم لوضع تصوره في المخططات الأولية لعرض شكل العمل الذي يقترحه، كما يعرفها بأنها : الفضاء المحصور الذي يؤدي وظيفة ما.»

أما لوكوربوزييه³ فيحدد العمارة بقوله : « العمارة هي اللعب المتقن بالكتل المنظورة تحت الضوء » . و يقول المهندس فتحي حسن⁴ : « المهندس المعماري عندما يصمم قرية يحتاج إلى بذل أعظم عناية فنية إذا كان له أن يخلق توحداً، وطابعاً، وجمالاً يقترب حتى من الجمال الطبيعي الذي يخلقه الفلاحون بلا وعي في قراهم التي نمت نموًا طبيعيًا». كما يقدم البهنسي عفيف تعريفًا للعمارة كالآتي : « العمارة منشأة مؤلفة من كتلة و فراغات وظيفتها هي استيعاب نشاط انساني كالاسكان و العبادة و العمل و الدافع و شروطها المتانة و الراحة».⁵

2.1.1. مفهوم الفن :

قبل الحديث عن علاقة الفن الاسلامي بالعمارة التقليدية وأنواعها، نحاول أن نلقي الضوء على المفاهيم التي قدمها المهتمون بالفن عامة مع ابراز دوره و أشكاله في مختلف العصور ، بالإضافة الى لقاء الضوء على العلاقة بين الفن و العمارة. لتحقيق هذه الغاية سنسعى الى الاجابة عن عدة تساؤلات لعل أهمها: ما هو المقصود بالفن ؟ و ما هي علاقة الفنون الاسلامية بالعمارة؟ تعددت التعاريف الخاصة بمعنى الفن كما تطورت عبر الزمن لكن من الصعب ايجاد تعريف دقيق لمفهوم الفن، حيث لا يتعدى أن يكون محاولات لبعض الفلاسفة منذ فجر التفكير الانساني، و التي اتسمت باختلافهم الصريح في تعريف ماهية الفن و تفسيره. و الذي أصبح يعبر عنه في العصر الحالي بفلسفة الفن. لقد مارس البشر الفنون منذ 30 ألف سنة ، و كانت المخلفات البشرية خير دليل على ما

³ Charles-Edouard Jeanneret ، شارل إدوار جانيريه و المعروف بـ: (لوكوربوزييه) Le Corbusier .

(6 تشرين أول/أكتوبر 1887م - 6 آب/ أغسطس 1965م)، معماري سويسري- فرنسي، تعلم وتدرّب ليكون فناناً، كان أيضاً مخطّطاً، ورسّاماً، ونحاتاً، وكاتباً، ومصمماً للأثاث ، وكان عضواً في المؤتمر الدولي للعمارة الحديثة. أحد رواد عمارة الحداثة في القرن العشرين و اشتهر بإنجازاته ذات الأسلوب الدولي .

⁴ فتحي حسن ، (23 مارس 1900م - 30 نوفمبر 1989م) ، معماري مصري بارز، من مواليد مدينة الإسكندرية، وتخرج من المهندس خانة بجامعة القاهرة حالياً. و لديه العديد من الجوائز الوطنية و الدولية . أشرف على أكثر من 160 مشروع و اشتهر حسن فتحي بطرازه المعماري الفريد الذي استمد مصادره من العمارة الريفية النوبية و الذي طبق فلسفته في قرية القرنة. له الكثير من الأبحاث في مجال العمارة والإسكان والتخطيط العمراني وتاريخ العمارة.

⁵ البهنسي عفيف.(2005).العمارة و المعاصرة. دار الشرق للنشر.دمشق.ص.7.

تركه البشر عبر الرسم و كذلك العلامات التجريدية فوق جدران الكهوف والمغارات و التي تصنف ضمن فن العصر الباليوثي.

يعتبر (Herbert Read)-هربرت ريد⁶ رائدا في مجال التعريف بماهية الفن من زاوية علمية ،وذلك لما قدمه من اضافات جديدة إلى منهج التفكير الجمالي.و يبين في كتابه (The Meaning of Art) ، معنى الفن ؛ أن معظم مفاهيمنا الخاطئة عن الفن و تقييمه إنما ترجع إلى الخلط بين مدلولي الجمال و الفن و عدم الثبات في استخدامهما، فمفهوم الجمال يتمتع بمغزى تاريخي محدد و يختلف عن الفن من حيث الجانب الحسي و الوجود. لأن الجمال هو وحدة للعلاقات الشكلية بين كل ما له علاقة بالأحاسيس و الوجدان بينما الفن هو خلق منتوج أو اعادة خلق يتعلق بالجانب المادي المحسوس.

« يعرف الفن تعريفا أكثر بساطة و أكثر عادية بأنه محاولة لخلق أشكال ممتعة. و مثل هذه الأشكال تشبع احساسا بالجمال واحساسنا بالفن و الجمال انما يشبع حينما نكون قادرين على أن نتذوق الوحدة أو التناغم بين مجموعة من العلاقات الشكلية من بين الأشياء التي تدركها حواسنا.»⁷ و يؤكد (هربرت،1998) أن ما يجعل من العمل الفني موضوعا جماليا له وجوده في صميم الواقع، إنما هو ذلك التنظيم الخاص الذي خضعت له العناصر المادية المكونة له، لا المعني الذي يعبر عنه، غير أنه ينظر إلى الإحساس بالجمال على أنه ظاهرة نسبية، تبدت في التاريخ عبر صور وأشكال عديدة.

« إن فن مرحلة ما ،لا يعد معبرا عن هذه المرحلة الا اذا كنا نحاول التمييز بين عناصر الشكل و هي عناصر عالمية ،و بين عناصر التعبير و هي عناصر محلية موقوتة»⁸.

و يرى (هربرت،1998) أن العلاقة بين الفن و الدين واحدة من أكثر المسائل التي علينا نواجهها صعوبة ،نظرا لاختلاف تعامل الفن مع الدين في مختلف الحقبات التاريخية، بين العالم العربي و

⁶ (Herbert Read)-هربرت ريد ، (1893-1968م) ، مفكر و عالم جمال ،وهو أيضا شاعر وروائي وناقد أدبي بريطاني، يكاد أن يكون أشهر نقاد و مؤرخي الفنون التشكيلية،وأحد أبرز من طوروا جماليات هذه الفنون في العالم الناطق بالانجليزية خلال القرن العشرين. وهو واحد من أبرز عقول حركة الحدائة التي ارتبطت بالاتجاهات التجريدية ،رغم ميوله الرومانتيكية القومية.ولهذا كانت قائمة مؤلفاته كثيرة و متنوعة.

⁷ هربرت ريد.(1998) معنى الفن.مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة.178ص،ص10.

⁸ هربرت ريد،المرجع السابق، ص14.

الغربي. « مهما يكن فان أسمى صور المشاعر الانسانية حتى وقتنا الحاضر هي المشاعر الدينية و على الذين ينكرون ضرورة الارتباط بين الدين و الفن أن يكتشفوا بديلا للمشاعر الدينية عند الجماعات يستطيع أن يضمن في المدى البعيد وجود نوع من الاستمرار التاريخي لذلك الفن الذي ليس دينيا »⁹.

يضيف (هربرت، 1998) إلى أنه ليس في النشاط الفني أي عنصر شخصي، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة. وعلى الرغم من أن الفن العظيم لا يمكن أن يخلو من حساسية وموهبة، إلا أن الفنان نفسه مجرد واسطة أو مجرى لبعض القوى اللاشخصية، وما يميز العمل الفني الأصيل عن العمل الفني التافه إنما هو الهدف الذي وجهت نحوه حساسية الفنان وموهبته.

يعتبر المفكر الإسلامي (Begovich Ali Ezzat) - بيكوفيتش علي عزت¹⁰، في كتابه الاسلام بين الشرق و الغرب ، أن الفن ظاهرة و يرى أن هناك ثلاث درجات للحقيقة في هذا الكون و المتمثلة في: المادة و الحياة و الشخصية.و أن كل عمل فني هو انجاز فردي، ينشأ من فكرة يتبناها الفنان و يقدمها على شكل ابداع فني.

« فالبناء ،كمنتج من مواد انشائية و تكنيك، و اعداد للاستخدام، عمل مؤهل لفرق العمل، أما الأسلوب و الفكرة و الجوانب الفنية في المعمار، فقد كانت دائما عمل شخص واحد هو الفنان .»¹¹

فالفن يسعى الى خلق شيء متناغم و متمائل بحثا عن الابداع في ظروف معينة ، تتسم بالجانب الروحي.و هو دائم البحث عن ابداع جديد ضمن انشاء جديد.

يتميز الفن بالبحث عن لغة اضافية و وسائل عديدة للتعبير سعيا للوصول الى كل ما هو روحي. كما يعكس العمل الفني النظام الكوني دون أن يستفسر عنه. أما بخصوص العلم فيبين (بيكوفيتش، 1994) أن العلم يمكن له أن يكون عمل جماعي لأن موضوع العلم له عدة أجزاء

⁹ هربرت ريد ،المرجع السابق،ص52.

¹⁰ (Begovich Ali Ezzat)، بيكوفيتش علي عزت ، (18 محرم 1344 هـ / 8 أغسطس 1925م - 23 شعبان 1424 هـ / 19 أكتوبر 2003م) بالبوسنية، أول رئيس جمهوري لجمهورية البوسنة والهرسك بعد انتهاء حرب البوسنة والهرسك، ناشط سياسي بوسني وفيلسوف إسلامي، مؤلف لعدة كتب أهمها الإسلام بين الشرق والغرب. ولد بمدينة بوسانا كروبا البوسنية لأسرة بوسنية عريقة في الإسلام، واسم عائلته يمتد إلى أيام الوجود التركي بالبوسنة.

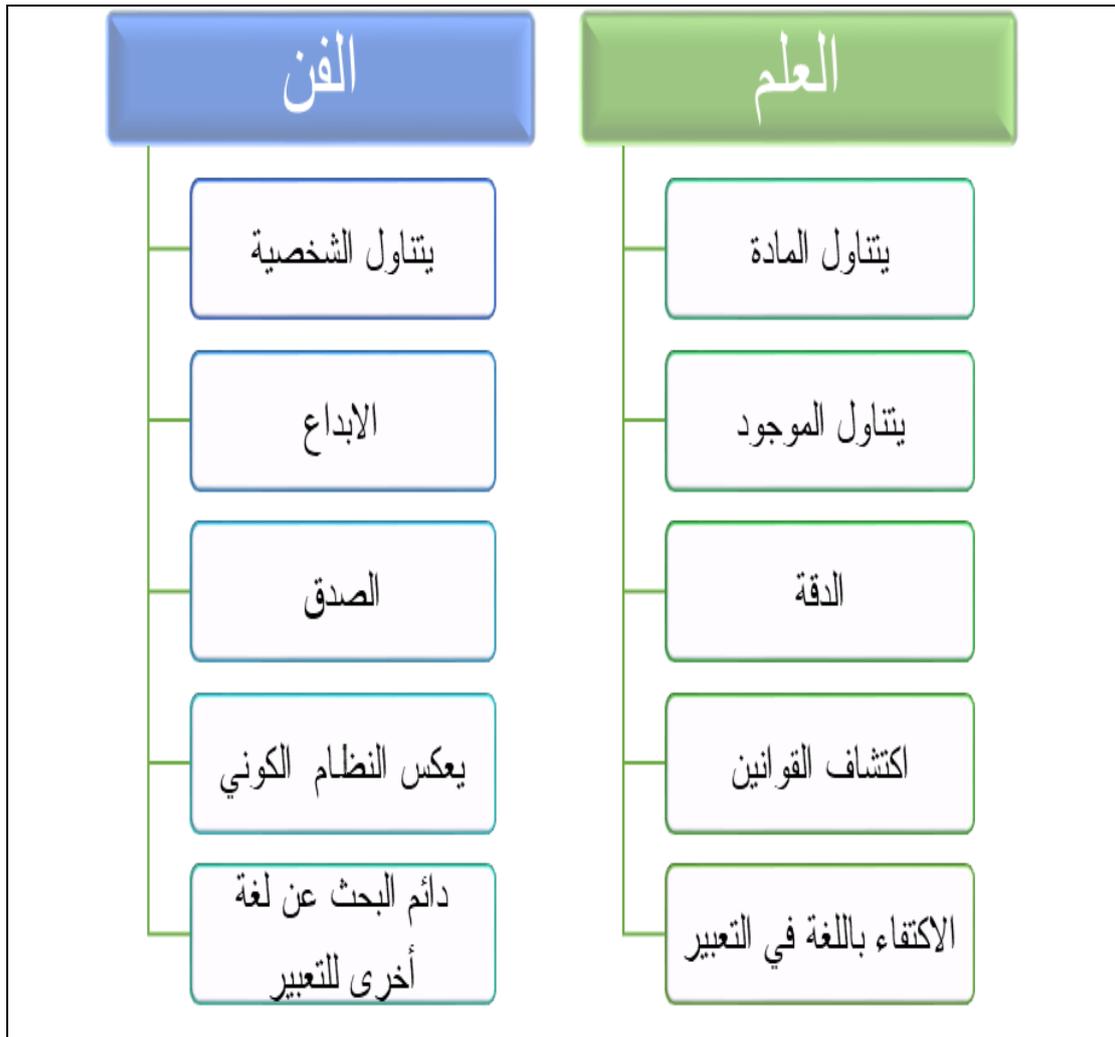
¹¹ بيكوفيتش علي عزت.(1994).الإسلام بين الشرق و الغرب.مؤسسة العلم الحديث.بيروت.ص 141.

وأقسام يمكن تحليلها كل على حدى و من ثم جمعها لتوحيد النتيجة.و العلم يسعى الى البحث و اكتشاف خصائص جديدة في المواضيع الموجودة أصلاً، و يمتاز بالتحليل العلمي الدقيق لهذا فهو يفتقد الى الجانب الروحي.

يكتشف العلم القوانين الكونية من الجانب الوصفي و النوعي و يتميز بأنه لم يشعر بقصور اللغة في التعبير عن نفسه و يكتفي بلغة واحدة للتعبير تتطابق مع الكتابة.

يعترف (بيكوفيتش،1994) بأن العلم يتناول المادة و كذلك الفن يتناول الشخصية و لا يعترف بغيرهما من العلاقات.كما يقدم الفرق بين كل من الفن و العلم ، و كذلك طبيعة علاقة الفن بالدين و يبين أن العلم و الفن يكمن فيهما جوهر الاختلاف و ينتسب أحدهما الى الآخر كما ينتسب الكم الى الكيف.(أنظر الشكل رقم 2 أدناه).

الشكل رقم 2 : الفرق بين العلم و الفن عند بيكوفيتش علي عزت



المصدر: اقتباس و رسم الباحث،2019

و يعتبر (بيكوفيتش،1994) أن الدين والفن يشتركان في مسألة الإلهام الإنساني المعبر عنها بطرق مختلفة،حيث يأخذ بالانسان الى علاقة الفن بالحياة بالدين و بهدم الفن للفكر المادي،وكذلك لمفهوم العبودية لله سبحانه و تعالى،التي تأخذ الانسان يسير على الأرض و نفسه تتطلع الى السماء، فيوازن بين الروح و الجسد و يوازن بين العقل الجماعي و الفردي، و يوازن بين الأرض و السماء. كما أن الدين والفن يشتركان في الوحدة المبدئية لجذورهما. و يُوضح كذلك أن هدف الفن هو الابداع في حد ذاته، و أن الأخلاق هي التي تمنحه قيمته الحقيقية ، و أن خلاصة الأخلاق و الفن و الدين واحدة ، و هي الانسانية الخالصة. « إن الفن ، في بحثه عما هو انساني،أصبح باحثاً عن الله.»¹² .

فاذا رجعنا الى الدين و الأخلاق نجد اختلاف آراء المفكرين الغربيين في طبيعة علاقة الدين و الأخلاق فمنهم من يرى أن الأخلاق مستنبطة من الدين و آخرون يرون أن الأخلاق لها دوافع مادية دنيوية و لا علاقة لها بالدين.

تحرص الديانات السماوية و تتفق على قيم الأخلاق و على تطبيقها في الحياة اليومية ، حيث تراعي العادات و التقاليد السائدة في الجاهلية التي تتفق مع الأعراف و التي لا تتعارض مع تعاليم الدين.

بلغ فن المعمار في جميع الثقافات - أعظم الهاماته في بناء المعابد.ينطبق هذا-على السواء- على المعابد في الهند القديمة و كامبوديا،كما ينطبق على المساجد في أنحاء العالم الاسلامي،وعلى المعابد التي وجدت في غابات أمريكا قبل وصول كولومبوس،وكذا كنائس القرن العشرين في أنحاء أوروبا و أمريكا.ولا أحد من كبار البنائين و المعمارين اليوم يمكن أن يقاوم هذا التحدي [...]. وهكذا،فان الفن المعماري-رغم أنه أكثر الفنون وظيفية و أقلها روحية-يثبت لنا صفته الدينية من خلال البناء الذي لا يتوقف لأماكن العبادة¹³.

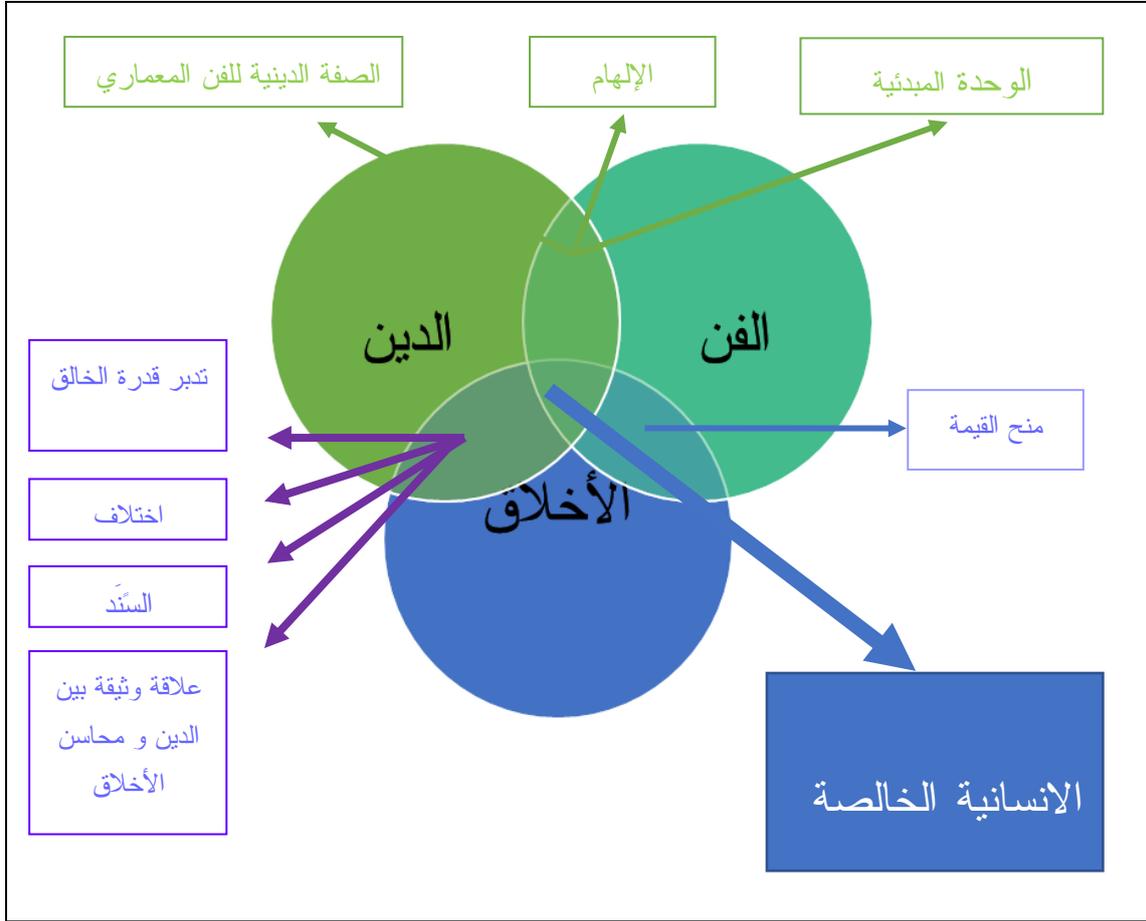
يُبين الرسم التوضيحي علاقة كل من الفن و الدين و الأخلاق و عوامل التوافق بين كل ثنائيتين:الفن و الأخلاق،الفن و الدين و الدين و الأخلاق. و التي تشترك في معنى واحد يشمل جميع الديانات

¹² بيكوفيتش علي عزت ، المرجع السابق ، ص 173.

¹³ بيكوفيتش علي عزت ، المرجع السابق ، ص 148.

على اختلافها و تنوعها، و يمثل أساس المعاملة الإنسانية في العلاقات بين الناس و يتمثل في الإنسانية الخالصة. (أنظر الشكل رقم 3 أدناه).

الشكل رقم 3 : العوامل المشتركة بين كل من الفن ،الدين و الأخلاق(الحسنة)



المصدر : اقتباس و عمل الباحث،2019

3.1.1. مفهوم التقاليد:

قبل تعريف المدينة التقليدية و العمارة التقليدية نحاول أن نقدم تعريفا عاما لمفهوم التقاليد ودورها في تحقيق الخصوصية الاسلامية و مدى تأثيرها علي العمارة.

فقد حدد (Littré) - ليتري¹⁴ أربعة اتجاهات رئيسية :

¹⁴ <http://www.universalis.fr/encyclopedie/tradition/>

Réf "Littré en a distingué quatre sens principaux : Action par laquelle on livre quelque chose à quelqu'un » ; « transmission de faits historiques, de doctrines religieuses, de légendes, d'âge en âge par voie orale et sans preuve authentique et écrite » ; « particulièrement, dans l'Église catholique, transmission de siècle en siècle de la connaissance des choses qui concernent la religion et qui ne sont point dans l'Écriture sainte » ; « tout ce que l'on sait ou pratique par tradition, c'est-à-dire par une transmission de génération en génération à l'aide de la parole ou de l'exemple » (Dictionnaire de la langue française)".

" العمل الذي نقوم من خلاله على تسليم شيء لشخص ما"؛ "نقل الحقائق التاريخية والمذاهب الدينية" " والأساطير من حقبة الى حقبة، شفهيًا وبدون أدلة حقيقية ومكتوبة"؛ " خاصة ، في الكنيسة الكاثوليكية ، انتقال من قرن إلى قرن من معرفة الأشياء التي تهم الدين ، والتي ليست في الكتاب المقدس"؛ "كل ما نعرفه أو نمارسه بالتقليد ، أي من خلال انتقال من جيل إلى جيل باستخدام الكلمة أو المثال". (قاموس اللغة الفرنسية) (ترجمة شخصية).

و يعرف (Alleau René et Pepin Jean) ، ألو غوني و بيبان جون معنى التقاليد على أن: « التقاليد هي مفهوم تاريخي، فهي الإرث الذي يعيش الماضي في الحاضر أو الدعوة التي يوجهها الحاضر إلى الماضي». ¹⁵(ترجمة شخصية). فحسب (Norberg-Schulz Christian) ،نوبر شولز كريستيان ¹⁶ : « مصطلح تقاليد يبين صورة تستمر في تقديم شيء ما من جيل الى جيل» ¹⁷ (ترجمة شخصية). كما يعتبر أن : « التقاليد يعني في النهاية أن المنتج موجود في "فضاء" ثقافي مع روابط على حد سواء في الأمام في الخلف و جانبيًا» ¹⁸. (ترجمة شخصية).

يرافق التقاليد سلسلة من العادات: فهل الاسلام عادات و تقاليد؟

إن الإسلام نفسه ليس عادات ولا تقاليد وإنما هو وحي أوحى الله به إلى رسله وأنزل به كتبه. و يبين النابلسي محمد راتب في علاقة الاسلام بالعادات و التقاليد أن :

الإسلام أقرّ من الأعراف ما كان صالحاً، وتلاءم مع مقاصده ومبادئه، ورفض من الأعراف ما ليس كذلك [...] الإسلام غطى الثوابت في الإنسان، وغطى المتغيرات، فالثوابت غطاها الإسلام بنصوص قطعية في دلالاتها، وأما المتغيرات فقد تركها الإسلام للأعراف والتقاليد.

¹⁵ ALLEAU, R et PEPIN, J. (1988). *Tradition dans Encyclopédia Universalis*. Paris.pp826-829, p828.

Réf " la tradition est une notion historique qui est l'héritage par lequel le passé survit dans le présent ou l'appel que le présent adresse au passé."

¹⁶ (Norberg-Schulz Christian) ،نوربيرغ-شولتز كريستيان : (23ماي 1926 - 28 مارس 2000م) مهندس معماري ومؤلف وأستاذ باحث ومنظر معماري نرويجي. كان من بين أبرز المنظرين المعماريين في العالم و جزءاً من الحركة الحدائثية في العمارة و مرتبطاً بالظواهر المعمارية.

¹⁷ NORBERG-SCHULZ, C. (1997). *Art du lieu, Architecture et paysage permanence et mutation*. Edition le Moniteur. Paris.P 201.

Réf "le terme tradition indique qu'une figure continue de représenter quelque chose de génération en génération"

¹⁸ NORBERG-SCHULZ, C. (1988). *Système logique de l'architecture*. Editions Pierre Mardaga. Paris P214.

Réf "la « tradition » enfin signifie qu'un produit existe dans un « espace » culturel avec des liens à la fois en avant, en arrière, et sur les cotés"

هذه نقطة دقيقة جداً، ترك الإسلام أشياء كثيرة، لم يحددها تحديداً جاداً، ولا صارماً، تركها للعرف الصالح يحكم فيها، ويعين حدودها وتفصيله¹⁹

إن العادات والتقاليد موروث وتجارب أجيال من البشر أما الإسلام فهو الدين المنزّل من رب العالمين.فالتقاليد هي صفات وأنماط وممارسات اجتماعية، كما ارتبطت بها العادات عبر التاريخ، منها ما يمكن أن تكون متفقة مع تعاليم الدين الاسلامي و منها ما ارتبط بطقوس محلية متوارثة عبر الأجيال متعارضة مع الدين.كما أن مصطلح المدينة التقليدية يعني كل المستوطنات البشرية ما قبل الثورة الصناعية استنادا الى التقاليد المعاشة و الموروثة.

تُعبّر المدينة في العالم الاسلامي و المستوطنات البشرية عن كل ما هو عتيق أما في يومنا الحاضر هذه المناطق الحضرية تشكل إرثا من الماضي التاريخي فتكون بذلك تراثا معترف به من الجميع و يحظى باهتمام وطني و دولي بعد أن تم تصنيفه ضمن المستوطنات البشرية التلقائية أو المبنية بدون مهندس معماري أو بما يسمى بـ : معلم بناء.

2.1. ماهية الفن الاسلامي والعمارة الاسلامية و التقليدية:

قبل الحديث عن علاقة الفن الاسلامي بالعمارة التقليدية ،نحاول أن نلقي الضوء على المفاهيم التي قدمها المهتمون بالفن الاسلامي مع ابراز دوره و أشكاله في مختلف العصور.لتحقيق هذه الغاية سنسعى الى الاجابة عن عدة تساؤلات لعل أهمها: ما هو المقصود بالفنون الاسلامية ؟ ما هي العصورالتاريخية المميزة للفن الاسلامي؟ وهل يمكن القول بأنها فنون عربية اسلامية ؟ و ما هي علاقة الفنون الاسلامية بالعمارة ؟

1.2.1. الفن الاسلامي:

لقد حظي الفن في الحضارة الاسلامية بعناية كبيرة تميز بناتج فني ثري و مميز حيث تم انشاؤه في الفترة ما بين الهجرة النبوية و القرن التاسع عشر ميلادي ، و الذي امتد من اسبانيا شرقا الى الهند غربا.فقد تأثر الفاتحون بفنون الدول المفتوحة،ولكنهم استبعدوا منها ما يتعارض مع الدين، و صقلوه بما يتماشى مع المنهج الاسلامي.كما تميز الفن الاسلامي بأنه لا يركز على الدين فقط و انما يعتبر فنا حضاريا متكاملًا.

¹⁹ النابلسي محمد راتب.(1996).الأعراف والتقاليد.خطبة الجمعة.الخطبة 0588.

يعتبر قطب محمد²⁰ من الرائدین في الكتابة عن مفهوم الفن من منطلق اسلامي، وهذا رغم قلة الباحثين الاسلاميين في هذا المجال، حيث تطرق في مقدمة كتابه منهج الفن الاسلامي الى الاجابة عن بعض التساؤلات عن الفن الاسلامي ومدى صلة الاسلام بالفن و العلاقة بينهما :

والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام! [...] إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود. و التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان. هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال و الحق. فالجمال حقيقة في هذا الكون و الحق هو نروة الجمال. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود.²¹

و يُبين (قطب،1983) أن الفن الأصيل يصور الواقع على حقيقته و يستمد كيانه و مقياسه من حقائق الكون و حقيقة وجوده. فالدين بمفهومه الاسلامي القرآني لا ينعزل عن الحياة لأنه يشمل كل الحياة. و المهم هو تصوير الحياة من خلال العقيدة و ابراز حصته العقيدية العميقة في كيان الحياة. فمدى ما يمكن أن يستوجبه الفن من الكتاب المعجز في جميع أغراضه، انها ثروة لا تتقد في كل مناحي الفن و مجال الاستحاء الدائم، كما أن الفن الأصيل يستمد كيانه و مقياسه من حقائق الكون ذلك أنه نعيم جميل عن حقيقة الكون و حقيقة وجوده. و الفن الأصيل يصور الواقع عن حقيقته و يستمد مقياسه من حقائق الكون الكبيرو لذلك فالفن يبرز حقيقة العقيدة من خلال كل حقائق الحياة.

يسعى الفن الاسلامي الى أن يكون فنا انسانيا، وتحاول التربية الاسلامية الوصول الى قمة الانسانية بهدي من الله و رسوله أين يرسم الفن الاسلامي لمحات منها من خلال التجارب الشعورية الذاتية للفنان المسلم، بهدف الرفع الى مستوى الانسانية. فجمال اقامة الحياة البشرية يتحقق بسنن الكون لله و الحياة. و الجمال الكوني هو تصوير جميل موحٍ للوحة الحياة، فليس للفن مقياس وحده ينعزل به عن مقاييس البشرية الحقيقية ، و التي تمثل احدي الجزئيات المتناسقة لمقياس الكون

²⁰ محمد قطب إبراهيم حسين شاذلي، (1919 م-2014م)، كاتب إسلامي مصري. درّس و أشرف الأستاذ محمد قطب على عدد كبير من العلماء والدعاة العاملين. يتميز الأستاذ الشيخ بغزارة النتاج العلمي، صاحب مؤلفات هامة تؤسس للفكر الإسلامي المعاصر من منطلق معرفي إسلامي.

²¹ قطب محمد. (1983). منهج الفن الاسلامي. دار الشروق. بيروت. 234ص.ص.6.

الكبير.فالحقيقة الأشمل هي الحقيقة الأجل، لأنه كلما اتسعت تفاصيل اللوحة الفنية و تناسقت جزئياتها كان ذلك أقرب للتصور البشري السليم و المتصلة بحقائق الوجود.و يكون أضخم في عالم الفن و عالم الانسانية كلما استطاع عرض الوجود بمختلف مجالاته و تفاصيله فهو أقرب الى اعطاء حقيقة الوجود. و الفن الاسلامي يعني عناية خاصة بحقيقة الشمول و التكامل في النفس البشرية.و يحرص على عرض صورته كاملة لأنها حقيقة كونية متصلة بصميم فطرة الكون المتجه بروحه الى الله و حقيقة بشرية متصلة بصميم فطرة الانسان، فالفنون انسانية باقية ما بقيت الحياة. وحين يعبر الفن - بوسائله التعبيرية الجمالية الخاصة - عن حقيقة العقيدة في ذلك الاطار الواسع، فانه لا يعمل على رفعة البشرية و اطلاقها من اسار الضرورة و القيد و الانحسار في النطاق المحدود فحسب، بل انه-من الوجهة الفنية البحثية- يكون فناً «كونياً» واسعاً،لأنه يعبر عن حقيقة الوجود²².

يوضح (قطب،1983) أن الفن الاسلامي يستمد من الاسلام شموله و سعته و تعبيره عن فطرة الكون،فهو حريص على عرض حقيقة الحياة، بكل تفاصيلها المتناسقة و المترابطة لكي لا تفقد معناها الشمولي و مغزاها الحقيقي.و لكن الفن الاسلامي لا يحب أن يعرض صورة مشوهة عن الحياة البشرية بعيدة عن الفطرة و عن التفاعل بالوجود،بل يتعداها الى تصوير الحياة البشرية متصلة بالله ، لا تقطع صلة الأرض بالسماء و لا الانسان بخالق الكون، فتضفي جمالا يميزه دقة في التفاصيل،و الذي تفتقده معظم الفنون الحديثة المنقطعة عن الكون و خالقه.و يهتم الفن الاسلامي بابرار دور العقيدة في حياة الانسان.

و الفن الاسلامي يوسع رقعة الحياة بوصل السماء و الأرض، الدنيا و الآخرة، و ما بين الانسان و الكائنات الأخرى، و ما بين الانسان و الفرد و الجماعة،و ما بين الانسان الفرد و الانسانية التي تعمر هذا الكوكب منذ حقب موعلة في التاريخ و ما تزال تتطلع الى مستقبل بعيد.وبهذا الشمول و التعدد و الامتلاء تصبح اللوحة الفنية أجمل و أكمل و أمتع²³.

و الفن الاسلامي موكل بالجمال بمعناه الواسع من جمال الكون و نجومه و الطبيعة و المشاعر و جمال القيم و الأوضاع و النظم و الأفكار و المبادئ و التنظيمات،فيعرض بذلك الحياة كلها من

²² قطب محمد ، المرجع السابق،ص118.

²³ قطب محمد ، المرجع السابق،ص130

خلال المعايير الجمالية. ان التزام الفن بالمفاهيم الاسلامية لا يضيق رقعته و لا يضيق حدوده، بل هو على العكس من ذلك يوسع الرقعة و يوسع الحدود حتى تشمل الكون كله و الحياة كلها و الانسان. و الفن الاسلامي كذلك لا يجانب الفطرة و لا يتجاهل الواقع لكنه يعرض الحياة من خلال الواقع الكبير الذي يشمل الضرورة و يشمل الأشواق.

و الفن الاسلامي حريص على أن يلتفت الحس الى الناموس الأكبر الذي يحكم الكون و الحياة و الانسان. انه يأخذ من الاسلام شموله و سعته و تعبيره عن فطرة الكون. و لذلك لا يجب أن يعرض الحياة مقطعة الأوصال مفرقة الأجزاء، فتفقد معناها الشامل و مغزاها العميق. و انما يعرضها كما هي في الحقيقة متصلة متناسقة مترابطة، محكومة كلها بقانون واحد كبير.²⁴

و يُبين (قطب، 1983) أن القرآن يعرض أولاً تصوراً شاملاً للكون و الحياة و الانسان لا يعرضه أي كتاب آخر في الأرض، بمثل هذا الشمول و الاحاطة، و بمثل هذه السهولة و الوضوح و ثانياً فهو يضم نماذج من الأغراض الفنية و الأداء الفني، لا تتمثل بمثل هذه الوفرة المعجزة في كتاب. فهو يمثل دستور كامل لأي منهج فني في تعبيره عن الحياة بتصور اسلامي و منه الى مستوى كوني. و لذلك فان الدين الاسلامي هو المنهج الشامل للحياة بينما الفن هو التعبير الموحى لهذه الحياة.

يلتقي الدين و الفن النقاء كاملاً في الحس المُسلم، حين يكون الفن قائماً على كل من التصور الايماني للوجود و المشاعر والأفكار و السلوك الوجداني [...] و القرآن هو المرجع الذي ينبغي أن ترجع اليه الفنون الاسلامية، التي هي فنون انسانية رفيعة سامقة، تصل الى آخر حدود ما يستطيع أن يصل اليه الانسان من عمق و رفعة و اتساع؛ و فنون كونية يتسق مدارها مع مدار الكون، و يتسق جمالها مع جمال الكون، و تقوم موازينها على قواعد التناسق الكوني الدقيق الجميل.²⁵

إن محاولة الافادة من القرآن في مجال الفن تعتمد على المفاهيم و طرائق الأداء معاً. فالفن الاسلامي يتيح حرية اختيار الموضوعات و الأغراض و الطرائق من القرآن، على أن تتبثق من النسب العامة التي ترسمها مفاهيمه الكونية الكبيرة و لا تحيد عنها.

²⁴ قطب محمد ، المرجع السابق ،ص133

²⁵ قطب محمد ، المرجع السابق ،ص138

فماذا نقصد بالفنون العربية الاسلامية ؟ الاجابة نجدها عند محمد محمود وصفي. وقد سميت الفنون العربية الاسلامية بالعديد من المسميات مثل :الفنون العربية،و الفنون المغربية،و الفنون الشرقية،و الفنون المحمدية،و الفنون الاسلامية.الا أن مصطلح الفنون العربية الاسلامية يعد من أفضل المصطلحات التي أطلقت على الفن،ذلك أن الاسلام قد جمع شتات الدول التي دخلت تحت سيطرته وألف بينهما،وجعل منها وحدة متميزة، بالرغم من تباين أصولها.

كما أن هذه الفنون ازدهرت في ظل الحكم الاسلامي و برعاية الدولة الاسلامية، سواء أكان الفنانون أنفسهم من المسلمين،أم من غير المسلمين،في الوقت نفسه الذي يجب أن تضم صفة العربية الى هذا المصطلح،لما للعرب من دور بارز في ازدهار تلك الفنون و بخاصة فن الخط العربي الذي يعد بحق من أرقى الفنون العربية الاسلامية على الاطلاق،اضافة الى أن الفنون التي أتخذت بعد الفتوحات الاسلامية في الدول العربية من الخليج الفارسي،والصين شرقا الى المحيط الأطلسي،و الأندلس،وصقلية غربا كانت ذات طابع خاص يتميز بوحدته الفنية و التعبيرية،و التنوع في الأساليب التي لا تتعارض مع تلك الوحدة، فكأنما هو شبيه باختلاف اللهجات في اللغة الواحدة.

أما في علم الاجتماع فنجد أن (معتوق،2017) يفسر الفن الاسلامي سوسيولوجياً من خلال ثلاث نقاط أساسية هي: الدفاع ايديولوجياً ، التصويب سوسيولوجياً و الاضاءة علمياً.حيث عمد الى انصاف هذا الفن بعد كل الذي لحق به من قبل بعض الكتاب والنقاد الغربيين الذين سعوا إلى قراءته من زاوية ايديولوجية غير مُعلنة.وهذا من خلال رفع اللبس الحاصل و ازالة الغشاء الايديولوجي عبر عملية اظهار الحقائق، و ذلك للتمكين من ادراك أكبر لمكان قوة الفن الاسلامي الأصيل.كما يُجيب عن السؤال الآتي: لماذا يعتبر الفن الاسلامي فناً متميزاً وأصيلاً؟ شارحاً مرتكزات الفن الاسلامي المعتمد على ثلاثة مرتكزات هي:المرتكز الروحاني، المرتكز الاجتماعي، التمايز الخلاق.

أ. المرتكز الروحاني :

إن الفن الاسلامي يتميز عن باقي الفنون الدينية السابقة بأنه يقوم على الصورة التي رسمها القرآن الكريم، عبر كلمة قرآنية مقدسة تحمل معنى جوهرياً مجرداً. فالفن الإسلامي سواء في بعده التجسيدي والتجريدي،أساسه روحاني،حيث تبدأ الأمور كلها بالله وتنتهي فيه،لأن وجود الانسان محدد في الزمن، بينما وجود الله فهو وجود أزلي.

ب. المرتكز الاجتماعي :

نشأ الفن الاسلامي في بيئات اجتماعية تنتم بوحدة شكل الوعي، أين تغيب فيه الفردانية لمصلحة وعي الجماعة ، إلا أن الدين الإسلامي بما تضمنه من نظم و توجيهات أضاف إلى الوعي التقليدي الموروث و المتماسك غريزياً عنصراً فكرياً جديداً و هو التسليم. حيث أنه ربط الوعي الجماعي بالجماعة وأبعده عن القبيلة، مما أدى إلى تحويل التفكير من مدار قبلي مغلق ودائري، إلى مدار مدني عالمي، مفتوح و متنوع. فأحدثت بذلك الدعوة الإسلامية كسراً للشكل التقليدي من المعرفة و أنشأت لحظة إبستمولوجية جديدة، تمثلت في تغلب معرفة المؤمن صاحب الرسالة السماوية على معرفة شيخ القبيلة صاحب العصبية الأرضية. لذلك فإن خيال الفنان المسلم هو خيال مبني واضح المعالم و هو مرتبط بأفكاره وأحكامه وتصوراته ليؤكد التزامه بالتقليد كمصدر توجيهي اجتماعي للحياة. « فَتَحَ الدين الإسلامي صفحة جديدة أمام العرب، جعلت الفنون أسلوب تعبير سلمي وإنساني جديد، بناءً و لافقاً و راقاً »²⁶.

ت. التمايز الخلاق :

تميز الفن الاسلامي بأنه لم يكن وسيلة مباشرة في خدمة الدين، حيث أخذ منه الرؤيا الكبرى في فهم كل معانيه بالاضافة الى اعتماده على البنية المعرفية الجديدة المرتبطة بالموضوعات السماوية. كما تُرجم الفن الاسلامي الى لغة فنية لها مجال واسع للتعبير و الابتكار تستلهم دلالاتها من الدين و روحانيته، و الذي أضفى عليها صفة القداسة، عكس أغلب الديانات الأخرى التي تعتمد على مجال محدد و طقوس مفروضة. فبدأ بذلك:

التمايز العمراني الفني في قبة الصخرة في القدس (692 م)، ثم في الجامع الأموي في دمشق (714 م)، حيث بدأ التمايز الديني يتحقق بلغة الفن. هنا بدأ سبك الشخصية الفنية الإسلامية بالقطع مع التراث التشكيلي المسيحي والأيقوني البيزنطي من ناحية، ومع إقتباس بعض العناصر الموجودة وتطويرها إلى أقصى حدود المهارة والجمال: كالقبة البيزنطية مثلاً حيث أضحت بعدها من أساسيات فن العمارة في الإسلام، بحلة جديدة وجمالية جديدة²⁷.

²⁶ معتوق فريدريك. (2017) سوسيولوجيا الفن الاسلامي. منتدى المعارف. بيروت. 192 ص. ص 30.

²⁷ معتوق فريدريك، المرجع السابق، ص 37.

كما أن النجمة، الموجودة في قلب الأرابسك كافة، تشير أيضاً إلى كوكب سماوي، و كذلك الخط العربي سعى أن يكون جسراً بصرياً للعبور إلى كلام الله. فالتميز الخلاق ارتبط بموضوعات و كثير من الشواهد على عظمة المولى عزّ و جلّ ضمن مسعى روحاني جديد.

و يُفسر (معتوق،2017) سبب تميّز الفن الاسلامي عن الفنون الدينية الأخرى، فيسنده إلى تكوّن هذا الفن من ثلاثة عناصر متداخلة هي: العلم،الفن،الفلسفة الروحانية-الاجتماعية.

يذكر العلماء أن كلمة العلم بكل مشتقاتها ذكرت في أكثر من 750 موضعاً في القرآن الكريم مما يُبين عظمة العلم في الاسلام،كونه يمثل منهجاً ثابتاً.و لم يأمر الله عزّ و جلّ نبيّه بأن يدعوَ بالزيادة إلا في العلم.قال تعالى:

﴿...وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. (طه: الآية 114)

يقول الطبري²⁸ في التفسير: « يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد: ربّ زدني علماً إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم» .

فلفظ العلم جاء في أغلب مواضعه في القرآن الكريم بمعنى جوهرى مشترك و هو الإدراك.و المقصود به هو العلم بالشيء و معرفته على حقيقته. كقوله تعالى :

﴿أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾. (البقرة: الآية 77).

يقول السعدي²⁹ في التفسير: « فهم وإن أسروا ما يعتقدونه فيما بينهم، و زعموا أنهم بإسرارهم لا يتطرق عليهم حجة للمؤمنين، فإن هذا غلط منهم و جهل كبير، فإن الله يعلم سرهم و علنهم، فيظهر لعباده ما أنتم عليه».و قوله عزّ و جلّ :

﴿...وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة: الآية 216).

يقول ابن كثير³⁰ في التفسير: « هو أعلم بعواقب الأمور منكم ، وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم ؛ فاستجيبوا له ، وانقادوا لأمره ، لعلكم ترشدون» .

« في الفن الاسلامي، الفن هو العلم، والعلم هو الفن. بل إن العلم هو أساس الفن في ثلاثة مجالات هي: هندسة العمارة والزخرفة، والأرابسك والخط. فلولا اتقان علوم وصناعة هذه التعبيرات لما

²⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura20-aya114.html>

²⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura2-aya77.html>

³⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya216.html>

ظهرت و تبلورت هذه الفنون بكل بساطة.³¹ يعتمد (معتوق،2017) في تفسير هذه الفكرة على ابن خلدون من خلال مقدمته و التي يرى فيها أن الفن يرتبط أساسا بالعمران الحضري. يأتي ابن خلدون باستمرار على ذكر مجالين كبيرين للابداع الانساني و العمراني البشري، وهما: الآداب و الصنائع و العلوم. وفي هذا التصنيف يأتي الفن منتصيا الى مجال الصنائع و العلوم. فعند صاحب المقدمة « البناء صناعة »³².

كما تتوضح جليا معنى كلمة فن بفضل اعتماد معتوق على ابن منصور³³ في لسان العرب لشرح المصطلح. إن الرجل المفن يعني الرجل الذي يأتي بالعجائب، أي الرجل المبدع، فيلنقي هنا الفنان مع الابداع، كونه استطاع أن يؤمن بالتلاقح الثقافي و ليس بفعل عملية نقل بحثة. فأخذ نموذج القبة الشرقية التي برع بها البيزنطيون مثلاً، وذهب لاحقاً إلى مبدأ معماري جديد هو تنوع النماذج، الأمر الذي جعل القبة الاسلامية متنوعة الأساليب ومتعددة الأشكال.

يُبين (معتوق،2017) كذلك أن الفن الاسلامي هو فلسفة تنطلق من منظور إنساني للعالم المادي يسعى إلى التعبير، عن هذا العالم المحسوس و عن لا محسوس الحضور الالهي. فالله رتب ونظم كل شيء، وما على الانسان إلا التأمل في عظمة الخالق. لذلك لا ينتمي الأرابسك إلى فن الزخرفة بقدر ما ينتمي إلى فلسفة الزخرفة، إن في تعابيره النباتية أو تعابيره الهندسية. كما تتكرر النزعة الفلسفية في عملية اختيار الألوان، فالألوان المفضلة في الفن الاسلامي هي الأزرق و الأخضر و الذهبي. بالإضافة الى معادلة الألوان الأساسية الثلاثية، المرتبطة بمعنى واحد هو الله، و التي تصب كلها في منظور فلسفي ايماني مشتق من التعاليم الاسلامية في مدلولها النهائي. حيث أنه قد حصل تشرب اجتماعي مديد لتعاليم الاسلام و تشبع بمنظور روحاني لحياة البشر. فالفنان يرسم بالألوان أفكار الايمان، وكذلك يرسم الخطاط المسلم هو أيضا بلغة الأحرف أفكار إيمانه. فالخط

³¹ معتوق فريدريك ، المرجع السابق ،ص39.

³² ابن خلدون عبد الرحمان. (طبعة بدون تاريخ). المقدمة. دار احياء التراث العربي.بيروت.ص406.

³³ ابن منظور (1232 م - 1311 م) - (630 هـ - 711 هـ) هو أديب ومؤرخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية. من أشهر مؤلفاته معجم لسان العرب ، هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي ، ولد في شهر محرم عام (630هـ / 1232م) ، و قد اختلفت الأقاويل حول مكان ولادته، قيل بقفصة بتونس، وقيل بطرابلس بليبيا، وقيل بمصر. خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس ، أصيب بالعمى في أواخر سنوات حياته وتوفي في مصر في شهر شعبان عام (711هـ / 1311م).

والكتابة يقعان في عداد الصنائع الإنسانية لكنه « صناعة شريفة، وعلى قدر الاجتماع والعمران تكون جودة الخط في المدينة» كما يقول ابن خلدون.

و يُضيف (معتوق، 2017) ، أن الفن الاسلامي هو فن مجتمعي أيضاً ، و يختلف عن باقي الديانات ، اذ أنه تعبير عن وحدانية و عظمة خلق الله سبحانه و تعالى، و هو يدخل ضمن النسيج الثقافي ، و يُعبّرُ عنه بسلوكيات اجتماعية تصبح تقاليد تضاف إلى العقيدة الدينية. فالتقاليد الرمضانية ظاهرة مجتمعية يحتفل بها الجميع وتتخذ أشكالاً فنية متنوعة. كما أن الفن الاسلامي له قواعد سلوكية اعتمدها أصحاب الصنائع الى جانب القواعد المهنية. و من أهمها نجد التوافق الفكري و الروحي حول الدين، تبعا لمبادئ الاسلام و سعيا الى تطبيقها على الأعمال الفنية ذات موضوعات الجمال، فلأخلاق أثر في العمل الفني. و قد شمل الدين الاسلامي كل الأعراف التي تتوافق مع تعاليمه، قال تعالى :

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. (الأعراف: الآية 199).

بقول السعدي³⁴ في التفسير:

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك. [...] وأمرٌ بالعرف أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو برٍّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية.

و قد تميز الدين الاسلامي بالحث على الأخلاق الحميدة و بين المنزلة الرفيعة لها و عرفها بأنها مجموعة ضوابط و مبادئ أقرها الوحي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فالقرآن الكريم يرسخ في نفس المسلم مكارم الأخلاق ضمن منظومة أخلاقية اسلامية تُعنى بكل جوانب حياة المسلم، قال عز وجل :

³⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura7-aya199.html>

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (133) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (134). (آل عمران: الآية 133، 134).

وردت بعض الأخلاق التي حث عليها الاسلام. يقول السعدي³⁵ في تفسير الآية 133 من آل عمران: « ثم أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها». و تفسير الجالين³⁶ للآية 134 من آل عمران: « الذين ينفقون» في طاعة الله «في السراء والضراء» اليسر والعسر «والكاظمين الغيظ» الكافين عن إمضائه مع القدرة «والعافين عن الناس» ممن ظلمهم أي التاركين عقوبتهم «والله يحب المحسنين» بهذه الأفعال، أي يثبهم».

فالاسلام حث على الأخلاق التي توافق الفطرة الإنسانية السليمة و جعلها أسمى ما حملته لنا الرسالة المحمدية ، فحث النبي محمد صلى الله عليه و سلم إلى التحلي بالأخلاق الحسنة ورفض الأخلاق السيئة في أحاديثه النبوية.

قال عليه الصلاة والسلام: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

و كلمة خُلِقَ وردت مرتين في النص القرآني:

أ. قال تعالى لخاتم الأنبياء و المرسلين :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. (القلم، الآية 4).

و قد أجمع المفسرون أن هذه الآية جاءت لتبين مكانة النبي محمد عليه الصلاة و السلام عند

الله و مقياس الأخلاق العظيمة عنده بوصفه أنه ذو خُلُقٍ رفيع و شخصية عظيمة.

يقول الطبري³⁷ في التفسير: « يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَإِنَّكَ يَا

مُحَمَّدَ لَعَلَىٰ أَدَبٍ عَظِيمٍ ، وَذَلِكَ أَدَبُ الْقُرْآنِ الَّذِي أَدَّبَهُ اللَّهُ ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَشَرَائِعُهُ.»

ب. و في قوله تعالى :

﴿إِن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾. (الشعراء: الآية 137).

³⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura3-aya133.html>

³⁶ <https://equran.me/tafseer-427-3.html>

³⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura68-aya4.html>

في تفسير الجالين³⁸ : « (إن) ما (هذا) الذي خوفنا به (إلا خَلَقَ الأولين) اختلافهم وكذبهم وفي قراءة بضم الخاء واللام أي ما هذا الذي نحن عليه من إنكار للبعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم» .

أما العمارة فإنها تُمثَلُ مكاناً عاماً، و وظيفتها اجتماعية و نفعية لكنّها أصبحت عند المسلمين موقِعاً استراتيجياً معرفياً و روحانياً و فناً: « لم تُبْنَ العمارة الإسلامية ضمن استراتيجية عسكرية، بل على استراتيجية اجتماعية وضعت مصلحة الأمة الإيمانية في صلب مفهومها (...) لب المفهوم الاعماري عمراني، ولب المفهوم العمراني ديني.»³⁹.

فمن ينظر إلى آثار العمارة الإسلامية التي بقيت إلى يومنا هذا لا يرى من الحصون والدفاعات قدر ما يراه من الأبنية المخصصة للمساجد والجوامع والمدارس، وكلها تندرج في إطار حياة المدينة وتحمل الطابع الفني الخاص بها. وهكذا يُبيّن (معتوق، 2017) أن العمارة الإسلامية ظاهرة إنسانية متكاملة العناصر، و أن كل بناء فيها له دوره الاجتماعي و ضمن حدود البُعد المعرفي و الإيماني لأهل المدينة.

أما الخلاصة السوسيو- معرفية التي توصل إليها، طارحاً إشكاليته الثلاثية: علام يقوم الفن الاسلامي؟: على العقيدة الدينية أم على بنية المجتمع أم على عمل الفنان؟

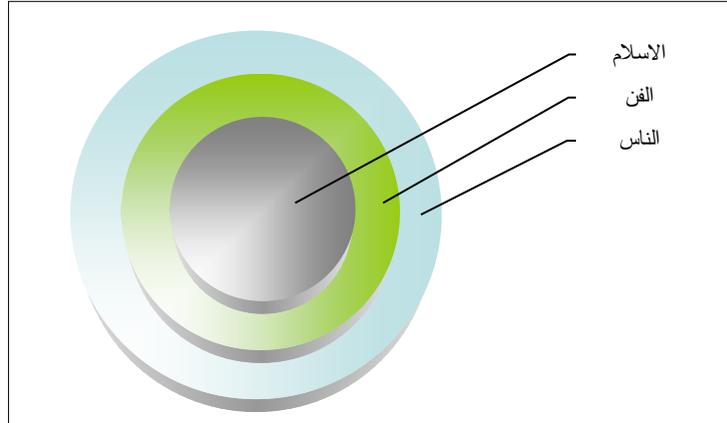
فيخلص إلى أن: الفن الإسلامي جاء نتيجةً للدين وروحانياته، إلا أنه ساهم في مؤازرة الدين على نشر العقيدة وتقديم مبادئها في بيئة عمرانية تُقدّم للناظر مشهداً بصرياً يجمع بين الاستجابة لما تنص عليه مبادئ الاسلام، ومحاولة تطبيق ذلك كله على موضوعات الجمال الفني.

كما اتخذ الفن الاسلامي، معرفياً، دور نقطة الالتقاء الوجداني بين الانجذاب لجماليات الرؤية الكونية الدينية والانجذاب لجماليات الفن الديني في ميدان الحياة الاجتماعية، و بصفة عملية في التعاملات اليومية عند الناس. و هو بهذا المعنى قد أنشأ دائرة بصرية واحدة يتحرك فيها كل من: الاسلام، الفن و الناس و الذي أطلق عليها (معتوق، 2017) تسمية: دائرة الإسلام البصري والفكري والاجتماعي. (أنظر الشكل رقم 4 أدناه).

³⁸ <https://www.alro7.net/ayaq.php?langg=arabic&aya=137&sourid=26>

³⁹ معتوق فريدريك ، المرجع السابق ،ص104.

الشكل رقم 4 : دائرة الإسلام البصري والفكري والاجتماعي عند معتوق فريدريك



المصدر : اقتباس و رسم الباحث، 2019،

2.2.1. ماهية العمارة الاسلامية :

تميزت العمارة الاسلامية بتراث عظيم، و انتشرت في أقاليم جغرافية واسعة، حيث امتدت من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي و من جنوب ايطاليا حتى بلاد اليمن. كما تميزت العمارة الإسلامية باسهامات المسلمين في ابتكار تقنيات في العمارة الاسلامية، تصنفها ضمن التراث الفني العالمي، من حيث التصميم المعماري و فنونه، خاصة فيما يتعلق بالمساجد، الأضرحة، القصور، المنازل، الحمامات، الحصون، الأسوار و البوابات.

فقد تأثرت خصائص العمارة الإسلامية وصفاتها بشكل كبير بالدين الإسلامي و بالنهضة العلمية التي شهدتها، وتختلف العمارة الإسلامية من منطقة إلى أخرى حسب الطبيعة الجغرافية و مناخ المنطقة و كذلك مواد البناء و تقنياتها و ثقافات تلك المجتمعات. وهي تتحصر فيما بنى من تراث في مناطق توسع الاسلام في فترة العصر الاسلامي. و مفهوم العمارة الاسلامية هو مفهوم استشرافي أطلقه المستشرقون على عمارتنا لوصف العمارة العربية التي سادت منذ منتصف القرن السابع الميلادي وحتى أواخر القرن التاسع عشر. فعمارة المسلمين هي التي بنيت من قبل المسلمين في بلاد تحتضن الاسلام و تقتبس ما يلائمها من عمارة غير المسلمين : كالرومانية والبيزنطية والفارسية و كذلك الصينية والهندية مع انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا. و عمارة المسلمين تمثل نتاج الابداعات والحلول العمرانية التي قدمتها الأجيال السابقة حتى قبل ظهور الاسلام ، وفق المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية و الحضرية، و التي تم اعادة صياغتها مع اضافة اللمسة الجمالية تبعا للمنهج الاسلامي.

يؤكد (ثويني، 2005) على أن مفهوم العمارة الاسلامية مستجد، فهو بالأساس استشرافي كما يؤكد أن المفهوم لا يعني بعض مفردات عناصر من العمارة كالأقواس، بل هي منظومة بنوية متكاملة من تدخل: التقنية، الفن، التراث، معطيات البيئة المحيطة، الأعراف الاجتماعية، الدين والفقه.

و تنقسم العمارة الاسلامية الى ثلاث أقسام:

أ. دينية : و تتمثل في المساجد و المدارس.

ب. مدنية : المساكن ، القصور ، الأسواق ، المستشفيات، الحمامات ،السود و الترع، الأسبله و الجسور.

ت. حربية : القلاع ، الحصون ، الخنادق ، الأربطة و الأسوار.

« والعمارة الاسلامية هي عبارة معبرة عن فكر و وجدان الانسان المسلم اضافة الى عقيدته، فرغم أن معظم الحضارات كانت ذات طابع ديني الا أن العمارة الاسلامية كانت عمارة ذات لغة خاصة»⁴⁰. إن مصطلح العمارة الاسلامية يتضمن نسبة العمارة للاسلام كدين وهذا نظرا لوحودية الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان، لذلك فان العمارة الاسلامية هي العمارة التي تحمل القيم الروحية التي ينص عليها الدين الاسلامي و هي نتاج تطبيق تعاليم القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة والقيم الجمالية.

3.2.1. مفهوم العمارة التقليدية :

تعتبر العمارة التقليدية تراثاً معمارياً ثميناً و متنوعاً، فهي نتاج تفاعل الانسان بتقاليده و وتقنياته و فنونه مع معطيات البيئة المتنوعة. فالعمارة التقليدية تبرز كثيرا من حياة الأمة الاقتصادية و الاجتماعية على الرغم من تنوع أنماطها من حيث الشكل و اعتماد مواد طبيعية بالبيئة المحيطة و لارتباطها بالعادات و التقاليد المحلية. و كذلك لما تتصف به من احترام الخصوصية و من اتباع لتعاليم الدين الاسلامي. كما تعكس العمارة التقليدية الطبيعة الجغرافية للحضارة التي كانت تقوم عليها، لما يسود معظم أجزاء العالم الاسلامي من ارتفاع درجة الحرارة. فقد اعتمدت العمارة التقليدية على حلول معمارية متفاوتة في معضمها، حيث يطلق على نمط العمران التقليدي تعبير العمارة المحلية اشارة الى ارتباط معظمها بمنطقة جغرافية معينة متأثرة بظروف البيئة الطبيعية و البشرية.

⁴⁰ رنا اليسير اسماعيل.(2010). تاريخ العمارة بين القديم و الحديث. اثرات للنشر و التوزيع.الأردن.ص137.

و كذلك لاعتمادها على استعمال مواد محلية من طمي و أحجار نارية و جيرية ، مما أدى الى نوع من التجانس في المظهر و اللون فأوجد بذلك نوعا من التشابه بين زخرفة المباني و واجهات العماير، كما شكّل طابعاً معمارياً مُميزاً لكل منطقة حسب مادة البناء المتوفرة. و البناء التقليدي القديم هو ابن أرضه و بيئته قبل كل شيء، فقد ارتبطت نظم البناء في العمارة التقليدية بشكل رئيسي بالمواد المحلية المتوفرة في البيئة المحيطة به، كما أن كل من الزخارف الملونة، الفسيفساء، الحجر الصخري و القرميد الأحمر تعتبر من أحد أبرز هذه المعالم المعمارية في الدول المطلة على حوض البحر المتوسط. يُعتبر المهندس المعماري فتحي حسن من أكبر الدعاة للعمارة المحلية، حيث تُوجت بحوثه المناخية في مجال العمارة و التخطيط بتأليف كتاب: الطاقة الطبيعية و العمارة التقليدية.

و يُعتبر (فتحي، 1988) أن العمارة تعكس العادات و التقاليد و خصوصية التراث المحلي، كما تعني بالجانب الاجتماعي. و يُبين أن العمارة التقليدية تُعتبر من أبرز مظاهر التفاعل بين الانسان و البيئة المحيطة به. كما يُركز على فائدة التقييم الدقيق لتراثنا من أجل الاستفادة من الحلول التقليدية و تطويرها مع العناية بالقيم الاجتماعية. « ان احترام المبادئ التي اعتمدت عليها الحلول التقليدية شرط أساسي لحياء فن العمارة باتباع المنهج العلمي الحديث»⁴¹.

خلاصة :

إن تقديم مختلف المفاهيم الخاصة بالعمارة تبين علاقتها بالفن و أن مجالها هو الحياة الانسانية و محيطها يعتمد على الانسجام التلقائي مع الظروف البيئية مع الارتباط الوثيق بالتاريخ، فشهدت تطورا تاريخيا نتيجة التبادل الثقافي. و كذلك مفهوم الجمال يتمتع بمغزى تاريخي محدد، فالجانب الجمالي في المنتج الفني يتميز بالواقعية و باعتماده على عناصر الشكل، كما اختلف تعامل الفن مع الدين في مختلف الحقب التاريخية، بين العالم العربي و الغربي غير أن الدين و الفن يشتركان في الوحدة المبدئية لجذورهما.

إن علاقة العلم بالفن تتميز بثنائية الاختلاف و الانتساب كما أن قيمة الابداع الفني تبرز بالأخلاق. و خلاصة كل من الفن و العلم و الأخلاق تتمثل في الانسانية الخالصة و التي نجدها في

⁴¹ فتحي حسن. (1988). الطاقات الطبيعية و العمارة التقليدية. المؤسسة العربية للدراسات و النشر. بيروت-الجامعة المتحدة. طوكيو. ص. 123.

مختلف الكتب السماوية. أما التقاليد فهي بمثابة نظام داخلي لمجتمع معين كما ارتبطت بها العادات عبر التاريخ، حيث شمل الاسلام كل الموضوعات التقليدية التي تتوافق مع تعاليمه.

إن الفن الاسلامي يختلف عن فن باقي الديانات، فهو الفن الذي يأخذ من الاسلام شموله و سعته و تعبيره عن فطرة الكون، فيرسم الواقع من خلال العقيدة ، و الفن الأصيل يبرز حقيقة العقيدة من خلال كل حقائق الحياة ، فيعرضها من خلال المعايير الجمالية. و الفن الاسلامي يسعى الى أن يكون فنا إنسانيا، فالفنان المسلم يحاول الوصول الى أسمى مراتب الإنسانية باتباع الأخلاق الاسلامية و بهدي من الله و رسوله. و الفن الاسلامي مرجعه القرآن الكريم حيث يتيح حرية الاعتماد على عناصر محددة و باستعمال أساليب واضحة.

إن علاقة الفن بالدين الاسلامي تبين أن الفن الاسلامي هو فن متميز وأصيل. و هو فن مجتمعي يدخل ضمن النسيج الثقافي، و يُصنّف سوسيوولوجيا على أنه يعتمد على ثلاثة مرتكزات و هي: المرتكز الروحاني الذي يقوم على الصورة التي رسمها القرآن الكريم عبر كلمة قرآنية مقدسة، و المرتكز الاجتماعي الذي أحدثته الدعوة الاسلامية بكسرها للشكل التقليدي للمعرفة فجعلت خيال الفنان المسلم مبني واضح المعالم يؤكد التزامه بالتقاليد باعتباره مصدر توجيهي للحياة. أما التمايز الخلاق فارتبط بالموضوعات و كثير من الشواهد عن عظمة المولى عزّ و جلّ، ليُبين أن الفن الاسلامي يستلهم دلالاته من الدين و روحانيته ، فيتحقق التمايز الديني بلغة الفن. وكذلك يُصنّف الفن على أنه يتكون من ثلاث عناصر متداخلة هي: العلم، الفن و الفلسفة الروحانية-الاجتماعية.

و الفن الإسلامي جاء نتيجةً للدين وروحانياته كما اتخذ معرفيا دور نقطة الانجذاب بين جماليات الرؤية الكونية الدينية و جماليات الفن الديني في الحياة اليومية المجتمعية، فينشئ دائرة بصرية واحدة يتحرك فيها كل من الاسلام، الفن و الناس.

نشأت العمارة و ارتكزت على أسس متعددة منها العلمية والاجتماعية، كما اقترنت مباشرة بالفن. يغلب على مجمل تعريفات العمارة صفة الوظيفية و الروحية و الارتباط بمختلف الديانات. أما مفهوم العمارة الاسلامية هو مفهوم استشرافي أطلقه المستشرقون على عمارتنا لوصف العمارة العربية التي سادت منذ منتصف القرن السابع الميلادي وحتى أواخر القرن التاسع عشر. و يقصد بصفة رئيسية الانتاج المعماري المحصور و المحدد بالثقافة الاسلامية.

إن العمارة الاسلامية تهتم بالحياة الانسانية و بكل تفاصيلها، فعمارة المسلمين هي التي بنيت

من قبل المسلمين في بلاد تحتضن الاسلام و تقتبص ما يلائمها من عمارة غير المسلمين، فهي تمثل موقعاً استراتيجياً معرفياً وروحانياً وفناً ، وهي نتاج الابداعات والحلول العمرانية التي قدمتها الأجيال السابقة وفق المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية مع اتباع المنهج الاسلامي.

لقد ارتبطت التقاليد بالمفهوم التاريخي و بالانتقال عبر الروابط الثقافية المجتمعية، فالتقاليد و الأعراف تعتبر المتغيرات التي تركها الاسلام للحكم فيها و لتعيين تفاصيلها أما الثوابت فقد حددها الاسلام بالنصوص القطعية في الدلالة و المعنى، فالنصوص القرآنية بكل آياتها وحروفها تمثل النصوص الثابتة بيقين.

تعتبر العمارة التقليدية تراثاً معمارياً ثميناً و متنوعاً و هي نتاج تفاعل الانسان بتقاليده و وتقنياته و فنونه مع معطيات البيئة المتنوعة في البلدان العربية الاسلامية كما اقتبست ما يلائمها من الحضارات السابقة و عملت على تطويرها. و تعبير العمارة المحلية هو إشارة الى ارتباط معظمها بمنطقة جغرافية معينة متأثرة بظروف البيئة الطبيعية و البشرية و باعتمدها على استعمال المواد المحلية المتوفرة في المنطقة، حيث حافظت أساليب البناء المحلية و الحلول المعمارية على التقاليد المعمارية الموروثة في العمارة التقليدية التي شملها الدين الإسلامي.

الفصل الثاني

الثابت و المتغير في علاقة المبادئ و القيم

الاسلامية بالعمارة التقليدية

مقدمة:

عززت التعاليم و المبادئ و التقاليد الاسلامية هوية العمارة ،حيث كان لها التأثير الواضح في عمارة المجتمع الاسلامي على مر العصور و التي تميزت بالتوحيد في المضمون و اختلاف في الشكل، نظرا لاختلاف التقنيات المحلية و التأثيرات الاجتماعية ،المناخية والبيئية.

يتناول هذا الفصل دور الدين الاسلامي في تحديد ملامح العمارة التقليدية من خلال فكريتي الثابت و المتغير.و ذلك بتوضيح المجالات الثابتة في الأحكام الشرعية ، و من ثم برهان خاصية الثبات في خصائص التصور الاسلامي و مقوماته الذاتية، و في مصطلح الدين مع الاستدلال بالنص القرآني و بعض تفاسيره.

أما بخصوص العمارة التقليدية، فنترج بالتعريف بأبرز المبادئ الاسلامية في المدينة والعمارة التقليدية فيها مع التركيز على أهميتها من حيث قوة وعمق في مدلولاتها، ثم بيان أهمية القيم كنظام من خلال الاهتمام البالغ من المصدر الأول للتشريع في معظم آياته و تفاسيره، مع استنباط دلالات مختلفة لمجمل الألفاظ القرآنية، يتبعه استنباط منظومة القيم العليا من خلال النصوص القرآنية و بيان منظومة مقاصدها في تثبيت القيم و ناتج العلاقة بينهما.بالإضافة الى التركيز على شرح و تفسير مصطلح الوسطية في القرآن الكريم ، باعتبار الوسطية أحد القيم التي تقدم مفهوما معماريا مستمدا من النواة الدينية الاسلامية،و هذا من خلال تقديم نماذج تطبيق الوسطية الاسلامية في العمارة التقليدية و الفن الزخرفي.

2.1. الثابت و المتغير في علاقة العمارة التقليدية بالدين الاسلامي:

إن الفكر الاسلامي يعد من أحد العناصر الأساسية في تكوين العمارة الاسلامية.ومن هنا يبرز دور العقيدة الاسلامية و خواصها في تحديد ملامح هذه العمارة.و لقد شملت العمارة الاسلامية كل فنون البناء و التشييد في العمارة التقليدية و ما احتضنته من العصور و الفترات الزمنية التي مرت بها. كما اتسمت بالعديد من القيم و المبادئ الاسلامية الموجهة للعمارة و الفن الزخرفي، فنتج عنها تنوعا معماريا و ابداعا فنيا. بالإضافة الى تميزها بتعدد الأنماط المعمارية و الزخرفية مع الاحتفاظ بالخصائص العامة للنمط الاسلامي المبتكر. فالعمارة من الناحية الزمنية تمثل عنصرا ماديا ثابتا، لأنها محصورة بمدة زمنية محدودة، لكنها من الناحية التزامنية تنشئ تغيرات في الثوابت عبر مراحل.

إن العمارة التقليدية في المدن العتيقة تحتاج الى معرفة الطبقات التاريخية المتعددة في الفترات الزمنية التي مرت بها ، و الى العناصر المعمارية الأصلية ، المحورة والمطورة حسب الاحتياجات الوظيفية و الابداعات الفنية للفنان المسلم ضمن تعاليم الدين الاسلامي. فالشكل و الفراغ المعماري الثابت عبر فترات زمنية طويلة يعبر عن عمق المدلول الفكري و الثقافي و أصالته. حيث تكمن فيه بعض التغيرات لاحتياجات وظيفية و عملية ، مواكبة للتحويلات الطارئة في نفس البيئة الثقافية. ومن هنا تتجلى فكرتي الثابت في توحيد المضمون و المتغير في الناتج المعماري و تقنيات بنائه. إن أهم المجالات الثابتة في الأحكام الشرعية تتمثل في المصدر الرئيسي للتشريع وهو كتاب الله ثم تأتي سنة رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم خاتم الأنبياء و المرسلين كمصدر ثاني وهي تمثل مصادر أصلية للتشريع و يليها ما أشارت اليه كتب الفقه في تنظيم حياة المسلمين و شؤونهم من أعراف و أحكام للنبين.

إن الثابت في الاسلام هو الأساس و يضع القواعد الثابتة غير أن المتغير تابعاً و محكوماً له. فالثابت و المتغير في الاسلام ليس مطلقاً ، بل ان الاسلام جعل تناسقا و توازنا دقيقا بينهما في أحكامه و تعاليمه. كما أن التطور الحاصل في بعض الأحكام يكمن في الفرعيات و الأساليب و الوسائل مما يجعل الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان و مكان.

يصرح قطب سيد¹ في كتابه خصائص التصور الاسلامي ومقوماته على أن الربانية تعتبر أولى خصائص التصور الاسلامي و مصدرها.

إن التصور الإسلامي هو التصور الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله «الرباني» وحقيقته «الربانية». فالتصورات الاعتقادية السماوية، التي جاءت بها الديانات قبله، قد دخلها التحريف في صورة من الصور- [...] و بقي الاسلام وحده-محفوظ الأصول ،لم يشب نبعه الأصل كدر و لم يلبس فيه الحق بالباطل.²

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: الآية 9).

¹ سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، (9 أكتوبر 1906م-29 أغسطس 1966م). مفكر إسلامي ، كاتب و أديب مصري ، خاض معارك فكرية و سياسية و له العديد من المؤلفات و الكتابات حول الحضارة الإسلامية و الفكر الإسلامي. و صاحب كتاب في ظلال القرآن الذي يعد من أشهر مؤلفاته، أين قدم قراءة جديدة للقرآن الكريم.

² قطب سيد. (1997). خصائص التصور الاسلامي و مقوماته. دار الشروق. القاهرة. ط.5. ص.45.

يقول القرطبي³ في التفسير: « إنا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن. وإنا له لحافظون من أن يزداد فيه أو ينقص منه. » . إن أهم خاصية من خصائص التصور الإسلامي هي الربانية، وبما أنه رباني صادر من الله فهو ليس نتاج فكر بشري، ولا بيئة معينة، ولا فترة زمنية خاصة، ولا عوامل أرضية على وجه العموم. كما أن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يشارك في التصور الإسلامي ،بل تلقاه تلقيا ليهتدي به و يهدي،حيث تمثلت وظيفة الرسول صلى الله عليه و سلم في شأن هذا التصور بالنقل الدقيق ،التبليغ الأمين و عدم خلط الوحي بأي تفكير بشري.قال تعالى :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) ﴾ . (النجم: الآية 3-4).

يقول الطبري⁴ في التفسير: « يقول تعالى ذكره: وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه، (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) » . و يفسر الطبري⁵ كذلك: « قال: يوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم.وقيل: عنى بقوله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) بالهوى.»
إن دين الإسلام هو دين الهداية و شرح الصدور ، و هو أمر خارج عن اختصاص الرسول، و مرده إلى الله، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ... ﴾ . (الأنعام: الآية 125).

يقول ابن كثير⁶ في التفسير: « يبسر له وينشطه ويسهله لذلك ، فهذه علامة على الخير ، كقوله تعالى: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) (الزمر: 22) . وقال تعالى : (ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون). (الحجرات: 7)»، و قال تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ. ﴾ (القصص: الآية 56)

يقول ابن كثير⁷ في التفسير: « يقول تعالى لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه : إنك يا محمد (إنك لا تهدي من أحببت) أي : ليس إليك ذلك ، إنما عليك البلاغ ، والله يهدي من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، كما قال تعالى: (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) . (البقرة: 272) ، وقال : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين). (يوسف : 103) ».

³ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary-qortobi/sura15-aya9.html#qortobi>

⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary-qortobi/sura53-aya3.html#qortobi>

⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary-qortobi/sura53-aya4.html>

⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura6-aya125.html>

⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura28-aya56.html>

و يُوضح (قطب، 1997) أن مقومات التصور الاسلامي الأساسية و قيمه الذاتية، تتسم بخاصية الثبات، فهي لا تتغير ولا تتطور، حسب تغير ظواهر الحياة الواقعية، وأشكال الأوضاع العملية ، لأن التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع، يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور. قال تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم : الآية 30).

و في تفسير الميسر⁸ :

فأقم -أيها الرسول أنت ومن اتبعك- وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، وهو الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، فبقاؤكم عليه، وتمسككم به، تمسك بفطرة الله من الإيمان بالله وحده، لا تبديل لخلق الله ودينه، فهو الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله رب العالمين وجنته، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الذي أمرتك به -أيها الرسول- هو الدين الحق دون سواه.

و يُبين (قطب، 1997) كذلك ، أن الثبات في تعاليم الاسلام و أحكامه يحارب جمود الفكر و يدعو الى الاستمرارية في الحياة و التطور و الحركة، داخل اطار ثابت و حول محور ثابت ، ضمن حركة منضبطة للفكر الانساني، تحافظ على الهوية و توازن بين الثابت و المتطور. فالمحور الثابت يتمثل في الحقائق الأساسية الثابتة، و الاطار الثابت هو الحدود و الأحكام، فهما لا يتطوران و انما يشملان كل من الحقائق ، الأسس ، القواعد ، المبادئ و القيم التي جاء بها الاسلام و قررها، وجعلها ثابتة راسخة ملزمة للناس في كل زمان و مكان. وكذلك نزعة هذا الإنسان إلى الحركة لتغيير الواقع وتطويره أيضاً حقيقة ثابتة منبثقة بالدرجة الأولى من الطبيعة الكونية العامة وثانياً فهي نابعة من فطرة هذا الإنسان ليحقق وظيفته في خلافة الأرض، فهذه الخلافة تقتضي الحركة لتطوير الواقع وترقيته أما أشكال هذه الحركة فتتوزع وتتغير وتتطور. وقيمة وجود تصور ثابت للقيم، هي ضبط الحركة البشرية، والتطورات الحيوية. و قيمته هي وجود مقوم للفكر الإنساني مقوم منضبط بذاته. يمكن أن ينضبط به الفكر الإنساني. فالتصور الاسلامي يعتبر بمثابة الميزان الثابت

⁸ <http://www.quran7m.com/searchResults/030030.html>

الذي يرجع اليه الانسان، ليقوم كل ما يتعرض له في حياته، من القرب أو البعد من الحق والصواب ، و ليظل دائما في الدائرة المأمونة و لا يتيه عنها.

إن معالم الدين تتمثل في بعض المصطلحات الثابتة و لها أدلة قطعية ثابتة في الأحكام الشرعية. فمصطلح الدين و مشتقاته تكرر ذكره في القرآن الكريم 92 مرة ، و يظهر لنا بمعان متعددة، ومدلولات مختلفة و معناه العام العقيدة. نذكر منها في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. (آل عمران: الآية 19).

يقول القرطبي⁹ في التفسير: « إن الدين في هذه الآية الطاعة والملة، والإسلام بمعنى الإيمان والطاعات.»، و في قوله تعالى:

﴿...ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (يوسف: الآية 40).

يقول ابن كثير¹⁰ في التفسير:

« في قوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أي : هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله ، وإخلاص العمل له ، هو الدين المستقيم، الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه و يرضاه). و في قوله تعالى: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أي : فلماذا كان أكثرهم مشركين». و قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾. (الفتح: الآية 28).

و تفسير الطبري¹¹: « يعني تعالى ذكره بقوله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ) الذي أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالبيان الواضح، (ودين الحق)، وهو الإسلام؛ الذي أرسله داعيا خلقه إليه (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) يقول: ليبطل به الملل كلها، حتى لا يكون دين سواه.»

2.2. المبادئ الاسلامية في العمارة التقليدية :

برزت أولى خطوات تخطيط المدينة في العهد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة المنورة حيث قام النبي عليه الصلاة و السلام بتغيير الهيكل العام للمدينة، وبناء عناصرها التخطيطية الأساسية التالية:

⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura3-aya19.html>

¹⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura12-aya40.html>

¹¹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura48-aya28.html>

أ. بناء المسجد.

ب. البيوت السكنية المحيطة بالمسجد.

ت. سوق المدينة و مصلى العيد.

ث. الطرقات و الشوارع

ج. تحصين المدينة.

و قد أدت حركة الفتحات الإسلامية إلى تطورات جديدة و تأسيس قواعد عسكرية و التي تحولت فيما بعد إلى مدن حيث تعتبر البصرة و الكوفة و الفسطاط أولى نماذج التغيير في المدن. إن مبادئ الفن الإسلامي في مجال العمارة و التخطيط العمراني تشكل جزء لا يتجزأ من الوحي الإسلامي و منه فان هذه العلاقة موجودة و راسخة بطريقتين :

أ. علاقة مباشرة:

و تتمثل مبادئها في البعد الداخلي من الوحي القرآني و تقدم العلوم الدينية. و على كل ما يحتوي القرآن الكريم من أحكام حول شروط تكوين المدينة الإسلامية و الفضاء المعماري المخصص للحياة على الطريقة الإسلامية و كذا ما تحتويه السنة النبوية الشريفة.

ب. علاقة غير مباشرة :

إن العمارة و العمران الإسلامي لهما علاقة مع القوانين التشريعية لما تحتويه الشريعة من الأعراف التي تحكم نظم عيش الفرد و الجماعات بصفة عامة. و بما في ذلك الوقف و كذا اجتهاد المسلمين في بعض قضايا المحاكم الشرعية حول نزاعات البنیان و تطبيق أصول الفقه، لضبط بعض اختلافات قضايا العمران في مجال العمارة أو في أي مجال له علاقة بالإسلام.

تعد علاقة العمارة بالبنية العمرانية من أهم أسس العمارة الإسلامية والتي تحدد شروط البيئة الحضرية للمدن و ملائمة المباني لها.

ولقد تعددت المبادئ الإسلامية في العمارة حيث نركز في هذه الدراسة على أبرزها و أهمها من حيث قوة و عمق مدلولاتها.

1.2.2. مبدأ التوحيد:

له أهمية قصوى بالنسبة لكل ما هو إسلامي أو ميتافيزيقي و دور التكامل و الاستقلالية بالنسبة للفرد. ففي مجال العمارة يوجد تكامل بالنسبة للمكونات المعمارية، التنظيم الفضائي و الوجود الدائم

لكل رمز مقدس في كل العناصر المعمارية. و ذلك لمحو كل ما هو مدنس أو معارض لمبادئ الدين. فنجد أن الإنسان مقبل على تصميم و بناء مساكن مستتبطة من الأشكال المتواجدة في الطبيعة و التي مستوحاة من توازن و انسجام خلق الله و تعدد الأشكال و الرموز، و بما أن التوحيد يعني واحد فان مبدأ التوحيد في العمارة يعكس معاني: السلم، الهناء و الانسجام في العمارة الإسلامية.

إن مبدأ شكل الوحدة يتعدد معناه في المباني السكنية الفردية، القرى و المجمعات العمرانية فيشكل بذلك تدرج في التوحيد، فنجد كذلك في عمارة المسجد و التوسعات المحيطة.

إن امتداد الأعياد الدينية و الأفراح يمكن أن يتوسع من المسجد إلى البيت السكني، ونجد أيضا التوحيد في صوت الأذان الذي يمكن له أن يصل إلى كل الفضاء العمراني المحيط، فسقوط الأمطار موحد على كل سطوح المباني، مساجد كانت أم مباني سكنية أو مدارس .

مبدأ التوحيد يظهر جليا في تقنيات البناء و الرموز المعمارية و كيفية استعمال الإضاءة و بناء الفضاء المعماري و الأشكال في القصور و المباني لكن نجد أن بعض العناصر لها ميزة و خصوصية و دور مقدس و رمزي في المساجد، كالمنارة و المحراب.

يتميز كل من المسجد، القصور، الأسواق و المباني بوحدة في التصميم و تشكيل بعض المكونات و الفضاءات المعمارية و التي لها علاقة بالفضاء الخارجي عن طريق بعض الفضاءات المعمارية المميزة في الشكل و الدور ، حيث أن النشاطات الدينية لها امتداد للنشاطات الثقافية و منه تسهيل للأفراد من الانتشار بطريقة سهلة من التواجد في المباني الدينية نحو المباني التجارية و السكنية بكل سهولة مع الحفاظ على خصوصية كل فضاء حسب النشاطات المتواجدة. فالعمارة تعكس بذلك مبدأ توحيد الحياة في المجتمعات التقليدية و تسهيل الانسجام و العيش في مجموعات. و يظهر جليا مبدأ التوحيد في طريقة تنظيم و عرض الفضاء الداخلي و الخارجي للمباني و تهيئة الحدائق. إن خلق الانسجام و التداخل بين مختلف الميادين مستوحى من عظمة الخالق للطبيعة. و مبدأ التوحيد في شكل مكونات المبنى السكني يعتمد على تعدد الاستخدامات في الفضاء الواحد، حسب طبيعة النشاطات اليومية، فالوحدة المعمارية التي تتضمن حجرة المبنى السكني يمكن أن تستعمل في عدة نشاطات منها : غرفة النوم، غرفة المعيشة، استقبال و مكان العبادة.

إن العمارة التقليدية تعتمد على التوحيد و البساطة في الشكل المعماري الخارجي لكن بتخصيص النشاط في كل فضاء، مع إحداث الانسجام و التناسق حسب خصوصيات كل فضاء . ونجد أيضا

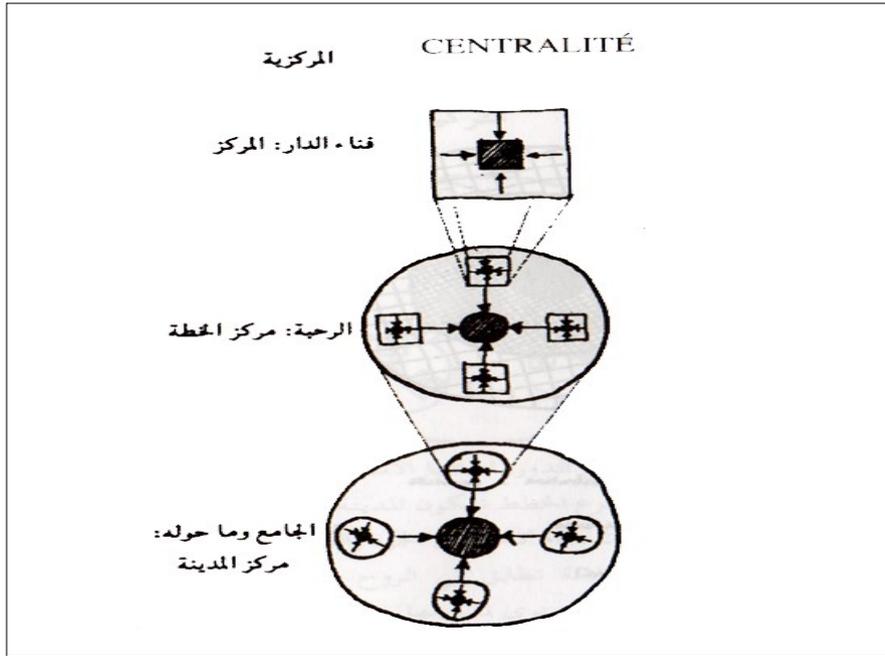
مبدأ التوحيد في مفهوم الجمال و الوظيفة و التناسق بينهما لخلق توافق و انسجام لخصوصيات الفن الإسلامي و المعماري. إن الإسلام يحث على كل ما هو جميل، تطبيقاً لقول الرسول صلى الله عليه و سلم: « إن الله جميل يحب الجمال ».

إن الجانب الجمالي ضروري و مرتبط بحياة الإنسان و كل ما هو جميل مستحب و خاصة في جانب العمارة، أين تتجسد علاقة تكاملية بين الجانب الوظيفي و الجمالي.

2.2.2. مبدأ المركزية :

إن مبدأ المركزية هو قبل كل شيء مبدأ نجده في وسط الكون: الكعبة الشريفة والتي هي قبلة و اتجاه المسلمين في الأرض. فمبدأ المركزية مبدأ للتوجيه و التنظيم للفضاء المعماري و الذي له علاقة بالجانب الديني المقدس. تعتبر المدينة التقليدية كمركز أو نقطة تنظيم المكان أو الفضاء حيث تعتبر مدينة النبي محمد صلى الله عليه و سلم أول نموذج للمدينة بعد نشر الإسلام. (أنظر الشكل رقم 5 أدناه)

الشكل رقم 5 : تدرج مبدأ المركزية الى غاية المدينة.



المصدر: (بن يوسف، 2010)

3.2.2. مبدأ التجمع:

تنظيم المدينة يعتمد على العيش عبر مجموعات انطلاقاً من العيش ضمن تجمعات البدو الرحل إلى المدينة، إتباعاً لتعاليم الدين الإسلامي في العيش عبر المجموعات و التجمع حول المركز.

إن مبدأ التجمع يعتمد على المركز الفضائي في مختلف المستويات أما توجهه نحو الخارج فيكون عبر السماء و الذي يمثل الرمزية في علاقة السماء و الأرض، فكلاهما يترجم مبدأ العلاقة بين الفضاء الداخلي و الخارجي. و مبدأ التجمع يمكن أن يكون نحو نقطة أو مركز لتجسد بذلك الانتقال إلى وجهة داخلية أو تكوين الفضاء الداخلي ، حيث يمكن أن نستعين بالرياضيات أو الفيزياء فيما يخص النقطة أو المركز الذي يكون نقطة تقاطع ما بين عدة خطوط متجهة نحو وجهة محددة. فمبدأ التجمع يحدد بذلك مستويات الأقطاب: الأمة، المجتمع، المجموعة، العائلة. وهذا يؤدي بدوره إلى تشييد أقطاب معادلة مثل: الكعبة، المسجد الكبير، فضاء التعاملات، فضاء العبادة، المساكن و مراكز المساكن. و هذه الأقطاب ستحدد أشكال داخلية لها دور معتبر في تحديد شكل القطب وأوجه التأثير نحو الخارج و بذلك يحدد مدى التدرج الوظيفي لهذه الأقطاب. فالالاتجاه نحو الفضاء الخارجي أو السماء يحدد و يعدل مدى الأثر البيئي و المناخي و يخلق بذلك مناخ محلي كما أن له دور رمزي بالنسبة لعلاقة الإنسان بخالقه.

4.2.2. مبدأ دفع الضرر:

يعتبر اللا ضرر من هدي القرآن الكريم و السنة النبوية ، و قد حرّم الإسلام الضرر بكل صورته ، و جميع أشكاله ، كما حرّم الإضرار بالآخرين ، حيث ورد من أنواع الضرر الممنوع في الاسلام الضرر في مجال العبادات ، في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (108) ﴾ .
(التوبة : الآية 107-108).

فاعتبر الضرر الحاصل في اتخاذ هذا المسجد في مطلع المقاصد السيئة، ومنع رسوله من الصلاة فيه وأمر بهدمه. و من الإضرار الممنوع كذلك مضارة الناس لجيرانهم بوضع الأذى في الطريق أو في ملكية جاره، فالله سبحانه و تعالى يحث على بذل النفع للجيران و منع الضرر و الضرر، في قوله تعالى :

﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . (المائدة : الآية 2)

كما أن الأصل في اتخاذ القاعدة الفقهية للضرر هي من حديث الرسول صلى الله عليه و سلم : « لا ضرر و لا ضرار»¹².

و قد أجمع أكثر العلماء على أن الضرر هو الأمر المبتدأ، وأما الضرر فهو مقابلة الضرر بضرر أكبر منه. فقد رسم حدود الحقوق، و من هذه الحدود أن يتصرف الفرد كما أراد اذا لم يضر بالآخرين فالضرر محرّم للنفس، وكذلك للغير. و لأنّ الضرر يعود على الإنسان والبيئة، حيث توجب الحفاظ على البيئة، بالحثّ على النظافة و تجنب تلوث الموارد الحيوية و التحذير من الإسراف في الموارد الطبيعية والمائية. ومن بين هذه الأضرار: ضرر الكشف البصري، ضرر الرائحة الكريهة و الصوت المزعج. و تقاديا للضرر يتم الاحتكام للشريعة الاسلامية ابتداء من القرآن الكريم، في جميع المسائل المتعلقة بالبنيان من خلال أحكام فقهية تضمن الاعتماد في البناء على حلول معمارية تضمن الخصوصية منها : المقياس الانساني، الواجهات الصماء، المداخل المنكسرة، السطوح المستورة، المشربيات، الفناء المكشوف و التدرج في الفضاء الداخلي و الخارجي للبناء حسب طبيعة الخصوصية.

و المقياس الانساني تكوّن عن طريق الحاجة الى الانسجام مع الثوابت المناخية و التقاليد، و الحماية من أضرار الطبيعة. و يعتبر الفناء المكشوف في المسكن و الصحن في المسجد من بين الحلول المعمارية التي تتفتح على السماء مباشرة و عليه تطل الأبواب و النوافذ ، و تمنع ضرر التيارات الهوائية الخارجية، عن طريق المدخل المنكسر و الذي يمنع تسرب الهواء المحمّل بالرياح و الغبار و الدخان داخل الفناء الداخلي. و بهذا يحافظ على نقاوة الهواء داخله.

و الخصوصية هي ظاهرة مرتبطة بالإنسان وأسلوب حياته من عادات و تقاليد. و ما يميز الخصوصية في العمارة التقليدية هي تأثرها بالمبادئ الاسلامية و التي تحمي و تصون حرية الفرد و تنظم حياة الأسرة في المسكن و تنظم العلاقات الاجتماعية خارج المسكن مع احترام خصوصية

حديث-لا-ضرر-ولا-ضرار/77768/ar/article/77768/ www.islamweb.net

عن أبي سعيد سعد بن سنان الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (: لا ضرر ولا ضرار) ، حديث حسن رواه ابن ماجة والدارقطني وغيرهما مسندا ، ورواه مالك في الموطأ مرسلًا : عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسقط أبا سعيد ، وله طرق يقوي بعضها بعضا .

الآخرين وحريرتهم، لضمان حق الأسرة و الجار مع مراعاة ملائمة المسكن لوظائفه. و هي بذلك توازن بين خصوصية الفرد و الجماعة. و يؤكد الاسلام على خصوصية المسكن، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾. (النحل: الآية 80)

أي موضعاً تأوون إليه و تسكنون فيه، يوفر لكم السكنة و الاطمئنان و يستر عوراتكم و حرمكم.
5.2.2. مبدأ التحصين أو الأمان :

يُعتبر الأمان و الأمان من أجل نعيم الله على العباد التي لا يمكن الاستغناء عنها ، لأن مقتضاه الأمان النفسي و الطمأنينة و السكنية التي يستشعرها الإنسان. و الأمان من أهم الضرورات الإنسانية، و أكبر المقاصد الشرعية. دعا ابراهيم ربه فقال :

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة: الآية 126).

و نظراً لألويته فقد قدمه على الرزق. وقد ورد في القرآن الكريم لفظ الأمان في موضعين متتاليين، فقال تعالى:

﴿... فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾. (الأنعام: الآية 81-82).

و ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه و سلم: « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِيهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا »¹³.

و تتطلب الحياة الأمانة في المدينة ضمن التحصين، و هو أحد عوامل اختيار المدينة الاسلامية الذي يُعين على دفع الأخطار. و الذي يحدده هو مجموعة العوامل الطبيعية و الامكانيات اللازمة لبنائه و جودة انشاءه. و يتمثل في بناء أسوار و حصن للمدينة مع أبواب تغلق ليلاً لتجنب الظروف الطبيعية القاسية و أي عدوان خارجي و لتحقيق العيش الآمن للسكان ، بحفظ الحياة من الهلاك، و صونها، واستمرار وجودها.

و نجد مبدأ الأمان مبيناً في الدرب الذي يحتوي مجموعة من المساكن التقليدية في المدن العتيقة حيث يتميز بباب كبيرة تغلق ليلاً لضمان حفظ الأمن. و نجد كذلك مبدأ الأمان في طريقة اتجاه المباني نحو الداخل و الواجهات الصماء.

¹³ <https://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/16044>

3.2. القيم الاسلامية في العمارة التقليدية:

تختلف دلالات مصطلح القيم باختلاف الأمم، وتباين ثقافتها ومعتقداتها الدينية، فالمعروف أن القيم، جمع قيمة تمثل كل صفة أو خلق له أثره على الانسان و الأسرة و المجتمع. و لقد لقيت دراسة القيم عناية بالغة و اهتمام كبيرين بين المفكرين و الفلاسفة، حيث مازالت القيم منذ القدم و الى اليوم محورا لاختلاف تصنيفها بين مختلف الديانات السماوية و المذاهب الفلسفية. كما كان اهتمام المفكرين الاسلامي و العربي بالقيم كبيرا، وهو ما يتجلى في اشكالية القيم الاسلامية و صدامها مع تأثيرات الفكر الغربي و الحداثة.

و نقصد بالقيم الإسلامية التصورات المضبوطة بالضوابط الشرعية المرتبطة بأحكام الإسلام، فالبحث فيها بحث في الاسلام كله، باعتباره دين القيم، مما يجعل صعوبة البحث في منظومته نظرا لطبيعتها المنقرعة و المتشعبة و كذلك للتداخل والترابط بين المعاني و الدلالات المختلفة للقيم.

1.3.2. مصطلح القيم في القرآن الكريم:

إن مصطلح القيم لفظ عربي أصيل، فالقيم كانت موجودة عند العرب قبل الاسلام، و جاء الاسلام ليقبل بعضها و يرفض بعضها الآخر، محددًا بذلك نظاما للقيم. و القيم هي مجموع التصورات و التمثيلات التي يحملها المجتمع نحو الأشياء و المعاني و التي تعمل على توجيه رغباته و سلوكياته نحوها. و يرى (بن حموش، 2013) من خلال جذر الكلمة أن مفهوم القيمة له معنى أصلي مادي يدل على المقابل و العوض المقدر ثمنا للشيء. كما يخلص الى ضرورة ادراج مجموعة القيم في الاعتماد على الحوافز الداخلية للأفراد و المجتمع و التي تستمد روحها منها.

إن مفاهيم القيم تتحدد بمرجعياتها سواء كانت مرجعيات دينية أو مرجعيات مادية، حيث اعتبر (بلبشير، 2014) أن القيم لها أهمية في حياة البشر و تصرفاتهم و علاقاتهم و معاملاتهم و أخلاقهم، و أن محور القيم يعد أهم محور من محاور القرآن الكريم، كما يعتبره نوعا من الاعجاز القرآني القيمي الأخلاقي الذي ينبغي أن يلقي الاهتمام البالغ من الباحثين. و القرآن الكريم هو مصدر الشريعة الاسلامية و دستور الأمة، يتميز بأنه كتاب معجز، يحتوي على أعظم منهج رباني، مُحقق لسعادة الإنسان في حياته الدنيا و الآخرة. و هو كتاب شامل لجميع مجالات الحياة و لجميع الناس، فالمنهج القرآني بديل عن سائر المناهج المعرفية، قال تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ...﴾ (المائدة: الآية 48)

يقول السعدي¹⁴ في التفسير:

يقول تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) الذي هو القرآن العظيم، أفضل الكتب وأجلها. (بِالْحَقِّ) أي: إنزالاً بالحق، ومشملاً على الحق في أخباره وأوامره ونواهيته. (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقاً لخبرها. (وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ) أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

لقد اهتم القرآن الكريم بالقيم اهتماماً عظيماً، من خلال معظم آياته، حيث يقدم النص القرآني النموذج المعرفي المتكامل الذي يمكن من خلاله وضع الأسس الخاصة لنظام القيم.

إن القرآن الكريم تحدّث عن خالق القيم ومصدرها الأسمى، وعن قيم الإيمان به وخشيته وتقواه، ويتحدّث عن تعليماته لخلقه، ودعوتهم إلى التعارف والتعاون فيما بينهم، وحثهم على التمسك بالأخلاق الفاضلة، والمعاملات الحسنة، وتبئيرهم إلى ما أنعم الله عليهم به من طاقات فطرية ومعرفية ولسانية وعقلية وحواسية، عليهم أن يستعملوها ويحسنوا استغلالها¹⁵.

و القيم الاسلامية ذات منهج رباني، قال تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. (يوسف: الآية 108).

يقول السعدي¹⁶ في التفسير:

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قُلْ) للناس (هَذِهِ سَبِيلِي) أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، (أَدْعُو إِلَى اللَّهِ) أي: أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه. ومع هذا فأنا (عَلَىٰ بَصِيرَةٍ) من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مريّة. (وَ) كذلك (مَنِ اتَّبَعَنِي) يدعو إلى الله

¹⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura5-aya48.html#saadi>

¹⁵ بلشير الحسني محمد. (2014). مدونة في القرآن والسنة. طوب بريس. الرباط. ط2. ص.12.

¹⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura12-aya108.html>

كما أدعو على بصيرة من أمره .(وَسُبْحَانَ اللَّهِ) عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله .(وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصاً له الدين .
و يُبين (ملكاوي ،2013) أن نظام القيم واحد من الأنظمة الأساسية، يتكامل مع أنظمة أخرى في تكوين فهم للنظام العام للدين،و الذي يمكن تحديد عناصره بحصر الألفاظ القرآنية التي وردت فيها مفردات تتصل بالقيم، جمع قيمة:

أ. القيم جمع قيمة، وجذرها قَوْمَ، ووردت مشتقاتها في القرآن الكريم في 659 مرة، حيث استخدم هذا اللفظ و مشتقاته مثل: قام وأقام وقيام وقائم وقيوم وقيم وقيم وقوام وتقويم، في العديد من الآيات القرآنية في حوالي 160 مرة.

ب. و استقيم و استقاموا و مستقيم في 47 مرة.

ت. و قيامة في 70 مرة.

ث. و قوم في 382 مرة.

كما أشار (معيرش،2015)،الى أن القرآن الكريم يستخدم لفظ القيم أربعة مرات كاملة في ثلاث صور مختلفة : التوبة ،يوسف،الروم كما يلي : ففي سورة التوبة يرد لفظ القيم في المرة الأولى في

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَزَلِيمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۙ ﴾ .(التوبة:الآية 36).

أما في المرة الثانية ورد في سورة يوسف :

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .(يوسف:الآية 40).

كما ورد نفس اللفظ في سورة الروم مرتين الأولى في قوله :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .(الروم:الآية 30).

أما في المرة الثانية فقد جاءت في قوله تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۚ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ .(الروم:الآية 43).

و حسب كتب التفسير نجد عدة معاني لهذا المصطلح، تتقارب أحيانا و تتشابه وفي أحيان أخرى تتمايز و تتباعد، حيث يمكن الإشارة لأهمها. فالمعنى المقصود بالقيم، أشمل من المعنى أنها عبارة عن اتباع طريق الله في الحكم، وإنما يتعدى الاستقامة في جوانب الحياة المختلفة. و يُصنف (ملكوي، 2013) أربعة مجالات من الدلالات المختلفة لمجمل الألفاظ القرآنية ذات العلاقة بجذر القيم و هي :

أ. الوزن و الفائدة و الثمن و الخيرية :

فالأمر الذي لا قيمة له، لا وزن له ولا فائدة فيه، أما الأكثر قيمةً فهو الأفضل، والأكثر خيراً.

قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًّا ﴾. (الكهف: الآية 105).

ب. الثبات و الاستقرار و التماسك :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (الدخان: الآية 51).

ت. المسؤولية و الرعاية :

فالقائم على الأمر مسؤول عن رعايته وإدارة شؤونه، قال تعالى :

﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... ﴾ (النساء: الآية 34)

والله سبحانه هو :

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾. (البقرة: الآية 255)

وهو سبحانه قائم على كل نفس :

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾. (الرعد: الآية 33).

ث. الإستقامة و الصلاح :

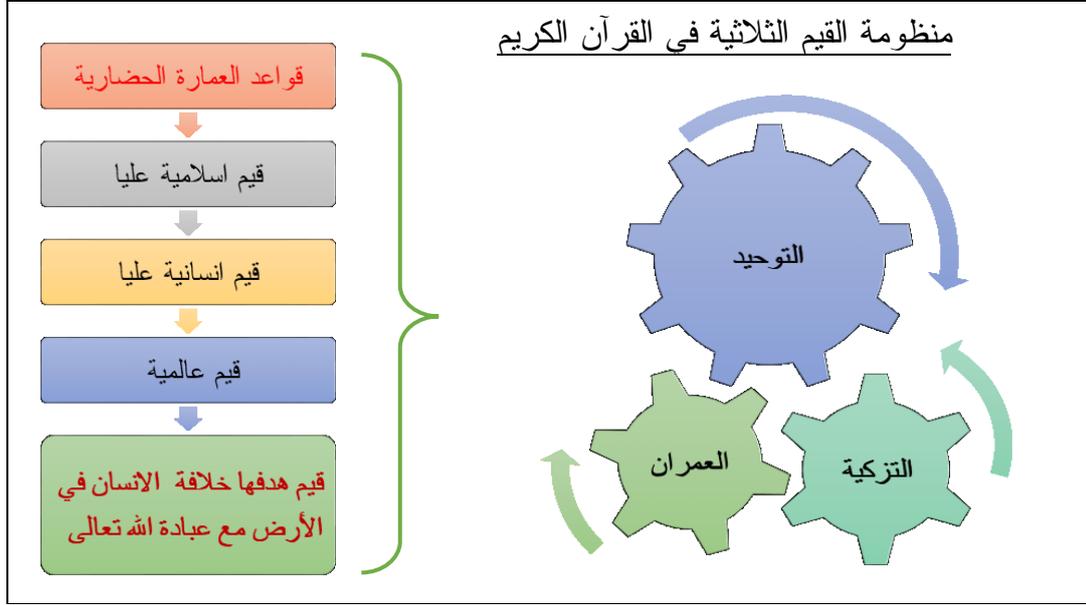
قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ عَلَى الصَّالِحِينَ أَشَدَّ حَقًّا ﴾. (الجن: الآية 16).

2.3.2. منظومة القيم العليا في النص القرآني :

يُوضح (ملكوي، 2013) أن القيم العليا المُستنبطة، و المتمثلة في : التوحيد ، التزكية و العمران؛ هي أولاً من اجتهاد شيخه الدكتور طه جابر العلواني في رؤيته للهدى القرآني. و أن هذه القيم الثلاث تُكوّن معاً منظومة معيارية للقيم التي تنبثق عنها سائر القيم الرئيسية و الفرعية في دين الله.

كما يوضح أن عمله لم يكتفي بهذا بل تجاوز ذلك بالتأكيد أن المنظومة الثلاثية: التوحيد، التزكية و العمران. ليست فقط مقاصد حاكمة بل هي مبادئ و قيم اسلامية عليا و في نفس الوقت هي قيم انسانية عالمية. (أنظر الشكل رقم 6 أدناه).

الشكل رقم 6: مكانة منظومة القيم الثلاثية باعتماد النص القرآني كمرجعية أساسية.



المصدر: اقتباس و رسم الباحث، 2019

و تعود منهجيته الى اعتماد النصوص القرآنية كمرجعية أساسية في الحديث عن كل واحدة من القيم العليا، بهدف التأكيد أن هذه المرجعية تكفي و تفي بما يلزم من عرض و معالجة. و هي التي تشرح رؤية العالم في القرآن الكريم. فصفة العالمية هي صفة لصيقة بالقرآن الكريم، و المؤمنون به هم الأمة التي تحمل الدعوة الى غيرها من أمم البشر. و الأمة هي المجال الحيوي لبلوغ مقاصد القيم ، و هي الأمة المرتبطة بالعقيدة و رسالة الدعوة للمؤمنين، لها علاقة بالقيم ، و مدى التزامها بكافة منظوماتها القيمية. « و هي كذلك تشير الى حضارة القيم و نظام قيمها الذي يشكل خاتمها الحضاري المتميز و خاصيتها الأكيدة « أمة وسطا » تحرك العدل لتجعله القيمة العليا في نظامها القيمي لتقيم حضارة التوسط و الاعتدال، و تجعل من القيم التأسيسية قواعد لعملية العمارة الحضارية (التوحيد و التزكية و العمران).»¹⁷

¹⁷ عبد الفتاح سيف الدين. (1999). مدخل القيم: إطار لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1، القاهرة. ص. 155.

1.2.3.2. التوحيد :

لقد تفرد التوحيد الاسلامي بأنة النواة الوحيدة لخلافة الانسان على الأرض. فالتوحيد له دور مركزي بالنسبة الى منظومة القيم العليا.

في اطار علاقات التفاضل القيمي، يبدو التوحيد قيمة مركزية، تشكل مركز الدائرة و هي التي ترسم محيط الفاعلية الحضارية، (تلك حدود الله فلا تعتدوها). و هي قيمة مركزية بحكم انطلاق أي فعل منها، صوب المحيط الحضاري الا أنه كذلك المرجع في اثبات القيمة الجوهرية للفعل في عملية العمارة الحضارية، بمقتضى الاستخلاف و هو قيمة مشعة للقيم الأخرى بفعل مركزيتها.¹⁸ و قال تعالى :

﴿... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (البقرة: الآية 229).

يقول ابن كثير¹⁹ في تفسيره: « أي : هذه الشرائع التي شرعها لكم هي حدوده ، فلا تتجاوزوها . كما ثبت في الحديث الصحيح " : إن الله حد حدودا فلا تعتدوها ، وفرض فرائض فلا تضيعوها ، وحرّم محارم فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان ، فلا تسألوا عنها " .

و يصف (ملكاوي، 2013) موضوع التوحيد بأنه قيمة حاكمة كبرى ، و يشير الى صورة التوحيد كما تكشف عنها النصوص المرجعية القرآنية ، في قوله تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. (الأنبياء : الآية 25).

يقول الطبري²⁰ في التفسير: « يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية».

و يؤكد (ملكاوي، 2013) الى أن المرجعية الاسلامية حاسمة في أن التوحيد كان جوهر العقيدة منذ خلق أبو البشر آدم ، و الله يرسل الرسل و الأنبياء تذكيرا للانسان بوحدانية الله المركوزة الفطرة. و يؤكد التوحيد الاسلامي وحدة الدين التي نلاحظها في قصص الأنبياء ، فجميع الرسل و الأنبياء جاءوا برسالة التوحيد، قال تعالى :

¹⁸ عبد الفتاح سيف الدين ، المرجع السابق، ص 153.

¹⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya229.html#>

²⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura21-aya25.html#>

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۗ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۗ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا بِكُنُوزِ النَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165)﴾.

(النساء: الآيات 163-165).

و يُوضح النص القرآني بصورة حاسمة أن جميع الأنبياء جاؤوا بدين واحد، و ان اختلفت الشرائع، في توحيد الله سبحانه، قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: الآية 59)

و يربط النص القرآني بين الوحدانية و حصر الألوهية بالله سبحانه و تعالى:

﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۗ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: الآية 285).

كما أن القرآن الكريم حسم أمر التوحيد بوصفه هدف الرسالات الالهية الى المملكة الانسانية، باعتبار أن التوحيد هو الفطرة الأصلية، المنسجمة مع الحقائق الكونية و الطبائع النفسية. قال تعالى :

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۗ كَبُرَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۗ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾. (الشورى : الآية 13).

و تتوجُّ صورة الصمد في القرآن الكريم كل حديث عن أحدية الله سبحانه و واحديته و توحيده.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ .

(الاحلاص : الآية 1-4)

يقول السعدي²¹ في التفسير: « (قل هو الله الصمد) قل يا محمد: هو الله المتفرد بالألوهية لا يشاركه أحد فيها. (الله الصمد) الله وحده المقصود في قضاء الحوائج والرغائب. (لم يلد و لم يولد) ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة. (و لم يكن له كفوا أحد) و لم يكن له كفوا أحد، لا في أسمائه و لا في صفاته، و لا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدس.»

²¹ <http://ar.islamway.net/quran/interpretation/saadi/112>

و توحيد الله في هذه الآيات سواء في اللفظ المباشر، أحد و واحد، أو بالدلالة الحصرية على ذاته العلية، تغني عن الاستطراد في الاستشهاد بكل آيات القرآن الكريم. قال تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۗ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. (الحشر: الآية 22).

يقول السعدي²² في التفسير:

هذه الآيات الكريمات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان، فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدييره العام، وكل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، وبعموم رحمته التي وسعت كل شيء ووصلت إلى كل حي .

و يستشهد الكثير من العلماء على ثلاثة أنواع من التوحيد في النصوص القرآنية الكريمة:

أ. توحيد الربوبية:

أي أن الله رب العالمين، و هو وحده المتفرد بالخلق و التدبير و التسيير، و الاحياء و الاماتة ، و أمثلتها كثيرة من الآيات، قال تعالى:

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾. (الأعراف: الآية 7)

ب. توحيد الألوهية:

أي الايمان بأن الله وحده الذي يستحق العبادة، و يكون له الخضوع و الطاعة، و اليه وحده الذي يستوجب الدعاء و الرجاء. و عليه يكون التوكل. قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون﴾. (الأنبياء: الآية 25)

ت. توحيد الأسماء و الصفات:

أي أن الله متصف بجميع صفات الكمال، و منزه عن جميع صفات النقص، و متفرد بصفاته على جميع المخلوقات، قال تعالى:

²² <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura59-aya22.html#saadi>

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۚ يَذُرُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾. (الشورى: الآية 11)

و يؤكد المرجع القرآني أن توحيد الله سبحانه و تعالى يقتضي وحدة الأمة الاسلامية، فالوحدة صفة أصيلة في الأمة الاسلامية، قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾. (الأنبياء: الآية 92)

يقول البغوي²³ في تفسيره: « قوله عز وجل : (إن هذه أمتكم) أي ملتكم ودينكم ، (أمة واحدة) أي دينا واحدا وهو الإسلام فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع (وأنا ربكم فاعبدون) ». و وحدة الأمة بالمعنى الديني الاسلامي هي جزء من وحدة الانسانية في كامل أعرافها و ألوانها. و تقترن وحدة الانسانية بوحدة الحياة البشرية في الدنيا. و عند الله أجل مسمى لكل أمة، و أجل مسمى لكل نفس.

قال تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخِرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. (نوح: الآية 4)

يقول السعدي²⁴ في التفسير:

فإنهم إذا اتقوا الله غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب، والفوز بالثواب، (ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى) أي: يمتعكم في هذه الدار، ويدفع عنكم الهلاك إلى أجل مسمى أي: مقدر (البقاء في الدنيا) بقضاء الله وقدره (إلى وقت محدود)، وليس المتاع أبداً، فإن الموت لا بد منه، ولهذا قال: (إنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) لما كفرتم بالله، وعاندتم الحق، فلم يجيبوا لدعوته، ولا انقادوا لأمره .

يُعتبر التوحيد عند المسلمين محور العقيدة الإسلامية كما تتمثل عناصر عقيدة التوحيد بالتصور الشامل للوجود. و التوحيد هو الفطرة الصحيحة التي ذرأ الله الناس عليها و عقيدة يعتقها الاسلام

²³ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura21-aya92.html>

²⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura71-aya4.html#saadi>

و شريعة تنظم حياتهم و تهيمن على الفكر و الحياة.يحتوي جوهر موضوع التوحيد على كل من معاني الاسلام و الايمان و الاحسان.فيكون دخول الاسلام من الشهادة و يكون التوحيد بالايمان و العمل به ، كما أن عناصر موضوع التوحيد ثابتة لا تتغير فهي محدودة في عددها و محددة في دلالاتها.

و من أخص خصائص عقيدة التوحيد ،البساطة و الوضوح و قرب هذه العقيدة من قلب الانسان و عقله. و بذلك فان مقصد المقاصد في نظام التوحيد هو منظومته العقيدية، التي تتسم بالنقاء و الخلو من الشوائب.

2.2.3.2. التزكية:

و كذلك فان مسألة التزكية في منظومة القيم العليا تجد أصلها في المرجعية القرآنية أولاً ،في أربعة معانٍ محمودة و واحدة مضمومة كالاتي:

أ. التزكية للانسان :

تتمثل في تحقيق التقوية و التنمية و التربية،بكل ما يتطلع اليه الفرد من رفعة و اكتساب التقوى و الفلاح.قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (75) جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ (76) ﴾. (طه: الآية 75-76).

يقول ابن كثير²⁵ في تفسيره:

وقوله : (ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات) أي : ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمناً القلب ، قد صدق ضميره بقوله وعمله ، (فأولئك لهم الدرجات العلى) أي : الجنة ذات الدرجات العاليات ، والغرف الآمنات ، والمسكن الطيبات. وقوله : (جنات عدن تجري) أي : إقامة وهو بدل من الدرجات العلى ، (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي : ماكنين أبداً ، (وذلك جزاء من تزكى) أي : طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك ، وعبد الله وحده لا شريك له ، وصدق المرسلين فيما جاءوا به من خبر وطلب.

²⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura20-aya75.html>

<http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura20-aya76.html>

ب. التزكية من الله سبحانه و تعالى:

تعني أن الله هو المزكي الأعلى يزكي من يشاء من عباده و أن الانسان مهما بلغ من اجتهاده فلا يمكن أن يدعي الوصول الا بأمر من الله عزَّ و جلَّ. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۗ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾. (النساء: الآية 49)

يقول السعدي²⁶ في تفسيره:

هذا تعجيب من الله لعباده، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم من اليهود والنصارى، ومن نحاه نوحهم من كل من زكى نفسه بأمر ليس فيه. وذلك أن اليهود والنصارى يقولون: (نَحْنُ أبنَاءُ اللَّهِ وَأَحْيَاؤُهُ) ويقولون: (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) وهذا مجرد دعوى لا برهان عليها، وإنما البرهان ما أخبر به في القرآن في قوله: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فهؤلاء هم الذين زكاهم الله ولهذا قال هنا: (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ) أي: بالإيمان والعمل الصالح بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة، والتخلي بالصفات الجميلة. [...] قال: (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) وهذا لتحقيق العموم أي: لا يظلمون شيئاً ولا مقدار الفتيل الذي في شق النواة أو الذي يفتل من وسخ اليد وغيرها.

ت. التزكية من الرسول صلى الله عليه و سلم:

و هي تزكية للجماعة و الأمة من الرسول صلى الله عليه و سلم ، منها أربع وظائف تتكامل فيما بينها، يمكن استخراجها من النص القرآني، و منها قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. (البقرة: الآية 101).

يقول السعدي²⁷ في تفسيره:

ولما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابتهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، (نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا

²⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura4-aya49.html#>

²⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura2-aya101.html#saadi>

الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ) الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقية ما جاء به. تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفرا بكتابهم من حيث لا يشعرون.

و هذه الوظائف تتكامل فيما بينها لتحقيق التزكية، من ارسال الرسل بالهدى و هي: تلاوة الآيات، التزكية بمعنى الطهر و البركة و التنمية، و تعليم الكتاب والحكمة، لما فيهما من العلم و الهدى و الاصابة في القول و الفعل و العمل و امتلاك البصر الحكيم في أمور الدين و الدنيا. ث. تزكية المال:

و هي ركن ركينا من الدين و وسيلة من وسائل تطهير النفس و بركة و تنمية لمال الفرد و الجماعات. و انفاق المال زكاة أو صدقة، هو انفاق على النفس و ايتاء الزكاة كذلك تزكية لصاحب المال، و اسهام مباشر في بناء علاقات التكافل و التراحم في المجتمع. و هو كذلك تعامل مع الله سبحانه ، قال تعالى:

﴿ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ. ﴾ (التغابن: الآية 17).

يقول الطبري²⁸ في التفسير:

يقول تعالى ذكره : وإن تنفقوا في سبيل الله، فتحسنوا فيها النفقة، وتحسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب يضاعف ذلك لكم ربكم، فيجعل لكم مكان الواحد سبعمائة ضعف إلى أكثر من ذلك مما يشاء من التضعيف يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فيصفح لكم عن عقوبتكم عليها مع تضعيفه نفقتكم التي تنفقون في سبيله (وَاللَّهُ شَكُورٌ) يقول : والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا في الدنيا في سبيله (حَلِيمٌ) يقول: حلیم عن أهل معاصيه بترك معاجلتهم بعقوبته.

و تتوزع دلالات ألفاظ التزكية في النص القرآني في هذه الألفاظ الأربعة على سبيل المدح ، أما اللفظ الخامس ورد على سبيل الذم و هو متعلق بتزكية الانسان لنفسه بالمدح أو بالذم ، و هي الحالة

²⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura64-aya17.html#tabary>

الوحيدة التي تكون فيها التزكية فعلا مذموما. و قد أفلح من الناس من تزكى و كسب تزكية الله له، و من حرم منها فلا تنفعه تزكيته لنفسه و تزكية الناس له و قد تضره كثيرا.

3.2.3.2. العمران:

العمران هو القيمة الثالثة في منظومة القيم العليا، و التي تحدد فقه العمل في الحياة الدنيا. و العمران بوصفه مفهوما مركزيا من مفاهيم القرآن الكريم، يسهم في تحديد الاطار المرجعي للمنهجية الاسلامية في التفكير و البحث و السلوك. حيث استلهم ابن خلدون عبد الرحمن الهدي القرآني لينشأ علما جديدا أسماه بالعمران البشري. و قد تضمنت مفردة العمران و مشتقاتها في النص القرآني : العمران ، الحياة و استمرارها على السنن و القوانين الجارية، و بقاء المساجد عامرة بالعابدين الذين يذكرهم الله، و انتظام الحياة على هدى الله سبحانه.

و من الدلالات التكاملية للعمران في النص القرآني نجد:

أ. الحياة:

و يعني مصطلح الحياة للانسان الفرد و حياة الأمة بحضورها الفعال ضمن عمران اجتماعي الذي يسود فيه التكافل و التعارف و التراحم بين الجماعات الانسانية و حياة البشرية على وجه الأرض. و متطلبات الحياة الدنيوية تشملها عمارة الحياة و هي عمارة الباطن و الظاهر في نسق تكاملي تحقيقا للعمل الصالح و تنفيذها لمهمة خلافة الانسان في الأرض.

ب. التوطن في المكان :

و هو الإقامة و السكنى و البناء في المدن و القرى، و ما يتبعها من مرافق للعبادة و مختلف متطلبات الحياة التي تضمن استمرار الحياة و الاستقرار في المكان. و البيت المعمور هو البيت الأهل بالسكان و بالملائكة العابدين لله عز و جل و المسبحين بأمره.

ت. العمران المادي:

و يمثل الجانب المادي من الحضارة و ما توصلت اليه الأبحاث و الجهود العلمية في اكتشاف القوانين و توظيفها في التشييد و البناء من أجل تيسير الحياة الانسانية و تطوير وسائل الانتاج و الصناعة و الفلاحة لفتح فرص الرزق للناس و توفير الحاجيات المادية و الاجتماعية و لتحقيق اعمار الأرض، بعيدا عن مظاهر الظلم و الفوضى و الفساد. و قد لا يعد القرآن الكريم هذا النوع من العمران دليلا على رشادة الانسان و استقامته بل على انطماس البصيرة عنه.

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. (الروم: الآية 9).

يقول البغوي²⁹ في التفسير:

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) حرثوها وقلبوها للزراعة (وعمروها أكثر مما عمروها) أي: أكثر مما عمرها أهل مكة، قيل: قال ذلك لأنه لم يكن لأهل مكة حرث (وجاءتهم رسلهم بالبينات) فلم يؤمنوا فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) بنقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ببخس حقوقهم.

ث. العمران الثقافي و الفكري:

و هي الجوانب المعنوية من الحضارة من تطوير العلوم و بناء المؤسسات و سن القوانين و الأنظمة و قبول الخضوع لسلطة الإدارة و الحكم. و اعمار هذه الجوانب المعنوية يكون بتنمية صروح العلم و اعمارها بالاجتهاد و الابداع و بالحفاظ على المكاسب الايجابية لهذا العمران. و قد أرسى الله سبحانه سننا تحقق الخلق و التنوع و الاختلاف، و منها سنة التدافع بين فئات الناس، كالحفاظ على بيوت الله من التهديم، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: الآية 40)

و سنن اختلاف الناس في كسبهم من العلم و المعرفة، فتنشأ المدارس و الجامعات و معاهد الدراسات و مراكز البحث و حل المشكلات. و من السنن المستقرة و الثابتة خراب عمران البلاد و هلاك الناس رغم بقاء العمران قائما. فلا هو خراب المباني و القصور و لا هو هلاك نتيجة تعطل أسباب الحياة الأساسية، بل هو هلاك نتيجة لأعمال الناس و ممارساتهم من

²⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura30-aya9.html#baghawwy>

الاعتماد على الغير و الاستهلاك و الكسل ، و لظلمهم أنفسهم و عدم شكر نعم الله عليهم، قال تعالى:

﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبُئِرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾. (الحج: الآية 45).

يقول السعدي³⁰ في التفسير:

(فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ) أي: وكم من قرية (أَهْلَكْنَاهَا) بالعذاب الشديد، والخزي الدنيوي، (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) بكفرها بالله وتكذيبها لرسله، لم يكن عقوبتنا لها ظلما منا، (فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا) أي: فديارهم متهدمة، قصورها، وجدرانها، قد سقطت عروشها، فأصبحت خرابا بعد أن كانت عامرة، وموحشة بعد أن كانت أهلة بأهلها آنسة، (وَبُئِرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) أي: وكم من بئر، قد كان يزدحم عليه الخلق، لشربهم، وشرب مواشيهم، ففقد أهله، وعدم منه الوارد والصادر، وكم من قصر، تعب عليه أهله، فشيدوه، ورفعوه، وحصنوه، وزخرفوه، فحين جاءهم أمر الله، لم يغن عنهم شيئا، وأصبح خاليا من أهله، قد صاروا عبرة لمن اعتبر، ومثالا لمن فكر ونظر .

يأتي العمران في النص القرآني بعدد من المعاني المتداخلة التي تمثل حقا دلاليا ، تتميز بالتكامل : فالحياة تمثل تدرج في المعنى من حياة الانسان الفرد و حياة الأمة، بحضورها الفاعل و الحياة البشرية في الدنيا. كما أن التوطن في المكان يمثل حالة الاستقرار و الحضور الدائم و استغلال الفضاء ، سواء في المدن أو القرى و الإقامة فيه و بناء البيوت المعمورة الأهلة بالبشر. أما دلالة العمران فهو عمارة الأرض و صلاحها من حيث الجانب المادي، و المتمثل في البناء و التشييد للمباني ذات المصلحة ، و التي توفر كل شروط الحياة و القدرة على الانتاج . و كذلك الجانب الثقافي و الفكري و الذي من شأنه التطوير و سن القوانين الخاصة بالبناء و التشييد و مختلف العلوم. لإقامة نظام متكامل يسهل الاستفادة من بعض الأخطاء ، للتصحيح و التطوير و الاستفادة من تطور العلوم ، في انشاء نظام يسعى الى نشوء و عي جديد أكثر عمقا في تكريس الثقافات . و توافر آلية اجتماعية تكفل التفاعل الإيجابي الحر و قبول الخضوع الى ضوابط منظومة ادارية حاكمة.

³⁰ <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura22-aya45.html>

3.3.2. مقاصد النص القرآني في تثبيت القيم :

لقد استعمل العديد من العلماء لفظ المقاصد حيث يعتبر الامام الغزالي أبو حامد أول من استعمله ثم ورد عند الامام الرازي ليعم استعماله عند العلماء المحدثين كبن عاشور الطاهر و القرضاوي يوسف. و مقاصد القرآن الكريم تعتبر بمثابة الاطار المعرفي و المنهجي للقيم حيث أن علم المقاصد لا يقف عند الجزئيات بل يتعداه الى الكليات في كل جوانب الحياة ، فهو يسير وفق الغاية التي خلق الله من أجلها الخلق و مدى تحقيقها. و لها قواعد في فهم القرآن و تفسيره و استثمار و فهم النصوص الشرعية، حيث أن مقاصد القرآن هي الأصل بينما مقاصد الشريعة هو الفرع. كما أن الهدف من مقاصد القرآن الكريم هو فهم معانيه عند علماء التفسير عن طريق التحليل و الاستنباط، باتباع منهجية تعتمد على التمعن في النصوص القرآنية و فهمها من خلال مصادرها. و القرآن الكريم تَضَمَّن ضوابط مقاصدية تعتبر فيه القيم بمثابة المعايير الخاصة لتقويم سلوك البشرية.

يُبين (بلبشير، 2014) مقاصد القرآن الكريم في تثبيت القيم، حيث أوجزها فيما يلي:

أ. إعلان استخلاف الله للإنسان :

عن طريق صلاح الإنسان المستخلف وتكريمه و تفضيله فيها.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ ﴾. (البقرة: الآية 30).

و قال عزَّ و جلَّ :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۗ ﴾. (الإسراء: الآية 70).

ب. الإقرار بمبادئ التوحيد والحق و بين العدل و المساواة :

لأن العدل واجب مطلق و أشمل في الموازنة بين جميع الأطراف بالاضافة الى أن المساواة تكون غالبا بين الطرفين المتقاربين.

قال تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۗ ﴾. (يوسف: الآية 40).

ت. الدعوة إلى الإيمان المقرون بالعمل الصالح:

و هو الجامع لشيئين على أن يكون وفق الشرع و أن يكون المقصود به مرضاة الله و طاعته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾. (يونس: الآية 9).

ث. تثمين قيم العقل والعلم والعمل:

و قيمة العقل الأساسية في تقييم حجم وجودنا وأعمالنا ، على أن تنطلق في عقيدتنا وفي عملنا على أساس العلم و المعرفة على كل الأصعدة.

قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الزمر: الآية 9).

و قال عزَّ و جلَّ :

﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (الحديد: الآية 17).

ج. نبذ كل أنواع الظلم والتعدي والاستغلال :

قال تعالى : ﴿...وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. (البقرة: الآية 190).

ح. تحفيز المسلمين على الألفة والاعتصام بحبل الله:

قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. (آل عمران: الآية 3).

خ. حثَّ المسلمين على التوبة بعد الخطأ وعلى التسامح عن الحقد، بالعفو و الصفح :

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (التغابن: الآية 14).

د. إقرار ضرورة التعارف بين الشعوب بالتواصل والتعاون:

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. (الحجرات: الآية 13).

ذ. التذكير بأحقية التدافع بين الناس في سبيل الخير، تشجيعا للتنافس في العمل الصالح :

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ لَا دَفَاعُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾. (البقرة: الآية 251).

ر. تشجيع الناس على الاعتماد على النفس ابتداء، قصد البحث عن التغيير نحو الأصلح:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. (الرعد: الآية 11).

ومن أهم الأبعاد التي يمكن أن نستشفها من هذه المقاصد هي:

- أ. البعد العقدي
- ب. البعد العلمي و العملي
- ت. البعد الأخلاقي
- ث. البعد التعارفي التواصلي
- ج. البعد الاصلاحى.

و التي تدخل كلها في مصلحة البشرية ، وهي بمثابة العدل و الرحمة لكل الانسانية.

منظومة القيم و منظومة المقاصد تتعانقان في وحدة كلية تحرك عناصر الحفظ صوب كمالات قيمة التوحيد كقيمة مركزية، و قيمة العدل كقيمة عليا تحفظ الدين و تقدمه على بقية المقاصد،انما يشمل مناطق الحفظ لكل المجالات الأخرى،و الحفظ لا يمكن فهمه الا في سياق قيمة العدل التي تحقق مقتضى الرعاية و الحفظ بالقدر الذي يحقق تلك المقاصد في حق النفس و الغير،الفرد والجماعة جميعا³¹. (أنظر الشكل رقم 7 أدناه).

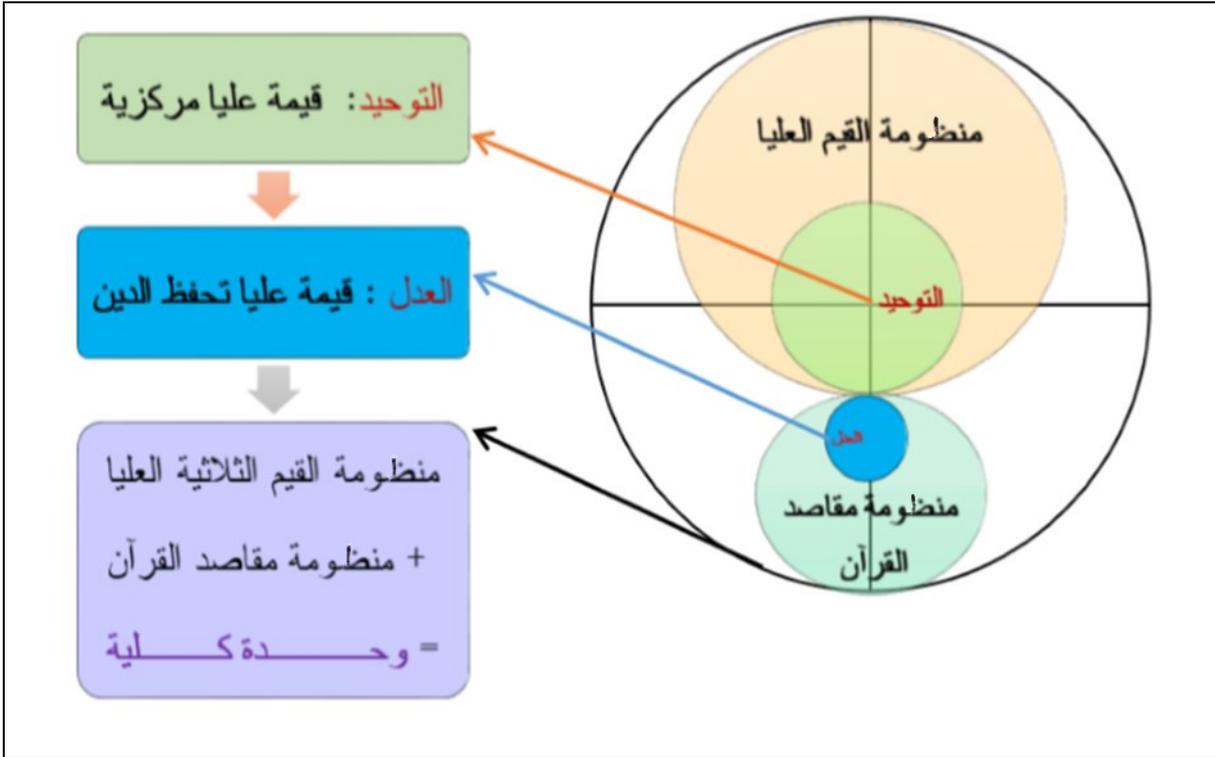
لقد ثبت أن اعتماد النصوص القرآنية لفهم منظومة القيم العليا ، هي المحرك الأول و المبدئي و أنها قد وفّت و كفت في الشرح و الاستنباط.كما أن منظومة القيم العليا في القرآن الكريم تمثل منهجا متكاملًا في حياة الانسان و مبادئ معيارية تحدد الفضاء الحضاري الذي تسعى فيه البشرية لخلافة الأرض ببناء الانسان الصالح و لعمارة الحياة ببناء الحضارة الانسانية.كما أن منظومة القيم العليا هي عبارة عن نواة هيكلية ،لها العديد من التفرعات التي يمكن أن نستخرج منها كل القيم الأخرى عن طريق مختلف مصادر التشريع و هي كذلك تمثل منظومة مقاصدية.

مقاصد القرآن تمثل اطارا منهجيا و معرفيا في تثبيت القيم لخدمة الانسان ،و الذي يمثل الرابط بين كل من منظومة القيم و منظومة المقاصد، باعتباره مقصدا في النص القرآني معني بالعمارة، بالانسانية و بالحضارة.

و مقاصد القرآن هي الأسس و الضوابط لانطلاقة تحركات الانسان التي تضمن له سلامة البدء و سلامة اختيار المسار ضمن اطار محدد و ممنهج للوصول الى غاياته و مقاصده.

³¹ عبد الفتاح سيف الدين، المرجع السابق، ص 155-156.

الشكل رقم 7 : علاقة منظومة القيم الثلاثية العليا و منظومة مقاصد النص القرآني



المصدر: اقتباس و رسم الباحث، 2019

4.3.2. مصطلح الوسطية في القرآن الكريم :

لقد اعتنى الاسلام بقيم الوسطية و الاعتدال منذ بدايات الدعوة الاسلامية ، و قد تبني الكثير من العلماء و المفكرين منهج الوسطية و الاعتدال في مختلف الأصقاع العربية و الاسلامية ، مكتسبين أصالته و قيمه من القرآن و السنة، و إتباع سبيل السلف الصالح من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم. نذكر منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس و كذلك الشيخ يوسف القرضاوي الذي يصرح أنه تبني هذا المنهج لما تبين عنده من الدلائل والبراهين القاطعة على أن هذا المنهج هو الذي يُعبّر عن حقيقة الإسلام. كما يعبر عن الوسطية أيضا بالتوازن و الاعتدال و يعرفها بأنها: «التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير و يطرد الطرف المقابل، و بحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه و يطغى على مقابله و يحيف عليه. مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الربانية و الانسانية، الروحية و المادية، الأخروية و الدنيوية، الوحي و العقل، الماضوية المستقبلية، الفردية و الجماعية، الواقعية و المثالية، الثبات و التغيير، و ما شابهها»³² .

³² القرضاوي يوسف. (2011). كلمات في الوسطية الاسلامية و معالمها. دار الشروق. القاهرة. ط.3. ص.13.

و يبين كذلك أن الوسطية هي التي تقيم الوسط بالقسط، بلا طغيان و لا اخسار. قال تعالى:

﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)﴾ (الرحمن: الآية 8-9)

يقول ابن كثير³³ في التفسير « (ألا تطغوا في الميزان) أي: خلق السماوات والأرض بالحق والعدل ، لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل. (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أي: لا تبخسوا الوزن ، بل زنوا بالحق والقسط ، كما قال تعالى (وزنوا بالقسطاس المستقيم) . (الشعراء : 182)» و اتخذ منهج الوسطية من خلال القرآن الكريم أساليب عدّة يقتضي التأمل و التدبر في آياته و التمعن في تفاسيرها ، كما أن مفهوم الوسطية عند المفكر عمارة محمد يستنبطه من ما جاء به القرآن الكريم؛ و هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، و التي من خصائصها أنها تجرب كل الأفكار، و تجتهد في كل الاتجاهات، فلا تعني الوسطية بأي حال الوسط بالمفهوم الرياضي الهندسي لنقطة بين طرفين متباعدين، و إنما الوسط المقصود هو العدل الخيار و الأفضل.

و القرآن الكريم قد بين لنا المنهج القويم في مختلف جوانبه ضمن منهج وسطي، فالوسطية منهج في فهم الدين والعمل به ، يدعو الى توحيد الله وإتباع رسله و عمارة الأرض ، و يقدم رؤية صحيحة عن حقيقة الاسلام. فالاسلام وسط في كل القضايا الدينية، والدنيوية.

و الأمة تجعل في مكنوناتها قيم « الوسطية » كحركة ايجابية فعالة « الأمة الوسط » ليست طرفا منعزلا ، و لكنها وسط يتحرك بين العالمية،الوسط هنا معنى حضاري تتفاعل فيه عناصر الجغرافيا /المكان، و عناصر التاريخ /الزمان ،و عناصر الانسان /الجامعة، الوسطية هي حركة بالقيم و منها،و هي تحريك لكل عناصر التوسط الجامع بين ثنائيات مفتعلة، ثنائيات تتراحم لا تتصارع، ثنائيا تتدافع لتحقيق الاعمار لا الهدم أو التخريب.³⁴

و يُبين المرجع القرآني أن الوسطية هي سمة الأمة الاسلامية التي تميزها عن غيرها من الأمم، و أن الأمة الوسط والمقصود بها الخيار والعدل. و هي أمة الشهادة و التي ستشهد بما عرفته من قرآنها وبما بلغه رسولها صلى الله عليه وسلم أنهم قد بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وهي الخاصية التي تؤهلها كي يشهد رسولها صلى الله عليه وسلم لها إذا سارت على نهجه وطريقه، قال تعالى:

³³ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura55-aya8.html>
<http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura55-aya9.html>

³⁴ عبد الفتاح سيف الدين ، المرجع السابق، ص 165.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ ﴾. (البقرة: الآية 143).

يقول ابن كثير³⁵ في تفسيره:

يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم ، عليه السلام ، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم ، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل. والوسط هاهنا : الخيار والأجود ، كما يقال : قريش أوسط العرب نسبا ودارا ، أي : خيرها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه ، أي : أشرفهم نسبا ، ومنه الصلاة الوسطى ، التي هي أفضل الصلوات ، وهي العصر ، كما ثبت في الصحاح وغيرها ، ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب ، كما قال تعالى : (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) (الحج : 78).

« و وسطية الأمة الاسلامية انما هي مُستمدّة من وسطية منهجها و نظامها،فهو منهج وسط لأمة وسط. منهج الاعتدال و التوازن الذي سلم من الافراط و التفريط،أو من الغلو و التقصير.»³⁶، و أمة الوسط تضع لهم الموازين والقيم،و هي أمة الحق.

قال تعالى :

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (البقرة : الآية 147)

يقول السعدي³⁷ في تفسيره:

(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) أي: هذا الحق الذي هو أحق أن يسمى حقا من كل شيء، لما اشتمل عليه من المطالب العالية، والأوامر الحسنة، وتركية النفوس وحثها على تحصيل مصالحها، ودفع مفسدها، لصدوره من ربك، الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه تربية العقول والنفوس، وجميع المصالح. (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) أي: فلا يحصل لك أدنى

³⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya143.html>

³⁶ يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 15.

³⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura2-aya147.html>

شك و ريبه فيه، بل تفكر فيه وتأمل، حتى تصل بذلك إلى اليقين، لأن التفكير فيه لا محالة، دافع للشك، موصل لليقين.

و الوسطية تعني التوازن و خاصية التوازن نجدها تجمع بين ثنائيات فتوازن بين: الروح والجسد، الدنيا والآخرة، الدين والدولة، الذات والموضوع، الفرد و المجموع، الفكر والواقع، المادية و المثالية، المقاصد والوسائل، الثابت و المتغير، القديم والجديد، العقل والنقل، الحق والقوة، الاجتهاد والتقليد، الدين و العلم. و الوسطية تعني الصلاح و الاستقامة، قال تعالى:

﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) ﴾
(الفاحة: الآية 6-7).

يقول القرطبي³⁸ في تفسيره:

اهدنا: دعاء ورغبة من المربوب إلى الرب، والمعنى: دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقربك. قال بعض العلماء: فجعل الله جل وعز عظم الدعاء وجملته موضوعا في هذه السورة، نصفها فيه مجمع الثناء، ونصفها فيه مجمع الحاجات، وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعوه به (الداعي) لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به؛ وفي الحديث: ليس شيء أكرم على الله من الدعاء.

و يقول السعدي³⁹ في تفسيره:

وهذا الصراط المستقيم هو: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. (غَيْرِ) صِرَاطِ (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم. وغير صراط (الضالّين) الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم. [...] فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: (رَبِّ الْعَالَمِينَ) وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: (اللَّهِ) ومن قوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ (الْحَمْدُ) كما تقدم.

³⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura1-aya6.html>

³⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura1-aya7.html>

و الوسطية هي الاعتدال في النظام ، الاعتقاد ، السلوك ، المعاملة والأخلاق، وتعني الاعتدال في كل أمور الحياة من تصورات ومناهج و مواقف ،سعيها الى تحقيق التوازن في الحياة. قال تعالى :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ . ﴾ (القصص: الآية 77).

يقول ابن كثير⁴⁰ في التفسير:

و قوله : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة ، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات ، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة . (و لا تنس نصيبك من الدنيا) أي : مما أباح الله فيها من المآكل والمشرب والملابس والمسكن والمناجح ، فإن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، ولزورك عليك حقا ، فآت كل ذي حق حقه . (وأحسن كما أحسن الله إليك) أي : أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك (ولا تبغ الفساد في الأرض) أي : لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به الأرض ، وتسيء إلى خلق الله (إن الله لا يحب المفسدين) .

1.4.3.2. الوسطية الاسلامية في العمارة التقليدية :

و الوسطية الاسلامية نجدها تحقق هدف المنهج العادل و المعنى الايماني في التشكيل المعماري، حيث نشأت العمارة الاسلامية مفهوما معماريا مستمدا من النواة الدينية الاسلامية و التي تولي اهتماما بجوهر الشيء قبل مظهره و توافق بينهما ، فتعطي كلاً مكانته المرادة حسب أهمية و طبيعة وظيفته داخليا و خارجيا؛ لأن المباني المشيدة و الواضحة خارجيا هي نابعة أساسا من الجوهر الداخلي، لهذا نجد الاهتمام الواضح بالعمارة الداخلية عن الخارجية في مختلف المباني و خاصة المساجد مع الاهتمام بوظيفة المبنى بالنسبة للكل مع التركيز على الجانب الروحي له و المستمد من الوظيفة.

تتجسد الوسطية الاسلامية في العمارة التقليدية من خلال طبيعة العلاقة بين الشكل و المضمون، لتبين مدى ارتباط الجانب المادي الوظيفي للعمارة عن طريق الأشكال ،بالبعد الروحي والنفسي و العقائدي للانسان ، مع خلق التوازن بينهما بما يحقق مفهوم الاستمرارية . و تعكس العمارة التقليدية

⁴⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura28-aya77.html>

البعد الانساني شكلا و مضمونا، و كذلك الفن الزخرفي الاسلامي من خلال التعبير الفني في التركيب الهندسي و التشكيلي و الابداعي، و الذي يمثل عنصرا أساسيا في التشكيل المعماري. و يتجسد المعنى الايماني في التشكيل المعماري للمسجد كما تتحقق الوسطية بين الشكل و المضمون من خلال معايير تصميمية بعيدة عن التعقيد ، تنتهج السهولة و الانسجام في الأشكال و النسب في عمارة المساجد و توفير استفادة عدد كبير من المصلين ، لتحقيق الوظيفية بجمال روحي و لضمان ملاءمة الشكل للمضمون. و يعتمد التشكيل المعماري للمسجد ، الاهتمام داخليا على البساطة ، عدم الاسراف و الهدوء مع التخفيف من الأعمدة في بيت الصلاة و التخفيف من الألوان و الزخارف لتجنب تشتيت ذهن المصلين ، و لتحقيق الشعور بالخشوع في الصلاة. و يتحقق المعنى الايماني كذلك في جميع الأشكال المتنوعة في الفن الاسلامي في العمارة التقليدية عن طريق نهج موحد يعتمد على المرجعية الدينية. قال تعالى :

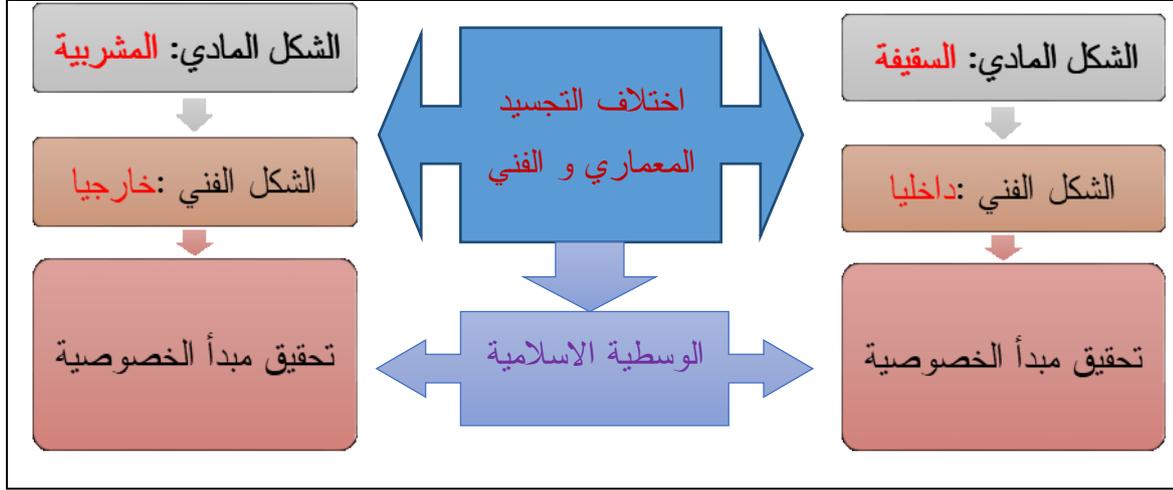
﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .
(الأعراف: الآية 31).

و الوسطية الاسلامية تمثل الحالة الجامعة بين المادة و الروح، حيث نجدها في التشكيلات الفنية الزخرفية من الداخل و الخارج في بعض العناصر المعمارية ، و التي تساهم في تحقيق البعد الجمالي حسب طبيعة البعد المكاني و الروحي للعمارة، كالقبة في المسجد أو المبنى السكني. فتتميز بذلك طبيعة و موضوع الزخرفة في الشكل الداخلي و الخارجي بين المسجد و المبنى السكني، و التي تعتمد على المرجعية الاسلامية ، و خاصة النصوص القرآنية في رمزية المفهوم الاسلامي و الكتابات القرآنية في العناصر المعمارية.

و يصرح(القرضاوي،2011) أن الوسطية هي التوازن الذي اختص به الاسلام، في كثير من الثنائيات. فالاسلام أقام الموازين بين ثنائية الفردية و الجماعية في حياة الانسان. و الله سبحانه خلق الانسان على طبيعة مزدوجة:فردية و اجتماعية في آن واحد.و الفردية جزء أصيل في كيانه و لهذا يحب ذاته،و يميل الى اثباتها و ابرازها و يرغب في الاستقلال بشؤونه الخاصة.و نرى فيه نزعة فطرية الى الاجتماع بغيره.كما أن نظام الاسلام نظام وسط عدل،فلم يتبنى الفردية و لا الجماعية ،لأنه أخذ من كل منهما خير ما فيه كما تنزه عن شر ما فيه.فقد اعترف بالفرد و بالجماع، و قرر لكل منهما حقوقه بالعدل، و ألزمه واجبات تقابلها بالمعروف. و تختلف طريقة التجسيد المعماري و

الفني في الشكل المادي و الحسي لمبدأ الخصوصية داخليا في الشكل المعماري و الفني للمدخل المنكسر - السقيفة ، و خارجيا في الشكل المعماري و الفني للمشربية. (أنظر الشكل رقم 8 أدناه).

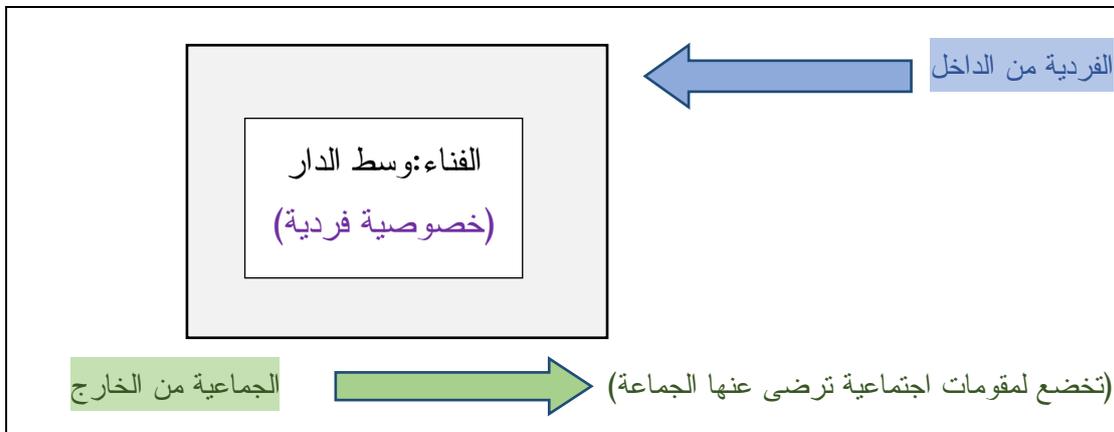
الشكل رقم 8: الوسطية الاسلامية في اختلاف التجسيد المعماري و الفني لمبدأ الخصوصية.



المصدر: عمل الباحث 2019

و يُبين (عبد الباقي، 1987)، أن تطبيق الوسطية في العمارة هي بمثابة مقياس للكم و الكيف في المنتج المعماري، و لها عدة تطبيقات : من حيث المعايير التصميمية التي تتناسب مع متطلبات المجتمع الاسلامي، و قدرة الانفاق من خلال الجدوى الاقتصادية للمنشأ، و في استعمال الزخرف و التقنية المتوافقة النابعة من البيئة و قدرة المجتمع على الانتاج و البناء. كما يُوضح أن التعبير المعماري يظهر جلليا من خلال الوسطية الاسلامية الموائمة بين ثنائية الفردية و الجماعية، حيث تنعكس الفردية على العمارة من الداخل و تنعكس الجماعية على العمارة من الخارج. (أنظر الشكل رقم 9 أدناه).

الشكل رقم 9 : الوسطية الاسلامية توائم بين الفردية و الجماعية في المسكن التقليدي



المصدر: عمل الباحث 2019

خلاصة :

لقد تبين من خلال هذا الفصل أن الدين الاسلامي له دور جوهري في تحديد ملامح العمارة التقليدية، كما أن البحث في العمارة التقليدية يتطلب البحث في الأصول الفكرية الاسلامية التي كانت المنبع و الالهام في عمارتها و فنونها.و كذلك البحث في الطبقات التاريخية المتعددة للمدن العتيقة في الفترات الزمنية التي مرت بها، لتوضيح فكرتي الثابت و المتغير، و لمعرفة الانتماء التاريخي للمنشأ المعماري شكلا و مضمونا في الزمان و المكان. و ان الأحكام الشرعية تمثل المجالات الثابتة انطلاقا من المصدر الرئيسي للتشريع و هو كتاب الله. فالربانية تعتبر أولى خصائص التصور الاسلامي و مصدرها كما أن الثبات في تعاليم الاسلام تشمل المبادئ و القيم الاسلامية و تدعو الى الاستمرارية في الحياة و التطور و الحركة ضمن منطقة محصنة. فالمبادئ الاسلامية في العمارة التقليدية تضمن حقوق الساكنة و توفر لهم كل ظروف العيش الآمن و الخصوصية من المدينة الى غاية المسكن. كما أن الابداع المعماري و الفني استلهم أفكاره من العقيدة الاسلامية، حيث اعتمد الفنان المسلم على النص القرآني كوسيلة تواصل و مرجع مقدس منزه عن التحريف.

و القيم الاسلامية هي التصورات المضبوطة بالضوابط الشرعية المرتبطة بأحكام الاسلام. و لقد اهتم القرآن الكريم بالقيم اهتماما عظيما من خلال معظم آياته، حيث يقدم النص القرآني النموذج المعرفي المتكامل الذي يمكن من خلاله وضع الأسس الخاصة لنظام القيم.

يكون التوحيد و التزكية و العمران منظومة القيم الثلاثية العليا، المستنبطة باعتماد النص القرآني كمرجعية أساسية. فالقرآن الكريم جعل التوحيد أم القيم جميعا و الركيزة المنهجية التي تتوضح من خلالها الرؤية، و هو بمثابة القيمة المركزية التي يتفرع منها جميع القيم.

و منظومة القيم الثلاثية العليا تمثل أسمى القيم و جوهرها و هي قيم اسلامية عليا تشمل القيم الانسانية العليا و هي قيم عالمية تضمن قواعد العمارة الحضارية. كما تمثل منظومة القيم الثلاثية العليا الأمانة التي على الأمة أن تتحلى بها، لتكون القدوة و النموذج المثالي للعالم، لتحقيق هدفها المتمثل في خلافة الانسان في الأرض مع عبادة الله تعالى. و للقيم مقاصد في القرآن الكريم يمثل فيها العدل قيمة عليا تحفظ الدين و تقدمه على بقية المقاصد حيث تشكل كل من منظومتي القيم و المقاصد وحدة كلية يحتل فيها التوحيد قيمة عليا و مركزية بالنسبة لكل منهما. و من أهم الأبعاد التي يمكن أن نستشفها من مقاصد القرآن الكريم في تثبيت القيم هي: البعد العقيدي، البعد العلمي و العملي،

البعد الأخلاقي، البعد التعارفي التواصلي و البعد الاصلاحى. و هي بمثابة العدل و الرحمة لكل الانسانية.

و قيمة الوسطية الاسلامية نجدها في العمارة التقليدية، فهي تحقق المنهج العادل و المعنى الايماني في التشكيل المعماري، و المستمد من النواة الدينية التي تولي اهتماما بالجواهر قبل المظهر الخارجي و توافق بينهما. و تتجسد الوسطية الاسلامية من خلال طبيعة العلاقة بين الشكل و المضمون، فتبين مدى ارتباط الجانب المادي للعمارة بالبعد النفسي العقائدي للانسان مع خلق التوازن بينهما. كما تعكس العمارة التقليدية البعد الانساني شكلا و مضمونا بالاضافة الى الفن الزخرفي من خلال التعبير الفني. و الوسطية هي التوازن الذي اختص به الاسلام من خلال الكثير من الثنائيات فهو يمثل نظام عدل بين ثنائية الفردية و الجماعية و يوازن بينهما مع اختيار خير ما فيهما. و تتحقق الوسطية كذلك في التعبير المعماري، حيث تنعكس ثنائية الفردية و الجماعية في العمارة. فتتحقق الفردية في المبنى السكني من الداخل لتمثل الخصوصية الفردية بينما تظهر الجماعية من الخارج بما أنها تخضع لمقومات اجتماعية ترضى عنها الجماعة.

و يمثل المسجد أحسن مثال للوسطية الاسلامية حيث يتجسد المعنى الايماني في التشكيل المعماري كما تتحقق الوسطية بين ثنائية الشكل و المضمون، من خلال معايير تصميمية بعيدة عن التعقيد. و تتحقق الوسطية في ثنائية الوحدة و التنوع، من خلال المعنى الايماني في جميع الأشكال المتنوعة للفن الاسلامي في العمارة التقليدية، عن طريق نهج موحد يعتمد على المرجعية الدينية. و تتمثل كذلك الوسطية في العمارة عن طريق تطبيق ثنائية الكم و الكيف في المنتج المعماري، حيث تعتبر بمثابة المقياس الذي يحدث التوازن و الانسجام بين المتطلبات و الامكانيات.

الفصل الثالث

نماذج عن العمارة التقليدية الإسلامية حول البحر

الأبيض المتوسط

مقدمة :

نُقدم في هذا الفصل نبذة تاريخية عن العالم الاسلامي مع تحديد للدول المتواجدة في حوض البحر الأبيض المتوسط، ثم يليه تقديم لمختلف النماذج عن العمارة الاسلامية فيها. إن تقديم أفضل النماذج عن العمارة التقليدية في حوض البحر الأبيض المتوسط من قصور ومساجد و مدارس في كل من : القدس ، تركيا ، تونس ، المغرب ، الأندلس-اسبانيا و الجزائر، من شأنه توضيح أشمل للدرجة الرفيعة التي وصلت اليها العمارة و الفن في الحقبة الاسلامية. كما أن دراسة هذه النماذج يمكن من تكوين فكرة واضحة و متميزة عن مدى اتباع المبادئ الاسلامية عامة في تحديد الخصائص التصميمية و تطبيق الحلول التقنية للعمارة التقليدية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

1.3. نبذة تاريخية عن العالم الاسلامي والعمارة التقليدية الاسلامية في حوض البحر المتوسط:

1.1.3 . نبذة تاريخية عن العالم الاسلامي:

يمتد العالم الإسلامي جغرافيا؛ من المحيط الهادي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا و من البحر المتوسط شمالا إلى جنوب إفريقيا الاستوائية جنوبا و من أواسط آسيا و جنوب شرقها إلى سواحل المحيط الهندي، و كذا بعض أطراف أوربا. (أنظر خريطة رقم 1 أدناه).

خريطة رقم 1 : خريطة العالم الاسلامي حاليا



المصدر : <https://www.almrsl.com/post/838205>

هذا الموقع أكسبه مميزات لا تتوفر لأي كتلة دينية أو سياسية، اقتصادية. يتربع العالم الإسلامي على ثلاث قارات: إفريقيا، آسيا و أوروبا، حيث نجد: في قارة إفريقيا 28 دولة إسلامية، في قارة آسيا 25 دولة إسلامية، وفي قارة أوروبا دولتان. مع تواجد أقليات إسلامية موزعة بشكل متفاوت على بقية العالم، و مجمل هذه الدول هو 55 دولة إسلامية.

1.1.1.3. دولة المماليك 1250 – 1517 م :

هم سلالة من الجنود حكمت مصر والشام والعراق و أجزاء من الجزيرة العربية أكثر من قرنين ونصف القرن، مما أهلهم لتولي مناصب قيادية وحكم مصر، اتسعت لتشمل جانب من مصر والشام والحجاز وسواحل اليمن وبرقة وبلاد السودان وجزيرتي قبرص و رودس.

سنة 1517 م يتمكن السلطان العثماني سليم الأول من القضاء على دولتهم أين ضمت مصر، الشام والحجاز إلى أراضي الدولة العثمانية.

2.1.1.3. الدولة العثمانية 1299 – 1924 م:

هي إمبراطورية إسلامية تأسست على يد مأسسها عثمان الأول وهو من الأتراك العثمانيين الذين قدموا من آسيا الوسطى، كانت في أول الأمر مقتصرة على الأناضول ثم توسعت تدريجياً وشملت السواحل الشرقية والجنوبية من البحر المتوسط بإستثناء المغرب الأقصى .

ومن أهم المحطات التاريخية للدولة العثمانية :

* فتح القسطنطينية سنة 1453م

* ضم مصر والشام التي كانت تابعة إلى دولة المماليك بعد معركة مرج دابق ومعركة الريدانية شمال القاهرة.

* تنازل الخليفة العباسي عن لقب الخلافة الإسلامية للعثمانيين 1517م وهكذا أصبحت

تمثل العالم الإسلامي. كانت نهايتها بموجب معاهدة لوزان 24 جويلية 1923م.

3.1.1.3. الدولة الصفوية 1501 – 1785 م :

تنسب إلى مؤسسها إسماعيل الصفوي الذي ينحدر من أسرة إيرانية حاكمة. أبرز شيوخها هو صفى الدين الصفوي. تولى إسماعيل الصفوي (1501-1524 م) منذ سنة 1494 م زعامة التنظيم، حيث واصل سنوات 1499-1501م في توسعه حتى شمل كامل بلاد فارس- إيران. انهزم أمام العثمانيين في موقعة جالديران سنة 1514 م. تميزت الدولتين العثمانية و الصفوية، بالصراعات

العسكرية حيث خاضوا عدة معارك وحروب. أسس الشيخ صفي الدين الأردبيلي (1252-1334م) طريقتة الصوفية في أردبيل و أذربيجان سنة 1300م ،ثم العراق وسائر بلاد الفرس، كانت نهايتها بإعتلاء الشاه نادر الحكم سنة 1737م.

4.1.1.3. الدويلات المغولية :

الدويلات المغولية هي نتاج توحيد قبائل المغول والترك في مايسمى حاليا منغوليا.ظهرت الدويلات المغولية بعد تفكك إمارة تمورلنك الذي حاول تأسيس الإمبراطورية المغولية و من خصائص هذه الدويلات التناحر فيما بينها وعدم استقرار الحدود ومن بينها:

أ. إمارة وسط آسيا والقوقاز: أشهرها نوجاي خان شمال القوقاز (1430-1783م) و التي شملت جزء من بلاد الروس وشرق أوربا حتى بلغاريا.

ب. إمارة شبه القارة الهندية1414-1449م: أشهرها إمارة هضبة الدكن وشملت إقليمي بومباي وحيدر أباد.

5.1.1.3. جنوب شرق آسيا :

هي الأقاليم بين شبه القارة الهندية وجنوب الصين.لقد قامت الدول الإسلامية في جنوب شرق آسيا بداية من القرن 14م والفضل في ذلك يعود إلى التجار والدعاة الذين حملوا الإسلام ومبادئه وعمل على نشره بداية من القرن 9 م، ومن بين الإمارات الإسلامية مملكة اتشيه التي ضمت كل من جاوة سومطرة الملايو وبعد تفكك سلطنة أتشيه نتج عنها قيام عدة ممالك منفصلة منها مملكة جاوة ، مملكة سومطرة ومملكة بورنيو.

6.1.1.3.المغرب الإسلامي :

انتشر الإسلام بسرعة كبيرة في بلاد المغرب العربي،على الرغم من المقاومة العنيفة التي واجهت المشايخ من قبيل البربر.كان المغرب الإسلامي من منتصف القرن 12م إلى غاية القرن 13م تحت حكم الدولة الموحدية (1147- 1269 م) بقيادة زعيمها الروحي المهدي بن تومرت وتلميذ و مؤسسها عبد المؤمن بن علي.وقد شملت هذه الدولة أجزاء كبيرة من شمال غرب إفريقيا و الأندلس ، و بحكم موقعها كانت تشكل قوة اقتصادية وعسكرية.كانت بداية الانهيار في الأندلس في معركة حصن العقاب 1212 م. وبذلك تراجع الدور الذي لعبته هذه الدولة وبدأت الصراعات الداخلية وانقسم الموحدون إلى ثلاث دول:

أ. الدولة الحفصية: المغرب الأدنى، تونس

ب. الدولة الزيانية: بالمغرب الوسط، الجزائر

ت. الدولة المرانية: بالمغرب الأقصى

7.1.1.3. الممالك الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء:

يعود الفضل في قيام الممالك الإسلامية في إفريقيا إلى الديني الإسلامي الذي وصل إلى المنطقة بفضل التجارة أولاً ثم فتوحات المرابطين ثانياً في أواخر القرن الأول للهجرة ومطلع القرن الثامن ميلادي. من أهم الدعاة الذين نشروا الإسلام بين البربر في الصحراء الكبرى والتكرور في السنغال والسوننك في غانة، الشيخ «عبدالله بن ياسين الجزولي» المتوفى عام (451هـ/ 1059م)، والذي قامت على يديه دولة المرابطين - الكبرى قبل ذلك ببضع سنين. وتوسع و انتشر الإسلام خلال القرن الخامس للهجرة والقرن 11م .

2.1.3. العمارة الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط:

1.2.1.3. موقع البحر الأبيض المتوسط:

يقع البحر الأبيض المتوسط جغرافياً في قلب العالم، حيث يمتد من قارة آسيا شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً، وتتوسط مياهه قارتي أوروبا و إفريقيا. وظل البحر الوحيد المزدهر تجارياً وإستراتيجياً منذ القرون الماضية كما ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ أقدم الحضارات الإنسانية، أين تبلورت ملامح الشخصية الحضارية المتوسطية و التي تكوّنت على مر مختلف العصور: كالبابلية، الآشورية، المصرية، الإغريقية، الفارسية، الرومانية و الإسلامية. و تتميز منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط على خلاف المناطق الأخرى بموروث معماري يمثل في مجمله قيمة تراثية تستوجب إبرازها، كما أن الدول الواقعة حوله تتوزع على ثلاث قارات؛ أوروبا، آسيا و أفريقيا، وهي المطلّة على المتوسط بثلاث عشر دولة من قارة أوروبا، وخمس دول من قارتي آسيا، إفريقيا كالاتي:

أ. قارة أوروبا: وتضم كل من: إسبانيا، فرنسا، الجمهورية الإيطالية، مالطة، سلوفينيا، كرواتيا، ألبانيا، الجبل الأسود والمعروفة باسم مونتينيغرو، إمارة موناكو، جبرلتار، اليونان تركيا، جمهورية البوسنة والهرسك.

ب. قارة آسيا: وتضم كل من: جزيرة قبرص، قبرص الشمالية، لبنان، الجمهورية السورية و فلسطين.

ت. قارة افريقيا؛ وتضم كل من مصر، ليبيا، تونس، الجزائر و المغرب. (أنظر خريطة رقم 2 أدناه).

خريطة رقم 2 : خريطة دول البحر الأبيض المتوسط



المصدر : www.marefa.org/ملف:Mediterranean_Relief.jpg

2.3. نماذج عن العمارة التقليدية الاسلامية حول البحر الأبيض المتوسط :

1.2.3. المسجد الأقصى بالقدس-فلسطين:

يحتل المسجد الأقصى مكانة بارزة في تاريخ العالم الاسلامي منذ نشأة الحضارة الاسلامية الى يومنا هذا كما اهتم المسلمون بترميم هذا المعلم الشريف فهو واحد من أهم ثلاثة أثار اسلامية منذ عهد العباسيين. يقع المسجد الأقصى في الجنوب الشرقي للعاصمة الفلسطينية القدس، ويضم داخل أسواره كلاً من قبة الصخرة، والمسجد نفسه، أما المعالم في المسجد الأقصى فهي: الجامع القبلي، المصلى المرواني، مصلى الأقصى القديم، مسجد قبة الصخرة، مسجد البراق، مسجد المغاربة، جامع النساء، واجهة المسجد والشرفة. والمسجد الأقصى المبارك هو أكبر مساجد العالم، فهو أولى وأحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، كما ورد عنه صلي الله عليه وسلم في حديثه: « لا تشد الرحال الا لثلاث مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » . ظل على مدى قرون طويلة مركزاً لتدريس العلوم ومعارف الحضارة الإسلامية، وميداناً للاحتفالات الدينية الكبرى، والمراسيم السلطانية. (أنظر الشكل رقم 10 أدناه).

الشكل رقم 10 : توضيح لأبرز معالم المسجد الأقصى في القدس-فلسطين



المصدر: <https://www.flickr.com/photos/98845556@N06/15809181290>

يُحاط المسجد الأقصى بسور، ويحتضن مئتي معلماً داخل أسواره، يحظى المسجد الأقصى بقدسية كبيرة في نفوس المسلمين، حيث ورد ذكر المسجد الأقصى في حادثة الإسراء و المعراج في سورة الإسراء، قال تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. (الإسراء: الآية 1).

وتعني كلمة الأقصى أنه المسجد الأبعد عن المسجد الحرام من بين المساجد الثلاثة الأقدس في الإسلام.

بُني مسجد قبة الصخرة في عهد عبد الملك بن مروان، ويمتاز بروعة فن العمارة الإسلامية التي تبرز في جدرانه تصميمه، فهو من أعجب المباني و أئقنها و أغربها شكلاً كما يعتبر جزءاً من المسجد الأقصى المبارك؛ إذ يقع داخل أسواره، وتم تشييده في عام ستمائة وخمسة وثمانين ميلادية،

واستمر بناؤه لست سنوات. ويعتبر من أهم المساجد الإسلامية الموجودة في القدس، يصعد إليها بدرج من رخام وتتخذ قبة الصخرة شكلاً ثماني مضلع، له أربعة أبواب، و الدائر بها مفروش بالرخام أيضا ويستند على دعامات ومجموعة من الأعمدة الأسطوانية، وتتوسط الصخرة المشرفة بداخله على شكل دائرة ولها أهمية دينية بالغة حيث جاء ذكرها في الآثار، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرج منها الى السماء، وهي صخرة صماء، حيث اتخذ مسجد قبة الصخرة اسمه من وجود الصخرة المشرفة التي وطأتها أقدام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعروج إلى السماء العليا في رحلة الإسراء و المعراج. (أنظر الصورة رقم 1 & 2 أدناه).

الصورة رقم 1 & 2: قبة السلسلة ومن خلفها مسجد قبة الصخرة & قبة الصخرة من الداخل في القدس-فلسطين



المصدر : www.al-maqdese.org/AR/?page_id=1169

يبلغ ارتفاع قبة الصخرة ما يقارب متراً ونصف عن مستوى أرضية البناء، وتقع فوق الصخرة قبة ذات شكل دائري، يصل طول قطرها إلى عشرين متراً، وهي مطلية بالذهب الخالص، و يصل ارتفاعها إلى خمسة وثلاثين متراً، و في قمة القبة هلال يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار. مسجد قبة الصخرة بناء مكون من مئذنين خارجي و داخلي، فالخارجي مكون من حوائط أما الداخلي مكون من أعمدة و حوامل فوقها صف آخر يعلوه طمبور أو طبلية تحمل القبة وهذه الطبلية تتكون من ستة عشر فتحة بشكل شبابيك. قطر القبة 44,20 م.

للمبنى أربعة أبواب يتقابل كل بابين على محور أفقي و المحوران يتجهان متعامدين الى الجهات الأربع و هناك رواقان بين المئذنين الأول خارجي ضيق و الآخر داخلي عريض نسبياً للطواف حول الصخرة كالطواف حول الكعبة.

2.2.3. جامع سليمان القانوني أو جامع السليمانية في اسطنبول -تركيا:

يُعد مسجد سليمان القانوني أو كما يُعرف باسم جامع السليمانية أكبر المجمعات العمرانية في مدينة إسطنبول بعد مجمع الفاتح. يحتوي على أبنية ملحقة متكونة من: مقبرة ومستشفى وفندق و مطعم للفقراء ودكاكين و حمامات وسوق حول المسجد و ضريح سنان و أربع مدارس: مدرسة طبية، ومدرسة للقائم مقامين، ومدرسة دينية للعلوم الشرعية، ومدرسة ابتدائية.

يقع جامع سليمان القانوني في مدينة اسطنبول ، بناه المهندس المعماري الفنان سنان على تلة مرتفعة مطلة على مضيق البوسفور و القرن الذهبي، و بجوار مبنى قديم بنيت مكانه اليوم جامعة إسطنبول في منطقة بايزيد.

يتميز جامع سليمان القانوني بالقبّة المركزية الضخمة التي تعلو بناءً مُربع يميل إلى الاستطالة، و بأربع مآذن. و تتميز الواجهة بالاعتماد على البلاط المصقول بزخارف نباتية ملوّنة تُشير لأشهر نباتات وزهور العصر كالجوري، السرو و القرنفل. (أنظر الصورة رقم 3 & 4 أدناه).

الصورة رقم 3 & 4 : منظر علوي لجامع السليمانية & واجهة لجامع السليمانية في اسطنبول-تركيا



المصدر: www.turkpress.co/node/35273

فعمل بدقة في هذا المسجد، وفي أثناء بنائه له قام سنان بوضع ، مكعبات مفرغة من الداخل حول محيط القبّة و بنقاط مختلفة من الجامع في الداخل ، بحيث يعكس صدى الأصوات بداخله ، و لقياس صوت الإمام و وصوله لجميع من في المسجد من خلال اختبار الاستماع لصوت الأرجيلة المليئة بالماء.

كما جاء سنان بالخطاط الشهير، حسن جلبي تلميذ الخطاط المشهور أحمد كاراحصار، ليزيّن الجامع ودونما بزخ، بآيات قرآنية وبأحرف كبيرة، حيث يكمن السر المعماري البارز، في كل نواحي مسجد السليمانية في وجود لفظ الجلالة "الله" في كل مكان. (أنظر الصورة رقم 5 أدناه).

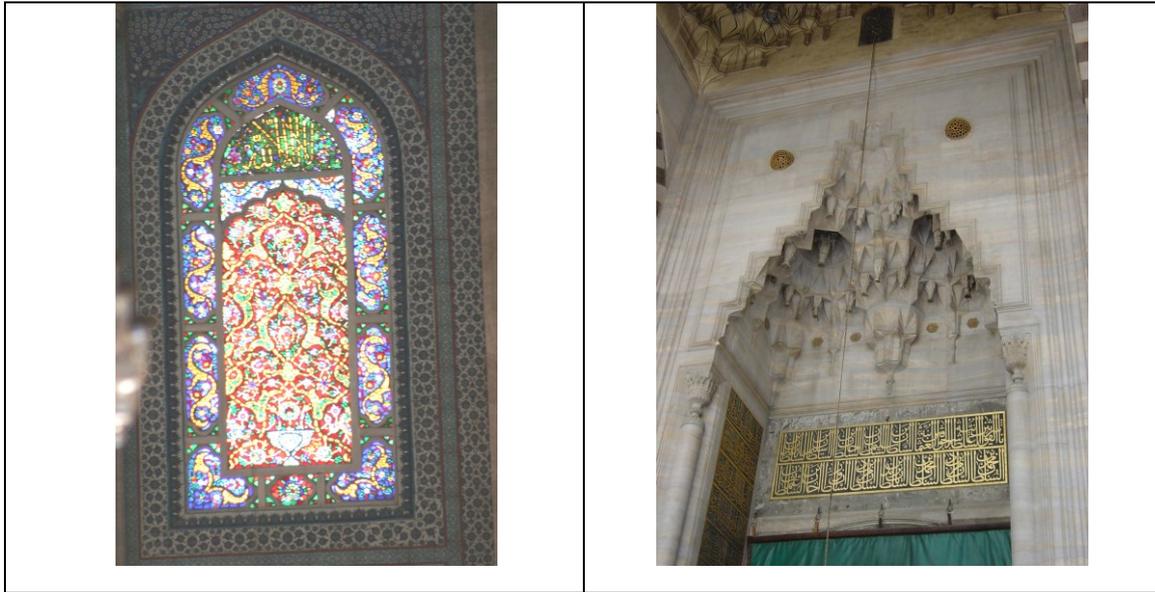
الصورة رقم 5: تفاصيل الزخرفة الكتابية على الخزف في جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا



المصدر: مسجد_السليمانية/www.marefa.org

فضلاً عن تزيين جدران الجامع من الداخل، ببلاط إزنيك المزخرف، وزجاج مزين بزخارف تمت بواسطة الحرفي المشهور صار هوش إبراهيم.(أنظر الصورة رقم 6 & 7 أدناه).

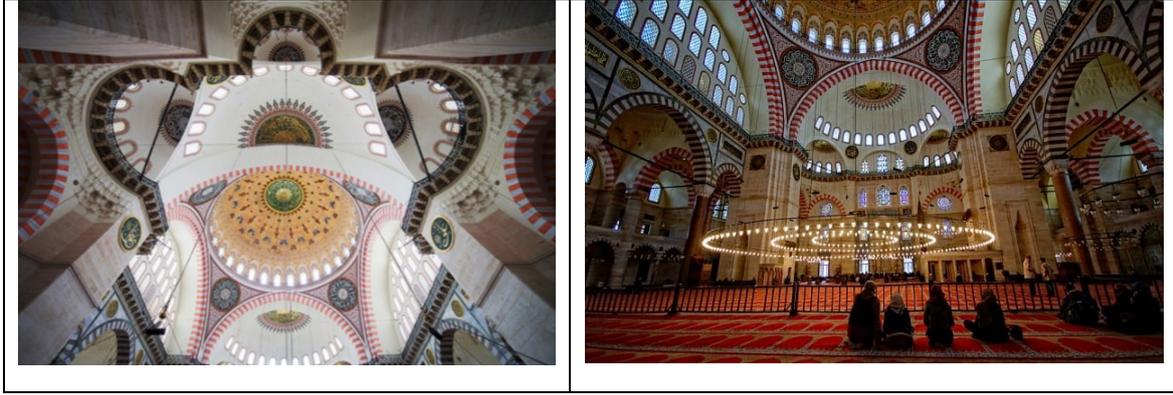
الصورة رقم 6 & 7: تفاصيل للزخرفة الكتابية & الزجاج الملون لنافذة في جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا



المصدر: مسجد_السليمانية/www.marefa.org

يأخذ بيت الصلاة الشكل المستطيل القريب إلى المربع، حيث يبلغ طوله 69 م وعرضه 63 م. أما قبة الجامع الكبيرة، فهي محمولة على أربعة أعمدة متركزة قرب الجدران، طول كل قطر فيها 7.5 م، وذات قطر 26.5 م وارتفاع 53 م، وتدعم نصف قبتين آخريتين، كما تحتوي على 32 نافذة. وهي تنضم إلى أكثر من مئة نافذة أخرى موزعة على جدران ونواحيه لتؤمن للمسجد اضاءة جيدة وانعكاسات للألوان من خلال زجاج النوافذ الملون.(أنظر الصورة رقم 8 & 9 أدناه).

الصورة رقم 8 & 9: منظر داخلي لبيت الصلاة & الزخارف على سقف جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا



المصدر: جامع-السليمانية-في-إسطنبول/519/turkeymoon.com

يَتَّسع جامع سليمان القانوني لخمسة آلاف مصلي تقريباً ويحتوي على ضريح السلطان سليمان وعائلته. وعند الدخول إلى ساحة مسجد سليمان القانوني يلاحظ في أعلى المدخل نقوش تحكي تاريخ تأسيس المسجد ويمكن رؤية دعامتين كبيرتين تكوّنان الباب الأمامي بواجهته الرخامية. ولساحة المسجد شكل مستطيل أيضاً وتغطي أرضية الساحة بألواح المرمر تتوسطها نافورة الوضوء، تزينه قضبان برونزية، ويحيط بالساحة ممرات جانبية من جهاتها الثلاث، تعلو هذه الممرات 28 قبة، ترتكز على 24 عموداً، وهي مرتبطة بأقواس صغيرة للمسجد أربعة مآذن ترتفع على أركان الساحة الداخلية. و توجد مآذنة في كل زاوية من زوايا المسجد الأربعة وتحتوي اثنان منها على ثلاث شرفات بطول 76 م ولهما شرفتان بطول 56 م. كما أن أعمدتها التي أتى كل منها من مكان، واحد من معبد البقاع في وادي البقاع في لبنان، و واحد من مدينة الإسكندرية في مصر ومن قصر طوب كابي وحي الوفاء بإسطنبول. (أنظر الصورة رقم 10 & 11 أدناه).

الصورة رقم 10 & 11: مئذنة و قباب جامع السليمانية & صحن جامع السليمانية في اسطنبول-تركيا



المصدر: مسجد_السليمانية/marefa.org

يمتاز الجامع ببساطة زخارفه ونقوشه على عكس المساجد العثمانية الأخرى، فقد استخدم البلاط التركي المصقول مع تصاميم تتألف من سبعة ألوان و زخارف نباتية متنوعة. كما استخدمت المقرنصات لاحداث التجانس في السياق المعماري مع الأشكال الزخرفية المبررة لتكسيبها جمالية و رمزية. فاستخدمت في الزوايا الأربع التي تقع تحت القباب في البناءات المربعة الشكل، و في المعالجات الزخرفية الداخلية لبعض القباب و في تيجان الأعمدة. (أنظر الصورة رقم 12 & 13 أدناه).

الصورة رقم 12 & 13: المقرنصات في تاج العمود & بين الأقواس في جامع السلمانية في اسطنبول-تركيا



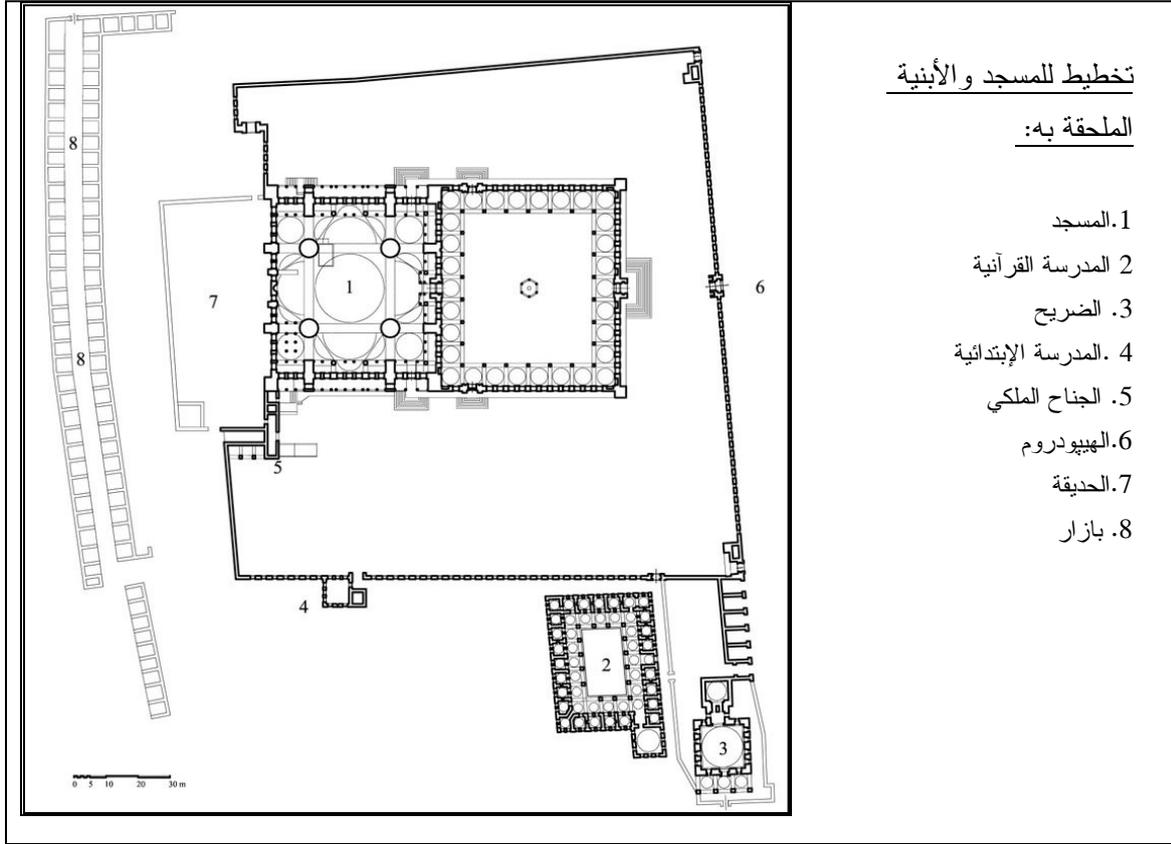
المصدر: مسجد_السلمانية/www.marefa.org

تتضمن عمارة المسجد بعض العناصر المعمارية المسيحية البيزنطية المأخوذة من جامع آيا صوفيا المقابل له مع العمارة الإسلامية التقليدية، وهو يعتبر آخر المساجد العظيمة في فترة العمارة العثمانية التقليدية - الكلاسيكية.

3.2.3. جامع السلطان أحمد أو الجامع الأزرق في اسطنبول - تركيا :

ويعد جامع السلطان أحمد من أهم مساجد اسطنبول ، فقد مزج بين فن العمارة الإسلامية و بين الهندسة البيزنطية في تحفة فنية واحدة. وبنى جامع السلطان بين عامي 1609-1616 م بأمر من السلطان أحمد. مهندسه محمد آغا أشهر المعماريين الأتراك بعد سنان باشا وداود آغا. و للجامع سور مرتفع يحيط به من جهاته الثلاث و في السور خمسة أبواب، اثنان منها يؤديان الى القبلة مباشرة وثلاثة أبواب تؤدي الى صحن الجامع الواسع. و فناء المسجد يبلغ في مساحته مساحة المسجد نفسه من الداخل وهو محاط برواق معمد متصل تعلوه مجموعة من القباب الصغيرة، و يوجد على جانبيه مكان للوضوء. يضم الجامع مرافق عديدة، منها مقبرة للسلطان أحمد، مدرسة للتعليم الديني ومستشفى للعجزة، والمعاقين. (أنظر الشكل رقم 11 أدناه).

الشكل رقم 11 : تخطيط لجامع السلطان أحمد والأبنية الملحقة به في اسطنبول،تركيا



المصدر :/جامع السلطان أحمد www.marefa.org #/media/ File:Plan_of_Sultan_Ahmed_Mosque.jpg

الواجهة الأمامية لفناء المسجد بُنيت على نفس نمط واجهة مسجد السلمانية، باستثناء إضافة المئذنتين في زاوية القباب. للمسجد خمس قباب كبيرة رئيسية، ست مآذن، وثمان قباب صغيرة. وتنتير قاعته الرئيسية الواسعة والمزينة بعشرين ألف بالطة إزنيقية، مئتين وستين نافذة. وجاء التصميم ليعكس مئتا عام من الخبرة العثمانية في بناء المساجد. (أنظر الصورة رقم 14 & 15 أدناه).

الصورة رقم 14 & 15 : منظر داخلي & خارجي لجامع السلطان أحمد في اسطنبول-تركيا



المصدر :جامع السلطان أحمد www.marefa.org/index.php?title=

يتكون الصحن من فناء كبير، ويتوسط الصحن مiazza سداسية محمولة على ستة أعمدة. (أنظر الصورة رقم 16 أدناه).

الصورة رقم 16 : ساحة جامع السلطان أحمد من الداخل وتظهر فيه النافورة في اسطنبول-تركيا



المصدر : https://www.marefa.org/السلطان_أحمد#/media/File:SultanAhmetMosqueCourtyard.jpg

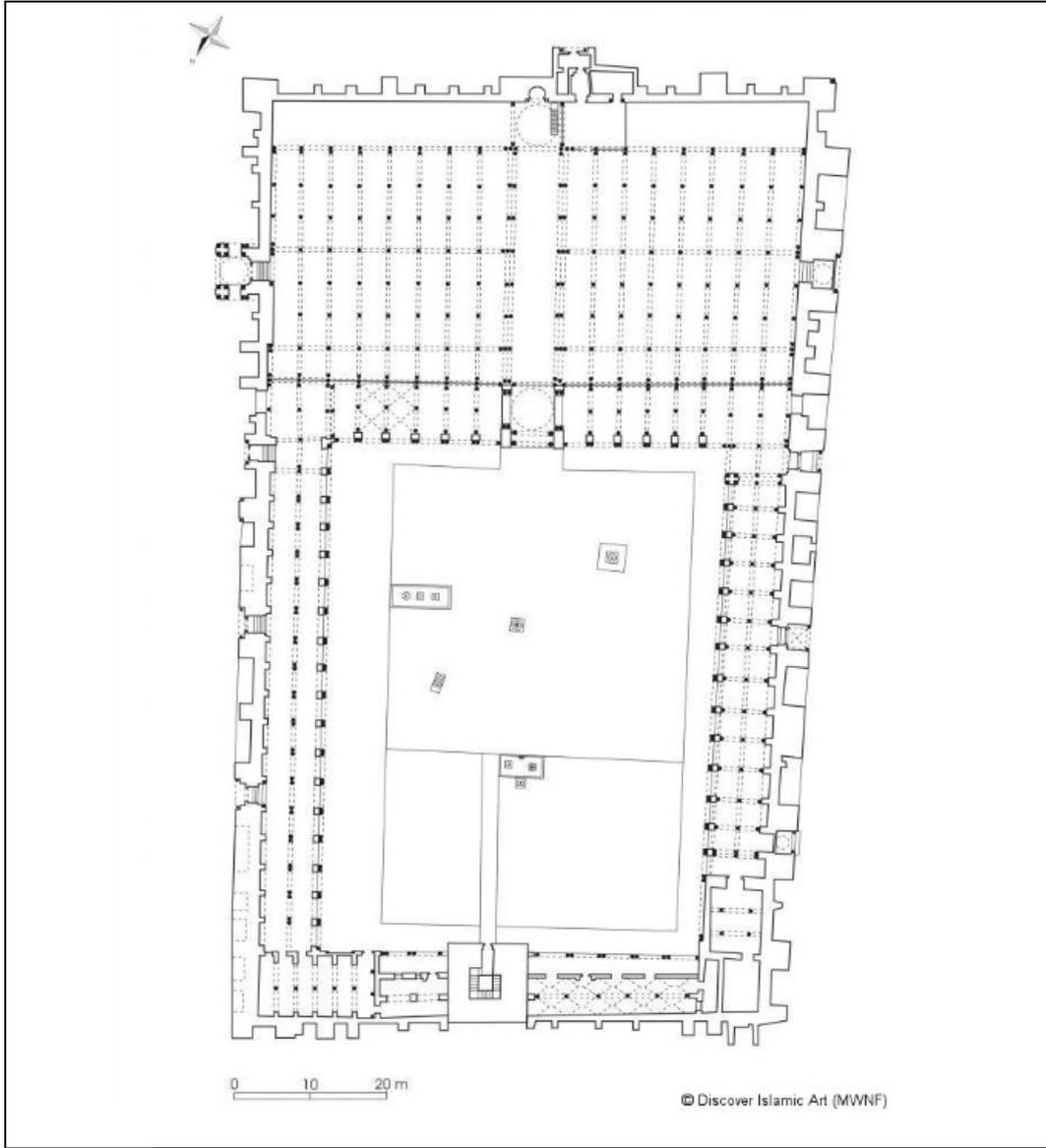
4.2.3. جامع القيروان الكبير في تونس :

كانت القيروان رابع الحضارات التي أسسها المسلمون في البلاد المفتوحة، بعد البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر. فهي مدينة تونسية تقع على بُعد 156 كم من العاصمة تونس، وعلى بُعد 57 كم من مدينة سوسة، وترتفع عن سطح البحر بنحو 60 متراً. قام بإنشاء القيروان عقبة بن نافع رضي الله عنه عام 50 هـ، ولقد لعبت القيروان دوراً أساسياً في تغيير مجرى تاريخ الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط .

يجمع المؤرخون إن جامع القيروان الكبير تمّ بناؤه في العهد الإسلامي، وهو من أقدم مساجد المغرب الإسلامي، والمصدر الأول الذي اقتبست منه العمارة المغاربية والأندلسية عناصرها الزخرفية والمعمارية. بناه عقبة بن نافع عند إنشاء المدينة حيث تأسست بعيداً عن شاطئ البحر المتوسط باتجاه الصحراء وذلك لتكون بعيدة عن الهجمات البحرية للجيش البيزنطي. وكان الجامع أول ما اختط في مدينة القيروان، وجاء تخطيطه على نسق مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

ومثل بقية مساجد الأمصار ذات الصحن المكشوف، والمصلى المستطيل الممتد على طول جدار القبلة، حيث كان في عهده الأول مسجدا متواضعا لحق به الدمار أكثر من مرة فيعاد بناؤه من جديد الى أن اتخذ مظهره النهائي بفضل الأمراء الأغالبة عام 222هـ - 836م. (أنظر الشكل رقم 12 أدناه).

الشكل رقم 12 : مخطط جامع القيروان الكبير في تونس.



المصدر: www.discoverislamicart.org/database_item.php?id=monument;isl;tn;mon01;2;ar

ولقد سارت التوسعات في العصور المختلفة حتى أصبحت تبلغ مساحته الاجمالية ما يناهز 9700 متر مربع ، بطول يقارب 126 متر و 77 متر عرضا .وببيت الصلاة فيه واسع ومساحته كبيرة يستند إلى مآت الأعمدة الرخامية هذا إلى جانب صحن فسيح الأرجاء تحيط به الأروقة. ويحيط

بالصحن 4 ضلالت أكبرها ظللة القبلة ، وبها 10 أروقة ، ويتوسط ظللة القبلة مجاز قاطع عليه قبتان أحدهما فوق المحراب والثانية فوق الصحن. و ساحة الفناء سقّفها مرفوع على أعمدة ذات طرازٍ روماني وبيزنطي.(أنظر الصورة رقم 17 أدناه).

الصورة رقم 17 : صحن جامع القيروان الكبير في تونس

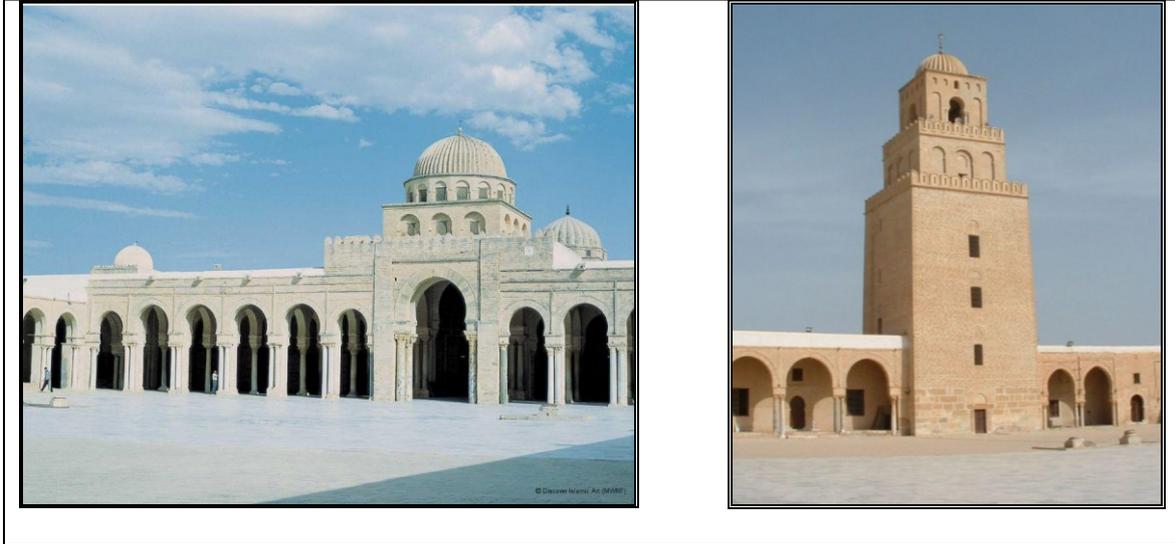


المصدر : www.discoverislamicart.org/database_item.php?id=monument;isl;tn;mon01;2;ar

ندخل الى قاعة الصلاة من أحد الأبواب الاثني عشر المتصلة بالفتحات المقنطرة ، الاثني عشر في البهو الجنوبي -الرقى. وفي هذا المكان بالذات نشاهد أول زخرفة تجريدية ربما هي الأولى من نوعها في بداية الفن الإسلامي مع وجود القبة التي تتقدم على المحراب عادة عند تقاطع المجاز القاطع و الجناح المحاذي لجدار القبلة. أما المئذنة فهي تعد من أقدم المآذن في العالم الإسلامي وهي تتكون من ثلاث طبقات، كلها مربعة الشكل، والطبقة الثانية أصغر من الأولى، والثالثة أصغر من الثانية، وفوق الطبقات الثلاث قبة مفصصة، ويصل ارتفاع المئذنة إلى 31.5 م ،حيث أصبحت أغلب مآذن المغرب الحديثة على شاكلتها مثل مئذنة مسجد صفاقس، والرباط، والقرويين، وتلمسان، وغيرها. و لجامع القيروان ستّ قباب وهي كالتالي:

- قبة المحراب: وهي من أقدم القباب التي تم بناؤها في المغرب الإسلامي.
- قبتان في أعلى مدخل بيت الصلاة من جهة الشرق وجهة الغرب.
- قبة في أعلى المجنبة الغربية للجامع.

- قبة باب البهو: وتوجد على مدخل البلاط المتوسط من جهة الصحن؛ حيث تمت زخرفتها بشكل كبير وباهتمام واضح، وأعطت التوازن ما بين الصحن وبيت الصلاة، وبعد ذلك أصبح في المغرب الإسلامي بناء القبتين في بيت الصلاة قاعدةً عند بناء أي مسجد في الدولة.
 - قبة توجد في أعلى المئذنة. (أنظر الصورة رقم 18 & 19 أدناه).
- الصورة رقم 18 & 19 : مئذنة و قباب جامع القيروان الكبير في تونس.



المصدر : www.discoverislamicart.org/database_item.php?id=monument;isl;tn;mon01;2;ar

يحتوي بيت الصلاة على أعمدة و تيجان رومانية و بيزنطية. و تكسو المحراب زخارف منقوشة على ألواح رخامية يوجد فيها فراغات تسمح بدخول الضوء. و قد صنعت نصف القبة الدائرية بأعلاه من ألواح متراوحة من أفخر خشب الساج. (أنظر الصورة رقم 20 & 21)

الصورة رقم 20 & 21: بيت الصلاة & محراب جامع القيروان الكبير في تونس



المصدر : www.discoverislamicart.org/database_item.php?id=monument;isl;tn;mon01;2;ar

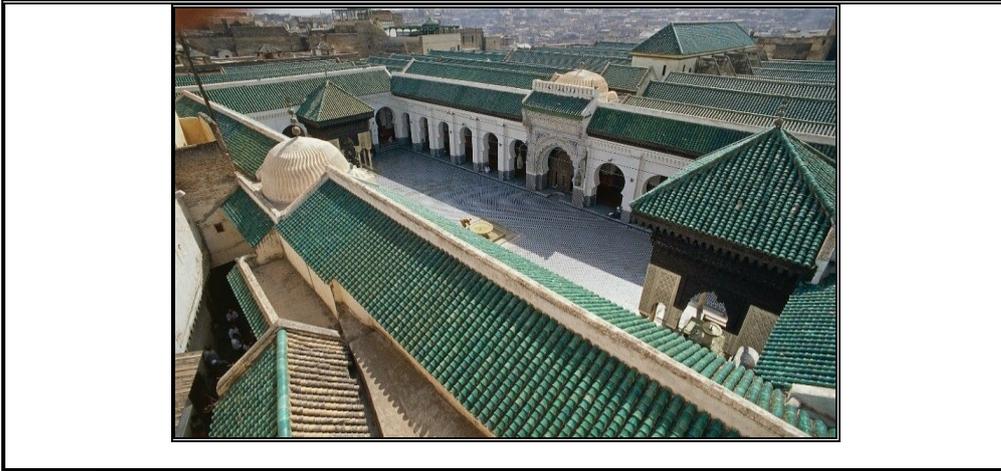
و المنبر يعتبر تحفة فنية و هو مصنوع من خشب الساج المنقوش ويعتبر أقدم منبر في العالم الإسلامي ، ما زال محتفظا به في مكانه الأصلي ويعود إلى القرن الثالث للهجرة - التاسع ميلادي. كذلك مقصورة المسجد النفيسة التي تعود إلى القرن الخامس هجري أي الحادي عشر ميلادي وهي أيضا أقدم مقصورة ما زالت محتفظة بعناصرها الزخرفية الأصلية.

5.2.3. جامع وجامعة القرويين في فاس بالمغرب:

1.5.2.3. جامع القرويين:

يعتبر جامع القرويين من أهم الجوامع التي تقع في المغرب العربي، وبالتحديد في مدينة فاس، بني عام 245هـ/ 859 م. كما تجمع الدراسات التاريخية على أن مسجد القرويين بنته فاطمة الفهرية في عهد دولة الأدارسة في رمضان من سنة 245 هجرية أي 30 يونيو (حزيران) 859م، حيث وهبت كل ما ورثته لبناء الجامع. (أنظر الصورة رقم 22 أدناه).

الصورة رقم 22 : منظر علوي في جامع القرويين بفاس -المغرب



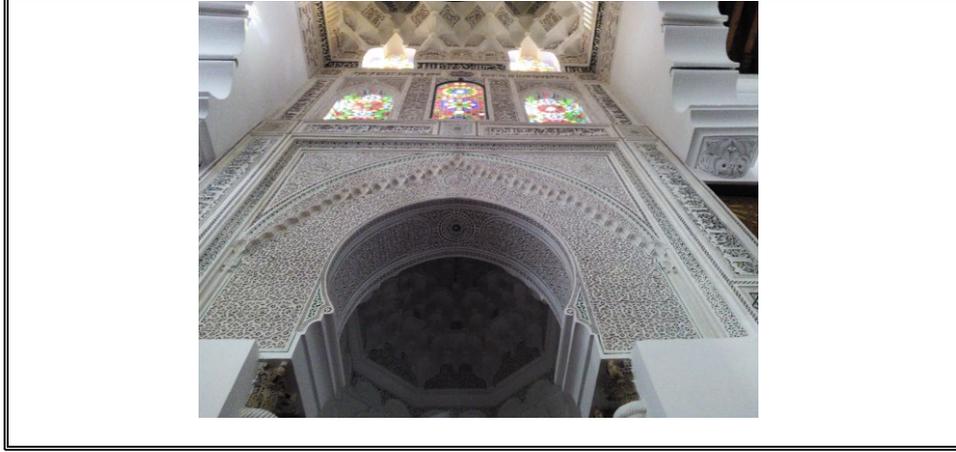
المصدر: / جامع-القرويين-في-المغرب-المسجد-الذي-صا/2018/05/23/https://meemmagazine.net

كان أهل المدينة وحكامها يقومون بتوسعة المسجد وترميمه والقيام بشؤونه ، حيث أضاف الأمراء الزناتيون بمساعدة من أمويي الأندلس حوالي 3 آلاف متر مربع إلى المسجد. وقام بعدهم المرابطون بإجراء إضافات على المسجد ، فغيروا من شكل المسجد الذي كان يتسم بالبساطة في عمارته وزخرفته وبنائه إلا أنهم حافظوا على ملامحه العامة.

ويتميز الجامع ببساطته الموازية لحائط القبلة ، كجامع الأندلس و شكلها مستلهم من جوامع الشرق كجامع الأمويين بدمشق. حظي هذا الجامع باهتمام كبير من سكان المدينة والحكام لتوسيعه وترميمه

والاهتمام بكل ما يتعلق به، و باهتمام المعماريين في فن صناعة القباب و الأقواس و النقش عليها في العديد من الآيات القرآنية و الأدعية. (أنظر الصورة رقم 23 أدناه).

الصورة رقم 23 : تفاصيل زخرفية في أعلى واجهة محراب جامع القرويين بفاس-المغرب



المصدر: تصوير الباحث، 2017

تميّز جامع القرويين بوجود صومعة واسعة ذات شكل مربع و تنتهي بشرفات، وهي لا تزال موجودة وقائمة لهذه الأيام. وتعدّ من التوسّعات التي قام بها الزناتيين الذين يتبعون لعبد الرحمن الناصر، و تعد هذه الصومعة أقدم منارة مربعة موجودة في بلاد الغرب الإسلامي. و طراز الجامع المعماري بشكل عام هو الطراز المعماري الأندلسي وتم تصميم صحن مسجد القرويين بنفس الطريقة التي صمم بها صحن الأسود في قصر الحمراء بالأندلس. كما يمكن الدخول الى مسجد القرويين و ملحقاته عبر سبعة عشر بابا، و له جناحان يلتقيان في طرفي الصحن الذي يتوسط المسجد و كل جناح يحتوي على مكان للوضوء من المرمر. (أنظر الصورة رقم 24 أدناه).

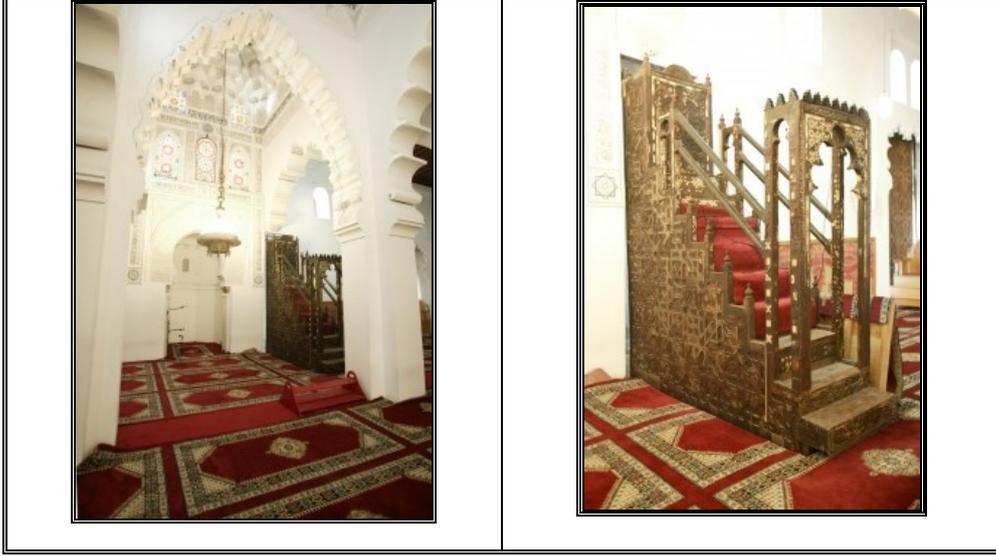
الصورة رقم 24 : صومعة مربعة تنتهي بشرفات تقع في محور ساحة جامع القرويين بفاس -المغرب



المصدر : / جامع-القرويين-في-المغرب-المسجد-الذي-صا/2018/05/23/ <https://meemmagazine.net/2018/05/23/>

و يتميز الجامع بالمحراب ذي الحجم الكبير والواسع. ومن أهم الآثار التي تركتها المرابطون المنبر الذي لا يزال موجودا لهذه الأيام. (أنظر الصورة رقم 25 & 26 أدناه).

الصورة رقم 25 & 26 : منبر و محراب جامع القرويين بفاس-المغرب.



المصدر: https://www.qantara-med.org/public/show_document.php?do_id=309

بعد الانتهاء من بناء وتجهيز جامع القرويين، سارع العلماء لإنشاء العديد من الحلقات الخاصة بطلبة العلم، مما أدى إلى اعتبار مدينة فاس من المدن الثقافية والعلمية المهمة على مستوى المغرب العربي.

2.5.2.3. جامعة القرويين :

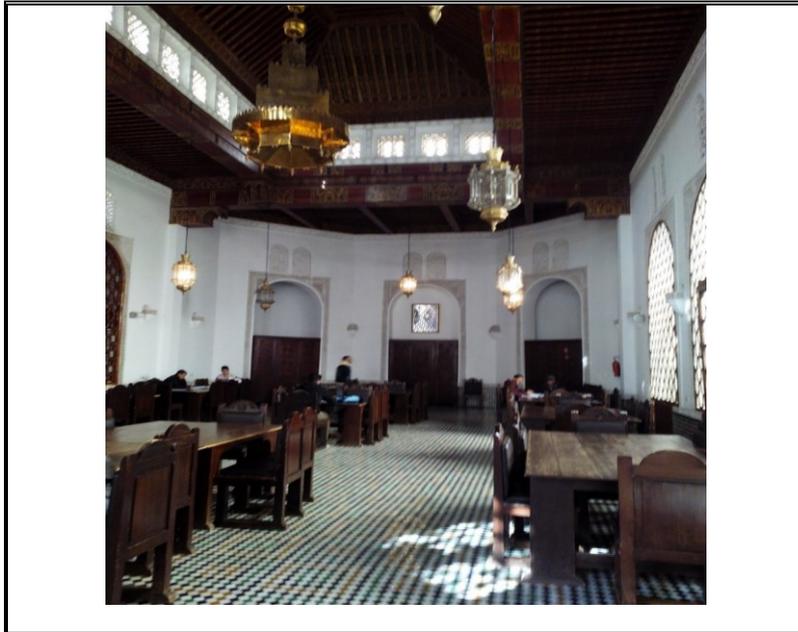
نشأت الجامعة في العالم الإسلامي في القرون الوسطى كمؤسسة دينية والمسماة بالمدرسة. و أجمع معظم المؤرخين على أن جامعة القرويين بنيت كمؤسسة تعليمية لجامع القرويين والذي قامت ببنائه السيدة فاطمة بنت محمد الفهري عام 245هـ / 859م، بمدينة فاس بالمغرب، وهي تعتبر أقدم جامعة في العالم. كما يؤكد ذلك الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني¹، رحمه الله، في

¹ الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني- ولد في الثاني عشر من ربيع الأول عام 1332/1914 بالمدينة المنورة -توفي بالرباط يوم الثلاثاء الثامن من صفر الخير لعام 1419 الموافق 2-6-1999، وبعد تمكنه من فقه المالكية؛ اتجه إلى فقه الظاهرية مطالعة وبحثا ونقدا، ودرس محلي ابن حزم في مدة من اثنتي عشر عاما. واستمر في حياته العلمية والثقافية؛ فأسس عدة مدارس بفاس وسلا وطنجة، وشغل مديرا لبعضها. ترك مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون منها: "معجم فقه الظاهرية" في مجلدين باسم موسوعة الفقه الإسلامي، ثم ألف: "معجم فقه السلف: وفاس عاصمة الأدارسة."

كتابه: "فاس: عاصمة الأدارسة" أن جامعة القرويين تعد أقدم جامعة في العالم، وقد سبقت الزيتونة بتونس والأزهر بمصر، كما أنها تعد أقدم من جامعات أوروبا بمائتي عام إلا تسع سنين. فكانت أولها جامعة القرويين في عام 859م. وكذلك جامعة الأزهر في مصر التي أنشئت في عام 972م، والنظامية في إيران في عام 1065م هما الجامعتان الإسلاميتان الأخريان في حوض المتوسط، حيث أدت المدرسة دورا رئيسيا في تطور العلوم و الفن و الفلسفة. و حسب أغلب النصوص التاريخية المتوفرة ، فإن جامع القرويين دخل مرحلة الجامعة الحقيقية في العصر المريني ، حيث بنيت العديد من المدارس حوله وعزز الجامع بالكراسي العلمية والخزانات.و تعد خزانة القرويين، من بين إحدى أعرق المكتبات في المغرب وحول العالم ،حيث يرجع تاريخ إنشائها إلى منتصف القرن الثامن الهجري، تأسست سنة 750 هـ /1349م، على يد السلطان أبي عنان المريني و قد زودها برصيد من الكتب والمؤلفات القيمة والنادرة.و أضاف إليها السعديون خلال القرن الـ16 الميلادي كتبا كثيرة نقلوها من الخزانة المرينية بالمدينة نفسها و أغنوها بمخطوطات و وثائق فريدة فتجاوزت محتوياتها 32 ألف مجلد سنة 1613م.

تعد مكتبة القرويين معلم مزخرف بفنون العمارة الإسلامية، زينت قبة قاعته الرئيسة بزخارف من الجبس والخشب المنقوش، فيما تم بناء بلاط أرضية المبنى بالزليج التقليدي، وتزيين الأبواب الخشبية بالنقش والزخرفة. (أنظر الصورة رقم 27 أدناه).

الصورة رقم 27: مكتبة جامعة القرويين بفاس-المغرب



المصدر: تصوير الباحث، 2017،

وحسب عبد الهادي التازي² في كتابه تاريخ جامعة القرويين فإن مركب القرويين الذي يضم مرافق أخرى مثل المسجد والمكتبة يتوفر على شبكة مائية فريدة من نوعها والوحيدة في العالم، كانت تمنح رواد الجامعة 5 مصادر للماء متنوعة وموزعة على مساحة المركب لسد الحاجيات اليومية، وتزويد مختلف مرافق طيلة فصول السنة. كما تتوفر جامعة القرويين على أقدم وأنفس الكتب في التاريخ الإسلامي، حيث توجد بالمكتبة كتب ومخطوطات نادرة لأشهر العلماء مثل ابن خلدون، كما تحتوي على نسخة من القرآن الكريم تعود إلى القرن الـ 9 ميلادي، كتبت بالطريقة الكوفية على مخطوطات صنعت من جلد الجمل.

6.2.3. العمارة الإسلامية في الأندلس-إسبانيا:

تطلق تسمية الأندلس Andaloucia اليوم على المنطقة الواقعة جنوبي إسبانية، وتضم محافظات: ألمرية، قádiz، قرطبة، غرناطة، خلوة وجيان. والمعروف أن شعوباً كثيرة سكنت إسبانية عامة وأسهمت كلها في تطوير الفنون فيها لكن التأثير العربي الإسلامي في شبه جزيرة إيبيرية وخاصة في أقسامها الجنوبية والجنوبية الغربية يظل أكثرها أهمية وديمومة لكثرة المشيدات التي بقيت فيها شاهداً على النهضة الفكرية والفنية التي عرفتها الخلافة الأموية والإمارات العربية المختلفة في الأندلس من القرن الثاني حتى التاسع الهجري من الثامن حتى الخامس عشر الميلاديين، ولامتداد التأثيرات الفنية العربية إلى بقية مناطق إسبانية التي ظلت في يد الإسبان أو استردوها حتى زوال حكم العرب منها.

عندما يعن للمرء الحديث عن أنواع وطرز العمارة في أصقاع المعمورة، يتبادر لذهنه على وجه السرعة صور عديدة لروائع عمارة المسلمين في الأندلس التي لبثوا فيها زهاء ثمانية قرون يشيدون فيها الصروح المعمارية، التي لا تزال من أكبر الشواهد على عظمة حضارتهم في قارة أوروبا. فعندما وصل المسلمون إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، كانت تحفل بكثير من آثار العمارة التي تعود لحضارات مختلفة كالأيبيرية والرومانية، بعض هذه الآثار ذات وظيفة دينية كالمعابد،

² عبد الهادي التازي (مواليد 15 يونيو 1921، تازة - توفي 2 أبريل 2015، الرباط)، حصل على دكتوراه الدولة من جامعة الإسكندرية، سياسي و كاتب و مؤرخ مغربي، عضو بأكاديمية المملكة المغربية وعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. له نشاط كثير في التأليف والكتابة. و من بين كتبه جامع القرويين "المسجد والجامعة".

وبعضها ذات وظيفة دفاعية كالقلاع والحصون، ومنها ذات الوظيفة المدنية كالقصور والمسارح والقناطر ونحوها.

ولقد صبغ المسلمون مدنهم المفتوحة بطابع إسلامي مميز، وذلك بإقامة المساجد التي تعد نواة لعمارة المدن وتمدها، حيث أن المسجد يصبح بمرور الزمن مركز المدن والحوضر و قلبها النابض فمنه تتفرع الطرق الكبيرة المؤدية إلى أبواب المدينة، ثم تتفرع منها الشوارع والأزقة الموصلة للأحياء. وحول ساحة المسجد تقام الأسواق والحمامات والفنادق والقيساريات. و بداخل المسجد تعقد الاجتماعات السياسية، وتوزع ألوية الجيش، و تدرس العلوم الدينية والعلوم العامة. وهكذا نجد أن للجامع أثراً إيجابياً على حياة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولقد كانت هذه الظاهرة تتبع في كثير من المدن التي يفتحها أو يختطها المسلمون في شتى أصقاع المعمورة. فهذا هو حال دمشق والاسكندرية وقرطبة وأشبيلية وطلنطة وغيرها. ولقد كانت بلاد الأندلس بآثارها المختلفة، العلمية والعمرانية والفنية، مركز إشعاع مستديم للحضارة الإسلامية منذ أن توطدت جذور الحكم الإسلامي فيها، ولا سيما في عهد عبد الرحمن الداخل ذلك الأمير الذي كرس حياته لبناء الدولة الإسلامية في الأندلس. فبعده بدأ فن العمارة ينلمس طريقه في الأبنية الدينية والمدنية. وما زالت في الأندلس إلى يومنا الحالي شواهد حية على صدق تلك الحركة الكبرى في البناء والتشييد. ذلك أن عناصره المعمارية والزخرفية تؤلف البذور الأولى للفن الأندلسي، حتى أخذت زخارفه تشع في المشرق والمغرب، بل أثرت في الزخرفة المسيحية المجاورة.

ولا شك أن عهد الانطلاقة المعمارية هذا يشف عن مثل من أروع أمثلة العمارة الإسلامية بل العالمية في العصر الوسيط. وبعد ذلك العصر أي عصر الإمارة، وذروته - عهد الأمير الداخل- تتابعت العهود على بلاد الأندلس ، وكلها كانت تولي اهتماما بالغا بالفن ومظاهر العمارة المختلفة المدنية والدينية والدفاعية. وما زالت قائمة منذ تلك العهود شواهد معمارية حية تميز بين عهد وآخر، وعلى الرغم من قلة هذه الشواهد المعروفة المتكاملة البناء في عصرنا الحاضر كجامع قرطبة وغرناطة وقصر الحمراء، و منارة أشبيلية و برج الذهب فيها، إلا أن هناك الكثير من الآثار الأندلسية المتناثرة في مدن وقرى إسبانيا. بل لا نبالغ إذا قلنا ان العمارة الإسبانية في معظم بلدان وسط وغرب و جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية هي ذات طابع أندلسي يسهل تمييزه من خلال بعض العناصر المعمارية و الزخرفية ذات الأصل الإسلامي التي قدر لها أن تتطور في إسبانيا.

و العمارة الإسلامية في الأندلس التي كانت مركز الاتصال الدائم بين آسيا وأفريقيا من جهة وبين أوروبا من جهة أخرى. والتي كانت بمثابة الجسر الذي عبرت خلاله تأثيرات الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

1.6.2.3. مسجد قرطبة في الأندلس - إسبانيا :

مسجد قرطبة كان من أكبر المساجد في أوروبا بناه عبد الرحمن الداخل في مدينة قرطبة. وفي 29 حزيران/ يونيو 1236م، (19 شوال من عام 633هـ) تحول المسجد إلى كاتدرائية- تناول العذراء. كان تصميم المسجد في البداية عبارة عن بناية مربعة تتألف من صحن و قاعة مسقوفة للصلاة، حيث شُيد المسجد فوق كنيسة قوطية قديمة. و التي تميزت باستعمال تقنية مضاعفة العقود من أجل إعطاء ارتفاع أكبر للقاعة. و اعتمد في البناء على المواد المسترجعة من بنايات رومانية و قوطية. مما سمح باتقان إعادة صناعتها. و هكذا عرف المسجد العديد من الإضافات و الترميمات منذ بداية بنائه خلال الفترة الأميرية حتى سقوط الخلافة. و يتميز المسجد باضفاء الطابع الأفقي و بالامتداد في مساحة واسعة. (أنظر الصورة رقم 28 أدناه).

الصورة رقم 28 : منظر خارجي لمسجد قرطبة في الأندلس - إسبانيا



المصدر: مسجد قرطبة/ www.marefa.org

يتميز المسجد كذلك بالسقوف المرتكزة على الأعمدة و الأقواس ، حيث تتكون من طبقتين من الأقواس؛ الأقواس السفلية منها على شكل حدوة الفرس، والعلوية تنقص قليلاً عن نصف دائرة. و مسجد قرطبة يتشابه في أسس التصميم مع كل من مسجد الأزهر و مسجد عمرو في القاهرة و

مسجد القيروان في تونس و المسجد الأقصى في القدس. و يمتاز مسجد قرطبة بسقف مسطح و زخرفة فنية مميزة بالألوان و بعدد كبير من الأقواس، و التي كان يبلغ عددها 1293 قوساً. (أنظر الصورة رقم 29 أدناه).

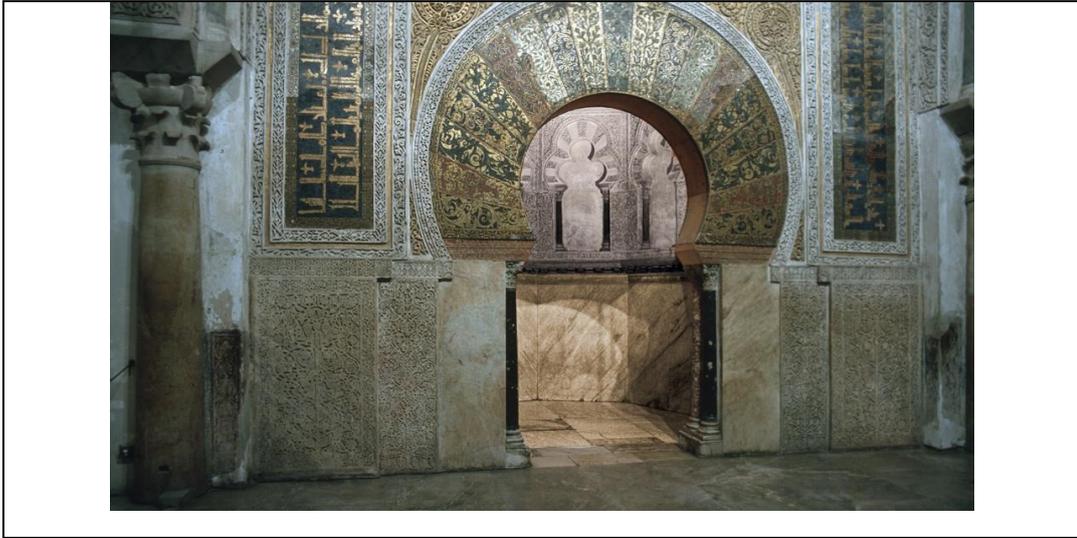
الصورة رقم 29 : منظر داخلي لطبقتين من الأقواس في بيت الصلاة بمسجد قرطبة في الأندلس-اسبانيا



المصدر: مسجد_قرطبة/www.marefa.org

أما المحراب و المقصورة فقد تم بناؤهما حوالي سنة 960هـ ، و لهما طابع مميز بفن الموزاييك المذهب والآيات القرآنية المزخرفة والمنقوشة على جدرانها. و تتميز القبة المتواجدة أمام المحراب بلوحاتها الفسيفسائية. و يبرز جليا الاهتمام الواضح بكل تفاصيل الجانب الفني الزخرفي في مسجد قرطبة. (أنظر الصورة رقم 30 أدناه).

الصورة رقم 30: المحراب بمسجد قرطبة في الأندلس-اسبانيا



المصدر: #/media/مسجد_قرطبة/www.marefa.org

2.6.2.3. قصر الحمراء و مدرسة غرناطة بإسبانيا :

أ. قصر الحمراء:

يقع قصر الحمراء في إسبانيا غرب مدينة غرناطة على قمة تلة السبيكة ، حيث كانت المدينة قويةً ومحصنةً من الداخل والخارج و كان لها حصناً منيعاً يحاط بسبعةٍ وثلاثين برجاً عملاقاً. فقد كان قصر الحمراء حينها عبارة عن حصن، و قصر، و مدينة صغيرة. شيده الملك المسلم العربي أبو عبدالله محمد الأول (محمد بن يوسف بن الأحمر)، بين 1238-1273م. اختلف المؤرخون حول سبب تسمية قصر الحمراء بهذا الاسم، فبعضهم يرى أنه بُني تحت ضوء المشاعل، بحيث كان الغرض من إنشاء هذه القلعة تابع إلى أغراض عسكرية، وبعضهم الآخر يرى أنه مشتق من بني الأحمر وهو بنو نصر الذين حكموا غرناطة بين عامي 629 - 897 هـ/1232 - 1492 م، بينما يرى آخرون أن التسمية تعود إلى التربة الحمراء التي يمتاز بها التلّ الذي تم تشييد القصر عليه، أو إلى لون حجارتها الضارب للحمرة.

يتكون قصر الحمراء من ثلاثة أقسام:

أ. القسم العسكري : يقع شمال شرقي القصر، فهي قلعة تحرس الحمراء ولها برجان عظيمان.

ب. القسم الثاني : القصر الملكي المتواجد في الوسط.

ت. الحمراء العليا التي كانت مخصصة للخدم، وفيه عدة أبراج وأبواب وقاعات وأجنحة. ومن

أهم هذه الأبراج: برج الأسيرة، وبرج الأميرات، وبرج قماريش، و عدة أبواب أهمها باب

الشريعة والذي يصل ارتفاعه إلى خمسة عشر متراً ، و هي بوابة يتجسد فيها النمط

المعماري العربي.

و يتكون القصر من عدة عناصر و فضاءات متنوعة منها بهو الأسود، و هو أشهر أجنحة قصر

الحمراء. قام بإنشاء هذا الجناح السلطان محمد الغني بالله 755هـ/1354م - 793هـ/1391م.

وهو بهو مستطيل الشكل طوله 35م و عرضه 20م تحيط به من الجهات الأربع أروقة ذات عقود،

يحملها 124 عموداً.

تنوسط البهو نافورة للأسود تتكون من اثني عشر أسدا من الرخام، على حوضها المرمري

المستدير، حيث تمثل فورات قصر الحمراء نماذج لتطور ابداعات المسلمين في القرن الرابع

الهجري - العاشر الميلادي. (أنظر الصورة رقم 31 & 32 أدناه).

الصورة 31 & 32 : بهو & رواق باحة الأسود، الفناء الرئيسي بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا



المصدر : <https://www.algardenia.com/jfeashharmataef/11473-2014-07-11-15-21-07.html>

و فناء الريحان الكبير له شكل مستطيل تتوسطه بركة المياه وتظللها أشجار الريحان، كما نقشت في زوايا فناء الريحان الآية القرآنية الآتية، قال تعالى:

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. ﴾ (الأنفال: الآية 10).

و بالإضافة الى عبارات تمجد النصر. (أنظر الصورة رقم 33 & 34 أدناه).

الصورة رقم 33 & 34: حوض الماء & الزليج في فناء الريحان بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا



المصدر : <https://www.alhambradegranada.org/ar/info/galeriadefotosalhambra/patiodelosarrayanes.asp>

و قصر الحمراء يعد من المعالم التاريخية الثرية ، بما تحتويه من نقوش وزخارف دقيقة و متنوعة، تتحلى بها جدران وأبواب ونوافذ القصور بالإضافة الى تيجان الأعمدة. و هي مجموعة كبيرة تتكون من قصور وقاعات وحدائق، تم بناؤها في القرن الرابع عشر الميلادي في عهد ثلاثة من ملوك بني نصر هم: إسماعيل الأول ، يوسف الأول و محمد الخامس.

و القصر مليء بالزخارف الاسلامية و الآيات القرآنية، و يشتهر بجملة « لا غالب الا الله» التي تنتشر على حوائط القصر و أعمدته ،و يُعود هذا الأمر الى دخول القائد العربي أبو عبد الله الى غرناطة، فاستقبله الشعب بهتافات «مرحباً بك أيها المنتصر» و الذي أجابهم بدوره « لا غالب اليوم الا الله». (أنظر الصورة رقم 35 & 36 أدناه).

الصورة 35 & 36 : تفاصيل الفن الزخرفي في تيجان الأعمدة بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا



المصدر: <https://www.alhambra.degranada.org/ar/info/galeriadefotosalhambra/detalles.asp>

وقد سُخرت كل الإمكانيات والمواد المتعددة للفنانين والمهندسين المشرفين على بناء المجموعة من الجص والرخام والخشب والزليج.و تتعدد أنواع الزخارف في قصر الحمراء كالهندسية و الخطية. (أنظر الصور رقم 37 & 38 أدناه).

الصورة رقم 37 & 38: زخارف هندسية و خطية على الزليج بقصر الحمراء في غرناطة -اسبانيا



المصدر: <https://www.alhambra.degranada.org/ar/info/galeriadefotosalhambra/detalles.asp>

و تتعدد تقنيات النقوش الكتابية بقصر الحمراء متبعين في تنفيذها طرقاً متعددة من حفر بارز وحفر غائر أو تلوين، وكان لتوفر مواد البناء والزخرفة أثر بالغ في إنتاج وحدات معمارية وأساليب إنشائية خاصة في تفاصيل الفن الزخرفي للقباب من الداخل. (أنظر الصورة رقم 39 أدناه).

الصورة رقم 39 : صورة داخلية تبين تفاصيل الفن الزخرفي في قبة داخلية بقصر الحمراء بغرناطة -إسبانيا

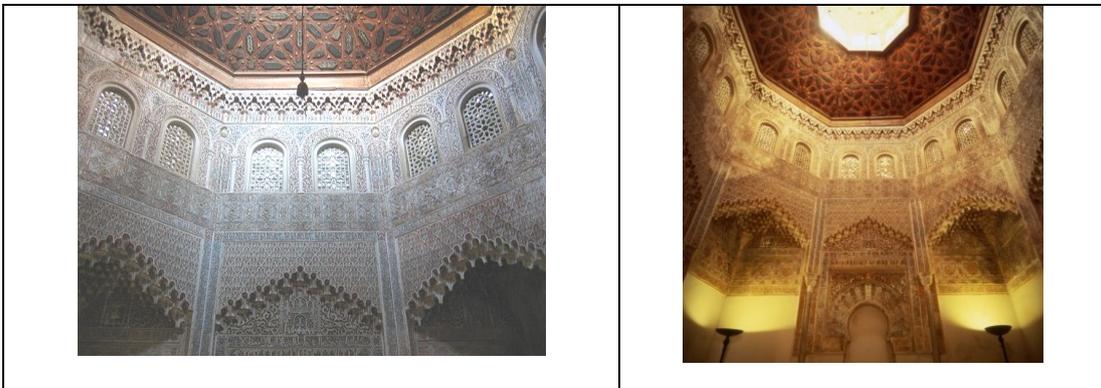


المصدر: www.alhambra.degranada.org/ar/info/galeriadefotosalhambra/detalles.asp

ب. مدرسة غرناطة:

تعتبر مدرسة غرناطة أول جامعة في الأندلس وفي أوروبا ، و قد أنشأت على يد الحاجب رضوان عام 750 هـ / 1349 م ، بناء على أمر السلطان أبي الحجاج يوسف الأول بن نصر . كانت هذه المدرسة أو الجامعة، من مفاخر غرناطة الإسلامية، وكانت تسمى بالمدرسة النصرية و بالمدرسة اليوسفية، وقد قام بالتدريس في هذه المدرسة عدة علماء وفقهاء شهيدين من الأندلس والمغرب والدول الأخرى.و قد كان لمدارس إفريقيا الشمالية تأثير كبير من حيث الطراز المعماري و الفن الزخرفي على المدرسة اليوسفية، حيث تتمتع بنفس الخصائص المعمارية لكل من المدارس المتواجدة في كل من المغرب و الجزائر.لم يبق من البناء القديم للمدرسة اليوسفية سوى الجناح الذي يحتوى على المحراب وقد نزعت لوحات ونقوش عربية كثيرة من المدرسة ونقلت إلى عدة متاحف.(أنظر الصورة رقم 40 & 41 أدناه).

الصورة رقم 40 & 41: صورة داخلية تبين الفن الزخرفي في مدرسة غرناطة -إسبانيا



المصدر: www.andalushistory.com/wp-content/uploads/2015/01/MadrazaGranada.jpg

7.2.3. العمارة التقليدية في الجزائر:

1.7.2.3. مساكن و قصور مدينة الجزائر:

تحتل مدينة الجزائر موقعا إستراتيجيا تاريخيا نظرا لموقعها الجغرافي في بحر الأبيض المتوسط، حيث تأسست على يد الفينيقيين في القرن الثالث قبل الميلاد، و اتخذوها نواة لاقامة المدينة لهم، كما حكمها الرومان وعرفت باسم أيكوزيوم. أما العهد الاسلامي فقد ميزها بطابع خاص. « و أبقى على معالم حضارتها التاريخية. و يبتدئ ذلك بتاريخ تأسيسها الثاني على يد بلكين بن زيري سنة 339هـ/950م³ ». و يبين (عقاب، 2009، 26): « و لم تعرف مدينة الجزائر بعد بنائها من طرف بلكين انقطاعا تاريخيا، كما حدث أثناء العهد الروماني، بل كانت حلقة متصلة مع أحداث المغرب الاسلامي ككل، و ان كانت لم تتخذ عاصمة سياسية الى أن استقر بها العثمانيون سنة 1518م فوسعوها». و المدينة محاطة بأسوار منيعة و مزودة بعدة أبراج للحماية. و القصبة أحد أقدم أحياء مدينة الجزائر تعد تراثا معماريا تاريخيا، بناها العثمانيون، أثناء وجودهم بالجزائر (1517- 1830م)، و تحتوي على مجموعة من القصور الجميلة التي كانت مقرات لحكامها وأمراءها وقادتها البحريين. و تمتاز مساكن مدينة الجزائر المختلفة بأشكالها البسيطة و الفخمة بطابع مشترك و هو التربع في الشكل و التكعيب في الحجم، ولها نفس مواصفات مساكن العمارة العربية الاسلامية مع بعض الاختلافات في بعض الجزئيات من مسكن لآخر وهذا حسب الموقع و المناخ و المساحة التي يشغلها. و بنيت المساكن التقليدية في المدينة بنمط التضام و بالسطوح المستوية بشكل مدرج بالنسبة لاتجاه البحر بسبب ارتفاع المساكن العلوية عن مثيلاتها الواقعة أسفلها، نظرا لبنائها على أحد التلال المطلة على الطرف الغربي لخليج مدينة الجزائر. و أجمع الباحثون و من بينهم محمد الطيب العقاب أن المسكن العربي الاسلامي هو اقتباس للعمارة الشرقية عموما نظرا لتلاؤمه مع الحياة الدينية و الاجتماعية السائدة كما يغلب عليه الاتجاه نحو الداخل لتوفيره الأمن و الخصوصية، و ظل هذا الاقتباس موجودا في العهد الاسلامي في الجزائر و مجسدا في قصور قلعة بني حماد و قصور مدينة أشير و مدينة صدراتة وهي مساقط لا تبعد كثيرا عن تصميم مساكن مدينة الجزائر و قصورها الى غاية أواخر العهد العثماني.

³ عقاب محمد الطيب. (2009). قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني. دار الحكمة. الجزائر. ص. 26.

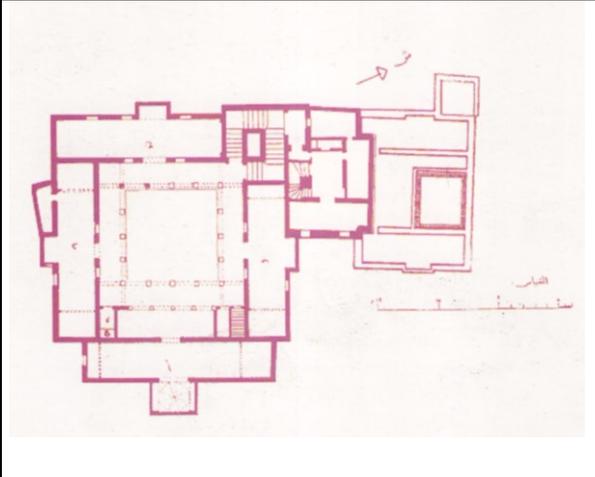
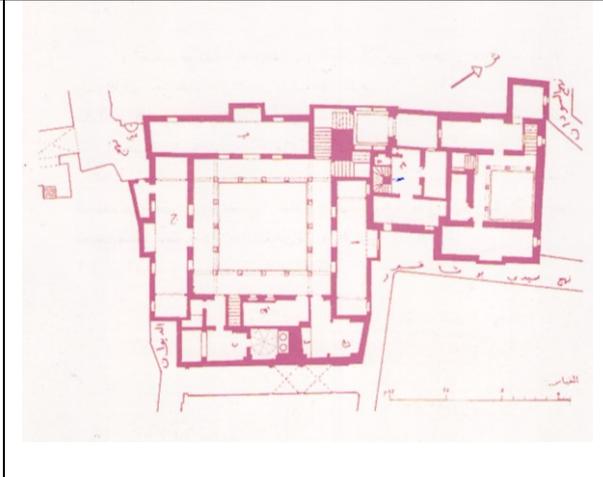
يعتبر الصحن أو وسط الدار عصب الحيوي و المجال المركزي لمسكن مدينة الجزائر. له أدوار عدة منها تعديل الحرارة عن طريق الأروقة و مركز الاتصال ببقية المرافق الأخرى إضافة الى ما تضيفه الأروقة كعنصر تدرجي يخفي كل المرافق المحيطة من طابع جمالي للقصور.

وتمتاز الصحن بانخفاضها بـ 1 سنتمتر الى غاية 3 سنتمترات و تم تبليطها بالرخام ذي الأضلاع المسدسة. تتخذ السقيفة - المدخل المنكسر - مكانا بارزا في المسكن التقليدي لمدينة الجزائر بصفة عامة و قصورها بصفة خاصة لأنها تقوم مقام غرفة الاستقبال وتختلف أهميتها و مساحتها حسب طبيعة المسكن و نجدها بسيطة في المسكن المتواضع.

أما في القصور فنجدها مركبة و تتدرج أنواعها الى غاية الوصول الى بوابة صحن القصر و ذلك لضمان الأمن والخصوصية. بالإضافة الى ربط الجزء المتبقي من السقيفة بملقف لتجديد الهواء و لتزويدها بجزء من الضوء حسب طبيعة الفضاء الذي يتطلبه وهذا ما يتميز به الملقف في الجزائر عن باقي الملاقف الموجودة في الصحراء و المشرق العربي. أما مرافق المساكن تتميز بتواجدها داخل المسكن دون اللجوء الى الخارج و بتمركزها في أطراف المسكن.

و تنتهي المساكن بغرفة كبيرة فوق السطح، كما أن لوظيفة السطح تجميع مياه الأمطار لاستعمالها بأسفل السطح. كما يتميز طابق المستوى الأرضي بكثرة الأبواب و هذا لضمان الخصوصية. (أنظر الشكل رقم 13 & 14 أدناه).

الشكل رقم 13 & 14: مخطط الطابق الأرضي & الطابق الأول لقصر عزيزة بالجزائر العاصمة.

	
مخطط الطابق الأول	مخطط الطابق الأرضي

المصدر : (عقاب، 2009)

و تمتاز أبواب مساكن مدينة الجزائر بنماذج متقاربة تظهر فيها العتبة بارتفاع من 20 سم الى 40 سم لتفادي تسرب مياه الأمطار و باطارات للأعمدة يعلوها قوس نصف دائري و تنوع في زخرفتها.مع وجود عادة فتحة صغيرة علوية للتهوية.(أنظر الصورة رقم 42 أدناه).

الصورة رقم 42: نماذج لأبواب مساكن في القصبة العتيقة بمدينة الجزائر.



المصدر : www.aremnews.com/entertainment/society/497154

تمتاز الغرف باستطالتها و بساطتها فهي تأخذ أضلاع المسكن ،ورغم طولها المبالغ فيه فنجدها تتكون من باب يتوسط نافذتين كبيرتين تطلان على الصحن. كما أن سقفها مزودة بمختلف العناصر النباتية و الهندسية، و درجة كبيرة من ابداع الفنان في الزخرفة بأنواعها والأطباق النجمية و الأقراص زيادة على توريقات زهرة الأفنثة الكلاسيكية. كما تمتاز جدرانها و سقفها بالجانب الفني من الزخرفة الجصية و الهندسية. (أنظر الصورة رقم 43 أدناه).

الصورة رقم 43: تجميعات مختلفة لبلاطات خزفية في قصور القصبة بالجزائر العاصمة.



المصدر : (عيساوي،2011)

و القصور تمتاز باستخدام الرخام و بالأعمدة الرخامية ذات الأنماط المختلفة غير أن تيجانها متنوعة من نمط كورنيثي مشفوع بشعار الدولة الاسلامية الهلالي و أنماط أوروبية خاصة بعصر النهضة. و المميز للواجهات الخارجية لمسكن و قصور مدينة الجزائر أنها تقع في الأزقة الضيقة بعيدة عن مواجهة الشوارع الكبرى ، خاصة المتفرعة عنها الساحات العامة بعيدا عن الضوضاء في الأسواق و المرافق العامة .

وذلك تطبيقا للمبادئ الاسلامية عامة من الحفاظ على المقياس الانساني في البناء،الأمن و الخصوصية و كذلك تجنب كل أنواع الضرر.بالإضافة الى تميزها بتحويل واجهات المساكن عن التيار البحري المحاذي للمدينة، تجنباً للتيار القوي أثناء فصل الشتاء.أما الواجهات الداخلية فتتسم بالوحدة المنظمة من حيث التوازن و التناسب مع الاعتناء بالجانب الفني الزخرفي في الغرف خاصة في القصور.(أنظر الصورة رقم 44 أدناه).

الصورة رقم 44: منظر داخلي في قصر خداج العمية بقصبة مدينة الجزائر



المصدر : www.kobanisat.net/threads/42656/

2.7.2.3. مساكن مدينة غرداية :

عند التحدث على الهندسة المعمارية التقليدية في الجزائر، نشير الى نموذج القصبة في الجزائر العاصمة و الهندسة المعمارية المزابية بغرداية و التي طالما تحدث عنها رافيرو أندري - (Ravereau André). « ما ينتبه اليه الملاحظ في أول اتصال مع الميزاب، هو الوحدة العامة للطابع، ليست هناك حركتين، و التي يتم فيها بناء السد، المسجد و البيت. لا يوجد أي قصر في

الميزاب»⁴(ترجمة شخصية).وما يميز المسكن المزابي هو تأقلمه مع الظروف الطبيعية و المناخية باعتباره يتواجد في مناخ صحراوي.فالنسيج العمراني للقصر كثيف و متراص و ملتف حول الهضبة و انطلاقا من القمة المتواجدة في المركز و التي أنشئ عليها المسجد.و يتجسد تنظيم الوحدات السكنية نزولا الى السفح الى غاية الأسوار، مما يعطي للقصر منظرا شاملا يجسد فيه صفات التلاحم و الوحدة .

أما السوق فيقع خارج المدينة بهدف عدم السماح للأجانب بدخول المدينة.(أنظر الصورة رقم 45 أدناه).

الصورة رقم 45: مباني سكنية متراصة في النسيج العمراني المزابي-غرداية



المصدر : https://www.atmzab.net/index.php?option=com_tags&view=tag&id=41-fan-mi3mari

يخضع المسكن المزابي في تخطيطه و هيكلته لنفس مبادئ تصميم المسكن المنتشر في البحر الأبيض المتوسط عموما و في شمال افريقيا خصوصا.حيث يعتمد على فضاء يتوسطه و يهيكل مختلف الفضاءات حوله.كما يتميز المسكن المزابي بتحديد العلو الذي لا يتجاوز 7 أمتار و نصف و هذا لتفادي كثرة طبقات المسكن و تبعا لمبدأ التوحيد و استفادة السكان بكل المنافع المتوفرة على السواء مع الاستفادة من الضروريات و تفادي الاسراف و التبذير و التناول في البنيان، حيث جاء

⁴ RAVEREAU, A.(2003) . *Le M'Zab, une leçon d'architecture*. Nouvelle édition Actes Sud-Sindbad.Arles. p 29.

Réf « Ce qui frappe l'observateur dans le premier contact avec le M'Zab, c'est l'unité générale de caractère. Il n'y a pas deux gestes, que l'on construise le barrage, la mosquée, la maison. Pas de palais au M'Zab. »

النهى في القرآن و السنة و أقوال العلماء.و يظهر فيه خضوع المعماري المزابي بشكل كامل للتعاليم الإسلامية، قال تعالى:

﴿... وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾. (الفرقان: الآية 67).

يقول ابن كثير في التفسير⁵:

ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم ، بل عدلا خيارا ، وخير الأمور أوسطها ، لا هذا ولا هذا ، (و كان بين ذلك قواما) ، كما قال : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا) . (الإسراء : 29).

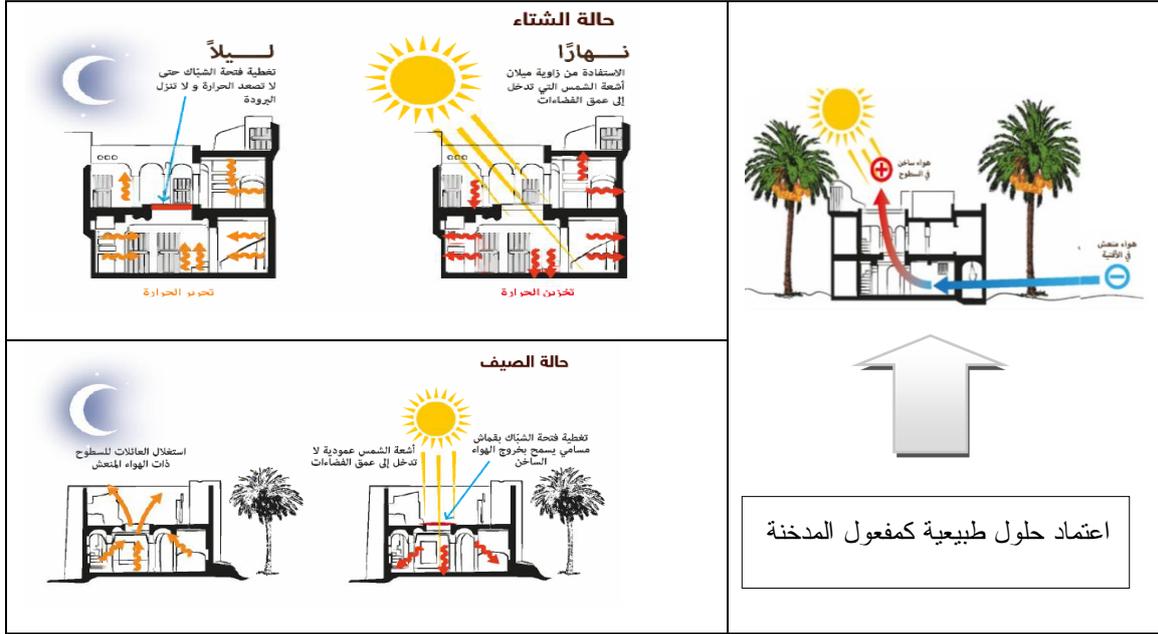
و في قوله تعالى: ﴿...وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾. (الإسراء: الآية 26).

و يتميز المسكن المزابي بعناصر أساسية مشتركة تختلف اختلافا بسيطا في مقاساتها و تتوزع هذه العناصر في الطابقين الأرضي و العلوي و أحيانا طابق تحت الأرض ، بمساحة لا تتجاوز 100 متر مربع .كما له خصوصيات تميزه عن غيره نتاج تفاعله مع محيطه الخارجي، بالإضافة الى كونه يعكس نمط حياته و الفكر السائد في المجتمع. فهو يلتف حول المسجد في المدينة، و يحترم نمط العيش ضمن الجماعات و المذهب الاباضي السائد و المؤسس على مبادئ الاسلام. يعتمد المسكن المزابي على طابقين بدل أن تكون ممتدة على الأرض وذات طابق واحد.و الطابق الأرضي لا يتصل بالفضاء الخارجي عادة الا من خلال المدخل و فتحة الشباك الأفقية التي تتوسط فناء الدار،و تصمم بحيث تكون الطوابق الأرضية و كأنها مبنية تحت الأرض لتوفير العزل الحراري.أما الطابق العلوي فالمساحة المبنية لا تتعدى المساحة الغير مبنية ، و تستعمل كسطح له دور المعدل الحراري في فصل الصيف.

كما يلجأ الى حلول طبيعية كمفعول المدخنة الذي يسمح بايجاد تيارات هوائية محلية لتلطيف الأجواء الداخلية.و يتم ذلك بفضل فرق الضغط بين السطوح الساخنة المتعرضة للشمس أو الأفنية المظلمة فتدخل المسكن تيارات هوائية باردة من الباب الخارجي و تدفع الهواء الساخن عبر فتحة الشباك من السقف و يمكن الحصول على تيارات هوائية محلية منعشة عن طريق مياه السقي أو وضع قربة للماء معلقة في السقيفة. (أنظر الشكل رقم 15 أدناه).

⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura25-aya67.html>

الشكل رقم 15: رسم توضيحي لتقنيات الراحة في المسكن المزايبي-غرداية



المصدر: www.opvm.dz/19_Brochures/163_L_habitation_traditionnelle_%28Arabe%29/a + معالجة الباحث

و يتميز باب المدخل بأنه كبير الحجم نسبيا نظرا لاستعملاته الكثيرة نهارا ، و أمامه العتبة التي ترتفع بـ: 10 سنتيمترات ، لما لها من رمزية الفصل بين الطريق و هو الفضاء العام و المسكن الذي يمثل الفضاء الخاص. و تسمح العتبة بالحماية من تسرب مياه الأمطار ، الهواء البارد في الشتاء و انتشار الأتربة ، بالإضافة الى كونها تعتبر حاجزا مانعا لدخول الزواحف و الحشرات السامة و المنتشرة خاصة في المناطق الصحراوية. للسقيفة دور الفصل بين المسكن و خارجه لحجب الرؤية من الخارج و تكون مراقبة من الداخل في وسط الدار. و للسقيفة دور تهوية المسكن و دور العزل الصوتي بين داخل السكن و خارجه. (أنظر الصورة رقم 46 & 47 أدناه).

الصورة رقم 46 & 47 : نموذج للمدخل و العتبة & خصوصية المدخل المنكسر - السقيفة - مساكن في غرداية.



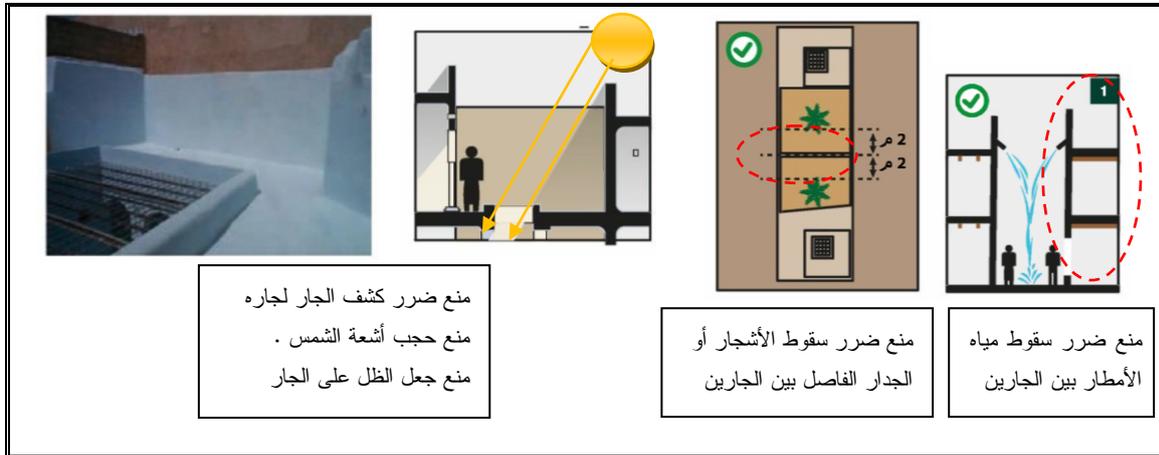
المصدر: www.opvmg.org + www.opvm.dz/19_Brochures/163_L_habitation_traditionnelle_%28Arabe%29/a

إن ما يميز المسكن المزابي هو تمسكه بالمبادئ الحضارية و الاجتماعية بتصاميم بسيطة في أشكالها ذات عدة دلالات، مع اتباع لأحكام البنين (الأعراف :الآية 199) ، تبعا للقرآن و السنة و التوافق على عرف للبنين بين الناس عموما و الجيران خصوصا.و استغلال الفضاء عقلائي و بعيد عن التبذير، فلا توضع مقابيس تزيد عن حاجة ساكنيها.

و يعتمد المسكن المزابي كذلك على النسب و المقابيس في تصميم الفضاءات بحيث يحترم مبدأ دفع الضرر.فتستعمل الميازيب و تدعى سوفير حيث تخصص لصرف مياه الأمطار عن السطح بحيث تجنب دفع المضرة الى الجار المقابل للسكن.

و يعتمد المسكن المزابي كذلك على عدم كشف الجار لجاره ،كما يمنع حجب دخول أشعة الشمس و أن يجعل الظل على جاره.و يعتني بالغطاء النباتي، فهو يحافظ على الأشجار داخل الفضاء المبني. و يحترم مسافة الغرس بين الجارين المتقابلين بحيث يترك كل واحد منهما حريم لجاره مقداره أربع أدرع أي 2 متر كمسافة للأمان لتقادي ضرر سقوط الأشجار أو الجدار.و ان كان الجدار مشتركا بينهما فانهما يمنعان أن يزيد أحدهما أو ينقص أو يضع أوتادا الا بالتراضي.(أنظر الشكل رقم 16 أدناه).

الشكل رقم 16 : رسم توضيحي لعرف البناء في المسكن الميزابي-غرداية

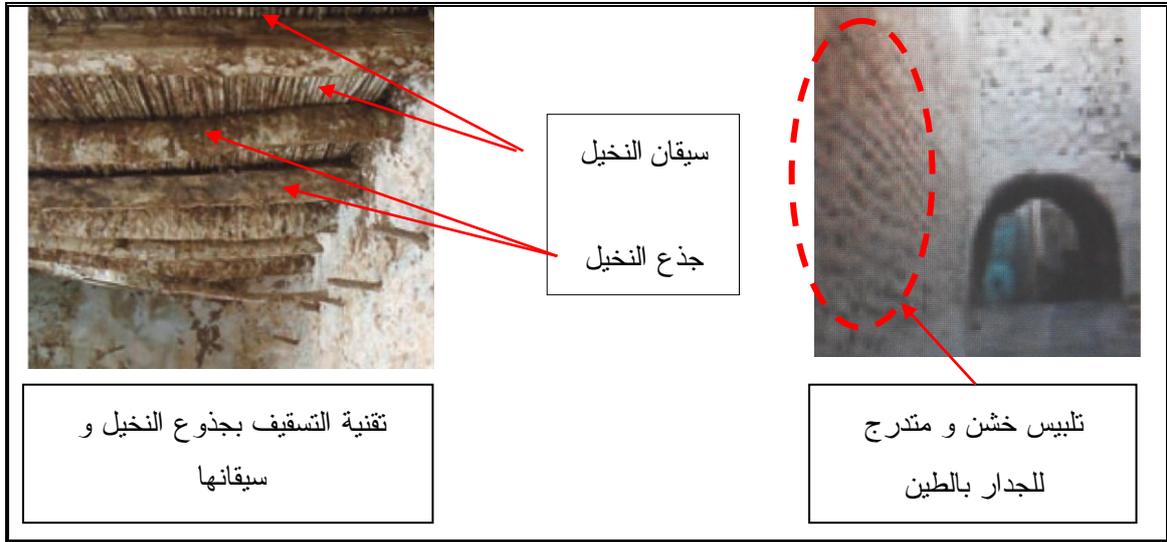


المصدر : www.opvm.dz/19_Brochures/163_L_habitation_traditionnelle_%28Arabe%29/a +معالجة الباحث

و يعتمد البناء الميزابي على تقنيات و مواد بناء محلية لتميزها بخصائص ملائمة لمناخ المنطقة و طبيعتها،حيث اتخذت كحل بيومناخي لتوفير التدفئة شتاء و التبريد صيفا بفضل مفعول الكتلة الذي توفره الجدران و السقوف السمكية ، و ذلك عن طريق المواد ضعيفة التوصيل الحراري باستعمال الحجارة المقتلعة من طبقات الصخور الكلسية البيضاء. و كذلك باستعمال نوع من الجبس المحلي

يدعى تمشمشت⁶، ومادة الجير التي تساعد على تماسك البناء، الرمل غير الصلصالي، مشتقات شجر النخيل مثل: الجذوع، الجريد، السعف. و يكون التلبيس بالجير أو الطين حسب نوع البناء و أحيانا تترك الواجهة بدون تلبيس. و ترتكز الهيكل العمودية للمسكن المزابي على الجدران الحاملة المبنية بالحجارة و ملاط الجير أما الأعمدة الحاملة فهي من الحجارة. كما تتمثل الهيكل الأفقية في الأسقف التي تبنى بواسطة المواد المحلية ، كجذوع النخيل التي تستعمل كعوارض بين الأعمدة ، و تستعمل معها سيقان النخيل و الجريد أو الأحجار على شكل قبيبات صغيرة بين جذوع النخيل. مع استعمال طبقة عازلة من الطين تغطي بملاط الجير. (أنظر الصورة رقم 48 أدناه).

الصورة رقم 48 : مواد و تقنيات البناء الميزابي-غرداية



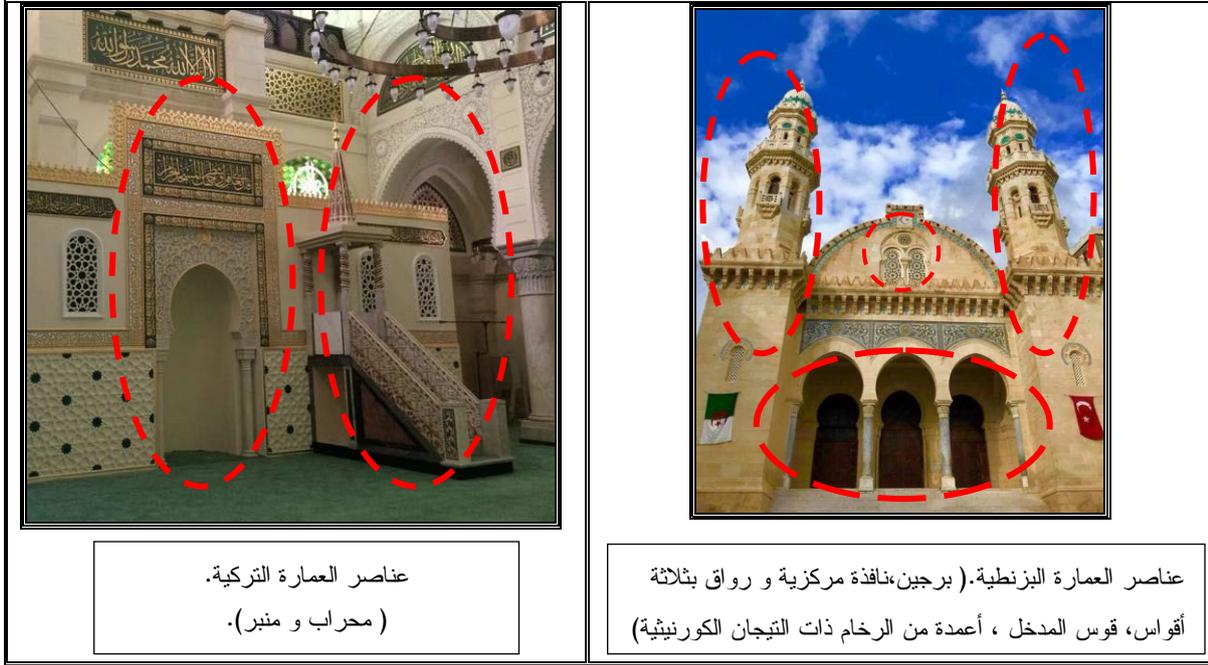
المصدر : www.opvm.dz/19_Brochures/163_L_habitation_traditionnelle_%28Arabe%29/a +معالجة الباحث

3.7.2.3. مسجد كنتشاوة بالجزائر العاصمة :

يُعد مسجد كنتشاوة من أبرز المعالم التاريخية في القصبة بالجزائر العاصمة، حيث شهد العديد من الأحداث و التحولات التاريخية. حيث مزج المسجد بين الخصائص المعمارية للحضارة التركية والبيزنطية والرومانية. و قد بناه الأتراك على أنقاض معبد روماني أثناء فترة الانتداب العثماني لخير الدين بربوس عام 1612م، و وسعه الداوي حسين باشا أثناء فترة حكمه عام 1792م. (أنظر الصورة 49 & 50 أدناه).

⁶ تمشمشت : هو جبس محلي ذو لون أبيض مائل إلى الرمادي، ويستخرج من طبقة سطحية أو في عمق يبلغ المتر. و يتم حرق الصخور في الفرن .

الصورة رقم 49 & 50 : منظر خارجي & داخلي يبين خصائص معمارية متنوعة في مسجد كتشاوة



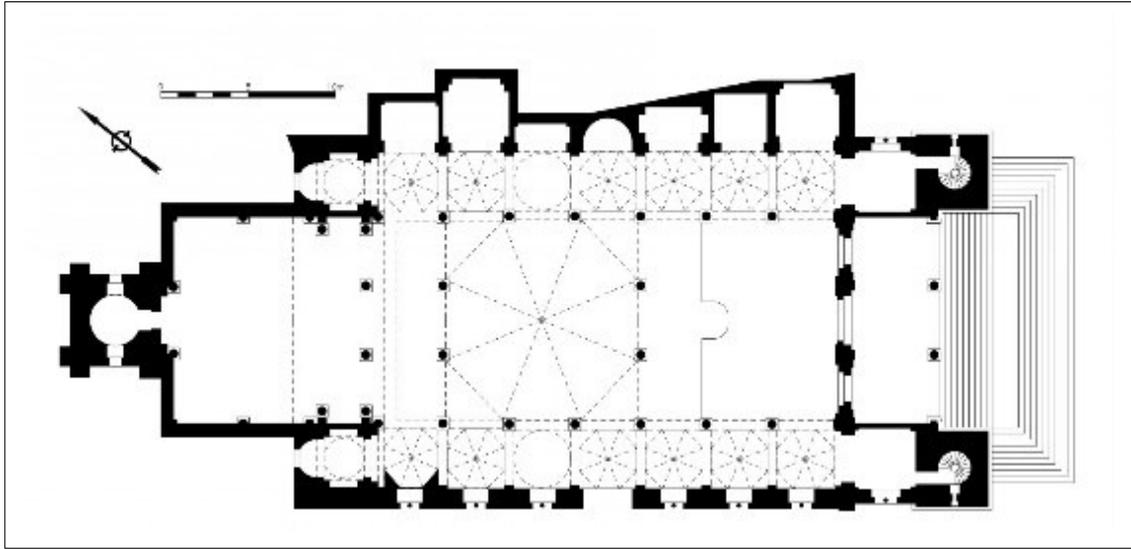
المصدر : تصوير و معالجة الباحث، 2018

و بالرغم من وجود نقيشة من الرخام محفوظة في المتحف الوطني للأثار القديمة تؤكد بأن المسجد من انشاء الداوي حسن باشا في سنة 1209هـ / 1794م ، الا أن الأستاذ باغلي يشير الى أنه أسس في القرن الرابع عشر ميلادي ، و يضيف بأنه قد ذكر في القرن السادس عشر من بين المساجد السبعة الموجودة بمدينة الجزائر .

و موقع مسجد كتشاوة له أهمية خاصة، وتسمية كتشاوة مشتقة من كلمتين تركيتين تعني سوق الماعز، لأنه بني بجوار مكان تجاري قديم و هو رحبة أو سوق لبيع الماعز. والمسجد يعتبر الحد الفاصل بين المدينة العليا، المعروفة عند العامة بالجبل الأهل بالسكان و المدينة السفلى، التي توجد فيها مراكز الجذب كالأسواق و المقاهي و الفنادق، فضلا عن المساجد و خاصة المسجد الذي كان يصلي فيه الدايات و أعضاء مجلس الديوان و المعروف باسم مسجد السيدة.

يرتسم شكل بيت الصلاة لمسجد كتشاوة فوق مستطيل، بسبب اضافة رواق ثاني مواز لجدار القبلة، أما في الواقع فهو يقوم على مخطط مربع الشكل تطوقه الأروقة من الجهات الأربعة، قوامها أربعة أعمدة. وعلى الأعمدة الأربعة الموجودة في كل رواق من أروقة المسجد تتطوق قواعد العقود، متجهة في ثلاث اتجاهات. (أنظر الشكل رقم 17 أدناه)

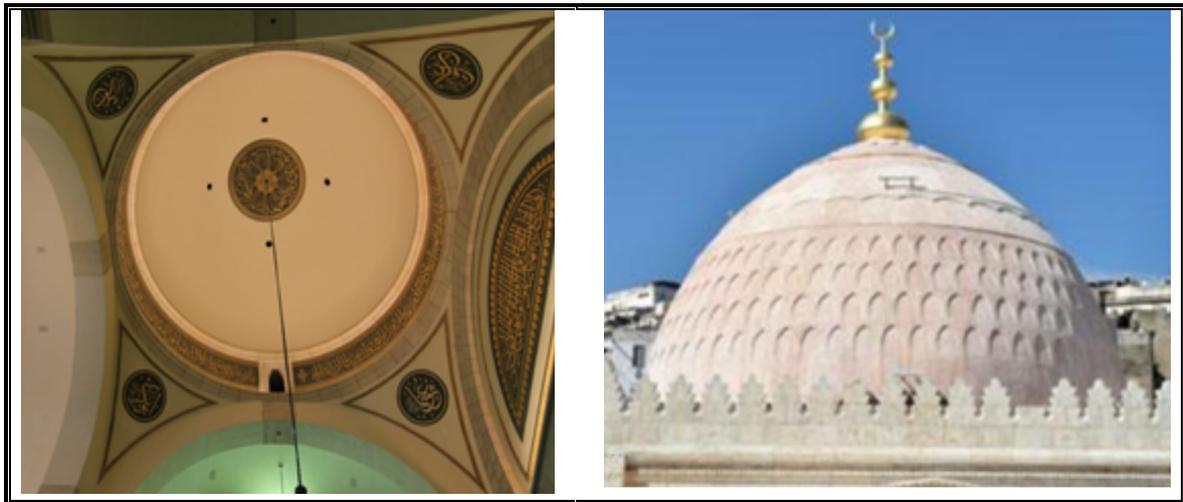
الشكل رقم 17: المخطط الأرضي لمسجد كنتشاوة اعتمادا على Ravoisié في 1850



المصدر: https://archnet.org/sites/5386/media_contents/137966

وقد سمح اتجاه العقود المختلف لحمل القبة المركزية للمسجد، والتي كان يبلغ قطرها 12 م. وهي بذلك تكون مختلفة عن الطراز المعهود في مباني الجزائر في العهد العثماني، و المتمثلة في ملئ المثلثات الركنية بشكل مائل. فاختلقت طريقة البناء في مسجد كنتشاوة، بمربع مستوي ناتج عن الاختلاف عن مما سبق ببناء المثلثات بشكل شاقولي. كما زخرفت بالقرش العربي الفراغات المثلثة بين العقود ومنه تجسد الشكل المستدير للقبة المركزية للمسجد. والقباب مئمة الأضلاع وعددها 22 قبة باحتساب القبة المركزية و التي هي مزخرفة بأنصاف الدوائر بنمط المتعاقب المتناقص تبعا لشكل القبة. (أنظر الصورة رقم 51 أدناه).

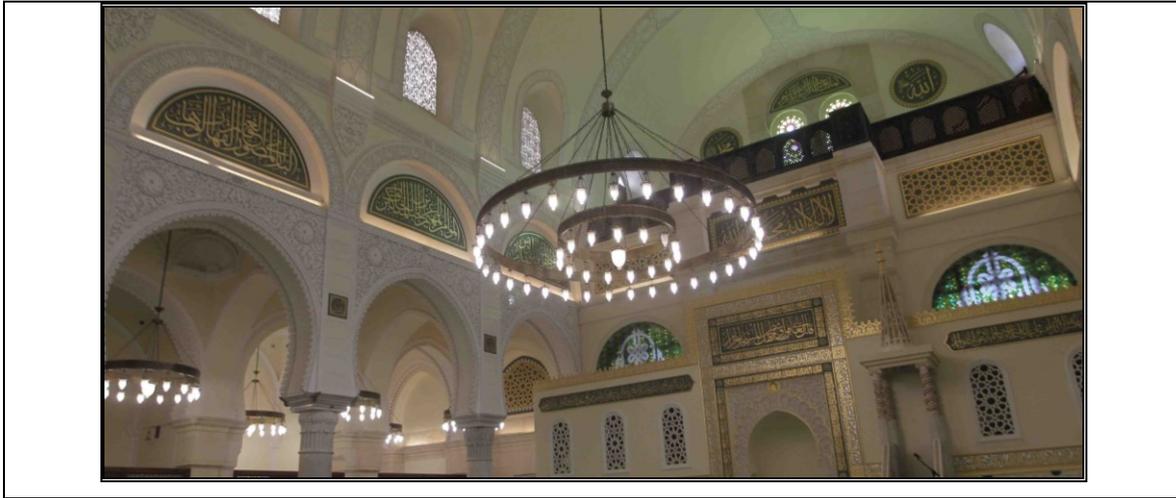
الصورة رقم 51 : منظر خارجي و داخلي للقبة المركزية في مسجد كنتشاوة بالجزائر العاصمة



المصدر : تصوير الباحث، 2018،

تتواجد المئذنة في الركن الجنوبي و التي تبدو مربعة الشكل على الطراز الأموي ،ثم المغاربي فيما بعد و الذي أصبح من مميزات البلدان المغاربية الاسلامية قبل فترة الانتداب العثماني.و يتميز مسجد كتشاوة بالثراء الزخرفي من زخرفة هندسية و نباتية و كتابة.فالزخرفة الهندسية اعتمدت على النجمة الاسلامية المتفرعة و متعددة الأضلاع ، بالاضافة الى الأشكال الهندسية الأساسية و المتمثلة في المثلث و المربع و الدائرة. أما الزخرفة النباتية اقتصرت على الزخرفة الرقشية المحورة عن الرقش العربي الأصيل الى رقش متطور على يد الفنانين الشرقيين خاصة من الشرق الأدنى و المتأثر بالطراز الأوروبي الحديث،حيث تمثلت بورقة الأكانتس و أزهار الزنابق في بعض الأبدان المتصلة بأسفل القباب.و تمثلت الزخرفة الكتابية في آيات قرآنية توزعت على أماكن كثيرة من المسجد ،كجدران المسجد المختلفة و فوق جبهة المحراب.)أنظر الصورة رقم 52 أدناه).

الصورة رقم 52: الزخرفة الكتابية من آيات قرآنية داخل مسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة



المصدر : تصوير الباحث، 2018،

خلاصة :

لقد تبين من خلال هذا الفصل أن كل النماذج المقدمة عن العمارة التقليدية الاسلامية حول البحر الأبيض المتوسط، تتميز باختلاف في ظروف نشأتها و تطورها كما تتناسق مع الثقافة المحلية و هي تعبر عن هوية ساكنيها.و تتميز بالثراء المعماري مع الاعتناء بالفن الزخرفي في كل تفاصيل العمارة التقليدية خاصة في الفترة العثمانية.و نلاحظ أن هذه النماذج من العمارة التقليدية لها مميزات خاصة في اتباع المبادئ الاسلامية عموما، حيث تعتمد الوحدة ضمن التنوع.كما ينطلق مبدأ المركزية ابتداء من موقع البحر الأبيض المتوسط باعتباره قلب العالم.و قد تم الاستفادة من

أنقاض الحضارات السابقة القديمة و اعادة استخدامها بما يتلائم مع التعاليم الاسلامية.و كذلك الاستفادة من المعطيات المناخية و الجغرافية للبيئة المحيطة لايجاد حلول معمارية تتلائم مع نمط العيش الاجتماعي.

يحضى المسجد الأقصى بالقدس في فلسطين بقدسية كبيرة عند المسلمين،حيث يظهر مبدأ التوحيد جليا عند المسلمين بتوحيد العبادات في المسجد و الاحتفالات الدينية و المراسيم السلطانية و الحلقات العلمية.و يتبين مبدأ التحصين أو الأمان بوجود سور عظيم يحتضن مباني داخل أسواره. كما يحضى بقدسية كبيرة في نفوس المسلمين حيث ورد ذكر المسجد الأقصى في حادثة الاسراء و المعراج في النص القرآني.

يعتمد جامع السليمانية باسطنبول في تركيا على مبدأ المركزية، فهو يمثل مجمع متعدد الوظائف وفقا لنظام المجمعات العمرانية حيث يتوسط المرافق المحيطة و التي تكمل دور الجامع من حيث المرافق الضرورية للحياة الاجتماعية. كما شيد الجامع على نظام القبة الوسطي.و مبدأ دفع الضرر محقق عن طريق تكامل وظائف المرافق المحيطة بالجامع كما يعتمد استعمال المواد المحلية المحيطة و يمتاز بتزيين الجدران بآيات من النص القرآني و ببساطة الزخارف لتفادي الاسراف تحقيقا لمبدأ دفع الضرر.و يمتاز الجامع بابتكار المعمار لتقنيات تسمح بعكس صدى الأصوات في الجامع ، لضمان مبدأ التوحيد في سماع صوت الامام لجميع المصلين.أما جامع السلطان أحمد باسطنبول في تركيا فقد مزج بين فن العمارة الاسلامية و الهندسة البيزنطية في ناتج فني موحد.و يعتمد على مبدأ المركزية و الأمان بتوسط أبنية ملحقة يحيط بها سور مرتفع.

يعتبر جامع القيروان الكبير بتونس كأقدم مساجد المغرب الاسلامي ،فهو على شاكلة حصن ضخم و يتميز بجدران سميكة و المشدودة بدعامات بارزة تجسيدا لمبدأ التحصين و الأمان.و قد اعتمد على مخلفات الأعمدة و التيجان الرخامية من حضارات سابقة كالرومانية و البيزنطية في الأروقة و بيت الصلاة.

أما بخصوص جامع و جامعة القرويين بفاس في المغرب، فالجامعة هي بمثابة امتداد للجامع و شكله مستلهم من جوامع الشرق كجامع الأمويين بدمشق.حيث تميز باهتمام الحكام و المعمارين بتقنيات صناعة القباب و النقش خاصة و على العديد من آيات النص القرآني.فالجامع هو على نفس شاكلة الطراز المعماري الأندلسي كما أن تصميم صحن المسجد على نفس طريقة صحن الأسود

بقصر الحمراء بالأندلس. حيث تميز بالاهتمام البالغ لمصادر المياه باعتماد تقنيات توفر شبكة مائية فريدة من نوعها و الوحيدة في العالم.

لقد استفادت العمارة الاسلامية بالأندلس في اسبانيا بشبه الجزيرة الايبيرية بأثار العمارة التي تعود لحضارات مختلفة كالايبيرية و الرومانية ، حيث نجد المعابد و القلاع و الحصون و المسارح و القناطر. و قد أصبغ المسلمون مدنهم المفتوحة بطابع اسلامي مميز باقامة المساجد باعتباره نواة لعمارة المدن الممتدة، فالموقع المركزي للجامع يسمح له بالتفرع الى الأزقة و الأحياء الى غاية أصغر وحدة و هي المسكن. و كان للمسجد أثر ايجابي على حياة المجتمع السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية. فكان الاهتمام بالغ بالعمارة من الجانب الاجتماعي، الديني و الأمني تحقيقا لمبادئ التوحيد، المركزية، التجمع، دفع الضرر و التحصين أو الأمان.

استعان مسجد قرطبة بالأندلس في اسبانيا بأنقاض الحضارات السابقة كما استفاد من اعادة احيائها بما يتناسب مع شتى متطلباته، اتباعا لمبدأ دفع الضرر بعدم الاسراف بما أنه يتيح امكانية اعادة احياء القديم، بما يتلائم مع التعاليم الاسلامية. حيث شيد مسجد قرطبة فوق كنيسة قوطية قديمة و التي تميزت بتقنيات مضاعفة العقود من أجل اعطاء ارتفاع أكثر للقاعة. و اعتمد في البناء على البنيات المسترجعة من بنايات رومانية و قوطية مما سمح باعادة بنائها. و يتميز المسجد باضفاء الطابع الأفقي بالامتداد في مساحة واسعة و بتشابه تصميمه في كل من مسجد الأزهر، مسجد عمرو في القاهرة، مسجد القيروان بتونس و المسجد الأقصى في القدس. و هذا تطبيقا لمبدأ التوحيد في مفهوم الجمال و الوظيفية و التناسق لخلق توافق و انسجام لخصوصيات الفن الاسلامي، أين يظهر جليا الاهتمام بتفاصيل الجانب الفني و الزخرفي في مسجد قرطبة.

و قصر الحمراء في اسبانيا عبارة عن حصن منيع تحقيقا لمبدأ التحصين أو الأمان حيث كان عبارة عن حصن و قصر و مدينة صغيرة. و استخدم مبدأ المركزية في الفناءات باستخدام النافورات كنافورة الأسود التي تتوسط البهو حيث تمثل نماذج لتطور ابداع المسلمين في تقنيات المياه ، كما اهتم في القصر بالجانب الجمالي عن طريق مختلف الزخارف الهندسية و الخطية بالاستعانة بالآيات القرآنية. و كان لتوفر مواد البناء و الزخرفة أمر بالغ في انتاج وحدات معمارية و أساليب انشائية خاصة في تفاصيل الفن الزخرفي للقباب من الداخل. تعتبر مدرسة غرناطة في اسبانيا أول جامعات الأندلس في أوروبا حيث كان لمدارس افريقيا الشمالية تأثير كبير من حيث الطراز المعماري و

الفن الزخرفي على المدرسة اليوسفية.فهي تتمتع بنفس الخصائص المعمارية لكل المدارس المتواجدة في المغرب و الجزائر .

لقد اتخذ الفينيقيون مدينة الجزائر كنواة لاقامة المدينة لهم،نظرا لموقعها الاستراتيجي تاريخيا و جغرافيا في البحر الأبيض المتوسط.أما في العهد الاسلامي فقد تميزت بطابع خاص، أين أُبقي على معالم حضارتها التاريخية ،حيث لم تعرف انقطاعا تاريخيا كما حدث أثناء العهد الروماني،بل كانت حلقة متصلة مع أحداث المغرب الاسلامي ككل.و كان لاستقرار العثمانيين بها مزايا عديدة ، فالمدينة حافظت على مبدأ التحصين أو الأمان بما أنها محاطة بأسوار منيعة و مزودة بعدة أبراج للحماية.كما أن القسبة كأحد أحياء المدينة التي بناها العثمانيون تحتوي على مجموعة من القصور التي كانت مقرا لحكامها و أمرائها و قادتها البحريين.

فتميزت مساكن مدينة الجزائر بأشكالها البسيطة و الفخمة ، و بطابع مشترك و هو التزييع في الشكل و التكعيب في الحجم.كما لها نفس مواصفات العمارة العربية الاسلامية مع بعض الاختلافات في الجزئيات من حيث الموقع و المناخ و المساحة التي يشغلها.فاعتمدت على حلول في تقنية البناء للتأقلم مع معطيات البيئة و المناخ ،لاتباع مبدأ دفع الضرر لسكان المباني المحيطة و للاستفادة من مزايا الشمس و الهواء بصفة متساوية تبعا لمبدأ التوحيد.بنيت المساكن حسب معطيات البيئة المحيطة عن طريق نظام التضام بالسطوح المستوية بشكل مدرج بالنسبة لاتجاه البحر بسبب ارتفاع المساكن العلوية عن مثيلاتها الواقعة أسفلها.و تحتوي المساكن على الصحن الذي يحتل مكانة مركزية بالنسبة لدوره في الاتصال بالمرافق الأخرى و كذلك بالنسبة لضمان التدرج و الخصوصية و الحماية من مياه الأمطار عن طريق بناء منخفض للصحن و ذلك باتباع مبدأ دفع الضرر.وكذلك باتخاذ السقيفة كوحدة معمارية و جزء من المسكن مع مجموعة مركبة من وحدات معمارية للسقيفة للوصول الى الصحن في القصر.و ما يميز مسكن مدينة الجزائر هو ربط الجزء المتبقي من السقيفة بملقف لتجديد الهواء و لتزويدها بجزء من الضوء حسب طبيعة الفضاء الذي يتطلبه و هو مغاير تماما عن الملاقف الموجودة في الصحراء و المشرق العربي.كما أن مرافق المسكن تتميز بوجودها محيطة بالصحن في أطراف المسكن لتفادي اللجوء الى الخارج.و تمتاز أبواب مساكن مدينة الجزائر بنماذج متقاربة و تتبع مبدأ دفع الضرر حيث يرتفع مستوى العتبة لتفادي مياه الأمطار و توجد بالأبواب فتحات صغيرة للتهوية.و تمتاز السقوف و الجدران بالجانب الفني و الزخرفي حيث

نجد الزخرفة الجصية و الهندسية. أما بالنسبة للقصور فنجد استخدام الأعمدة الرخامية بأنماط مختلفة خاصة بالأنماط الأوروبية الخاصة بعصر النهضة. و ما يميز الواجهات الخارجية لمساكن و قصور مدينة الجزائر أنها تقع في الأزقة الضيقة بعيدة عن مواجهة الشوارع الكبرى، خاصة المتفرعة عنها الساحات العامة بعيدا عن الضوضاء في الأسواق و المرافق العامة، تطبيقا لمبدأ الأمان و دفع الضرر بالحفاظ على الخصوصية و احترام المقياس الانساني.

و بالنسبة للمسكن المزابي بمدينة غرداية في الجزائر، فهو يعتمد على الطوابق الأرضية و كأنها تحت الأرض لتوفير العزل الحراري. أما الطابق العلوي فالمساحة المبنية لا تتعدى المساحة غير المبنية و تستعمل كسطح له دور المعدل الحراري في فصل الصيف. و يلجأ الى حلول طبيعية كمفعول المدخنة الذي يسمح بايجاد تيارات هوائية محلية لتلطيف الأجواء الداخلية. كما تعتمد على التيارات الهوائية المحلية عن طريق مياه السقي أو وضع قربة للماء معلقة في السقيفة. و يتميز باب المدخل بأنه كبير الحجم نسبيا نظرا لاستعمالاته الكثيرة نهارا ، كما ترتفع العتبة قليلا عن سطح الأرض و لها دلالات رمزية عديدة. كالفصل بين الفضاء العام كالطريق و الفضاء الخاص كالمسكن. و تسمح العتبة بالحماية من تسرب مياه الأمطار، الهواء البارد في الشتاء، انتشار الأتربة و تمنع انتشار الزواحف المنتشرة في المنطقة الصحراوية. للسقيفة دور الفصل بين المسكن و خارجه لحجب الرؤية من الخارج و تكون مراقبة داخليا من الصحن. كما للسقيفة دور تهوية السكن و العزل الصوتي بين داخل المسكن و خارجه. و يتميز المسكن المزابي بتصاميمه البسيطة في الشكل لكن لها عدة دلالات رمزية مع اتباع أحكام البنين تبعاً لنص القرآن و السنة و التوافق على عرف البنين بين الناس عموماً و الجيران خصوصاً. فاستغلال الفضاء عقلائي بعيد عن التبذير و يحترم المقياس الانساني تبعاً لمبدأ دفع الضرر. كما يتميز باعتماد تقنيات و مواد بناء محلية تقدم حلول بيومناخية لتوفير التدفئة شتاء و التبريد صيفا بفعل مفعول الكتلة. و ذلك عن طريق مواد ضعيفة التوصيل الحراري لتفادي التبذير و استعمال المواد المحلية المتواجدة في البيئة المحيطة.

يُعد مسجد كتشاوة من أبرز المعالم التاريخية في القصبة بمدينة الجزائر و قد استفاد من المزايا المعمارية للحضارات السابقة كالتركية، البيزنطية و الرومانية. حيث استغل الأتراك أنقاض معبد روماني لبناء المسجد أثناء فترة الانتداب العثماني. و يحتل المسجد موقعا خاصا حيث يعتبر الحد الفاصل بين المدينة العليا و المدينة السفلى. و يرتسم بيت الصلاة لمسجد كتشاوة فوق مستطيل

بسبب اضافة رواق ثاني مواز لجدار القبلة أما في الواقع فهو يقوم على مخطط مربع الشكل تطوقه الأروقة من الجهات الأربعة. و اختلفت طريقة البناء في مسجد كتشاوة حيث تميز بالرقش العربي في الفراغات المثلثية بين العقود المحيطة بالقبلة المركزية للمسجد و القباب مزخرفة بأنصاف الدوائر بنمط المتعاقب المتناقص تبعا لشكل القبلة. و المئذنة مربعة الشكل على الطراز الأموي ثم المغاربي الذي أصبح مميزا للدول المغاربية الإسلامية. و اعتمد في مسجد كتشاوة على أنواع من الزخرفة الهندسية،النباتية و الخطية و خاصة الآيات القرآنية في جدار المسجد و فوق جبهة المحراب.

الفصل الرابع

العمارة التقليدية و عناصرها و مواد البناء

المذكورة في النصوص القرآنية

مقدمة:

تلعب القيم الاسلامية دورا جوهريا في اختيار التنظيم الفضائي المعماري ، كما تعتبر مختلف المخلفات النصية من كتابات أثرية و مخطوطات لأي فترة زمنية ، شاهدا ملموسا لأي حقبة زمنية مميزة حيث يمكن للنص أن يؤثر في القارئ ، وله القدرة على التأثير على الناتج المعماري ، فهو عبارة عن ناتج اجتماعي-ثقافي مهيكّل بعدة رموز يمكن له أن يحدث حالة تقييم القيم.

يتناول هذا الفصل العمارة التقليدية وعناصرها و مواد البناء المذكورة في النصوص القرآنية، مع توضيح جوهر اختيار البحث بصفة أساسية في المصدر الأصلي الأولي في الشريعة الاسلامية، باعتباره كنص من التاريخ و مختلف عن كل أنواع النصوص الأخرى. كما يعتمد على التقديم المكثف للنصوص القرآنية ذات العلاقة بالعمارة التقليدية و عناصرها و مواد بنائها مع ادراك مدلولاتها.و ذلك بدءا بتقديم استنباط من النص القرآني لبعض الباحثين للمفهوم الدقيق للمصطلحات المعمارية المتقاربة الخاصة بالمباني السكنية وهي : البيت،المسكن،المنزل،الدار و القصر.و التطرق الى تحديد التصور المكاني و الشكلي للبيت في النصوص القرآنية .و كذلك العلاقة الموجهة و المؤثرة في اختيار تنظيم الفضاء المعماري للعمارة التقليدية.ثم تقديم الجانب التاريخي لطبيعة نشأة كل من: المسجد و عناصره ،المدرسة،الزاوية و الرباط .و تبيان مدى تواجد كل منهم بالنص القرآني.بالإضافة الى عناصر العمارة التقليدية و مواد البناء المذكورة في النص القرآني،عن طريق تقديم تسلسلي لشرح مختلف المعاني و التفسيرات من أجل الوصول الى الاستنباط.

4. 1. النص القرآني :

إن كلمة نص في اطار معناها الموسع تعرف بأنها درجة من الوصف اللساني.فللنص وظيفة مؤسسية في المجتمعات التي تعتمد على القانون المكتوب و في الديانات التي تركز على الكتب المقدسة حيث يتجلى النص القرآني بأسلوبه البياني المعجز البليغ.جاء اسم القرآن من عند الله من أجل مخالفة العرب فيما يسمون كلامهم، فسمي ما أنزل على نبيه قرآنا.

و التصور الاسلامي مستمد مباشرة من القرآن الكريم، الذي يمثل المرجع الأول لأولى التجمعات البشرية المسلم و مفهوم النص لديهم هو الوضوح و الظهور، لذلك فالقرآن الكريم هو النص لأنه ظاهر مدون في كتاب. (أنظر الشكل رقم 18 أدناه). و القرآن هو ظاهر لأنه من الخالق الى المخلوق، و هو محفوظ من الخالق.

و قد وردت لفظة القرآن في 71 مرة في النص القرآني و وردت له تسميات أخرى عديدة منها:
الكتاب،المبين،البلاغ،الوحي،الفرقان و الذكر، قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. (الحجر: الآية 9).

يقول البغوي¹ في تفسيره:

(إنا نحن نزلنا الذكر) يعني القرآن (وإنا له لحافظون) أي : نحفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا فيه ، أو ينقصوا منه ، أو يبدلوا ، قال الله تعالى : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (فصلت - 42) والباطل : هو إبليس ، لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما هو منه . وقيل الهاء في "له" راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم أي : إنا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء كما قال جل ذكره : (والله يعصمك من الناس) (المائدة - 67) .

الشكل رقم 18 : مخطوط أندلسي للقرآن من القرن الثاني عشر مكتوب بالخط الكوفي.



المصدر : / أقدم-عشر-مخطوطات-قرآنية و القرآن الكريم هو <https://fadiswaiti.wordpress.com/2017/01/11/>

هو النص الالهي المقدس و كتاب الله المعجز لدى المسلمين.قال تعالى :

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾. (البقرة: الآية 2).

و في تفسير خواطر محمد متولي الشعراوي² :

وصف الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بأنه الكتاب. وكلمة قرآن معناها أنه يُقرأ، وكلمة كتاب معناها أنه لا يحفظ فقط في الصدور، ولكن يُدون في السطور، ويبقى محفوظاً إلى يوم القيامة. والقول بأنه الكتاب، تمييز له عن كل كتب الدنيا، وتمييز له عن كل الكتب السماوية

¹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura15-aya9.html>

² <http://www.alro7.net/ayaq.php?aya=2&sourid=2>

التي نزلت على الأمم السابقة فهي كتب تحمل منهج السماء، و لكن كل كتاب و كل رسالة نزلت موقوتة، في زمانها و مكانها، تؤدي مهمتها لفترة محددة و تجاه قوم مُحددين. فالقرآن هو الكتاب الجامع لكل أحكام السماء، منذ بداية الرسالات حتى يوم القيامة.

« كانت أعجب ظاهرة في تاريخ البشرية : ظاهرة انبثاق أمة من خلال نصوص كتاب! و به عاشت. و عليه اعتمدت في الدرجة الأولى. باعتبار أن « السنة » ليست شيئا آخر سوى الثمرة الكاملة النموذجية للتوجيه القرآني». ³. و السنة النبوية تتبوأ منزلة عظيمة في الاسلام، فقد اصطفى الله تبارك و تعالى محمداً صلى الله عليه و سلم بنبوته و اختصه برسالته، فأنزل عليه كتابه القرآن الكريم، و أمره أن يبينه للناس حيث تأتي السنة النبوية مؤكدة لآيات من القرآن الكريم، فهي المبيّنة و الشارحة لكتاب الله، و الناسخة لبعض آياته و المبيّنة لأحكامه و المفصلة لمجمله.

« و القرآن في الأصل مصدر نحو رجحان. ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾. قال ابن عباس: ان جمعناه و أثبتناه في صدرك، و قد خص بالكتاب المنزل على نبينا محمد[...]. و قيل قرآنا لجمعه ثمرة جميع العلوم (و تفصيل كل شيء)» ⁴.

قال تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (النحل: الآية 44).

يقول القرطبي ⁵ في تفسيره: « و أنزلنا إليك الذكر يعني القرآن. لتبين للناس ما نزل إليهم في هذا الكتاب من الأحكام و الوعد و الوعيد بقولك و فعلك ؛ فالرسول - صلى الله عليه وسلم - مبين عن الله - عزَّ و جلَّ - مراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة و الزكاة ، و غير ذلك مما لم يفصله و لعلمهم يتفكرون فيتعظون». و قال تعالى :

﴿ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت: الآية 3).

يقول البغوي ⁶ في تفسيره : « (كتاب فصلت آياته) بينت آياته، (قرآنا عربيا لقوم يعلمون) : اللسان العربي، ولو كان بغير لسانهم ما علموه ، ونصب : " قرآنا " بوقوع البيان عليه أي: فصلناه قرآنا».

³ قطب سيد. (1997). خصائص التصور الاسلامي و مقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط5، ص7.

⁴ عثمان عثمان اسماعيل. (1994). معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة، الآثار و العمارة و الفنون. من

نشر الكاتب. المغرب. ص67.

⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura16-aya44.html#qortobi>

⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura41-aya3.html#baghawwy>

2.4. العمارة التقليدية من خلال النص القرآني :

1.2.4. البيت و النص القرآني:

1.1.2.4. مصطلحات المباني السكنية في النص القرآني :

إن من جوانب اعجاز القرآن الكريم هو السبق في حصر أهم المباني على اختلاف وظائفها من خلال آيات كريمة جاءت في صور متعددة، و تميزت بدقة وصفها و التفريق بينهما، كما أشار (وزير، 2008) على أن بعض الباحثين في آيات القرآن الكريم تمكنوا من استنباط المفهوم الدقيق للمصطلحات المعمارية المتقاربة كالبيت، المسكن، المنزل، الدار و القصر.

1.1.1.2.4. البيت :

إن معنى البيت هو البناء الذي له رب واحد يتصرف فيه كيف شاء، لذلك سميت الكعبة بيت الله الحرام، و كذلك سميت المساجد بيوت الله، و البيت كلفظ مفرد و معرف يعبر عن بيت الله الحرام بمكة المكرمة كما ورد في آيات القرآن الكريم، يقول تعالى :

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. (قریش: الآية 3).

و قوله تعالى :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. (البقرة: الآية 127).

و قوله تعالى :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. (البقرة: الآية 125).

والبيت في معناه اللغوي يعبر عن الاستقرار و الديمومة، كما يعبر عن ملكية لأسرة واحدة تبيت فيه، ويمكن أن نستلهم هذا المفهوم من قوله تعالى :

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (الأحزاب: الآية 33).

كما أن للبيوت حرمة و خصوصية معتبرة ، يتضح ذلك من قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. (النور: الآية 27).

كما تعود كلمة بيت على مأوى كل المخلوقات سواء الانسان أو الحيوان، كما في قوله تعالى :

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾. (النحل: الآية 68).

2.1.1.2.4. المسكن :

سكن الشيء سكننا ذهب حركته و قد استقر و ثبت. و المسكن في اللغة من سكن السكون بعد الحركة. و هو بمعنى أن يكون البناء قد أقيم على أرض جديدة أو موطن جديد بعد أن تم الانتقال من الموطن الأصلي الى موطن جديد، يقول تعالى :

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾. (إبراهيم: الآية 37).

لقد كان للقرآن الكريم السبق في التحديد المبكر لمعنى البيت و المسكن. و أن البيت ليس كالمسكن حيث يقول جل في علاه:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۚ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾. (النحل: الآية 80).

فالله هو الذي جعل البيت مسكنا، و ورود البيت قبل المسكن فيه اشارة واضحة إلى أنه لكي يصبح البيت سكنا فهو بحاجة الى فترة من الزمن حتى يتحقق الارتباط الذهني بين الساكنين و الوسط الفيزيائي الذي هو البيت، و عند اسقاط هذا الايضاح القرآني على الجدل القائم باللغة.

إن البيت هو الوسط الفيزيائي للمسكن، و لا يعد البيت مسكنا إلا اذا حدثت العلاقة الحميمية التي يشير إليها القرآن من خلال فعل السكن الذي هو علاقة اجتماعية زمنية. و هذا مما تؤكدته إشارة أخرى في القرآن الكريم حيث يقول سبحانه و تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾. (النور: الآية 29).

3.1.1.2.4. المنزل :

من الفعل نزل، و النزول هو الهبوط من أعلى الى أسفل، فهو يعني المهبط أو المقر الأخير، و المنزل هو المكان الذي يتوفر فيه الفضل و العطاء و البركة، يقول سبحانه و تعالى :

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾. (المؤمنون: الآية 29).

و جمع منزل منازل بمعنى موقع و مواقع و مما يؤكد ذلك قوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. (يونس: الآية 5)

و قوله تعالى :

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ آدَاءَ كَالْعُرْجُونِ الْقَنِيمِ﴾. (يس: الآية 39).

4.1.1.2.4.الدار:

الدار من دار يدور من كثرة حركة الناس فيها، فهي تدل على كثرة عددهم و هو ما يحيط بسكانه،و هو يعني جميع ما في الموقع من عناصر البناء و الفناء.و هو مكان يشغله أناس من عدة أجناس،و قد سمي الله سبحانه و تعالى الآخرة بالدار:

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾. (غافر: الآية 39).

و كما سمي الجنة بالدار:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَآدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾. (النحل: الآية 30).

كما تعني الدار البلد،و لهذا سمي البناء دارا لكثرة سكانها و تعددهم كما يتعدد سكان البلد.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الحشر: الآية 9).

و المقصود بالدار في الآية الكريمة المدينة المنورة.

5.1.1.2.4.القصر :

القصر في اللغة يعني البيت الفخم الواسع،و هو مقصور على ساكن واحد و أسرة واحدة، و قد وصف الله تعالى قوم ثمود بالغنى و الثراء في قوله :

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۗ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. (الأعراف: الآية 74).

كما ورد ايضاح الفخامة في وصف القصر في موضع آخر من القرآن الكريم في قول الله تعالى :

﴿فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبُئِرَ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾. (الحج: الآية 45).

كذلك القصر المشيد هو الرفيع حيث تدل كلمة مشيد على الفخامة و المغالاة في الزخرفة.

2.1.2.4. خصائص البيت في النص القرآني :

1.2.1.2.4. التعريف القرآني للبيت:

البيت هو أول المعالم الحضارية و أهمها، فقد ورد في قوله عز و جل :

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾.
(القصص، الآية 81).

فالله سبحانه تعالى شمل عملية الخسف للإنسان و البيت معا لأنهما متكاملان. و تؤكد نفس الأمر في قوله تعالى:

﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾. (الذاريات: الآية 36).

ومنه إذا كان الإنسان يعتبر أساس العمران فان الدار أو المسكن جوهره. و يكفينا برهاننا على ذلك أن الله اتخذ له بيتا، فقال تعالى:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾. (الحج: الآية 26).

و قال في سورة قريش:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾. (قريش: الآية 3).

و للبيت أهمية كبرى فقد ورد على عكس الحصون، القلاع و القصور في مواضع شتى من القرآن الكريم. فسمي بالبيت في سورة النحل في قوله عز و جل :

﴿ وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۚ وَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَأُوبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَ مَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾. (النحل: الآية 80).

و سمي بالدار كذلك في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۗ وَ كَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾. (الاسراء: الآية 5).

و ذكر باسم المسكن في قوله تعالى :

﴿ وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۗ وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾. (القصص: الآية 58).

2.2.1.2.4. التصور الشكلي للبيت في النص القرآني:

إن انجاز البيت يكون حسب طبيعة الإقامة فان كانت محدودة الزمن فهي مبنية بالجلود و غيرها لسهولة استعمالها و خفة وزنها.و إن كانت دائمة فهي مبنية بالحجارة وغيرها من المواد التي لا تتآكل بفعل المناخ و الزمن .

أ. الواجهة الأمامية و الخلفية للبيت:

و تحتوي على المدخل أو الباب،و له الواجهة الخلفية و هي الظهر لقوله عزَّ و جلَّ :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ۗ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.(البقرة: الآية 189).

ب. معارج البيت :

و هي السلالم كما ورد في قوله عزَّ و جلَّ :

﴿وَلَوْ لَأَنَّ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.(الزخرف: الآية 33).

ت. أبواب، أسقف و أثاث البيت:

وردت في قوله عزَّ و جلَّ:

﴿وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۗ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۗ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.(يوسف: الآية 23).

و كذلك في قوله تعالى:

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَيَّمُونَ﴾.(الزخرف: الآية 34).

و في سورة يوسف،قال تعالى:

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرَجْ عَلَيْهِنَّ ۗ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.(يوسف: الآية 31).

و في قوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۗ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.(النحل: الآية 80).

3.2.1.2.4. التصور المكاني للبيت في النص القرآني:

التصور المكاني للبيت يكون حسب الوظائف اليومية: فوظيفة الاستقبال لها مكان خاص بالضيافة، وإعداد الطعام له مكان كذلك، بالإضافة الى مكان الراحة و النوم، و مكان الطهارة تحقيقا لشروط العبادة. و البيت خاضع لمبدأ الحرمة و التدرج ابتداء من المدينة إلى حدود البيت و كذا الفضاء الداخلي له. فلبيت حرمة من خلال قوله عز و جل:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَالْيَسِ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آتَى ۗ وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (البقرة: الآية 189).

و حتى يتحقق ذلك، كان لزاما وجود واجهة أمامية لها المدخل أو الباب و واجهة خلفية الظهر ليكون التمثيل الفضائي أو الإسقاط الفيزيائي مطابقا تماما للسلوك داخل حدود المكان .

4.2.1.2.4. خصوصية البيت من الداخل و الخارج في النص القرآني:

تعتبر المباني السكنية من بين نعم الله على الانسان حيث تؤدي وظائف عديدة منها : الراحة، السكنية، الجمالية، الحماية و الخصوصية. هذه الأخيرة تتوفر من الداخل و الخارج ، و هي من أبرز مبادئ المساكن، لحرص الاسلام على احترام حرمت البيوت و حريات الأشخاص و سلامة المجتمع و ترابطه. فنجد حرمة داخلية مؤسسة لمبدأ التوزيع المكاني للوظائف داخل البيت ، و هي تمثل خصوصية من الداخل في قوله عز و جل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور: الآيتان 58 – 59).

فهذا الاستئذان المشار إليه في هاتين الآيتين هو تثبيت لمبدأ الحرمة الداخلية حيث اقترن التوزيع المكاني بالتوزيع الزمني لتحقيق ذلك، أما أماكن الضيافة و الأكل نجدها قرب مدخل البيت بينما أماكن الادخار و الراحة تكون أبعداها. و لتحقيق المبدأ العام للبيت ألا و هو السكون بمفهومه الواسع. و كذلك نجد حرمة خارجية للبيت و هي تمثل خصوصية الستر من أعين الغرباء.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ۗ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. (النور: الآية 27).

يقول القرطبي⁷ في تفسير قوله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الأبصار ، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد ، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو يلجوها من غير إذن أربابها ، أدبهم بما يرجع إلى الستر عليهم لئلا يطلع أحد منهم على عورة.

و يقول كذلك القرطبي⁸ في التفسير :

قال العلماء ، هذه الآية خاصة والتي قبلها عامة ؛ لأنه قال : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ثم خص هنا فقال : ليستأنسوا الذين ملكت أيمانكم فخص في هذه الآية بعض المستأنسين ، وكذلك أيضا يتأول القول في الأولى في جميع الأوقات عموما . وخص في هذه الآية بعض الأوقات ، فلا يدخل فيها عبد ولا أمة ؛ وغدا كان أو ذا منظر إلا بعد الاستئذان.

يتضح من الآيات الكريمة التفصيل في أمر الاستئذان من التعميم إلى التخصيص، و أن خصوصية بيت المسلم سواء كانت من الداخل أو الخارج أمر واجب و توجيه قرآني.

2.2.4. المسجد و النص القرآني :

إن الدين يشمل كل أمور الحياة من المساجد و البيوت و غيرها و لا يقتصر على الجانب التعبدية. يحتل المسجد مكانة متميزة في العمارة الإسلامية، فهو يعتبر من أبرز المباني باعتباره مركز التوجيه و التوحيد في المدينة. و على المسلم أن يتقي الله في المسجد و البيوت و في كل مكان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. (آل عمران: الآية 19).

و ذكرت كلمة المساجد و مشتقاتها في نص القرآن الكريم بتكرار 92 مرة. و بنفس عدد التكرار ذكرت كلمة الدين و مشتقاته.

و هنا إشارة إلى العلاقة الخاصة الموجودة بين كلمتي الدين و المسجد حيث نجدتهما مجتمعين في قوله تعالى:

⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura24-aya27.html>

⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura24-aya58.html>

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ . (الأعراف: الآية 29).

يقول القرطبي⁹ في التفسير :

قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة. قوله تعالى قل أمر ربي بالقسط قال ابن عباس : لا إله إلا الله . وقيل : القسط العدل ؛ أي أمر بالعدل فأطيعوه . ففي الكلام حذف . وأقيموا وجوهكم أي توجهوا إليه في كل صلاة إلى القبلة . عند كل مسجد أي في أي مسجد كنتم . وادعوه مخلصين له الدين أي وحدوه ولا تشركوا به .

و المسجد هو المكان المتخذ للصلاة في ديننا الاسلامي.و قد ذكرت الصلاة في النص القرآني 5 مرات و العدد 5 اشارة قرآنية الى عدد الصلوات الخمس اليومية.ورد ذكر لفظ المسجد و المساجد في القرآن الكريم في 28 مرة كما وردت الاشارة الى المسجد الحرام بلفظ بيت 17 مرة و الى المساجد بلفظ البيوت في مرة واحدة و لكل مرة مناسبتها، من بينها:
في جواز بناء المساجد، بقوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۚ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18) ﴾ . (التوبة : الآية 17-18).

و في بعض أحكامه في قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . (الأعراف : الآية 31).

و من حكمة القرآن في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۚ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ . (الحج : الآية 40).

⁹ <http://www.quran7m.com/searchResults/007029.html>

و في قوله :

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۚ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. (البقرة: الآية 144).

كما ورد بلفظ البيت في قوله تعالى:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (المائدة: الآية 97).

و ورد في لفظ البيوت في :

﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)﴾. (النور: الآية 36-37-38).

يقول البغوي¹⁰ في التفسير :

قوله : (في بيوت أذن الله) أي : ذلك المصباح في بيوت . وقيل : يوحد في بيوت ، والبيوت : هي المساجد ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال " : المساجد بيوت الله في الأرض ، وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض " . وروى صالح بن حيان عن ابن بريدة في قوله تعالى " في بيوت أذن الله " ، قال : إنما هي أربعة مساجد لم بينها إلا نبي : الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبة ، وبيت المقدس بناه داود و سليمان ، ومسجد المدينة بناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، و مسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله : (أن ترفع) قال مجاهد : أن تبنى ، نظيره قوله تعالى " : وإن يرفع إبراهيم القواعد من البيت " (البقرة - 127) .

و يقول السعدي¹¹ في التفسير :

¹⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura24-aya36.html>

¹¹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura24-aya36.html>

أي: يتعبد لله (في بُيُوتٍ) عظيمة فاضلة، هي أحب البقاع إليه، وهي المساجد. (أَنْزَلَ اللَّهُ) أي: أمر ووصى (أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها، بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله. (وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونقلها، وقراءة القرآن، والتسبيح والتهليل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان، و صيانة لها، و عمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين.

و لفظ الجامع يقصد به: « كل جامع مسجد و ليس العكس، يقول الراغب الأصفهاني في معجم مفردات القرآن الكريم أن يوم الجمعة يخص لاجتماع الناس للصلاة ، و أن الأصح أن يقال (مسجد الجامع) أي الأمر الجامع أو الوقت الجامع، و ليس الجامع وصفا للمسجد، و يقال جمعوا أي شهدوا الجمعة.»¹² أما لفظ أُسِّسَ في قوله تعالى :

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾. (التوبة: الآية 108).

يقصد بها: « بنيت قواعده ،فأساس البناء قواعده المتينة،و أساس الحضارة و الايمان و أساس العمران ارسال القواعد بالعلم و الاتقان ،و أساس الفن و الصناعة الموهبة و الدقة و الحساب. أسَّسَ البنيان أسسه و جعل له أسًا و هو قاعدة بنيانه.»¹³ و هنا اشارة قرآنية الى مكانة المسجد عند الله سبحانه و تعالى ، و أنه من أعظم البيوت و الأماكن يحضى بالتكريم.و السجود من المواضع الذي يكون فيه الانسان أقرب الى الله سبحانه و تعالى، يناجيه في المسجد.و لعمارة المسجد فضل كبير، فلا تكون الا بعمارتين مقترنتين،فهي تَقْرَنُ بين العمارة البنائية و عمارة العبادات.

و يُبين (فكري، 2009) :

¹² عثمان عثمان اسماعيل.(1994).معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة ،الآثار و العمارة و الفنون.من نشر الكاتب.المغرب.ص 149.

¹³ عثمان عثمان اسماعيل ،المرجع السليق،ص 102.

أن تخطيط المسجد الجامع نظام أصيل في تاريخ العمارة و أنه استحدث في السنة الأولى من الهجرة ، فلم يكن معروفا من قبل الاسلام و لا في غير الدول العربية. و ان هذا التخطيط يخضع لأربع مبادئ ثابتة هي :

أ. يتخذ جدار القبلة قاعدة للتخطيط، و هو منها بمثابة المحور.

ب. تخط أسس بيت الصلاة صفوفًا موازية لجدار القبلة. بحيث تقسم هذا البيت الى أساكيب، وذلك سواء كانت العقود التي تمتطي الأعمدة أو الدعامات موازية لهذا الجدار أو عمودية عليه.

ت. يزود المسجد الجامع بصحن فسيح يطل عليه بيت الصلاة.

ث. يحاط بيت الصلاة و الصحن بجدران سميكة تحصر المسجد الجامع في حدود مربعة أو شبيهة بالمربع أو قريبة منه.

و يعتقد (فكري ، 2009، 50): « أن مسجد الرسول هو الأساس في نشأة مساجد الاسلام، و أن هذه اشتقت نظامها و مظهرها من نظامه [...] ان الفكرة الدينية هي وحدها التي أملت على مسجد الرسول نظامه. و أنه أريد من وضع هذا النظام أن يصلح لأداء غاية واحدة و هي الصلاة، و لصلاة دين واحد، و هو الدين الاسلامي».

كما يُبين (فكري ، 2009، 52-53):

أن الغاية الدينية وحدها هي التي وضعت أصول نظام المسجد و أن ليس للآثار المعمارية التي سبقت الاسلام أثر ما في تأليف هذا النظام. هذا الى أن نفس الفكرة التي تشعب منها بناء المسجد تختلف اختلافًا بينا عن تلك التي تشعب منها نظام المعابد المصرية، أو الكنائس القبطية، أو البازليكيات السورية. فهذه الآثار المعمارية تخضع لفكرة أخرى، فكرة تجعل منها مباني محدودة في الفضاء، أو كتلة محصورة منه ، أما مسجد الاسلام، فهو على نقيض ذلك يتشعب من فكرة لا يقف أمامها الفضاء عند حد أو نهاية.

و الملاحظ أن مبادئ تصميم المساجد قد شهدت عدة تغيرات عبر الزمن لاعتبارات تصميمية للمسجد حسب المتطلبات و الاحتياجات: الوظيفية، الاجتماعية و الدينية. و من بين المبادئ التصميمية لعمارة المساجد ضرورة الاتجاه نحو القبلة و تخصيص المحراب في حائط القبلة. والقبلة هي الجهة التي شرع الله سبحانه و تعالى للمسلمين التوجه إليها، و أشار إليها القرآن الكريم بالمسجد الحرام.

قال تعالى: ﴿فَدَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. (البقرة: الآية 144).

يقول ابن كثير¹⁴ في التفسير:

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا، وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله: (قد نرى تقلب وجهك في السماء) إلى قوله: (فولوا وجوهكم شطره) فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل الله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وقال: (فأينما تولوا فثم وجه الله) (البقرة: 115) وقال الله تعالى: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه).

المحراب هو عنصر معماري في المسجد و هو عبارة عن حنية في حائط حرم الصلاة تشير إلى جهة قبلة المسجد الحرام بمكة المكرمة، و تجويف المحراب يكون عادة على شكل نصف اسطوانة أو مضلعة مجوفة تغطيها نصف قبة صغيرة و تعلوها أحيانا قمرية كما يكتنف المحراب عادة عمودان. و المحراب تم ذكره في أكثر من موضع في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ...﴾. (سبأ: الآية 13).

يقول القرطبي¹⁵ في تفسيره: «من محارِبِ المحراب في اللغة: كل موضع مرتفع. و قيل للذي يصلى فيه: محراب؛ لأنه يجب أن يرفع ويعظم. وقال الضحاك: من محارِبِ أي من مساجد. وكذا قال قتادة. وقال مجاهد: المحارِبِ دون القصور. و قال أبو عبيدة: المحراب أشرف بيوت الدار».

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ...﴾. (مريم: الآية 11).

يقول القرطبي¹⁶ في تفسيره: «فخرج على قومه من المحراب أي أشرف عليهم من المصلى. والمحراب أرفع المواضع، و أشرف المجالس، و كانوا يتخذون المحارِبِ فيما ارتفع من الأرض؛

¹⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya144.html>

¹⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura16-aya44.html>

¹⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura19-aya11.html>

دليله محراب داود - عليه السلام - على ما يأتي.»

و قال تعالى: ﴿...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا...﴾. (آل عمران: الآية 37).

يقول القرطبي¹⁷ في تفسيره: «في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب، المحراب في اللغة أكرم موضع في المجلس. و سيأتي له مزيد بيان في سورة (مريم). و جاء في الخبر: إنها كانت في غرفة كان زكريا يصعد إليها بسلم.» و قال تعالى:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ...﴾. (آل عمران: الآية 39).

يقول القرطبي¹⁸ في تفسيره:

« فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا و حصورا ونبيا من الصالحين. و هو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك و هو قائم ابتداء و خبر يصلي في موضع رفع، و إن شئت كان نصبا على الحال من المضمرة»

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (ص: الآية 21).

يقول السعدي¹⁹ في تفسيره:

لما ذكر تعالى أنه أتى نبيه داود الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفاً بذلك مقصوداً، ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما الله فتنة لداود، وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب الله عليه، وغفر له، وقبض له هذه القضية، فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ) فإنه نبأ عجب (إِذْ تَسَوَّرُوا) على داود (الْمِحْرَابِ) أي: محل عبادته من غير إذن ولا استئذان.

ذُكرت كلمة محراب في النص القرآني في خمسة مواضع و بمعاني مختلفة، لكن لم يقصد به المحراب المتعارف عليه بشكله الحالي و إنما يقصد به البيوت و المصلى و المكان المقدس للعبادة. و قد خضع المحراب للعديد من التطورات و التغييرات خلال العصور الإسلامية، حيث يذكر (الولي، 1988) أن أول من وضع المحراب في المسجد هو الخليفة الراشد عثمان بن عفان، من أجل تعيين اتجاه القبلة و تحديد مكان وقوف الإمام في صلاة الجماعة و ذلك في المسجد النبوي في

¹⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura3-aya37.html>

¹⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura3-aya39.html>

¹⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura38-aya21.html>

المدينة المنورة و روى عن يحيى بن عباس عن أبيه أنه قال: مات عثمان وليس في المسجد شرفات و لا محراب، فأول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز.

و قد أجمع أغلب المؤرخين أنه لم يكن يحتوي المسجد النبوي الشريف على محراب مجوف، و كانت كلها محاريب مسطحة. و لربما يقصد بمحراب عثمان أنه مجرد علامة في الجدار. فالمحراب لم يكن موجوداً على عهد النبي صلى الله عليه و سلم، حيث ظهر المحراب في القرن الثاني للهجرة. و هو أول محراب أنشئ في الإسلام و وُضع في مسجد النبي صلى الله عليه و سلم. و إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هو أول من أعاد تجويف المحراب لما هدم المسجد النبوي و بناه في خلافة الوليد بن عبد الملك أين كان عمر والي المدينة. أما عن تاريخ ابتداء و انتهاء بناء المسجد النبوي فقد تعددت الروايات، يذكر السمهودي نقلاً عن ابن زباله أن بداية هذه العمارة كان سنة إحدى و تسعين هجري. و يبين السمهودي في كتابه وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى أن عمر بن عبد العزيز لم يصنع في المسجد محراباً لم يكن فيه من قبل، و إنما هو أعاد بناء هذا المحراب حيث كان لأول مرة، و لقد اقتصر دوره فقط على تجويف المحراب الذي كان موجوداً من قبل.

و لا يعني عدم اشتغال مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم على محراب - بالشكل الحالي المتعارف عليه لمحاريب المساجد - أنه كان يخلو من إشارة إلى اتجاه القبلة فالمحراب بشكله المؤلف ما هو الا تطور طبيعي للعلامة الدالة على اتجاه القبلة تم في سياق التطور الذي شمل عمارة المسجد بأكملها من حيث التخطيط و مواد البناء و أساليب الزخرفة.²⁰

و يعتقد (فكري، 2009)، أن أول محراب أنشئ في الإسلام، هو محراب عقبة بن نافع في مسجد القيروان و أنه يستطيع أن يستخرج منه حجة قوية: «و قد أجمع المؤرخون أنه في سنة خمسين للهجرة، خط عقبة بن نافع مسجد القيروان، و أبان مكان القبلة منه، و أقام محرابه فيه. و أن هذا المحراب ظل طوال السنين موضع إجلال القوم و تقديسهم فلم يمسه أحد منهم بسوء»²¹ و يُبين (فكري، 2009) من خلال التوفيق بين ما نقله المؤرخون و ما تظهره الحقيقة، أن محراب مسجد القيروان هو أقدم محراب مجوف أدخل على المساجد، و يكون تتاسق البناء هو السبب في

²⁰ عدلي هناء. (2010). موسوعة المحاريب في العالم الإسلامي. دار الكتاب الحديث. مصر. ص. 35.

²¹ فكري أحمد. (2009). مسجد القيروان. دار العالم العربي. ط. 1. القاهرة. ص. 57.

اتخاذ شكله المقوس. كما يعتقد أن الأصل في ادخال المحراب الى المسجد هي فكرة عملية دينية و أن عقبة و أصحابه ابتكروا المحراب المجوف حتى يدخل اليه الامام في صلاته، و يتسع الصف الذي كان يحتله هو وحده لمئتين غيره من المصلين في مسجد القيروان.

ثم تطور شكل محراب المسجد و أصبح مقوسا و اتخذ جوفه شكلا مستديرا ، فخليل الى البعض أنه صورة مصغرة لمحراب الكنائس، و الحقيقة أن بناء مسجد القيروان لم يكونوا ليستطيعوا أن يضعوا محرابهم على شكل آخر و ذلك لأن عقود المسجد كلها أنصاف دوائر ، و لا ينسجم شكل المحراب في نظام بيت الصلاة بغير هذا المظهر²².

و تتابع المسلمون على بناء المحراب في مساجدهم لما فيه من المصلحة العامة للمسلمين كمعلم لحائط القبلة و تحديد اتجاهها و لايضاح أن المكان مسجدا. كما يمتاز بالعناية بزخرفته باعتباره أهم العناصر في المسجد التي اعتمد عليها الفنان المسلم فحضي المحراب بزخرفة نباتية، هندسية و كتابية.

و يقول (فكري ، 2009، 59):

هكذا بدأ المحراب المجوف في العمارة الاسلامية بحنية بسيطة غير مزخرفة ثم طرأت عليه بمرور الزمن عمليات تحسين و تطوير وصلت قمته في عصر الدولة المملوكية[...]. و بذلك جمعت المحاريب في مصر في العصور الطولونية و الفاطمية و الأيوبية و المملوكية و حتى بداية القرن 10 هـ (16م) بين الحجر و الرخام و الجص و الخزف و الفسيفساء و الخشب و الصدف من حيث المواد الخام ، و بين المقرنصات و العقود المتداخلة و المزرايات و الرسوم النباتية و الهندسية و الكتابية من حيث الزخارف.

إختلف علماء الفقه في حكم اتخاذ المحاريب في المساجد، رغم أن المحراب ما هو الا وسيلة في تحديد اتجاه القبلة و مكان خاص بالامام يتقدم به على صفوف المصلين ، كما يساهم شكله في تجميع صوت الإمام وتكبيره، و إيصاله الى المصلين. و كذلك يساهم مكانه الذي يتوسط جدار القبلة في تسهيل رصده من قبلهم، أما فيما يخص زخارف المحاريب فيرى البعض أن العناية بزخرفة المحراب و تنميته هي دليل على عظمة الدين الاسلامي و تعبر عن معاني الجمال المستنبطة منه و

²² فكري أحمد، المرجع السابق، ص59.

تدعو المصلين للتفكير في ملكوت الله غير النهائي، كما تعبر عن مكانة المحراب السامية باعتباره أكرم موضع في المسجد. و يعترض البعض الآخر على كثرة الزخارف فوق هذه المحاريب، لمخافة أنها تؤدي الى الافراط في التباهي باستخدام الزخرفة و الى انشغال المسلمين بها عن التفكير في آيات الله و عن الخشوع في الصلاة. و يُوضح (فكري ، 2009، 51) على أنه :

إذا كان للمسلم أن يقف أينما أراد في فضاء المسجد و ساحته ليؤدي فريضته، فإنه يسهل علينا أن ندرك كم كانت رغبته أن يكون من بين المصلين أقربهم مكانا الى الرسول ليأتم به في صلاته و ليستمع اليه و يراه ، و يسهل علينا أن ندرك كم كان ان هروع المسلمين الى أخذ مكانهم في الصف الأول الذي يلي الرسول ، فلا يحجبهم عنه حاجب ، و لو خيروا لما رضوا عن هذا الصف بديلا، و لرغبوا أن يمتد ليسعهم جميعا. بل ان السنة أرادت أن تجعل للصلاة في هذا الصف بركة زائدة.

و بيت الصلاة يسمى الظلة أو الرواق، حيث تطور المسجد من صحن و أربع ظلات أو أروقة حوله، تحتل أعماقها ظلة أو رواق القبلة ،الى أن أصبح بيت الصلاة يمثل الجزء الرئيسي من المسجد. و بيت الصلاة يتم توجيهه نحو القبلة - المسجد الحرام بمكة، و يتكون من حائط القبلة والمحراب و المنبر، و فوقه في كثير من الأحيان تقوم القباب أو الأسقف المسطحة. و الرواق ، يعني البناء الذي يضاف إلى جوانب المسجد و صحنه، و عادة يكون ذلك البناء تحت قباب مرفوعة على أعمدة عالية أو أسقف ممتدة. كما يمثل الرواق أحد العناصر المعمارية التي يتألف منها المسجد و الذي يحظى بالاهتمام البالغ في المساجد القديمة الكبرى.

و يُوضح (الولي، 1988) أن المسلمين بعد استقرارهم في الحكم في البلدان والأمصار و تعاقب دولهم ، لجأ الناس الى توسعة المساجد القائمة باضافة الأروقة في جنباتها ،حيث رافق كل عملية اضافة مشاركة كل ملك أو سلطان في بناء الأروقة و يتم ترقيم اسمه و تاريخ البناء في رخامة تثبت على بعض السواري التي تحمل القبة فوق الرواق، حيث لازالت تحمل المساجد القديمة حتى اليوم أسماء الذين بنوها. و يُعتقد أن المسلمين اقتبسوا فكرة بناء الرواق في المساجد من رواق الحضارة اليونانية بما يتوافق مع التعاليم الاسلامية. و قد استغل المسلمون الأروقة في اقامة حلقات الدروس في المسجد، لما لها من دور في تجنب الضجيج عن بيت الصلاة نظرا لبعدها النسبي عنه، و في تجديد الهواء باحتضانها الصحن الذي قد تتوسطه ميضأة أو فسقية وكذلك للحماية من أشعة

الشمس. و الشكل المعماري للأروقة حول المسجد يمثل صورة متكاملة و متجانسة تضيء البعد الأفقي الجمالي و الذي يتخلله المدخل المتميز.

و يُبرهن (فكري ، 2009، 51-52) على :

أن نظام بيت الصلاة في المسجد يستدعي امتداد الصفوف الى يمين الامام و يساره ، أكثر من امتدادها خلفه، و لهذا كان جدار القبلة، في بيوت الصلاة ، من مساجد الاسلام الأولى ، يزداد طولاً عن جوف هذه البيوت. و هكذا كانت الحال في مسجد الرسول في المدينة و هي الحال في مسجد القيروان. فبيت الصلاة في كليهما يرتسم في الفضاء بالشكل الذي ترتسم به صفوف من المصلين، ممتدة متوازية و متساوية، و لم يخضع ببناء مسجد القيروان في رسمه الا لما تتطلبه حاجة المصلين، تبعاً لشرعية دينهم و لسنة رسولهم، و لم يعمل أكثر من أنه نقل بالحجارة النظام الذي أقام عليه الرسول مسجده بجنوع النخل. و لم يكن مسجد القيروان أول مسجد أُقيم على نمط مسجد الرسول ، فقد سبقته مساجد أخرى في البصرة ، و في الكوفة ، و في الفسطاط ، و اتفق نظامها كلها مع الفكرة الدينية التي تحققت في المدينة.

يُبين (القحطاني، 2006) أن الغرض من الشكل الطولي لبيت الصلاة هو توفير أكبر عدد من المصلين في الصفوف الأولى خلف الإمام مباشرة، لما لها من فضائل و فوائد و أجر عظيم عند الله، منها : القرعة على الصف الأول لما للصف الأول من فضيلة و وثابيت الصلاة فيه. « و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « لو يعلم الناس ما في النداء و الصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ... » . متفق عليه - البخاري رحمه الله تعالى»²³ . كما ثبت أن الصف الأول على مثل صف الملائكة، «لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم و فيه: « و ان الصف الأول على مثل صف الملائكة، و لو علمتم ما فيه لا بتدتموه ». الحديث²⁴ . «قال الشيخ أحمد البنا في شرح قوله صلى الله عليه و سلم :

²³ متفق عليه البخاري، برقم 615، و مسلم برقم 437، و تقدم تخريجه في فضل الصلاة. عن سعيد القحطاني.

(2006) صلاة الجماعة في ضوء الكتاب والسنة. مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان. الرياض. ص 49.

²⁴ سنن أبي داود ، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجمعة، برقم 554، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود 111/1. عن سعيد القحطاني، المرجع السابق، ص 49.

... على مثل صف الملائكة...» « أي في القرب من الله عزَّ و جلَّ و نزول الرحمة، و اتمامه و اعتداله، و يستفاد منه أن الملائكة يصفون لعبادة الله تعالى.²⁵ » .

و من فضائل الصف الأول أنه خير الصفوف. « لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلمَّ : « خير صفوف الرجال أولها ، و شرها آخرها، و خير صفوف النساء آخرها، و شرها أولها»²⁶. قال الامام النووي-رحمه الله-: « أما صفوف الرجال فهي على عمومها، فخيرها، أولها أبدأ، و شرها آخرها أبدأ، أما صفوف النساء فالمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال[...]. و المراد بشر الصفوف في الرجال و النساء أقلها ثوبا و فضلا، و أبعدها من مطلوب الشرع، و خير بعكسه، و انما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال، لبعدهن من مخالطة الرجال.»²⁷ . و من فضائل الصف الأول كذلك أن الله تعالى و ملائكته يصلون على الصفوف الأول و الصف المقدم أكثرها صلاة. « لحديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلمَّ : « إن الله و ملائكته يصلون على الصف الأول، قالوا: يا رسول الله، و على الثاني؟ قال: إن الله و ملائكته يصلون على الصف الأول» ، قالوا: يا رسول الله و على الثاني؟ قال: و على الثاني²⁸ . « و صلاة الله تعالى : ثناؤه عليهم عند الملائكة، و صلاة الملائكة و النبي صَلَّى الله عليه و سلمَّ، و سائر الناس : الدعاء و الاستغفار. »²⁹ . و من فضائل الصف الأول أن النبي صَلَّى الله عليه و سلمَّ صلى على الصف الأول ثلاثا ، و على الثاني مرة واحدة. « لحديث العرياض بن سارية رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلمَّ : كان يصلي

²⁵ بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، 171/5، عن سعيد القحطاني، المرجع السابق، ص50.

²⁶ مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف و اقامتها و فصل الأول فالأول منها ، برقم 440. عن سعيد القحطاني، المرجع السابق، ص 50.

²⁷ شرح النووي على صحيح مسلم، 403/4. عن سعيد القحطاني، المرجع السابق، ص51

²⁸ أحمد في المسند، 262/5، قال المنذري في الترغيب و التهيب، 1/384. عن سعيد القحطاني، المرجع السابق، ص51-52.

²⁹ انظر صحيح البخاري، قبل الحديث رقم 4797، و تقدم تخريجه في مفهوم الصلاة. عن سعيد القحطاني، المرجع السابق، ص52.

على الصف الأول ثلاثاً، و على الثاني واحدة. و لفظ ابن ماجة: « كان يستغفر للصف المقدم ثلاثاً و الثاني مرة. »³⁰

ابتكر العثمانيون حلول معمارية في تخطيط بيت الصلاة، و تميزه بسعة مساحته الداخلية مع قلة الأعمدة والدعائم والعقود ، لتحقيق المطلب العقائدي الذي يحث المصلين على وصل الصفوف من دون أن يقطع امتدادها قاطع.

و من هنا يبرز دور السُّنة في تحديد الشكل الوظيفي لبيت الصلاة خاصة بالاعتماد على أشكال هندسية بسيطة تحقق أولاً الغاية الرئيسية ثم يتبعها الشكل الخارجي و الذي يعتبر كمحصلة للشكل الداخلي. و هذا ما يفسر سبب الاختيار الهندسي للمسقط الأفقي المستطيل لبيت الصلاة في العهود الأولى، حيث يعمل على تحقيق صفوف أولى الأكثر طولاً و الأقل عدداً ، و هذا من أجل تمكين المصلين من التواجد الأقرب الى الامام و الانصات اليه. و كذلك يمكن تحقيق نفس الغاية الوظيفية في زيادة طول الصفوف الأولى لبيت الصلاة عن طريق اختيار أشكال أخرى غير المستطيل في التصميم ، كشبه المنحرف و نصف الدائرة على أن يكون قطرها موجهاً للقبلة. و أما تحديد الفقهاء مكان المنبر بالمسجد و حجمه، فقالوا يستحب جعل المنبر على يسار القبلة تلقاء يمين المصلي إذا استقبل.

و الصحن في اللغة هو ساحة الدار ووسطه ومستواه، وسعته، وهي المساحة المكشوفة من المسجد و تتصل بحرمه وأروقته وجدرانه الخارجية، و قد اتخذت في مساجد الأمصار التي دانت بالإسلام اقتداء بعمارة مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كانت فيه مساحة مكشوفة بين ظلتين: إحداهما في الجهة الجنوبية والأخرى في الجهة الشمالية. و في كثير من المساجد يضم الصحن مصادر للمياه يتوضأ منها الناس، و تزرع فيه الأشجار أحياناً ويستفاد منه في استيعاب المصلين إذا زادوا عن

³⁰ النسائي، كتاب الامامة، باب فضل الصف الأول على الثاني، برقم 817، وابن ماجه، كتاب اقامة الصلوات، باب فضل الصف المقدم، برقم 997، وابن خزيمة، 27/3، مثل لفظ ابن ماجه، و الحاكم و صححه، و افقه الذهبي، و هو بلفظ ابن ماجه، 214/1، و ابن حبان في صحيحه «الاحسان»، 531/5، برقم 215، مثل لفظ النسائي، و صححه الألباني في صحيح النسائي، 177/1، و في صحيح الترغيب و الترهيب، 196/1. عن سعيد القحطاني، المرجع السابق، ص53.

طاقة المسجد. للصحن دور وظيفي في استعماله كامتداد لبيت الصلاة في إقامة الصلوات الجامعة، كذلك في بناء فسقية أو حوض ماء، و كونه مصدراً أساسياً للتنهوية و الاضاءة. و قد تم الاعتماد على التدرج في الدخول الى المسجد عبر مراحل للحفاظ على طهارة المسجد و هذا مرورا بالصحن. و الميضاة هو مكان مخصص للوضوء، و أصل الكلمة من فعل وضوء وضاعة وهو الحسن و البهجة. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾. (المائدة: الآية 6).

و اختلف أهل العلم في مسألة استقبال القبلة، أو استدبارها في بناء بيوت الخلاء، و على الأرجح أن يكون ذلك مكروه مطلقاً في البنين :

و فيه دليل على أن أبا أيوب رضي الله عنه يرى أنه لا يجوز الاستقبال ولا الاستدبار حتى في البنين، ولهذا قال : (فقدما الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت نحو الكعبة، فنحنرف عنها ونستغفر الله عزَّ وجلَّ). و الصواب أنه في البنين جائز، عملاً بحديث ابن عمر : (أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستقبل الشام مستدبر الكعبة) .

و حرص الاسلام على تعليم الإنسان الطهارة و النظافة حفاظا على المكان. أما المئذنة تعتبر الوحدة المعمارية و المعلم الديني الذي يهتدى به، و تتميز بعلوها عن باقي المباني و لها وظيفة رمزية و انتفاعية في وصول و انتشار صوت الأذان. و لم تكن هنالك مآذن في بداية الإسلام حيث كان بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم، يصعد إلى سطح المسجد الجامع ليؤذن، ولم يكن هناك أي شكل معماري محدد للقيام بهذا الواجب. لكن مع انتشار الاسلام نشأت الحاجة إلى المئذنة. هناك خلاف حول بداية الشكل المعماري للمئذنة. و يجمع مؤرخوا المسلمين أن ظهور المآذن في المساجد يرجع الى الدولة الأموية. إن احتلال السلطان العثماني محمد الفاتح المدينة البيزنطية القسطنطينية في ماي من عام 857هـ / 1453م ، و بأمره بتشيد مئذنة خشبية على كاتدرائية آيا صوفيا، كانت غايته من ذلك أن يُبين تحويلها إلى مسجدٍ بشكلٍ مرئي. ثم تم استبدال المئذنة الخشبية بواحدة من الحجر و أضيفت ثلاث مآذن أخرى، و تدرج بعده في بناء المآذن في اسطنبول. كما رمزت إلى أن اسطنبول لم تعد عاصمة الدولة البيزنطية المسيحية، بل العاصمة الجديدة للخلافة الإسلامية العالمية. أصبحت المئذنة الدليل و الرمز على وجود مكان المسجد، حيث تشكل مع القبة رمزاً دالاً

على المسجد موضع عبادة المسلمين، كما ساهمت المئذنة و القبة في توحيد الصورة الذهنية للتشكيل المعماري الاسلامي في مختلف مناطق العالم.

3.2.4. المدرسة و النص القرآني:

لقد بدأ تخصيص أماكن للتعليم في عصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كان المسجد يضمن هذه الوظيفة ثم تم تخصيص مرفق مخصص بما يسمى المدرسة و باشراف من المسجد. وقد ورد بمعاني مختلفة في النصوص القرآنية منها قوله تعالى :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. (العلق: الآية 1).

وهي أول آية نزلت للدعوة و الحث على العلم في قول معظم المفسرين. و قوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعْ لَهُ﴾. (القيامة: الآية 18).

حيث اختلف أهل التأويل من: إذا قرأناه فاستمع قرآنه ، اتبع ما فيه ، اعمل به وقرأته.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. (الأنعام: الآية 105).

و في قوله عزَّ و جلَّ :

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. (الأنعام: الآية 79).

وأما قوله: (كونوا ربانيين)، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله. فقال بعضهم معناه: كونوا حكماء علماء، حكماء فقهاء و حكماء أتقياء.

و قوله تعالى :

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾. (العلق: الآية 4)

الذي علّم بالقلم يعني الخط و الكتابة، أي علّم الإنسان الخط بالقلم. و قوله تعالى :

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. (القلم: الآية 1)

وقد اختلفت التأويلات من بينها : وما يكتبون ، وما يعملون و يكتبون كما تقدم. و قال تعالى :

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (النحل: الآية 44).

يقول السعدي³¹ في التفسير:

³¹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura16-aya44.html>

« قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) أي : القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم وديانهم الظاهرة والباطنة، (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه»
و المدرسة هي امتداد للمسجد و لم يرد ذكر المدرسة في النص القرآني، حيث ذكرت معاني مختلفة على أهمية العلم و القراءة و على أهمية الاستنباط من القرآن الكريم، توجيهات الدين و الدنيا.

4.2.4. الزواية و الرباط في النص القرآني:

الزواية هي مؤسسة للتوعية الدينية، تأسست و انطلقت على أساس الفكرة الدينية ، فهي مخصصة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم علوم الدين ، و هي غالبا ما تكون مرتبطة بمدرسة. و الزاوية تستمد أصولها و منابعها من القرآن الكريم و السنة النبوية و عمل السلف الصالح ، ولها وظائفها الفكرية، و مهامها التربوية التكوينية والاجتماعية و السياسية. اختلف المؤرخون حول الزاوية و الرباط في تاريخ محدد لنشأتها و تحديد مفهوم متوافق لتعريفهما، نظرا لارتباطهما بظروف خاصة بالمكان و الزمان و لتطور استعمالتهما. و يُعتقد أنه كانت الزوايا في ما مضى تسمى رباطا والرباطة والأربطة. « الرباط اسم مشتق من فعل ثلاثي مجرد : و يقال ربط الشيء و شده، و يشمل معنى الاحاطة به و كذلك الإقامة المستمرة. و ورد في القرآن و الحديث بصيغ أخرى -بمعنى ربط القلب و شده (ثلاث صيغ مجازية قرآنية)، و أيضا بمعنى المواظبة على الشيء »³² .

لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني و علمي إلا بعد الرباط و الرباطة. و الرباط لغة مصدر رباط يربط بمعنى أقام و لازم المكان. و يطلق في اصطلاح الفقهاء و الصوفية على شيين أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد و رد هجوم العدو عنها. و الثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحو المؤمنين لعبادة الله و ذكره و التفقه في أمور الدين.³³

³² ناجي جلول. (1999). الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس ص.15.

³³ حجي محمد. (1988). الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي. مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، الطبعة الثانية. ص.21.

« كل القرائن تدل على أن الرباط، رغم خصوصيته، يندرج في إطار التواصل الديني بين أفريقيا القديمة و إفريقية المسلمة. و هو تواصل دعمه التصوف القادم من المشرق في القرن الثالث للهجرة، عصر الرباطات، و كذلك عصر الأدب الزهدي، في الأمانة الأغلبية»³⁴.

« و تأتي الرابطة بمعنى الرباط سواء في الاطلاق على مكان الجهاد أو مكان العبادة، و ان كان بعضهم يسمي الجيش المقيم في الربط رابطة»³⁵.

« قد ارتبطت المرابطة في إفريقية منذ البداية بالتصوف [...]. كانت الرباطات أيضا مراكز لنشر الاسلام السني و لتوطين الفاتحين الجدد، و أداة للتوسع الزراعي. كما ارتبطت بها العديد من الأنشطة الاقتصادية الأخرى، مثل الصيد البحري و التجارة»³⁶.

يُعرف (حجي، 1988) الزاوية على أنها مكان يعد للعبادة و إيواء الواردين المحتاجين و إطعامهم. و تسمى في الشرق خانقاة و هو لفظ أعجمي يجمع على خانقعات أو خانقوات أو خانق. و لم تعرف الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس الهجري، و سميت في بادئ الأمر دار الكرامة، كالتي بناها يعقوب المنصور الموحي في مراكش، ثم أطلق إسم دار الضيوف على ما بناه المرينيين من الزوايا. كالزاوية العظمى التي أسسها أبو عنان المريني في خارج فاس و هي التي ذكرها ابن بطوطة.

« و في القرن الثامن الهجري-الرابع عشر الميلادي، تكاثرت الزوايا في المغرب، و نمت حولها مدارس استقر فيها طلبة العلم، الأمر الذي حدا بملوك بني مرين أن يشيدوا كذلك مدارس بجانب المراكز التعليمية الكبرى خصوصا جامع القرويين بفاس»³⁷.

أما (بودشيش، 2001) فيبين في أطروحة دكتوراه دولة بعنوان مؤسسة الزاوية بالمغرب بين الأصالة و المعاصرة:

أن مصطلح الزاوية استخدم منذ فجر الاسلام بتأكيد ما وجدته في كتاب شراح صحيح

³⁴ ناجي جلول، المرجع السابق، ص10.

³⁵ حجي محمد، المرجع السابق، 1988، ص23. عن محمد بن علي الدكالي، كتاب في الرباطات، ص2.

³⁶ ناجي جلول، المرجع السابق، 1999، ص10.

³⁷ حجي محمد، المرجع السابق، ص24.

البخاري³⁸، كما أن مؤسسة الزاوية و التربية الصوفية متجذرة في البيئـة الإسلامية لفظاً و معنى و مصطلحاً و مضموناً، بل انها من أصلاتها منذ عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و صحابته الكرام رضي الله عنهم.

لم يرد ذكر الزاوية أو الزوايا في القرآن الكريم، بينما جاء مصطلح الرباط في النصوص القرآنية التالية، بقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَمْ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. (الأنفال: الآية 60).

يقول السعدي³⁹ في التفسير:

أي (وأعدوا) لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. (مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أي: كل ما تقدرُونَ عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير. ولهذا قال النبي — صلى الله عليه وسلم — : (أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ) ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

³⁸ فمن ذلك ما قاله بدر الدين العيني في عمدة القاري: «الزاوية هو موضع ظاهر البصرة بينهما و بين البصرة فرسخان» و قال الامام بن حجر في فتح الباري: «الزاوية ظاهر البصرة معروف و هذا وصله ابن شيبـة من وجه آخر عن أنس أنه كان يشهد الجمعة من الزاوية وهي فرسخين على البصرة». فهذا الاسم ان كان علما يدل على مكان معين، يرجح أنه ارتبط بالاعتكاف على العبادة و اشتق منها.

³⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura8-aya60.html>

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران: الآية 200).

يقول السعدي⁴⁰ في تفسيره:

ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح - وهو: الفوز و السعادة و النجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، و على الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك. والمصابرة أي الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال. والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، و أن يراقبوا أعداءهم، و يمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلمهم يفلحون.

3.4. عناصر العمارة التقليدية المذكورة في النص القرآني :

1.3.4. الأسس و النص القرآني :

تنشأ في أول البناء الأسس، و هي مذكورة في النص القرآني، قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. (البقرة: الآية 127).

يقول السعدي⁴¹ في التفسير: « أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل، في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء، حتى إنهما مع هذا العمل دعوا الله أن يتقبل منهما عملهما، حتى يحصل فيه النفع العميم». و يقول الطبري⁴² في التفسير أن قواعد البيت أساسه.

و أشار النص القرآني الى أهمية القواعد في ارتكاز المبنى فبانهايارها ينهار كل المبنى ،قال تعالى:

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَى اللَّهَ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾. (النحل: الآية 26).

⁴⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura3-aya200.html>

⁴¹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura2-aya127.html>

⁴² <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya127.html>

و في تفسير السعدي⁴³ :

(قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) برسلمهم و احتالوا بأنواع الحيل على رد ما جاءوهم به وبنوا من مكرهم قصورا هائلة، (فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) أي : جاءها الأمر من أساسها و قاعدتها (فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) فصار ما بنوه عذابا عذبوا به، (وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) و ذلك أنهم ظنوا أن هذا البنيان سينفعمهم و يقيهم العذاب فصار عذابهم فيما بنوه و أصلوه. وهذا من أحسن الأمثال في إبطال الله مكر أعدائه .

و من الاشارات القرآنية الى أن صلابة البنيان في الأساسات أي من أصوله و من جهة العمود التي بنيت عليها و أن عذاب الله يأتيهم من جهة لا تخطر ببالهم.من الأساسات و السقف و هي بداية و نهاية أجزاء البناية.

2.3.4. العمود و النص القرآني :

يُبين (عثمان،1994،130) أن :

عمد : (بغير عمد ترونها) العمود من وسائل الرفع في العمارة ،الجمع عمد و أعمدة.و العمود خلاف الدعيمة و السارية ،العمود ما كان من رخام لحمل و رفع عقود البناء ليقوم فوقها السقف و كانت شائعة عند الرومان و بقيت في آثارهم،أما الدعيمة من بناء حجر أو آجر مطلية بالجص لحمل الأسقف كما هو معروف في جامع ابن طولون بمصر فقد وجدت للتغلب على نقص الرخام ثم عدم توفر الأعداد الكافية المتجانسة لبناء واحد كبير،مثل هذا الاشكال كان سببا ابتكار المسلمين (لفكرة التغلب على اختلاف أطوال الأعمدة الرخام المجلوبة من الآثار القديمة لجامع القيروان) ابتكارهم لعنصري الطنفة و القرمة و القواعد أسفل الأعمدة و أسفل و أعلى التيجان لتوحيد أطوال الروافع.

كان العمود في بدايته عنصرا انشائيا ثم تحول تدريجيا الى عنصر تزييني في الكثير من الأحيان.أما في النصوص القرآنية فقد ذُكر العمود في أكثر من مرة، فتارة يعبر عن رمزية رفع قبة السماء في قوله تعالى :

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ... ﴾. (الرعد، الآية 2).

⁴³ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura16-aya26.html>

يقول السعدي⁴⁴ في التفسير:

يتلو تعالى على عباده، آثارا من آثار قدرته، وبدائع من بدائع حكمته، ونعما من آثار رحمته، فقال: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ) السبع على عظمها، وسعتها، وكثافتها، وارتفاعها الهائل. (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرئيت، وإنما استقرت واستمسكت، بقدره الله تعالى. (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) أي: جبالا عظيمة، ركزها في أرجائها وأنحائها، لئلا (تَمِيدَ بِكُمْ) فلولاً الجبال الراسيات لمادت الأرض، ولما استقرت بساكنيها .

و هنا اشارة قرآنية الى دور العمد في الثبات و تحقيق الاستقرار، كمثّل دور الجبال الراسيات في الأرض في تحقيق الاستقرار بساكنيها. قال تعالى:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. (النحل: الآية 15).

يقول تفسير الوسيط لطنطاوي⁴⁵:

ولفظ: (رواسي) جمع راس من الرسو - بفتح الراء وسكون السين - بمعنى الثبات والتمكن في المكان، يقال رسا الشيء يرسو إذا ثبت. وهو صفة لموصوف محذوف. أي: جبالا رواسي. و (تميد) أي تضطرب وتميل. يقال: ماد الشيء يميد ميذا، إذا تحرك، ومادت الأغصان إذا تمايلت أي: وألقى - سبحانه - في الأرض جبالا ثوابت لكي تقر وتثبت ولا تضطرب. فقلوه (أن تميد بكم) تعليل لإلقاء الجبال في الأرض.

و يقول الطبري⁴⁶ في التفسير:

يقول تعالى نكره: و من نعمه عليكم أيها الناس أيضا، أن ألقى في الأرض رواسي، و هي جمع راسية، و هي الثوابت في الأرض من الجبال. و قوله (أن تميد بكم) يعني: أن لا تميد بكم، و ذلك كقوله يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا و المعنى: أن لا تضلوا. و ذلك أنه جل ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يميد خلقه الذي على ظهرها، بل و قد كانت مائدة قبل أن تُرْسَى بها .

و من هنا نتجلى عظمة القرآن في الدقة في تشبيهه تماسك و ثبات الأرض، عن طريق تشبيهه الجبال

⁴⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura31-aya10.html>

⁴⁵ <http://www.quran7m.com/searchResults/016015.html>

⁴⁶ <http://www.quran7m.com/searchResults/016015.html>

بأن لها شكل الوند. و هنا اشارة قرآنية الى نعمة الله على عباده في ثبات و استقرار الحياة على الأرض عن طريق ثوابت الجبال، و كذلك الى رحمة الله عزاً و جل بعباده.
و يرمز العمود الى التثبيت في الأرض. قال تعالى:

﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾. (19) وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) ﴿. (الغاشية: الآية 19-20).

يفسرها السعدي⁴⁷ في :

« (وَ إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) بهيئة باهرة، حصل بها استقرار الأرض و ثباتها عن الاضطراب، و أودع فيها من المنافع (الجليلة) ما أودع». كما يقول السعدي⁴⁸ في التفسير:
« (وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) أي: مدت مداً واسعاً، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر الخلائق على ظهرها، و يتمكنوا من حرثها و غراسها، و البنيان فيها، و سلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها» .

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7)﴾. (النبا: الآية 6-7).

يقول السعدي⁴⁹ في التفسير :

« أما أنعمنا عليكم بنعم جليلة، فجعلنا لكم (الأرض مهاداً) أي: ممهدة مهياً لكم و لمصالحكم، من الحروث و المساكن و السبل». كما يفسر السعدي⁵⁰ : « (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم و تميد» .

و قال تعالى : ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾. (النازعات : الآية 32).

يقول القرطبي⁵¹ في التفسير : « و الجبال أرساها قراءة العامة (و الجبال) بالنصب ، أي وأرسى الجبال أرساها يعني : أثبتها فيها أوتادا لها». و هنا بيان من الله على نعمته و قدرته، فجعل الأرض مهياً للإنسان في البناء و جعل الجبال الشواهد أوتادا ، تمتد في الأرض لتمنع اضطرابها.
و يرمز العمود الى البذخ و الطغيان في قوله تعالى:

﴿...وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾. (ص : الآية 12).

⁴⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura88-aya19.html>

⁴⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura88-aya20.html>

⁴⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura78-aya6.html>

⁵⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura78-aya7.html>

⁵¹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura79-aya32.html>

و قوله تعالى:

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾. (الفجر: الآية 10).

و أشار الشيخ محمد صنقور⁵² في تفسير الأوتاد الى أن :

جمع وتد، والمراد من الوند هو ما يتم تثبيته في الأرض، أو ما هو ثابت في الأرض. لذلك يُقال للجبل أنه وتد، نظراً لثباته وتجزئه في الأرض، ويقال لعمود الخيمة الذي تعتمد عليه الخيمة أنه وتد الخيمة، وكذلك يُقال للأعمدة الصغار التي تُثبَّت بها أطراف الخيمة أنها أوتاد. ثم استعمل الوند في الصروح المشيئة السامقة العالية، وإنما يُقال للمباني، والصروح والأبراج العالية أوتاداً، لأنها مُثبَّتة في الأرض سامقة في السماء. ففرعون ذو الأوتاد تعبير عن قوته، وسعة قدرته، حيث أن له صروحاً ومباني مشيئة. هذا هو المحتمل الأول من وصف فرعون بذي الأوتاد. وثمة معنى آخر أشارت إليه بعض الروايات.

و هنا اشارة في النصوص القرآنية الى النظر في الدقة في تشبيه الجبال بالأوتاد و الدعوة الى البحث في تفاصيل التشابه.

3.3.4. السقف و القبة في النص القرآني :

أشار النص القرآني الى وصف السماء بعنصر من عناصر البناء و هو السقف. قال تعالى:

﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾. (الطور: الآية 5).

يقول السعدي⁵³ في التفسير: « (وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ) أي: السماء، التي جعلها الله سقفا للمخلوقات، وبناء للأرض، تستمد منها أنوارها، ويقتمدى بعلاماتها ومنارها، وينزل الله منها المطر والرحمة وأنواع الرزق».

و قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾. (الأنبياء: الآية 32).

يقول ابن كثير⁵⁴ في التفسير :

و قوله: (وجعلنا السماء سقفا) أي: على الأرض وهي كالقبة عليها ، كما قال : (و السماء

بيناها بأيدي و إنا لموسعون) (الذاريات : 47) ، و قال (والسماء وما بناها) (الشمس : 5) ،

⁵² <http://www.hodaalquran.com/details.php?id=10141>

⁵³ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer-saadi-baghawy-qortobi-tabary/sura52-aya5.html>

⁵⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura21-aya32.html>

(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها و ما لها من فروج) (ق : 6) ، و البناء هو نصب القبة ، كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : بني الإسلام على خمس " أي : خمس دعائم ، وهذا لا يكون إلا في الخيام ، على ما تعهده العرب.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُفْقًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ(33) وَلِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ (34) وَزُخْرَفًا ۚ وَإِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فَمَا لَكُم مِّنْ أَسْلِحَةٍ فَذَرُواهُنَّ إِن كُنتُمْ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35) ﴾ .(الزخرف: الآيات 33-35).

يقول السعدي⁵⁵ في التفسير:

« يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئاً، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده، التي لا يقدم عليها شيئاً، لوسّع الدنيا على الذين كفروا توسيعاً عظيماً، و لجعل (لبيوتهم سُفْقًا مِّنْ فِضَّةٍ و معارج) أي : درجا من فضة (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) على سطوحهم». يقول الطبري⁵⁶ في التفسير: « يقول تعالى ذكره: وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة، و سُرُرًا من فضة.» و يفسرها الطبري⁵⁷ : (وَ زُخْرَفًا) يقول: و لجعلنا لهم مع ذلك زخرفاً، و هو الذهب» .

و يقول السعدي⁵⁸ في التفسير:

و لجعل لهم (زخرفاً) أي: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاما أو خاصا لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدره، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

و هنا إشارة قرآنية على تأكيد الآيات على أن هذه المظاهر المادية و التي قد يعطيها الله للكافرين لتعذيبهم في الآخرة و أن هذه الدرجة من النعيم ليس امتيازاً بالدنيا. و يمكن الاستنتاج أن عناصر المبنى يمكن أن تتخذ أعلى درجات الزخرفة بأثمن المعادن من الذهب و الفضة في:السقف و

⁵⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura43-aya33.html>

⁵⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura43-aya34.html>

⁵⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura43-aya35.html>

⁵⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura43-aya35.html>

الأبواب و السرر. و أن السقف بالاضافة الى كونه عنصرا انشائيا لتغطية المبنى يمكن له أن يتخذ أعلى درجة من الزخرفة. ذكرت مادة الذهب 8 مرات في النص القرآني و ذكرت الفضة 6 مرات، بينما ذكر الحديد 5 مرات. و هنا اشارة الى ترتيب المعادن حسب أهميتها.

و قد اقترنت كلمة الذهب بالفضة مرتين في النص القرآني، قال تعالى:

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾. (آل عمران: الآية 14).

و في قوله تعالى :

﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾. (التوبة: الآية 34).

و تبين الآيتان منزلة الذهب و الفضة الكبيرة عند الانسان، و أن الصراع الدنيوي قائم من أجل تملك هذين المعدنين.

تُمثل القبة عنصرا أساسيا من عناصر العمارة الإسلامية، يهدف إلى حلّ إنشائي لتغطية الفراغات الكبيرة. و القبة هي كل بناء دائري المسقط مقعر من الداخل و تتكون من ثلال أجزاء: مناطق الانتقال، الرقبة و الخوذة.

يُرجح (لمعي، 1987) أن عدم استعمال القباب في العمارة الإسلامية لفترة الى عدم معرفة العرب بالجزيرة العربية لطريقة الانشاء للقباب. ففي أول الفتح الاسلامي استعملت الأسقف المستوية و كذلك لم تستعمل القباب في اعادة بناء المساجد، غير أن شكل القبة كان معروفا لهم لوجوده في البلاد المحيطة بهم. « لهذا نجد هذه القباب في العمارة الإسلامية للبلاد المحيطة بشبه الجزيرة العربية ، و الاحتكاك بالحضارات في بلاد ما بين النهرين و بالعمارة المسيحية الشرقية و العمارة القبطية في مصر، و أن ما أورده بعد الكتاب عن القباب عند العرب قبل الإسلام ما هو الا خيم بشكل قبة فقط». ⁵⁹. كانت القبة من أهم مميزات العمارة الإسلامية و أجمع المؤرخون أن أقدم قبة في الاسلام هي التي أقيمت على عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان في العصر الأموي و

⁵⁹ لمعي صالح. (1987). القباب في العمارة الإسلامية. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. ص. 19.

المعروفة باسم قبة الصخرة (72هـ/691م)، و ذلك نسبة إلى الصخرة التي تحتضنها والتي عرّج منها النبي صلى الله عليه و سلم إلى السماء، فكانت قبلة المسلمين إليها، ثم تغيرت بأمر من الله سبحانه وتعالى في العام الثاني من الهجرة إلى الكعبة المشرفة. قال تعالى:

﴿ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ... ﴾. (البقرة: 144 الآية).

و منذ ذلك الحين جذبت قبة الصخرة انتباه المسلمين و أصبح لهم عقيدة حية في قلوبهم صوب هذه الصخرة المقدسة.

و من المعروف أن هذه القبة كانت متأثرة عند انشائها بقبة كنيسة القبر المقدس (335م) و التي كانت بالتالي متأثرة بمدفن سانتا كونستانزا (Santa Constanza) بروما (330م) ، و قد عالج العالم الأثري المعروف كريسويل هذا الموضوع بعناية، موضحا كافة التأثيرات المعمارية و الانشائية و الزخرفية من العمارة البيزنطية على عمارة قبة الصخرة.⁶⁰

كما وجدت القباب في المساجد فوق المحراب، فنجدها في مسجد قرطبة، و في المسجد الكبير بسوسة و المسجد الكبير في القيروان بتونس.

و يُرجح (لمعي، 1987) أن وجود القبة أعلى الفراغ أمام المحراب هو نوع من التأكيد المعماري على مكان المحراب، و ذلك بتغطية هذا المكان بسقف يخالف بقية سقف المسجد، غير أن القبة أمام المحراب امتازت بكبر حجمها و تميز تشكيلها الخارجي عن باقي القباب الأخرى الصغيرة المتواجدة في أركان المسجد.

و يُبين (لمعي، 1987) تعدد أنواع القباب في العصور الإسلامية، حيث مثلت القبة العنصر الأساسي في التسقيف بجميع المباني الدينية بشكل خاص في العصر العثماني في تركيا أو في بلدان الانتداب العثماني، نظرا لتأثرها بالعمارة البيزنطية. و وجدت القبة في القصور الأموية و العراقية. و شاع استعمال القباب البصلية الشكل في العمارة الإسلامية في إيران و سمرقند و الهند. كما وجد نوع آخر من القباب في بعض المباني الإسلامية و هي القباب المفرغة ، و التي نجدها في جامع قرطبة و في الجامع الكبير في تلمسان أمام المحراب، و في مصر في العصر الفاطمي.

⁶⁰ لمعي صالح، المرجع السابق، ص 19.

و وجدت أقدم أمثلة عن القبة المفرغة في العمارة الرومانية، كالمبنى المعروف باسم ماركيير طونيل (Mercure temple) في باجي (Bajae). أخذ المسلمون القباب عن الساسانيين و البيزنطيين و الأقباط، فانتشرت القباب في العالم العربي الإسلامي بأنواعها المختلفة، كما استعملوها في الأضرحة. و ظهرت فكرة الأضرحة في الحضارات القديمة كالأهرامات لدى الفراعنة التي استخدمت كمدافن لملوكهم. و تأثر العرب المسلمون بحضارات و عادات تلك الشعوب التي دخلت في الإسلام كالفرس و السلاجقة و الهنود وغيرهم و أخذوا عنهم فكرة بناء الأضرحة و المقامات، إلا أن البناء على القبور أو اتخاذ المساجد عليها يُعتبر من الوسائل المحرمة في الإسلام. لقد حقق المسلمون فكرة استعمال القباب على طريقتهم و تطوير أشكالها بما يناسب تصورهم للعناصر المعمارية الإسلامية، فتميزت بطابع خاص عن تلك التي تأثروا بها في أولى الحضارات السابقة.

و الشكل الأصلي للمدفن عبارة عن صالة مربعة مغطاة بقبة، و لتحويل المسقط المربع الى دائرة اعتمدت منطقة انتقال مثمثة المسقط، فتطورت خلال العصور الإسلامية و تعددت أشكالها في البلاد الإسلامية باستعمال الحنايا الركنية أو المثلثات الكروية أو الاثنتين معا، مع تشكيل هذه الأسطح بالمقرنصات في بعض الأحيان. كذلك تنوعت طرق تشكيل السطح الخارجي لمنطقة الانتقال.⁶¹

و أبدع المسلمون في القباب في كل من مصر و سوريا، حيث تميزت القباب في مصر بارتفاعها و تناسب أبعادها و بما على سطحها من زخارف هندسية بارزة و بديعة. كما أعتمد زيادة ارتفاع القبة برفع الجزء الأسفل. و قد تنوعت أنواعها من النصف كروية، المضلعة و البيضوية و البصلية الشكل. تميزت القباب في المغرب العربي بكونها من النوع النصف كروي تقريبا، و لا توجد زخارف خارجية الا نادرا، كما عرفت الجزائر نوعا من القباب البيضوية الشكل. و للقباب دور مهم في الفن المعماري: وظيفي، جمالي و روحي. فالجانب الوظيفي يعمل على تخفيف الضغط و توزيع الثقل على الجدران أو الأعمدة، كما أنها تتأقلم مع طبيعة المناخ في المناطق الإسلامية و التي أغلبها حارة. فهي عازلة للحرارة و سموها في السماء يسمح بارتفاع الهواء الساخن و تسهيل حركته و تجديده عن طريق النوافذ المفتوحة، أما الجانب الجمالي عن طريق شكلها و زخرفتها.

⁶¹ لمعي صالح، المرجع السابق، ص 23.

و أما من الجانب الروحي ، فللقباب رمزية السماء في الارتفاع عالياً. و يُوضح (لمعي، 1987) أن ارتباط القبّة بالشكل السماوي يكون السبب في تغطية المدافن بالقباب، لدى المسيحيين و خاصة في القرن الرابع الميلادي في سوريا و فلسطين.

و ما يفسر استمرار المسلمين اعتماد انشاء القبّة فوق القبور في أماكن و سنوات متباعدة في العمارة الإسلامية، هو الاعتقاد في التفسيرات الخاصة بالنصوص القرآنية ، أن أقرب تصور للسقف المرفوع بدون أعمدة هو القبّة في: (لقمان: الآية 10) و (الرعد: الآية 2). يقول البغوي⁶² في التفسير: « قال إياس بن معاوية : السماء مقببة على الأرض مثل القبّة. و قيل " : ترونها " راجعة إلى العمد، معناه لها عمد و لكن لا ترونها. و زعم : أن عمدها جبل قاف ، وهو محيط بالنديا، و السماء عليه مثل القبّة ».

و منه فالسماء بناء و معجزة الله. إن الآيتين الأخيرتين تشيران إلى أوجه الإعجاز في بعض مظاهر قدرة الله تعالى في هذا الكون.

4.3.4. الزخرفة في النص القرآني :

و الزخرف هي الزينة المزوقة، و منه قيل للذهب: زخرف. و ذكر مصطلح زُخْرُفًا في قوله تعالى :

﴿ وَ زُخْرُفًا ۖ وَ إِن كُلاًّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَ الْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾. (الزخرف : الآية 35).

يقول القرطبي⁶³ في تفسير (و زخرفا):

الزخرف هنا الذهب ، عن ابن عباس وغيره. نظيره : أو يكون لك بيت من زخرف و قد تقدم . وقال ابن زيد : هو ما يتخذ الناس في منازلهم من الأمتعة والأثاث . وقال الحسن : النقوش ، وأصله الزينة . يقال : زخرفت الدار ، أي : زينتها . وتزخرف فلان ، أي : تزين . و انتصب (زخرفا) على معنى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا . وقيل: بنزع الخافض، والمعنى فجعلنا لهم سقفا وأبوابا وسررا من فضة ومن ذهب ، فلما حذف (من) قال : وزخرفا فنصب.

⁶² <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura13-aya2.html>

⁶³ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura43-aya35.html>

و قال تعالى: ﴿... حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتَتْ...﴾. (يونس: الآية 24).

يقول السعدي⁶⁴ في التفسير:

« تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين، فصرت ترى لها منظراً عجباً ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض و غيره. »

و قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ...﴾. (الإسراء: الآية 93).

و يقول القرطبي⁶⁵ في التفسير: « أو يكون لك بيت من زخرف أي من ذهب.»

و الزخرف اشارة قرآنية الى زخرف الدنيا و متاعها و التي جعلها الله لتناسب حياة الانسان ، و في معيشته كالبيوت. و هو زينة الشيء التي تصر الناظرين و تتخذ مظهر التناسق بشكلها و ألوانها. إمتدت الزخرفة من تخطيط القرآن إلى العمارة بتفاصيلها المتعددة، من أبواب وشبابيك و واجهات معمارية حيث بلغت أرقى الجماليات منذ القرون الوسطى. كما تطورت الزخارف عبر خلق أشكال جديدة من الخط العربي نتيجة الاستفادة من موروث الأشكال الزخرفية في الحضارات الأخرى ، و تحديدا الفارسية والصينية. استخدم المسلمون الخط كعنصر زخرفي، فقد كان الخط العربي مظهرا من مظاهر الجمال. و الزخارف الكتابية آية متميزة، فالله كرم القلم والكتابة ، قال تعالى :

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. (سورة القلم: الآية 1).

و كان الخط الجميل تعظيماً واحتراماً للكتابات القرآنية التي لم يخلُ منها مسجد أو بيت. فالإسلام يدعو إلى إضفاء الجمال على الأشياء وتزيينها، ولكن دون إسراف أو تقتير، قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف : الآية 32).

كما نجد أن كل ما أستعمل في الزخرفة الاسلامية ورد ذكره في القرآن الكريم ، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (الأنعام : الآية 99).

⁶⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura10-aya24.html>

⁶⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura17-aya93.html>

كما ركز فنانو الزخرفة كثيرا في رسوماتهم على الماء، و قد بين الله تعالى في آية أخرى نعمة الماء الجلييلة في قوله تعالى :

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. (الأنبياء : الآية 30).

و الى نبات الأرض ، في قوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾. (الرحمن : الآية 6).

قال المفسرون أن المراد من النجم ما ينجم من الأرض مما ليس له ساق ، ومن الشجر ما له ساق.

4.4. مواد البناء المذكورة في النص القرآني :

و قد ورد ذكر مواد البناء في النص القرآني، كما أن اختيار أحسن التفسير للآيات القرآنية من شأنه التوضيح و الاستنباط.

1.4.4. الحديد :

و ذكر الحديد في النص القرآني :

قال تعالى : ﴿...وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾. (الحديد: الآية 25).

يقول البغوي⁶⁶ في التفسير : « (وأنزلنا الحديد) روي عن ابن عمر يرفعه : إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض : الحديد والنار والماء والملح وقال أهل المعاني معنى قوله : " أنزلنا الحديد " (أنشأنا وأحدثنا أي : أخرج لهم الحديد) من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه»

و ذكر الحديد في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۗ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۗ وَاللَّوْنُ لَهُ الْحَدِيدَ﴾. (سبأ: الآية 10).

يقول الطبري⁶⁷ في التفسير : « وقوله (وَاللَّوْنُ لَهُ الْحَدِيدَ) ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد» . و ذكر القرآن قصة ذو القرنين أنه الملك الصالح فكانت أخلاقه منحة إلهية. و هو الذي آمن بالله وبالبعث والحساب، فمكّن الله له في الأرض، و قوى ملكه، و يسر له فتوحاته.

و استعمل الحديد في البناء، في قوله تعالى:

⁶⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura57-aya25.html>

⁶⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura34-aya10.html>

﴿ أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ ﴾. (الكهف: الآية 96).

يقول السعدي⁶⁸ في التفسير :

(أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك. (حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد (قَالَ انْفُخُوا) النار أي: أوقدوها إيقادا عظيما، واستعملوا لها المنافخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد (قَالَ أَتُونِي أُفْرِغُ عَلَيْهِ قِطْرًا) أي: نحاسا مذابا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكما هائلا، وامتنع من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج و مأجوج .

2.4.4. الصخر و الحجارة :

ذكر الصخر في النص القرآني في قوله تعالى:

﴿ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۖ ﴾. (الفجر: الآية 9).

يقول البغوي⁶⁹ في التفسير: « (وتمود) أي : وتمود ، (الذين جابوا الصخر) قطعوا الحجر، واحدها : صخرة ، (بالواد) يعني (وادي القرى) كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتا». و يبين النص القرآني شدة صلاب الحجارة و الحديد في قوله تعالى:

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۖ ﴾. (الاسراء: الآية 50).

يقول البغوي⁷⁰ في التفسير: « (قل) لهم يا محمد : (كونوا حجارة أو حديدا) في الشدة والقوة و ليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز أي : استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة» .

قال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَتَحْتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ ﴾. (الأعراف: الآية 74).

⁶⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura18-aya96.html>

⁶⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura89-aya9.html>

⁷⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura17-aya50.html>

يقول السعدي⁷¹ في التفسير:

(وَأَنْذَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ) في الأرض تتمتعون بها وتدركون مطالبكم (مِنْ بَعْدِ عَادٍ) الذين أهلكهم الله، وجعلكم خلفاء من بعدهم، (وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ) أي: مكن لكم فيها، وسهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تريدون وتبتغون (تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا) أي: من الأراضي السهلة التي ليست بجبال، تتخذون فيها القصور العالية والأبنية الحصينة، (وَتَتَّخِذُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) كما هو مشاهد إلى الآن من أعمالهم التي في الجبال، من المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال.

قال تعالى: ﴿ وَ تَتَّخِذُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾. (الشعراء: الآية 149).

يقول السعدي⁷² في التفسير: « بلغت بكم الفراهة والحدق إلى أن اتخذتم بيوتا من الجبال الصم الصلاب. »

و في قوله تعالى: ﴿ وَ كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾. (الحجر: الآية 82).

يقول الطبري⁷³ في التفسير: « وكان أصحاب الحجر، وهم ثمود قوم صالح، (يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ) من عذاب الله، وقيل: آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال. و قيل: آمنين من الموت. »

و هنا تحدث النص القرآني عن قوم نحتوا الجبال في زمن مضى، و اتخذوا منها بيوتا من الحجارة يتحصنون بها. و الجبال اشارة قرآنية الى الصلابة و توفير الأمن و الثبات في البنين.

3.4.4. النحاس:

و ذكرت مادة النحاس في النص القرآني في قوله تعالى :

﴿ ...وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ... ﴾ (سبأ: الآية 12).

يفسرها البغوي⁷⁴: « (وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ) أي : أدبنا له عين النحاس، و "القطر " : النحاس. »

⁷¹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura7-aya74.html>

⁷² <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura26-aya149.html>

⁷³ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura15-aya82.html>

و قال تعالى: ﴿...أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾. (الكهف: الآية 96).

4.4.4. البلور:

و ذكر البلور في النص القرآني في قوله تعالى :

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (النمل: الآية 44).

يقول ابن كثير⁷⁵ في التفسير: «و الصرح: قصر في اليمن عالي البناء، و الممرد أي: المبنى بناء محكما أملس (من قوارير) أي: زجاج. و تمرید البناء تمليسه» .

5.4.4. الطين و الآجر:

و ذكر الطين في النص القرآني في قوله تعالى :

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْعَمُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾. (القصص: الآية 38).

يقول البغوي⁷⁶ في التفسير:

(وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين) فاطبخ لي الآجر، وقيل: إنه أول من اتخذ من الآجر وبنى به، (فاجعل لي صرحا) قصرا عاليا، وقيل: منارة، قال أهل التفسير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح، جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء، ومن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب ويضرب المسامير، فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق.

و هنا إشارة قرآنية الى كيفية الاستفادة من المادة الأولية للبناء كالطين و استخراج منها مواد أخرى أكثر صلابة تعزز المواد الخاصة بالبناء كالآجر.

⁷⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura34-aya12.html>

⁷⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura27-aya44.html>

⁷⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura28-aya38.html>

6.4.4. جلود الأنعام:

و جلود الأنعام نجدها في النص القرآني في قوله تعالى:

﴿...وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ...﴾. (النحل: الآية 80).

يقول الطبري⁷⁷ في التفسير: «(وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) وهي البيوت من الأنطاع والفساطيط من الشعر والصوف والوبر. (تَسْتَخِفُّونَهَا) يقول: تستخفون حملها ونقلها، (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم، (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ) في بلادكم وأمصاركم.» و هنا اشارة قرآنية الى البنايات الخفيفة و المؤقتة خاصة في المناطق الرعوية و التي تبنى من جلود الأنعام .

تبين النصوص القرآنية مختلف مواد البناء التي صخرها الله سبحانه و تعالى للانسان لاتقان العمل و البناء، من أجل تحقيق المهمة الأساسية في الحياة. و هي مهمة اعمار الأرض التي تعتمد على اتقان العمل و البناء باستثمار الخيرات و الإمكانيات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، بالإضافة الى شرط اتباع المبادئ و القيم الاسلامية. قال تعالى :

﴿...هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾. (هود: الآية 61).

يقول السعدي⁷⁸ في التفسير :

(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) أي : خلقكم فيها (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) أي : استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحراثون ما شئتم، وتتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته.

و قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. (التوبة: الآية 109).

⁷⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura16-aya80.html>

⁷⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura11-aya61.html>

يقول السعدي⁷⁹ في التفسير :

ثم فاضل بين المساجد بحسب مقاصد أهلها وموافقها لرضاه فقال: (أَقْمَنَ أَسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ) أي: على نية صالحة وإخلاص (وَرِضْوَانٍ) بأن كان موافقا لأمره، فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة، (خَيْرٌ أَمْ مِنْ أَسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا) أي: على طرف (جُرْفٍ هَارٍ) أي: بال، قد تداعى للانهدام، (فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) لما فيه مصالح دينهم ودنياهم.

خلاصة :

تبيّن من خلال هذا الفصل أن للعمارة التقليدية علاقة بالنص. فالقرآن الكريم هو النص لأنه ظاهر مدون في كتاب حيث يتجلى النص القرآني بأسلوبه البياني المعجز البليغ. و هو ظاهر لأنه من الخالق الى المخلوق، و هو محفوظ من الخالق. و القرآن هو الكتاب الجامع لكل أحكام السماء، منذ بداية الرسالات حتى يوم القيامة. و بتقديم المفهوم الدقيق للمصطلحات المعمارية المتقاربة الخاصة بالمسكن نجد أن النص القرآني قد فصل بدقة في طبيعة و صفة كل الفضاءات المعمارية، و بين شروط خصوصياتها.

و يتبين من خلال الآيات القرآنية التقسيم الواضح للوظائف من خلال التصور المكاني و الشكلي للبيت. فالتصور الشكلي يوضح طبيعة مواد المبنى حسب طبيعة الإقامة، فإن كانت دائمة فهي مبنية بالحجارة وغيرها من المواد التي لا تتآكل بفعل المناخ و الزمن. و كذلك يذكر الواجهة الأمامية التي لها مدخل و الخلفية للبيت ثم معارج البيت و هي السلالم و كذلك أبواب، أسقف وأثاث البيت. أما التصور المكاني للبيت يكون حسب الوظائف اليومية: فوظيفة الاستقبال لها مكان خاص بالضيافة، وإعداد الطعام له مكان كذلك، بالإضافة لمكان الراحة و النوم، ومكان الطهارة تحقيقا لشروط العبادة. فالبيت خاضع لمبدأ الحرمة و التدرج ابتداء من المدينة إلى حدود البيت.

و تتحقق الخصوصية من الداخل في البيت حسب تدرج التوزيع المكاني للوظائف داخل البيت، حيث اقترن التوزيع المكاني بالتوزيع الزمني. أما تحقيق الخصوصية من الخارج، فيعتمد على تدرج توزيع الوظائف حسب طبيعتها الى غاية الوصول الى الغرف. و التي تحتاج الى الهدوء التام

⁷⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura9-aya109.html>

لتوفير الراحة و الاسترخاء و لتحقيق المبدأ العام للبيت ألا وهو السكنية. أما المسجد و المدرسة و الزاوية و الرباط ، فقد تم الاستعانة بالنصوص القرآنية بصفة أساسية و مصادر تاريخية لمعرفة أصل نشأتها و بداية تطورها عن طريق : الشرح ، التفسير لآيات متعددة و الاستنباط.

و المسجد هو بيت من بيوت الله وهو من أبرز المباني باعتباره مركز التوجيه و التوحيد في المدينة. إن تخطيط المسجد الجامع نظام أصيل في تاريخ العمارة ، استحدث في السنة الأولى من الهجرة و يخضع لمبادئ ثابتة كما أن الغاية الدينية وحدها هي التي وضعت أصول نظام المسجد، و الفكرة التي تشعب منها بناء المسجد لا يقف أمامها الفضاء عند حد أو نهاية. و أقيمت مساجد في البصرة ، الكوفة ، و في الفسطاط على نمط مسجد الرسول و اتفق نظامها كلها مع الفكرة الدينية التي تحققت في المدينة. كما أن نظام بيت الصلاة في المسجد يستدعي امتداد الصفوف طوليا أكثر من مساجد الإسلام الأولى و نجد ذلك في مسجد الرسول في المدينة و مسجد القيروان. فبيت الصلاة في كليهما يرتسم في الفضاء بالشكل الذي ترتسم به صفوف من المصلين، ممتدة متوازية و متساوية. إن مبادئ تصميم المساجد قد شهدت عدة تغيرات عبر الزمن لاعتبارات تصميمية و تخطيطية للمسجد و ذلك حسب المتطلبات و الاحتياجات الوظيفية و الاجتماعية و الدينية ، لكن مع المحافظة على مبادئها الأصلية الثابتة. و من بين المبادئ التصميمية لعمارة المساجد ضرورة الاتجاه نحو القبلة، وهي الجهة التي شرع الله سبحانه و تعالى للمسلمين التوجه إليها، بتحديد النص القرآني. و المحراب كان في بداية ظهوره ، عبارة عن حنية في حائط حرم الصلاة تشير إلى جهة قبلة المسجد الحرام بمكة المكرمة، ثم خضع للعديد من التطورات و التغيرات خلال العصور الإسلامية. و كلمة محراب ذكرت في النص القرآني في خمسة مواضع و بمعاني مختلفة ، لكن لم يقصد به المحراب المتعارف عليه بشكله الحالي و إنما يقصد به البيوت و المصلى و المكان المقدس للعبادة. و ظهر المحراب في القرن الثاني للهجرة وهو أول محراب أنشئ في الإسلام و وضع في مسجد النبي صلى الله عليه و سلم. و المحراب هو نتيجة تطور طبيعي للعلامة الدالة على اتجاه القبلة ، اقتضته مكانته المعنوية الروحية و الدينية و الطبيعة الانشائية و العملية للأشكال المعمارية و الزخرفية.

و يُعتبر المسقط الأفقي المستطيل للمسجد من أفضل المساقط على وجه العموم ، على أن يكون

متعامدا على اتجاه القبلة و كذلك لبيت الصلاة، كما أن الغرض من الشكل الطولي لبيت الصلاة هو توفير أكبر عدد من المصلين في الصفوف الأولى خلف الإمام مباشرة ،لما لها من فضائل و فوائد و أجر عظيم عند الله ، و منها أن القرعة على الصف الأول لما للصف الأول من فضيلة و وثاوبت الصلاة فيه، كما ثبت أن الصف الأول على مثل صف الملائكة. و من فضائل الصف الأول أنه خير الصفوف و أن الله تعالى و ملائكته يصلون على الصفوف الأول و الصف المقدم أكثرها صلاة، و من فضائل الصف الأول كذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم صلى على الصف الأول ثلاثا ، و على الثاني مرة واحدة.و قد ابتكر العثمانيون حلول معمارية في تخطيط بيت الصلاة، و تميزه بسعة مساحته الداخلية مع قلة الأعمدة والدعائم والعقود ، لتحقيق المطلب العقائدي الذي يحث المصلين على وصل الصفوف من دون أن يقطع امتدادها قاطع.

و الصحن هو المساحة المكشوفة من المسجد وتتصل بحرمة وأروقته وجدرانه الخارجية، وقد اتخذت في مساجد الأمصار التي دانت بالإسلام اقتداء بعمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كانت فيه مساحة مكشوفة بين ظلتين: إحداهما في الجهة الجنوبية والأخرى في الجهة الشمالية.للصحن دور وظيفي في استعماله كامتداد لبيت الصلاة في إقامة الصلوات الجامعة،كذلك في بناء فسقية أو حوض ماء،وكونه مصدرا أساسيا للتهوية و الاضاءة.و قد اعتمد التدرج في الدخول الى المسجد عبر مراحل للحفاظ على طهارة المسجد و هذا مرورا بالصحن.أما المئذنة تعتبر الوحدة المعمارية و المعلم الديني الذي يهتدى به، وتتميز بعلوها عن باقي المباني و لها وظيفة رمزية و انتفاعية في وصول و انتشار صوت الأذان. فلم تكن هنالك مآذن في بداية الإسلام ولم يكن هناك أي شكل معماري محدد للقيام بهذا الواجب. لكن مع انتشار الاسلام نشأت الحاجة إلى المئذنة.هناك خلاف حول بداية الشكل المعماري للمئذنة،و يجمع مؤرخوا المسلمين أن ظهور المآذن في المساجد يرجع الى الدولة الأموية.أصبحت المئذنة الدليل و الرمز على وجود مكان المسجد، حيث تشكل مع القبة رمزا دالا على المسجد موضع عبادة المسلمين، كما ساهمت المئذنة و القبة في توحيد الصورة الذهنية للتشكيل المعماري الاسلامي في مختلف مناطق العالم.

إن ما قرره النص القرآني ابتداء ثم ما نشأ عن تعاليم الرسول صلى الله عليه و سلم شارحا و مبينا لوحي الله ، ساعد المسلمين على الاجتهاد في تحسين و تطوير عناصر معمارية تنطلق من قيم اسلامية عليا و من مبادئ تساعد على ايجاد حلول معمارية.

لقد بدأ تخصيص أماكن للتعليم في عصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كان المسجد يضمن هذه الوظيفة ثم تم تخصيص مرفق مخصص بما يسمى المدرسة و بإشراف من المسجد. و لم تذكر النصوص القرآنية المدرسة ، و قد وردت بمعاني مختلفة منها : للدعوة و الحث على العلم، اتباع ما في القرآن والعمل به و قراءته، تبين الآيات ليعتبر الكفار في عاقبة الأمر. ففي اختلاف تأويل (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) أي كونوا حكماء علماء ، حكماء فقهاء و حكماء أتقياء. و في تأويل (علم بالقلم) يعني الخط و الكتابة. أما في تأويل: (وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ) ، فقد اختلفت التأويلات من بينها : وما يكتبون ، وما يعملون و يكتبون كما تقدم.

و الزاوية تستمد أصولها و منابعها من القرآن الكريم و السنة النبوية و عمل السلف الصالح ، ولها وظائفها الفكرية، و مهامها التربوية التكوينية والاجتماعية و السياسية. و قد اختلف المؤرخون حول الزاوية و الرباط في تاريخ محدد لنشأتها و تحديد مفهوم متوافق لتعريفهما، نظرا لارتباطهما بظروف خاصة بالمكان و الزمان و لتطور استعمالتهما. يُعتقد أنه كانت الزوايا في ما مضى تسمى رباطا و الرابطة و الأربطة. و يطلق في اصطلاح الفقهاء و الصوفية في الرباط على شيئين أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد و رد هجوم العدو عنها. و الثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحو المؤمنين لعبادة الله و ذكره و التفقه في أمور الدين. و قد ورد ذكر مصطلح الرباط في النصوص القرآنية بينما لم يرد ذكر الزاوية أو الزوايا.

لقد بين النص القرآني كيفية البناء ابتداء من أساس البناء و أهمية القواعد في ارتكاز المبنى، و أن صلابة البنيان في الأساسات أي من أصوله، و من جهة العمود التي بنيت عليها. و ذكر العمود في عدة مواضع و يعبر تارة عن رمزية رفع قبة السماء، و الى الثبات كمثل دور الجبال الراسيات في الأرض في تحقيق الاستقرار لسكانها. و تتجلى عظمة القرآن في الدقة في تشبيه تماسك و ثبات الأرض عن طريق تشبيه الجبال بأن لها شكل الوتد. و الى نعمة الله على عباده في ثبات و استقرار الحياة على الأرض عن طريق ثوابت الجبال، و كذلك الى رحمة الله عزَّ و جلَّ بعباده و بيان على نعمته و قدرته. يرمز العمود الى التثبيت في الأرض، و يرمز العمود الى البذخ و الطغيان في قصة فرعون في الصروح و المباني المشيدة كالأوتاد، كما أشار النص القرآني الى وصف السماء بعنصر من عناصر البناء و هو السقف. و أن عناصر المبنى يمكن أن تتخذ أعلى درجات الزخرفة بأنمن المعادن من الذهب و الفضة في: السقف و الأبواب و السرر. و أن السقف

بالإضافة الى كونه عنصرا انشائيا لتغطية المبنى يمكن له أن يتخذ أعلى درجة من الزخرفة. و ترتيب المعادن في النص القرآني جاء ليبين أهميتها . كما اقترنت كلمتي الذهب و الفضة في آيتين لتبين منزلة الذهب و الفضة الكبيرة عند الانسان .

ففي أول الفتح الاسلامي استعملت الأسقف المستوية و لم تستعمل القباب لعدم معرفة تقنية بنائها. ظهرت القبة بالعمارة المسيحية الشرقية و العمارة القبطية في مصر. و أجمع المؤرخون أن أقدم قبة في الاسلام هي التي أقيمت على عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان في العصر الأموي و المعروفة باسم قبة الصخرة. و منذ ذلك الحين أصبحت القبة من أهم مميزات العمارة الإسلامية ، كما جذبت قبة الصخرة انتباه المسلمين و أصبح لهم عقيدة حية في قلوبهم صوبها. و من المعروف أن هذه القبة كانت متأثرة عند انشائها بقبة كنيسة القبر المقدس (355م)، و لم يرد ذكر القبة في النص القرآني. و منه تعددت القباب في العصور الاسلامية حيث مثلت القبة العنصر الأساسي في التسقيف بجميع المباني الدينية و بشكل خاص في العصر العثماني بتركيا و في بلدان الانتداب العثماني، نظرا لتأثرها بالعمارة البيزنطية. كما أن ارتباط القبة بالشكل السماوي يكون السبب في تغطية المدافن بالقباب، لدى المسيحيين و خاصة في القرن الرابع الميلادي في سوريا و فلسطين.

بين النص القرآني الزخرف في البناءات حيث أشار الى الزينة بأثمن معادن. و الزخرف اشارة قرآنية الى زخرف الدنيا و متاعها و التي جعلها الله لتتناسب حياة الانسان و في معيشته كالبيوت. و هو زينة الشيء التي تصر الناظرين و تتخذ مظهر التناسق بشكلها و ألوانها.

إمتدت الزخرفة من تخطيط القرآن إلى العمارة بتفاصيلها المتعددة، من أبواب و شبابيك و واجهات معمارية حيث بلغت أرقى الجماليات منذ القرون الوسطى. كما تطورت الزخارف عبر خلق أشكال جديدة من الخط العربي نتيجة الاستفادة من موروث الأشكال الزخرفية في الحضارات الأخرى ، و تحديدا الفارسية والصينية. استخدم المسلمون الخط كعنصر زخرفي، فقد كان الخط العربي مظهرا من مظاهر الجمال. كما نجد أن كل ما أستعمل في الزخرفة الاسلامية، ورد ذكره في النص القرآني. كما ركز فنانون الزخرفة كثيرا في رسوماتهم على الماء و نبات الأرض.

و قد ورد ذكر مواد البناء في النص القرآني، من الحديد ، و منافعه للناس، و بين النص القرآني أن الله أخرج لهم الحديد من المعادن و علمهم صنعته بوحيه. أما الصخر و الحجاره فتحدث

النص القرآني عن قوم نحتوا الجبال في زمن مضى، و اتخذوا منها بيوتا من الحجارة يتحصنون بها. و الجبال اشارة قرآنية الى الصلابة و توفير الأمن و الثبات في البنيان. كم ذكرت مادة النحاس و البلور أي الزجاج . و الى كيفية الاستفادة من المادة الأولية للبناء كالطين و استخراج منها مواد أخرى أكثر صلابة تعزز المواد الخاصة بالبناء كالأجر. و بين النص القرآني البنايات الخفيفة و المؤقتة خاصة في المناطق الرعوية و التي تبنى من جلود الأنعام.

بينت النصوص القرآنية مختلف مواد البناء التي صخرها الله سبحانه و تعالى للإنسان لاتقان العمل و البناء، من أجل تحقيق المهمة الأساسية في الحياة. و هي مهمة اعمار الأرض التي تعتمد على، اتقان العمل و البناء باستثمار الخيرات و الإمكانيات التي أودعها الله سبحانه و تعالى في هذا الكون. كما أن النصوص القرآنية بينت التوجيه و التطبيق للبناء في العمارة.

الفصل الخامس

التطور التاريخي لمدينة قسنطينة الى غاية فترة

الانتداب العثماني وحالة عمارتها التقليدية المتبقية

مقدمة :

تعتبر مدينة قسنطينة من بين أعرق المدن الجزائرية والتي يعود تاريخها إلى 3000 عام، فهي تتميز بموقع حصين و فريد من نوعه.

ولهذا ارتأينا أن نبحث في تاريخ المدينة منذ فترة العصور القديمة الى غاية فترة الانتداب العثماني مروراً بكل الحقبات الزمنية المتنوعة، ثم نتبع الدراسة التاريخية بدراسة تحليلية لحالة المساكن التقليدية القسنطينية في فترة الانتداب العثماني عن طريق تحليل مكونات الفضاء المعماري، تقنيات البناء و عامل الضوء مع تحديد دوره و علاقته بالمسكن. والذي يعتبر كوحدة متكاملة تهدف الى الوقاية من العوامل الخارجية و راحة المقيمين في المسكن باعتباره المأوى الذي يوفر مختلف احتياجاته الضرورية.

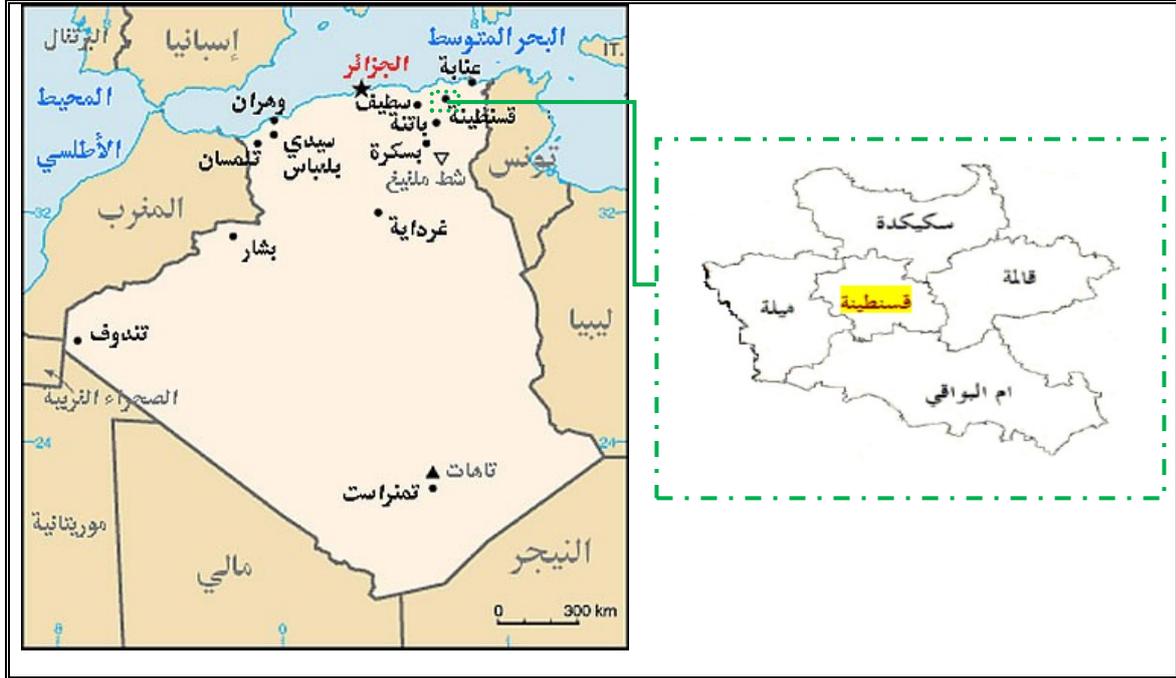
وتكمن أهمية هذا الفصل في كونه جزء أول تطبيقي وهو عبارة عن تقديم دراسة تاريخية لمدينة قسنطينة لفترة الانتداب العثماني و ما قبله و تحليل لخصائص المسكن التقليدي القسنطيني. يتبعه تقديم حالة قصر أحمد باي و حالة كل من المساجد و المدارس و الزوايا الخاصة بالفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني ، والذي يعتبر منطلقاً لما سيأتي بعده من دراسة تحليلية للعمارة التقليدية القسنطينية والفن الزخرفي في الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني.

1.5. موقع ومحيط مدينة قسنطينة :

تقع مدينة قسنطينة في القارة الأفريقيّة، على دائرة عرض 36.23 شمال خط الاستواء، وعلى خط طول 7.35 شرق خط غرينيتش، وتحديداً في جهة الشمال الشرقي من الجزائر، في ولاية قسنطينة، وتبلغ مساحة أراضيها 231,63 كم². و هي عاصمة الشرق الجزائري، و من كبريات مدن الجزائر من حيث المساحة وتعداد السكان. حيث تبعد بمسافة 245 كلم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية، و تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 437 كلم غرباً. تحدّها من الشرق ولاية قالمة 106 كلم، و من الغرب ولاية ميلة 50 كلم ، و من الشمال ولاية سكيكدة 89 كلم، و من الجنوب ولاية أم البواقي 100 كلم.

تحتل مدينة قسنطينة موضعاً جغرافياً متميزاً فوق صخرة الكلس الصلب، على جانبي وادي الرمال، تحق بها العواصف والانحدارات الشديدة من كل الجهات، مما أعطاهَا منظرًا فريداً و متميزاً. (أنظر خريطة رقم 3 أدناه).

خريطة رقم 3 : موقع قسنطينة و الولايات المحيطة بها



المصدر: www.carte-algerie.com/carte-algerie-arabe.html +معالجة الباحث 2019

2.5. تاريخ قسنطينة قبل فترة الاستعمار الفرنسي :

1.2.5. قسنطينة في فترة ما قبل الانتداب العثماني :

لقد شهدت الجزائر واحدة من أعرق المدن في أراضيها ،نظرا لتاريخ تعميرها المتميز و موقعها الفريد من نوعه.فُقبَت قسنطينة قديما بسيرتا أو قيرطا حيث يرجع تاريخ نشأتها الى 1450 ق.م.¹

1.1.2.5. قسنطينة في العصور القديمة:

1.1.1.2.5. قسنطينة في العهد النوميدي -عاصمة نوميديا:

كانت المدينة في العهد النوميدي تابعة للمسيليين ،قبائل نوميديية ، الذين جعلوها من أهم المراكز التي راجت فيها الحضارة البونيقية.وتشير بعض الدراسات إلى أنها كانت عاصمة لقبائل "الماسيل" المنتشرة في الإقليم الشرقي لبلاد الجزائر والإقليم الغربي للديار التونسية، اشتهرت هذه القبائل بتربية المواشي وخدمة الأرض.حتى أن الفينيقيون منحوها اسم كرطة أو كرثن ، وهي لفظة سامية

¹ بن علي شغيب محمد المهدي .(1980).أم الحواضر في الماضي و الحاضر،مطبعة البعث،قسنطينة،ص8.عن الصادق مزهود.(1995)،أزمة السكن في ضوء المجال الحضري-دراسة تطبيقية على مدينة قسنطينة.دار النور هادف.الجزائر.

كنعانية تعني القلعة أو المدينة، و هو الاسم الذي حرفه اللاتينيون فيما بعد إلى سيرتا. فهي تعني مدينة نوميدية كانت عاصمة المملكة النوميدية الموحدة سياسيا وثقافيا. وقد كانت قسنطينة عاصمة لملوك نوميديا منهم ماسينيسا ، سيفاكس، يوغرطة و ميسيبسا لمدة 157 سنة ، كما أنه يعتقد أن اسم قرطا مشتق من قرطاج و يعني قرطا الحديثة و التي تعني القلعة أو المدينة.

2.1.1.2.5. قسنطينة في العهد الروماني و الوندال و البيزنطيين:

1.2.1.1.2.5. قسنطينة في العهد الروماني:

كانت المدينة في العهد الروماني على جانب كبير من التحضر، كما شهدت المدينة صوراً من الصراع بين قرطاج وروما- الحروب البونية- استمر نحو قرنين من الزمن. وتحولت بعدها سيرتا إلى عاصمة لكنفدرالية المستعمرات الأربعة، دعيت بالمستعمرات السيرتية التي تجمع تحت لوائها كلا من سيرتا (قسنطينة)، روسيكادا (سكيدة)، ميلف (ميلة) و كولو (القل) وانضمت فيما بعد كويكول (جميلة) الى الكونفدرالية.

«استمرت سيرتا خلال ذلك بالازدهار، وبنيت فيها المباني الجميلة، وظهرت فيها المسيحية في منتصف القرن الثالث وقتل أول المسيحيين عام 259م»². «استطاع "ماكسنس" أن يستولي على سيرتا ، فهدمها بشكل كامل عام 311م، الا أن الامبراطور الجديد قسطنطين أعاد بناءها وكتب عليها اسمه»³.

ومنذ ذلك الحين تدعى قسطنطين ثم قسنطينة بعد دخول العرب مع تحريف بسيط لتسهيل النطق، وقد خلدت المدينة ذكرا هذا الملك بإقامة تمثالا له يوجد اليوم أمام محطة السكة الحديدية وهو صورة طبق الأصل عن تمثاله المحفوظ بروما.

2.2.1.1.2.5. قسنطينة أيام الوندال و البيزنطيين:

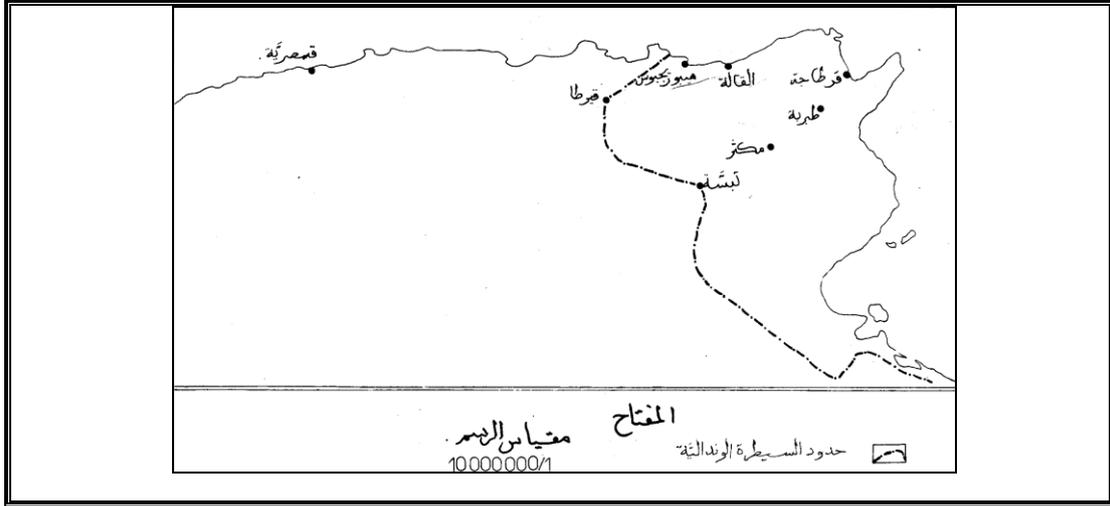
رفض أهالي مدينة قسنطينة الوجود الروماني واستمرت مقاومتهم له حتى سنة 427 م، حيث أجبروا حاكمها بونيفاص على المطالبة بالاستقلال عن روما. «كما بنيت قسنطينة كغيرها من مدن بلاد المغرب و حواضره، بالاحتلال الوندالي الذي حل محل الرومان في العقد الثالث من القرن الخامس

² بورويبة رشيد. (2013). قسنطينة. بن مرابط للنشر. قسنطينة. ص45.

³ بورويبة رشيد، المرجع السابق، ص46.

الميلادي ،و الذي استمر مدة قرن من الزمن تقريبا و بعده تعرضت المدينة الى الاحتلال البيزنطي⁴ .(أنظر خريطة رقم 4 أدناه)

خريطة رقم 4 : قسنطينة (قبرطا) ضمن حدود السيطرة الوندالية



المصدر : (حارش،1992)

و حسب رشيد بورويبة في كتابه قسنطينة ، فقد خلف الوندال الرومان و استولو على المدينة سنة 455م كما تدل على ذلك المجموعة الكبرى من النقود الوندالية التي اكتشفت في حي الحامة عام 1949م و بما أنهم لم يهتمو بمدن داخل البلاد ،فقد فضلوا الاستقرار بهيون تم بقرطاجة.وجاء البيزنطيون بعد الوندال،فكانت قسنطينة مقر الوالي العسكري للناحية،الذي كان يسمى دوكنس نوميديا.فأحاطوا المدينة بأسوار و أبراج بنيت بمواد بنائية أخذت من المباني القديمة فشيّدت كنيسة داخل الكابيتول،كانت السبب في هدم مبان رومانية.

2.1.2.5. قسنطينة في العهد الاسلامي:

1.2.1.2.5. قسنطينة ابان الفتح الاسلامي:

دخل العرب الشمال الافريقي في عهد عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين،ففي سنة 27 هـ (647 م)،صدر الأمر من الخليفة الى وال مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري بالهجوم على افريقيا الشمالية [...] في سنة 55 هـ (675 م) استعمل مسلمة ابن مخلد على افريقيا أبا المهاجر دينار،فقدمها و خرب المدينة التي أسسها عقبة و أقام أخرى قريبا منها،ثم سار في اتجاه

⁴ فيلالي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي .(1984).مدينة قسنطينة.دار البعث.قسنطينة.ص31.

المغرب الأوسط، الجزائر، حيث التقى بالملك البربري كسيلة الذي انهزم قرب تلمسان، ويقال أنه أسلم، و المؤكد أن أبا المهاجر دينار استمال كسيلة و جعله مستشارا يرجع اليه في كل ما يتعلق بالبربر.⁵

و يرجح أغلب المؤرخين أن القائد المسلم أبو المهاجر دينار له فضل كبير في فتح مدينة قسنطينة حسب الأحداث الواقعة في المنطقة.

ولعل الذي كان له الفضل و السبق في فتح مدينة قسنطينة هو القائد المسلم " أبو المهاجر دينار" (55-62 هـ / 647-679م). وان كانت الروايات و النصوص التاريخية لم تشر اليه صراحة، الا أن طبيعة الأحداث و ظروفها ترشحه لذلك، فهو القائد الذي تمكن من فتح المغرب الأوسط (بلاد الجزائر). فقد استطاع أن يصل بجيشه الى تلمسان غربا وتمكن من كسب قلوب أهل المغرب بفضل سياسته الحكيمة، وحنكته الدبلوماسية في معاملة المغاربة وهي سياسة اللين و التقرب من الأهالي.⁶

وهو القائد العربي الذي نقل مقر ادارة ولايته و مركز قيادته من القيروان الى مدينة ميله، هذه المدينة الصغيرة التي لا تبعد عن قسنطينة الا بـ 50 كلم، و احدى المدن التي تدور في فلكها، فقد أصبحت ميله عاصمة ولاية المغرب لمدة سنتين كاملتين، يدير منها ابو المهاجر شؤون الولاية، و تنطلق منها سرايا و الحملات الى مناطق مختلفة من المغرب الاوسط.⁷

ظلت قسنطينة محافظة على اسلامها منذ عهد أبي المهاجر دينار الذي لم يتوانى في ارسال الفقهاء و المعلمين لها، فتعلق أهلها بالاسلام بعد أن فهموا تعاليمه و مبادئه و معانيه، و أن شدة ايمانهم به، جعلتهم يجتهدون في قراءة الكتاب، الذي دفعهم الى تعلم اللغة العربية و اجادتها، وكانت النتيجة الهامة التي ظهرت مع مرور الزمن اختفاء العنصر اليوناني و الروماني من المدينة، و اختفت آثارهم، الا بعض المظاهر الحضارية التي ظلت سائدة.⁸

⁵ شريط عبد الله و الميلي محمد. (1965). الجزائر في مرآة التاريخ، مطبعة البعث، قسنطينة. ص 53.

⁶ فيلالى عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص 40.

⁷ فيلالى عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص 41.

⁸ فيلالى عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص 42.

الفصل الخامس التطور التاريخي لمدينة قسنطينة الى غاية فترة الانتداب العثماني و حالة عمارتها التقليدية المتبقية

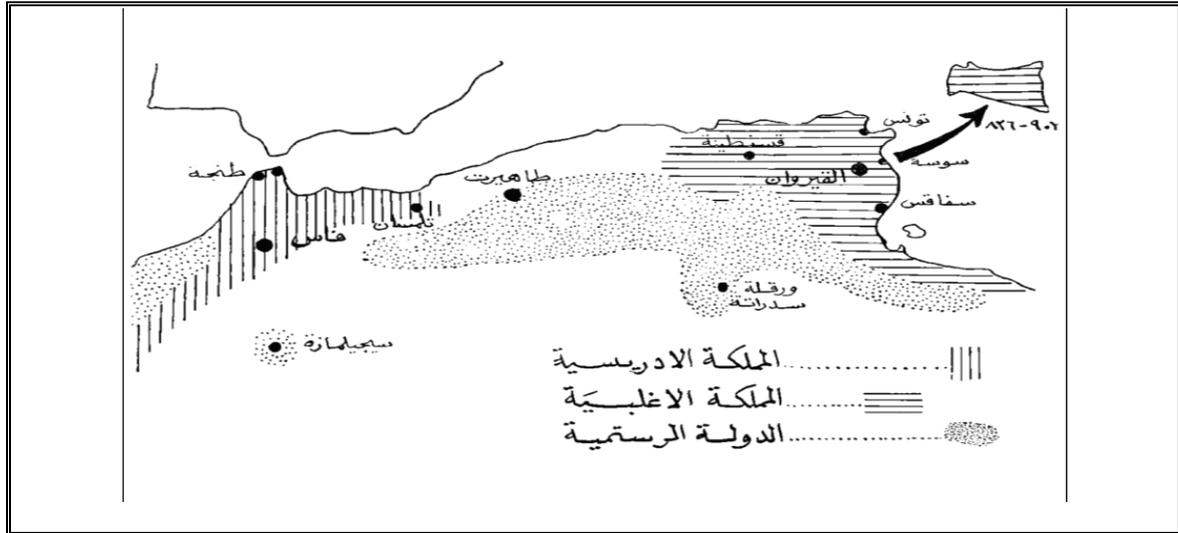
« ظلت مدينة قسنطينة عاصمة لإقليم قائم بذاته ،و تابع اداريا وسياسيا للقيروان في عهد الولاية الذي دام نحو قرن من الزمن أي من عهد موسى بن نصير الى قيام الدولة الأغلبية سنة 184 هـ /800م»⁹.

2.2.1.2.5. قسنطينة في عهد الأغالبة و الفاطميين:

« شهد المغرب الاسلامي منذ أواخر القرن الهجري قيام دويلات مستقلة في سائر أجزائه،وفي المغرب الأدنى،بالقيروان،قامت دولة الأغالبة،وفي المغرب الأوسط بتاهرت قامت دولة الرستميين،وفي المغرب الأقصى بفاس قامت دولة الأدارسة،وفي سجلماسة قامت دولة بني المدرار»¹⁰.

و بعد هذه الأحداث عادت المدينة لآبناء الوطن ،فكانت القيروان عاصمة الأغالبة وقسنطينة باتت تابعة لها بحكم عدم توسع الفتح الاسلامي إلى العديد من أجزاء الوطن. و بولاية ابن الأغلب يبدأ عهد جديد في تاريخ افريقية و المغرب.(أنظر خريطة رقم 5 أدناه)

خريطة رقم 5 : انتماء قسنطينة للمملكة الأغلبية



المصدر : (شريط و الميلي،1965)

وكان من الطبيعي أن يخشى الخلفاء العباسيون من مطامع الأدارسة في المغرب و مصر،فرضى الرشيد باقامة دولة الأغالبة في المغرب الأدنى لتكون حاجزا بين البلاد الخاضعة للدولة العباسية و بلاد الأدارسة في المغرب الأقصى الذين كانوا يتطلعون الى فصل المغرب

⁹ فيلاي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي،المرجع السابق، ص43

¹⁰ سالم عبد العزيز.(1999)،تاريخ المغرب في العصر الاسلامي.مؤسسة شباب الجامعة.الاسكندرية.ص286.

عن بقية العالم الاسلامي، بل كانوا يهدفون الى توحيد المغرب و المشرق العربيين تحت قيادتهم.¹¹

وأهم هذه الدويلات جميعا دولة بني الأغلب، و هم أسرة مستنيرة، حكمت افريقية طوال القرن الثالث الهجري، أسسها ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي، الذي ثبته الرشيد في ولاية افريقية في سنة 184 هـ. و أسرة الأغالبة أسرة راقية في مضمار الحضارة، عملت على نشر الحضارة الاسلامية في البلاد التي خضعت لنفوذها، أي في افريقية و صقلية، كما أن أمراءها أقاموا المدن و القصور، و شجعوا الآداب و العلوم و الفنون.¹²

و قد سقطت الدولة الأغلبية على يد الدعوة الشيعية سنة 296 هـ (908م). ذلك أن أبا عبد الله الشيعي نزل بفرجوة من أرض كتامة سنة 280 هـ (893م). و أخذ في تمهيد الأمر لعبيد الله المهدي الذي نسبت اليه الدولة العبيدية التي أصبحت بعد انتقال مركزها الى مصر تعرف باسم الدولة الفاطمية.¹³

و قد تابع أبو عبد الله سيره الى مدينة قسنطينة فدخلها دخول المنتصر بدون قتال، ومنها باغاي (قرب خنشلة) و ما جاورها من أرض الأوراس التي دخلت هي الاخرى في طاعة الداعي الاسماعيلي و أصبحت تحت نفوذه، و كذلك تمت له السيطرة على سطيف و طبنة و ميله و عجيسة، و استطاع أن يزيل رسم الأغالبة و الرستميين و الأدارسة و بني مدرار، و بذلك سيطر على بلاد المغرب، و أسس الدولة الفاطمية، و بامامة عبيد الله المهدي سنة 297 هـ/909م ببلاد المغرب، و حلت محل الدول السابقة الذكر ذات المذاهب المختلفة.¹⁴

و قد عرفت بلاد المغرب في هذه الفترة نهضة حضارية شاملة في ميدان الصناعة و التجارة و الفلاحة و العمران. إذ اعتنى الفواطم بإنشاء المدارس و القصور و المصانع بحيث ازدهرت صناعة الخزف في مدينة تيبديس (بوابة قسنطينة) كما شجع الخلفاء الحرف و الفنون و العلوم و

¹¹ سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص 288. عن ابن الخطيب، أعمال الاعلام، القسم الثالث الخاص بالمغرب، ص 18، حاشية رقم 2

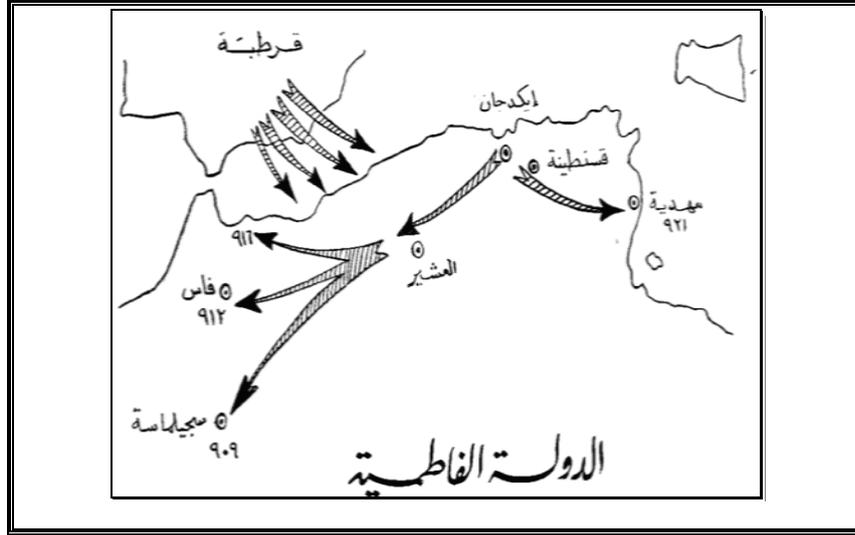
¹² سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص 286.

¹³ سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص 296.

¹⁴ فيلاي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص 47-48.

الآداب و غيرها مما زاد في ازدهار المجتمع المغربي حينذاك و تطوره.¹⁵ (أنظر خريطة رقم 6 أدناه)

خريطة رقم 6 : انتماء قسنطينة للمملكة الفاطمية



المصدر : (شريط و الميلي، 1965)

3.2.1.2.5. قسنطينة في عهد الزييريين و الحماديين:

جاءت الدولة الزييرية أو الصنهاجية -نسبة إلى زييري بن مناد الصنهاجي- التي حكمت المنطقة من سنة 972 إلى 1014م، حيث خلفوا الفاطميون في المنطقة.

إن مدينة قسنطينة التي كانت تلعب أدوارا ثانوية في الفترة التي امتدت من الفتح العربي الاسلامي لبلاد المغرب ،حتى أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ،قد أخذت أهميتها في العهد الزييري و الحمادي تزيد ،و نجمها يعلو شيئا فشيئا مع مرور الزمن ،فأعادوا لها أهميتها و مكانتها كمدينة استراتيجية و تجارية وثقافية هامة.¹⁶

الدولة الحمادية، و هي فرع من دولة آل زييري وقد حكمت من سنة 1014 إلى 1153م، و كانت ثاني دولة مسلمة جزائرية نظامية بعد الدولة الرستمية، و حدودها لم تتعد ولايتي الجزائر وقسنطينة. إن مدينة قسنطينة في عهد بني حماد كانت تتمتع بنهضة اقتصادية كبيرة ،ونشاط تجاري دؤوب، وحركة علمية واسعة، وساعدها في ذلك شبكة الطرق التي تربطها مع مختلف

¹⁵ فيلالى عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص50

¹⁶ فيلالى عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص51-52.

الاتجاهات والمدن الساحلية و الموانئ البحرية.و الى جانب هذه النهضة في مختلف المجالات، فلا شك أن المدينة قد عرفت تطورا معماريا ،و نشاطا عمرانيا كبيرا،سواء منها المنشآت الدينية المسجد الكبير -الجامع الكبير-الذي شيده الأمير الحمادي الأخير يحيى بن العزيز سنة 530هـ/ 1236 م.¹⁷

4.2.1.2.5. قسنطينة في عهد الموحدين و الحفصيين:

تنتسب الدولة الموحدية الى مؤسسها ابن تومرت. «قضى ابن تومرت ما يقرب من 11 سنة يجوب عواصم المشرق الاسلامي، فلما عزم على العودة الى مسقط رأسه، مر بمصر في عهد الأمر بأحكام الله الفاطمي»¹⁸

و كان ابن تومرت في كل هذه البلاد التي طاف بها ينشر تعاليمه في التوحيد والأمر بالمعروف،و النهي عن المنكر،فحارب فكرة التجسيم الشائعة عند أهل المغرب في عصر المرابطين،و ذهب الى أن صفات الله من ذاته،و أضاف ابن تومرت الى هذه الآراء و التعاليم آراء أخرى في الفقه،اذ كان يرى أن الشريعة الاسلامية يجب أن تقوم مباشرة على دراسة القرآن و الأحاديث،و استبعد في ذلك تعاليم الفقهاء القائمة على القياس و الاجماع.¹⁹

ثم رحل ابن تومرت الى المنستير،فأقام بها بضعة أيام ثم رحل الى تونس،و أخذ يعرف الناس هناك بالسنة و أصول الدين،ثم مضى بعد ذلك الى قسنطينة،فنزل بها عند الفقيه عبد الرحمن الميللي،و يحيى بن القاسم،و عبد العزيز بن محمد،وكان يليها في ذلك الوقت سبع بن عبد العزيز،فأقام بها عدة أيام ثم رحل الى بجاية.فنزل في مسجد الريحانة ،و كانت بجاية مدينة كبيرة،اتخذها بنو حماد،منذ عهد الناصر بن علناس سنة 454هـ،حاضرة لهم،فكانت مركزا حضاريا متالفا،فاقت القيروان و تونس.²⁰

¹⁷ فيلاي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي،المرجع السابق،ص60.

¹⁸ سالم عبد العزيز،المرجع السابق،ص684.

¹⁹ سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص 691-692.

²⁰ سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص 686-687.

فان مدينة قسنطينة ظلت موالية للموحدين و أهلها يؤدون الطاعة و الولاء لهم،-قد حافظ الموحدون على هذا الولاء و على وحدة المغرب تحت سلطانهم ما يزيد عن قرن و نصف قرن من الزمن- و بوفاة يعقوب المنصور سنة 564هـ/1198 م - و هو أحد الأمراء الأقوياء -، ثم بهزيمة المسلمين بالعقاب في بلاد الأندلس سنة 609 هـ /1212م. ظهرت مؤشرات الضعف والتفكك في جسم الدولة التي لم تلبث أن قامت على أنقاضها -فيما بعد - ثلاث دول في بلاد المغرب.

1- الدولة المرينية في المغرب الأقصى وعاصمتها مدينة فاس.

2- الدولة الزيانية في المغرب الأوسط وقاعدتها مدينة تلمسان.

3- الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى وحاضرتها مدينة تونس.

و تهما من هذه الدول ،الدولة الحفصية، لأن المدينة كانت تخضع لنفوذهم ،فقد أسس هذه الدولة أبو زكريا يحي الحفصي الهنتاتي-نسبة الى قبيلة هنتاتة -أحدى قبائل الموحدين سنة 634 هـ/1237 م ،و مد سلطانها من طرابلس شرقا الى أسوار بجاية غربا ،و قسم الدولة الى عدة مناطق ادارية و عين على رأس كل منطقة والي و عامل من الأسرة الحاكمة .²¹

و كانت مدينة قسنطينة عاصمة لاحدى المقاطعات التابعة للحفصيين الثانية بعد مدينة تونس، والعمق الاستراتيجي للسلطة المركزية، بحيث كان يعين عليها أمير حفصي من الأمراء الذين يتمتعون بثقة واسعة لدى السلطان، و من الذين لهم وزن في الدولة ،لمكانة قسنطينة و أهميتها كعاصمة ثانية لبني حفص. وقد ازدادت مدينة حظوة عند أمراء بني حفص ،حيث فضل الكثير منهم الإقامة بها، وجعلوها قاعدة حربية -فتكاثر الجند بها ،فعظمت بهم وعظم شأنهم بها. واختلف اليها السكان من كل مكان، فأتسع عمرانها بتشيد القصور الحفصية و المنازل العامة، ووزيد في عدد مساجدها، وأسواقها و حماماتها و خاناتها، فازدهرت أسواقها و كثرت البضائع المحلية بها، كما راجت بها المنتوجات الخارجية و أصبحت بذلك مدينة قسنطينة مدينة تجارية عالمية، يقصدها التجار من بلاد البحر الأبيض المتوسط، ومن الصحراء وبلاد السودان.²²

²¹ فيلالي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص68.

²² فيلالي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص68.

نهضت قسنطينة نهضة علمية و ثقافية في عهد بني حفص، لم تشهد لها من قبل مثيلا، فقد انتشر بها التعليم بواسطة الكتاتيب والمدارس و الجوامع و الزوايا ، و كان بها عدد وافر من المدارس انتشرت عبر أحيائها، و مناطقها. فبالإضافة الى شيوخ قسنطينة و مؤدبيها و معلميها، قدم اليها عدد وافر من الأساتذة جاءوا من تونس و الأندلس و بجاية، و تكونت بها المكتبات، و شجع أمراء قسنطينة و علماءها أهل المدينة على اقتناء الكتب و شرائها، و على التأليف و التصنيف و النسخ، حتى أصبحت بعض البيوت الخاصة بمدينة قسنطينة تزرخ بالمجلدات و أمهات الكتب. و قد زاد في اثناء المكتبات هجرة الأندلسيين الى بلاد المغرب ، حاملين معهم مكتباتهم و مصنفاتهم ، مما أدى الى تنوع الدروس.²³

2.2.5. قسنطينة في فترة الانتداب العثماني:

لقد أجمع الكتاب و المؤرخون على أن الحكم العثماني قد استقر تدريجيا بقسنطينة و كذلك على صعوبة التحديد بدقة، تاريخ دخول العثمانيين مدينة قسنطينة.

تعتبر مدينة قسنطينة في العهد العثماني المدينة الثانية بعد العاصمة، فهي عاصمة المقاطعة الشرقية الممتدة، على رقعة شاسعة من شواطئ البحر شمالا الى صحراء الزيبان جنوبا و من الحدود التونسية شرقا الى بلاد القبائل غربا، و هو أول تقسيم اداري عرفته الجزائر في تاريخها السياسي و الاداري و قد امتد الحكم العثماني لها ما يزيد عن ثلاثة قرون من الزمن.²⁴

أما عدد البايات الذين حكموا قسنطينة، فقد ذكر ابن العنثري منهم 42 بايا و نقل ارنست مارسيه أن عدد بايات قسنطينة بلغ 48 بايا، الا أن قسنطينة عاشت أوج ازدهارها في ظل حكم صالح باي (1185 - 1207 هـ / 1771-1792م) الذي كان رجلا شجاعا و حكيما في سيرته و سياسته، و من مآثره أنه شجع الحركات العلمية و المشاريع العمرانية.

أما الجانب الآخر الذي تميز به عهد صالح باي فهو التوسع العمراني و انتشاره داخل المدينة و خارجها، فشيّد مسجد و مدرسة سيدي الكتاني سنة 1775 م و أقام بالقرب منها بيوته

²³ فيلاي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص 72. عن أحمد بن عمار: الدولة الحفصية، ص 66-

67.

²⁴ فيلاي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص 79.

الخاصة التي امتازت بالضخامة و السعة،و الى جوارها شيدت دور و منازل لحاشية الباي و خواصه و خدمه، و بجانب هذه المباني أنشئت البساتين و الحدائق و الاسطبلات الحمامات العامة ،و الدكاكين،و المحلات التجارية التي تحيط بسوق الجمعة.(سوق العصر حاليا).²⁵ مخطط مدينة قسنطينة في العهد العثماني ينقسم الى أربعة أقسام ،حسب وثائق تاريخية و مؤرخين فرنسيين على رأسهم مرسية بيرتي:

* حي القصبة : و هو الحي العسكري يقع في الشمال الشرقي للمدينة،يتميز ببناء قديم في شكل قلعة صغيرة محصنة،تسكنها الحامية التركية.

* حي الطابية: هو الحي الرسمي،يحتضن القصر ،المسجد الرئيسي.يقع في الشمال الغربي للمدينة.

* حي القنطرة: وهو الحي الذي تتمركز فيه الطبقة الميسورة من أهل المدينة، وبالقرب منه توجد حارة اليهود-الشالرع حاليا-،في الجنوب الشرقي للمدينة.

* حي باب الجابية: و هو الحي الذي تقطنه الطبقة الاجتماعية المتوسطة و الفقيرة يقع في الجنوب الغربي للمدينة.²⁶ (أنظر خريطة رقم 7 أدناه).

خريطة رقم 7 : قسنطينة في العهد التركي.



المصدر: (فيلالي و لعروق،1984)

²⁵ فيلالي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي،المرجع السابق،ص79-80.

²⁶ فيلالي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي،المرجع السابق،ص93 و ص95.

أما عن الجانب الثقافي في العهد العثماني فقد بلغ هو الآخر شأوا كبيرا وتطورا ملحوظا ساهم فيه الأتراك و الأهالي على حد سواء بحيث بلغ عدد المساجد في هذه الحقبة خمسة مساجد كبرى، أما الصغيرة فقد بلغ عددها 70 مسجدا انتشرت عبر أحياء المدينة، بالإضافة الى 16 زاوية للدرس و التحصيل، و إقامة الصلاة و حفظ القرآن²⁷

يجمع أغلب المؤرخين و كذلك من خلال الوثائق و المخطوطات القديمة على أن فترة الانتداب العثماني اتسمت بالهدوء النسبي، بفضل تضامن و تحالف أهل قسنطينة مع العثمانيين خاصة عندما يدهمهم الخطر المشترك، مع وقوع بعض الانتفاضات و الثورات بين الحين و الآخر ضد البايات في المدينة و خارجها.

كما كانت مدينة قسنطينة بها العديد من الساحات العمومية، كانت تطلق عليها أسماء متميزة و هي عادة ما تضم مسجدا و سوقا و الإدارة، بالإضافة الى محلات الحرف المتنوعة و المنظمة حسب طبيعة الحرف.

و ترتبط هذه الأقسام الرئيسية الأربعة والتي تشكل في الواقع وحدات قائمة بذاتها ليس لها حدود واضحة بل تتداخل بواسطة شبكة من الشوارع الضيقة و المتعرجة تحمل أسماء خصيصا لملاك المنازل الأساسية مثل: زنقة بوجرة، زنقة سيدي عفان، وهذه المنازل لاتحمل أرقاما، كما أن جزءا من المدينة كان مخصصا لكبار الموظفين وللتجارة و الحرف.

3.5. حالة المسكن التقليدي القسنطيني في فترة الانتداب العثماني:

1.3.5. دراسة حالة مدينة قسنطينة :

1.1.3.5. تقديم المدينة العتيقة لقسنطينة:

تعتبر المدينة العتيقة لقسنطينة من أقدم المدن عبر التاريخ، و تعاقبت عليها الكثير من الحضارات فهي تعتبر عاصمة إقليمية منذ فجر الانتداب العثماني. تتميز بموقع متميز فريد من نوعه و حصين، و قد احتفظت أكثر من غيرها بطابعها الإسلامي و مظهرها العربي. (أنظر الصورة رقم 53 أدناه).

²⁷ فيلالي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص 81-82.

الصورة رقم 53 : منظر للمدينة العتيقة بقسنطينة.



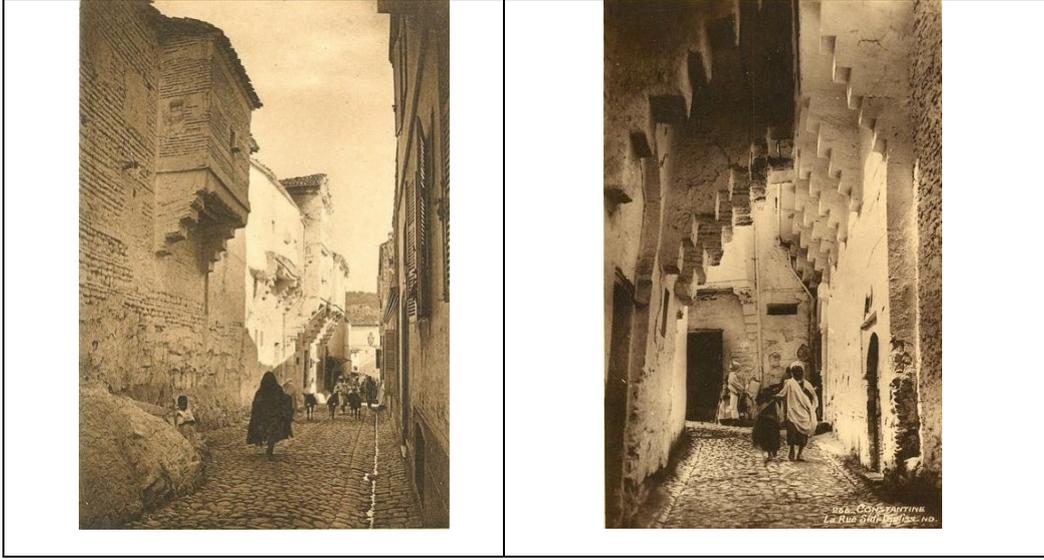
المصدر :تصوير الباحث،2018

تتميز قسنطينة بكونها مبنية على موضع كان مقرا لحضارات متعاقبة ،وهذا لحصانتها الطبيعية، باعتبارها مشيدة فوق صخرة .كما تتميز بموقع غير متجانس التضاريس و باختلاف الانحدارات. (أنظر ملحق « ب ») .و لما لها من دور دفاعي للاستجابة للظروف الأمنية، والذي جعل منها و مركز المبادلات التجارية وقاعدة عسكرية .

كما أن شخصية المدينة تبلورت في العهد العثماني فاكتسبت بذلك خصائص و مميزات المدن العربية الإسلامية.و نشير الى تعرض بعض أرشيف الوثائق التاريخية للمدينة للتلف من قبل الاستعمار فلا يتوفر إلا على القليل من الفترة الإسلامية والعثمانية.تميزت قسنطينة بنسيج عمراني متضام و طرق متعرجة و تنظيم لمؤسساتها الدينية،هيكلية لأسواقها القريبة من المسجد الجامع حيث تتطرق بتسلسل و تدرج حسب طبيعة الحرف لتجنب الضرر،فالحرف النبيلة و النظيفة نجدها بالقرب من المسجد أما الحرف التي تحدث ضجيج و ضرر أبعدت إلى أطراف المدينة.

و قد كانت المدينة مقسمة في العهد العثماني إلى خمسة أحياء،أربعة منها ذات طابع سكني: الطابية،القصبية،القنطرة،حي باب الجابية والمسماة بالسويقة،سوق التجار.تحتل الأحياء السكنية للمدينة مساحة أكبر في زوايا النسيج العمراني حيث يوجد في المدينة القديمة نمط واحد للسكن وهو النمط التقليدي العثماني، يتميز بصفات مشتركة،حيث انتشرت هذه المساكن في عهد صالح باي(1771-1792 م) و أحمد باي (1818-1937 م). (أنظر الصورة رقم 54 & 55 أدناه)

الصورة رقم 54 & 55: شارع سيدي الجليس & شارع بومعزة في المدينة العتيقة بقسنطينة

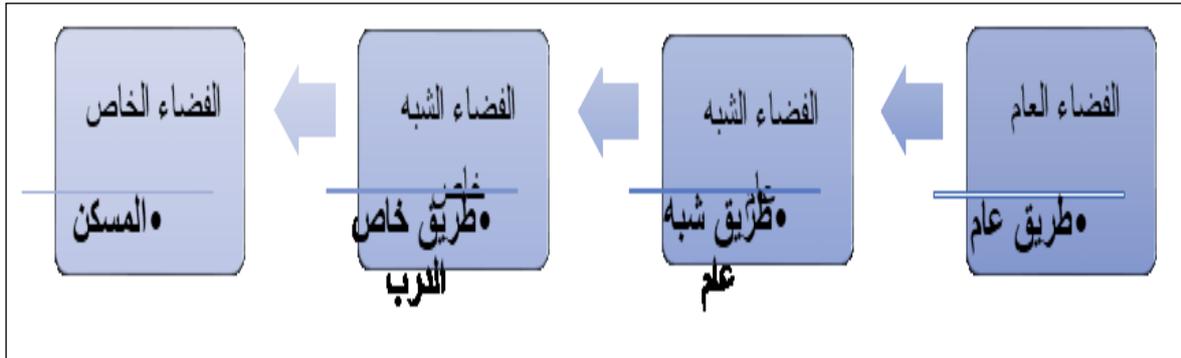


المصدر: www.constantine-hier-aujourd'hui.fr/LesImages/cartespостales/vieille_ville.htm

2.3.5 . دراسة تحليلية للفضاء المعماري لفترة الانتداب العثماني:

يتميز بمباني متراسة و منفتحة على الفضاء الداخلي. قد حددت فيه الأولويات و لها نظام خاص بالنسبة لتسلسل الفراغات: ابتداء من الفضاء العام نحو شبه العام إلى شبه الخاص ثم الخاص، حيث أنها مرتبطة ببعضها البعض بطريقة عضوية حسب درجة الخصوصية. (أنظر الشكل رقم 19 أدناه).

الشكل رقم 19: خصوصية خارجية تمثل تدرج خارجي في المدينة الى غاية المسكن



المصدر: عمل الباحث، 2019

1.2.3.5. أنواع المباني السكنية التقليدية :

بيت تقليدي ذو فناء وسطي ذات مواصفات متقاربة مع اختلاف في بعض التفاصيل حسب المستوى الاجتماعي:

أ. البيت الصغير : للعائلات البسيطة من الطبقة الاجتماعية المتوسطة.

ب. البيت الكبير: للعائلات الغنية ذات المكانة الاجتماعية-الرفيعة و الذي يتميز بمساحة أكبر واحترام تدرج الارتفاع بطابقين ولهما خزان تحت الأرض لتخزين مياه الأمطار يدعى الماجن.

ت. بيت العلي: الذي يحوي محلات تجارية محاذية للشوارع التجارية في الطابق السفلي مع مدخل للمسكن في واجهة أخرى يتم عن طريق سلالم ضيقة الى الطابق العلوي و يتميز بفناء في الطابق الأول.

2.2.3.5. المكونات الداخلية للمباني السكنية التقليدية:

يقع درب بن شريف في المدينة العتيقة بقسنطينة(أنظر ملحق « ت »). و يحتوي على بيت بن شيكو (أنظر ملحق « ث ») و بيت بن شريف (أنظر ملحق « ج ») و بيت العلي.

أ. المداخل: يتميز الدرب بمدخل رئيسي عبر بوابة كبيرة تغلق ليلا و لا يمكن الدخول إلى البيوت إلا عبر بوابة الدرب ذات واجهة واحدة أما المداخل الرئيسية فلها أبواب خشبية واسعة و فتحات للتهوية الخارجية.(أنظر الصورة رقم 57&56 أدناه)

الصورة رقم 56 & 57: المدخل الرئيسي لدرب بن شريف & مدخل بيت عائلة بن شريف بقسنطينة

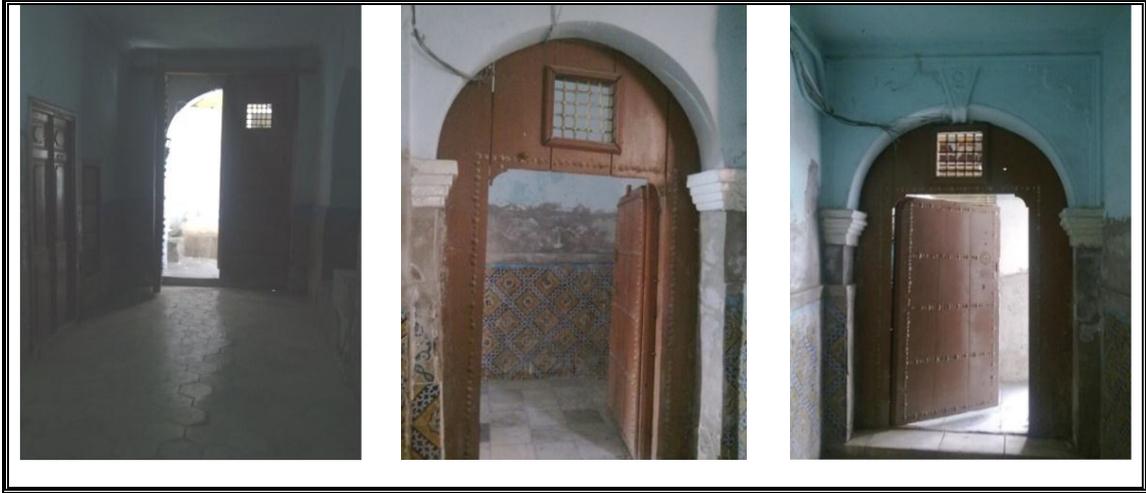


المصدر : تصوير الباحث،2012.

ب. العتبة: تحمي من تسرب مياه الدرب وتمثل حدود الملكية كما لها عدة قيم رمزية.
ت. السقيفة أو المدخل المنكسر:الدخول إلى المسكن يبدأ بساحة صغيرة تدعى السقيفة وهي تلعب دور ستار حاجب ويتم فيها استقبال الضيوف وتتميز بتحقيق مبدأ الخصوصية عبر نظام تكسير الرؤية الخارجية.(أنظر الصورة رقم 58 أدناه)

الصورة رقم 58 : تدرج الدخول الى الفناء عبر أبواب لسقيفة منكسرة مرتين بزواوية 90°

في بيت عائلة بن شريف-قسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2012.

ث. المقدمة : هو أول فضاء مغطى بعد السقيفة و مفتوح على الفناء له دور استقبال الضيوف. (أنظر

الصورة 59 & 60 أدناه)

الصورة رقم 59 & 60: المقدمة في بيت عائلة بن شريف & في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2012.

ج. وسط الدار-الصحن : الفناء أو الحوش ، و يعتبر المركز الوظيفي و الهندسي للمسكن، له

شكل مربع مبلط بالرخام مع وجود أعمدة رخامية، حيث يحتوي على خزان مائي أرضي يدعى

الماجن. (أنظر الصورة 61 & 62 أدناه).

الصورة رقم 61 & 62: منظر علوي للصحن & واجهة داخلية في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2012.

كما يعتبر و سط الدار، المكان المخصص للتجمعات العائلية في الأفراح و المآتم و لممارسة النشاطات اليومية للنساء. و له خصوصية توفير تهوية جيدة و تشميس كامل. (أنظر الصورة رقم 63 أدناه).

الصورة رقم 63 : واجهات داخلية في صحن بيت عائلة بن شريف بقسنطينة.



المصدر : تصوير الباحث، 2012.

ح. المجلس : غرفة كبيرة تستعمل لاستقبال الضيوف، تجهز بأحسن الأثاث و أحسن الفرش. (أنظر الصورة 64 أدناه).

الصورة رقم 64 : مجلس ببيت عائلة بن شيكو-قسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2012.

- خ. الديوان : وهي سقيفة عميقة نوعا ما لها جانب مفتوح على الفناء أو وسط الدار تستعمل في عدة نشاطات كالطهي أثناء الولائم ، الأعراس و المآتم.
- د. السطحة:تفصل بين وسط الدار و مختلف الغرف،وهي مغطاة بأعمدة تحمل أقواسا ذات زخارف وترتفع عن مستوى سطح المسكن بدرج واحد محيط به.
- ذ. الغرف : ذات شكل مستطيل بطول يتراوح بين 8 إلى 10 م وعرض بين 2 إلى 3 م، كما تحتوي على قبو و هو مخدع يكون ذو قبة،والدكانة و هي جزء من الغرفة يوضع عليها السرير،حيث أن مجال الدكانة يحدد بقوس و يوضع عنده ستار لفصل مجال النوم.(أنظر الصورة رقم 65 أدناه)

الصورة رقم 65 : واجهة داخلية لغرفة في بيت العلي- قسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2012.

تعلو الدكانة الأرضية بحوالي 80 سم بدرج خشبي، إلى جانب المقصورة و هي غرفة صغيرة تستعمل لترتيب الثياب و الفراش و النوم. (أنظر الصورة رقم 66 & 67 أدناه)
الصورة رقم 66 & 67 : غرفة & نافذة في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2012

و يتميز باب و نافذة الغرفة في بيت عائلة بن شيكو باطار من البلاطات الخزفية. (أنظر الصورة 68 & 69 أدناه)

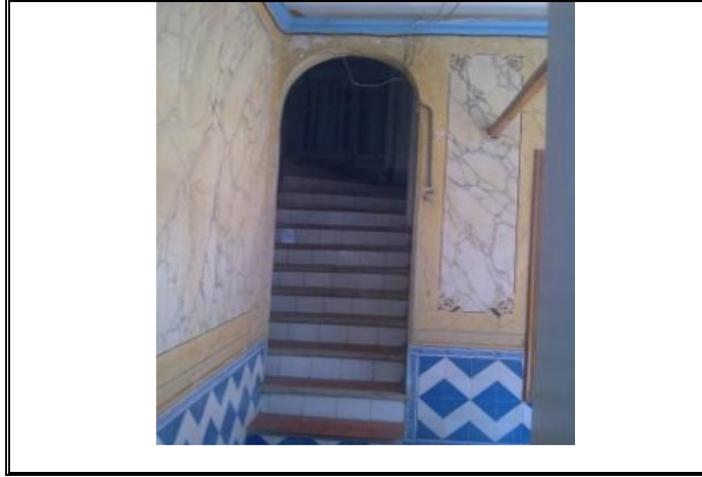
الصورة 68 & 69 : باب & نافذة غرفة في بيت عائلة بن شيكو بقسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2012

ر . السلام :توجد في أحد أركان المسكن تؤدي إلى الطوابق العليا. (أنظر الصورة رقم 70 أدناه)

الصورة رقم 70: سلالم في أحد أركان مسكن بن شيكو- قسنطينة.



المصدر : تصوير الباحث، 2012

ز. الدرايزين :شرف على وسط الدار، من خشب مزخرف يحيط بغرف الطوابق العليا.

س.فضاءات الخدمات : تستعمل في مختلف الخدمات كالطبخ و الغسيل.

3.2.3.5. تحليل مكونات المسكن التقليدي القسنطيني:

1.3.2.3.5. التدرج و الخصوصية:

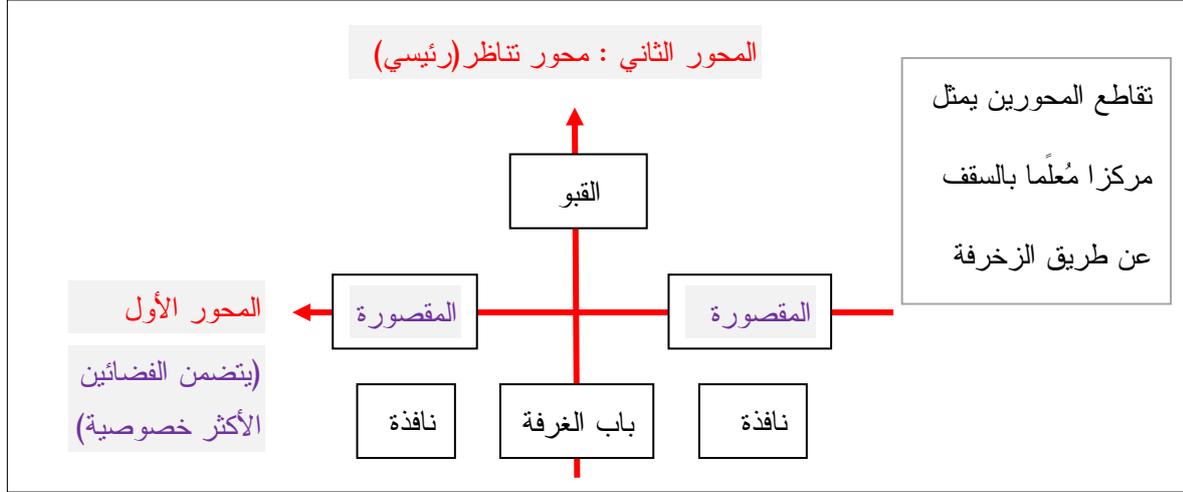
يقوم الفناء بعملية تنظيم التدرج الداخلي و الخارجي، أفقيا و عموديا:

أ. التدرج الأفقي:

التدرج الأفقي يكون من الشارع إلى وسط المسكن مرورا بالسقيفة. فنجد أن المحور له انكسارات عبر الجدران لكي يحقق التدرج الخارجي، من الفناء إلى الحجرات الداخلية. فلولوصول إلى الحجرات نجد نوعا آخر من التدرج عبر العتبة و السطحة، أما من داخل الغرفة المخطط يتغير فهو يمثل تقاطع محورين للتدرج.

- المحور الأول: محور رئيسي يمتد من باب الغرفة إلى القبو.
- المحور الثاني : يعامد الأول و يمثل الفضائيين الأكثر خصوصية و أهمية إذ نجد التناظر عبر باب داخلي للغرفة و نافدتين ، يقابله قبو و مقصورتين يمينا و يسارا و ذلك لتحقيق تدرج دقيق و متخصص للمكان. إن بساطة الغرفة تتمثل في أن المشهد المذكور و الحدود ممثلة بالأثاث و الأقواس الداخلية و بتعدد الوظائف، أما تقاطع المحورين فيشكل المركز و الذي نلمسه عبر السقف من خلال الزخرفة المميزة. (أنظر الشكل رقم 20 أدناه).

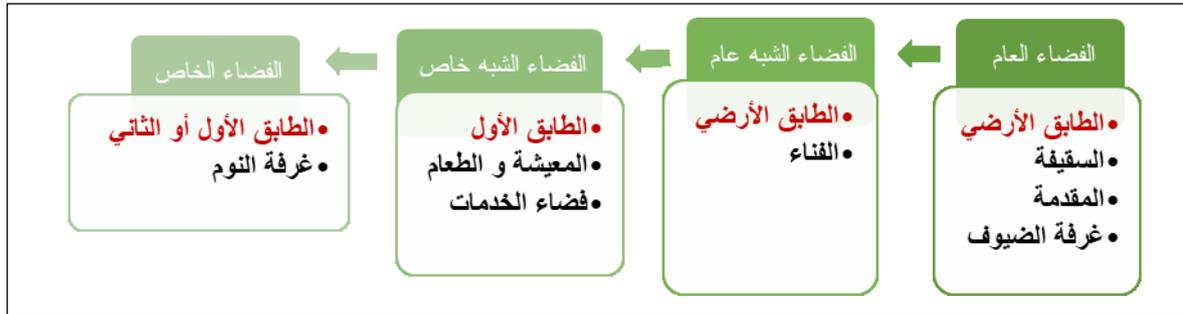
الشكل رقم 20 : رسم توضيحي لتدرج دقيق و متخصص للغرفة في المسكن التقليدي القسنطيني.



المصدر: عمل الباحث، 2019

ب. التدرج العمودي:

- من الأسفل في اتجاه الأعلى: ويمثل المحور أرض- سماء أو سماء-أرض. يمثل الدرج أو السلالم العنصر الوسيط للدورة فهو ينظم مرور الأفراد من العام إلى الخاص ويمثل الميدان الداخلي المستوى الأول من الفناء أو وسط الدار إلى المجلس. (أنظر الشكل رقم 21 أدناه). الشكل رقم 21: خصوصية داخلية تمثل تدرج داخلي من مدخل المسكن الى غاية غرفة النوم



المصدر: عمل الباحث، 2019

فالفناء هو المكان الذي تقام فيه مختلف الأفراح و الأعياد الدينية، وتحضيرات الحياة اليومية المعيشية أما المستوى الأعلى يمثل المكان المخصص للزوجين أو الأبناء المتزوجين و في حالة أن الساكنين غير المالكين فيكون مخصص للمالكين الأصليين للمسكن. و يمثل المستوى الأول من التدرج تارة ردعا و تارة أخرى دعوة، فاتجاه المسار من الخارج إلى الداخل يكون معلّم ماديا بتغيير المستوى، أما تغير المستوى فيكون بالصعود من الفضاء الخارجي إلى الفضاء الداخلي.

المتبقية

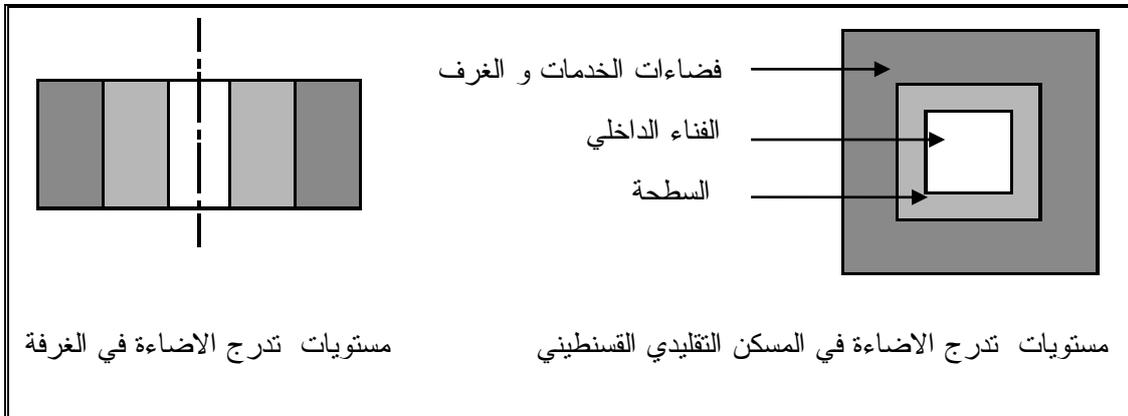
إن حركة الصعود الأفقي تهدف إلى التدرج أو الفضاء الشرفي أما الصعود العمودي والذي يوجه الاتجاه نحو الأعلى أو السماء، فهو يعتبر في نفس الوقت مكان داخلي و خارجي. كما أن مفهومي العام و الخاص يتسمان بالترابط و التزامن و بالخاصية التكميلية فيما بينهما. و هكذا فإن العلاقة هي تزامنية و متدرجة و مترابطة ببعضها بين: الفضاء العام، شبه العام، شبه الخاص و الخاص. كما أنها مرتبطة بين طبيعة تصور الفضاء الاجتماعي و المعماري و التي تعكس طريقة تعامل ساكني الفضاء حسب المبادئ و القيم الاسلامية و التركيبية الاجتماعية للمنطقة. و كذلك حسب نوع الوظائف المعيشية و طبيعة الفراغات المعمارية.

2.3.2.3.5. عامل الضوء:

يمثل الفناء الفضاء المفتوح فهو صورة للفضاء العام في الفضاء الخاص وبالإضافة إلى وظيفته المعتادة يعتبر المصدر الرئيسي للضوء والهواء، حيث يوفر كل الإمكانيات المادية لأجواء عادية للتعامل بانسجام مع الأماكن المحيطة.

نلاحظ أن الغرف المحيطة بالفناء تعبر من خلالها الإضاءة عبر فتحات الأبواب و النوافذ، فهو منبع الإضاءة الطبيعية، حيث كلما اتجهنا إلى داخل الغرف المحيطة يوجد تدرج للإضاءة. و تدرج بصري عبر السطحة، فيمكن من الداخل أن نرى كل ما يجري في الفناء دون التعرض للكشف من الخارج و منه نحقق حرمة الكشف البصري للغرف. تدرج داخلي للغرف حسب مستوى الإضاءة حيث أن الفضاءات المضيئة مخصصة للأعمال اليومية في حين الفضاءات القليلة الإضاءة تخصص للفضاءات المخصصة للنوم. (أنظر الشكل رقم 22 أدناه).

الشكل رقم 22: رسم توضيحي لمستويات تدرج الإضاءة في المسكن التقليدي & الغرفة



المصدر : عمل الباحث، 2018،

3.3.2.3.5. تقنيات البناء:

- الأعمدة من الحجارة و الرخام على مستوى الفناء لاعتبارات الجانب الجمالي.
- الجدران الخارجية مبنية بالحجارة و الطوب الممزوج بالتبن المجفف تحت أشعة الشمس أما الداخلية فهي مكونة أيضا من الحجارة و الآجر الطيني ملبسة بالجبس ومدهونة بالجير لعزل الصوت و الحرارة.
- استعمال تقنية ادخال روافد من الخشب المحلي جذوع أشجار العرعار لمنح الجدران نوع من المرونة خاصة في عمليات التثني.
- استعمال تقنية الأقواس والأقبية عن طريق مزيج من مواد محلية طبيعية لما لها من مرونة في الشكل.
- استعمال الجذوع الخشبية و الكمرات والعوارض في سطوح الطوابق حيث ترتكز على الجدران الحاملة مع استعمال مزيج من مواد محلية. (أنظر الصورة رقم 71 أدناه).

الصورة رقم 71 : تقنية البناء في مسكن تقليدي بالمدينة العتيقة قسنطينة



المصدر: تصوير و عمل الباحث، 2019

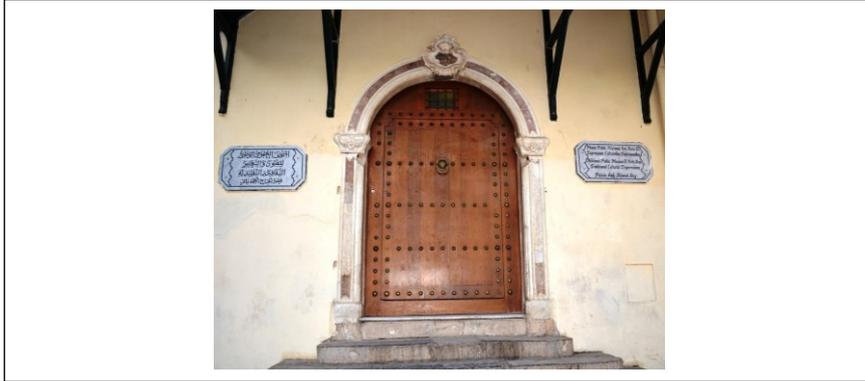
5.4. حالة قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة:

قصر الحاج أحمد باي يعد من أفخم القصور الجزائرية في الفترة العثمانية ، و قد استمر ترميمه لعدة سنوات حيث تعرض لتغيرات كثيرة ، ليحول الى المتحف العمومي الوطني للفنون و التعبير الثقافية التقليدية (ملحق « ح »). يقع قصر أحمد باي بجوار جامع سوق الغزل من جهة الشمال،

المتبقية

بالتحديد في منطقة القصبة، يحده من الشمال شارع فلسطين و من الجنوب ساحة سي الحواس ،من الشرق شارع 19 ماي 1956م ، و من الغرب شارع سياف محمد،و القصر هو مقر الحكم.و يشير (دحدوح،2015) أن تاريخ بداية بنائه تعود الى سنة 1826م وانتهاء الأشغال في سنة 1835م.و أمر أحمد باي أمير المهندسين ببناء القصر ليكون مقر حكمه لبابك الشرق، و هو بمثابة دار الامارة المتعارف عليه في المدن الاسلامية التقليدية، كمنى يحوي السلطة الرئيسية في المدينة كدار الامارة في الكوفة.و قد بني قصر أحمد باي في موضع يتميز بالانحدار و بمساحة 5609متر مربع،يتوسط القصر الجناح الإداري الذي يضم مجلس أو ديوان الباي.يتم الدخول الى القصر من الجهة الجنوبية عبر باب رئيسي من الخشب له عقد نصف دائري و اطار رخامي .(أنظر الصورة رقم 72 أدناه).

الصورة رقم 72: المدخل الرئيسي لقصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر:تصوير الباحث،2017

ثم يتم التدرج في الدخول عبر سقيفة منكسرة.يتكون من ثلاث طوابق وثلاث أجنحة رئيسية تفصل بينها حديقة النخيل، وحديقة البرتقال.(أنظر الصورة رقم 73 أدناه).

الصورة رقم 73 : حديقة النخيل في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر:تصوير الباحث،2019.

يتوسط القصر الجناح الإداري الذي يضم مجلس أو ديوان الباي أين كان يجلس رفقة وزرائه و يتميز المجلس بأنه يطل على كل أرجاء القصر.و كذلك غرفة القهوجي المسؤول عن تحضير القهوة للباي و غرفة الخزنأجي المسؤول عن الخزينة. أما على يسار الجناح الإداري نجد الجناح العائلي يطل على حديقة البرتقال،يتكون من طابقين و يضم الغرف الخاصة بعائلة الباي الأم زوجاته و ابنته فاطمة.أما جناح الحرم يقع على يمين الجناح الاداري و هو جناح مقسم لنسوة القصر.و يمتاز هذا الجناح بوجود حوض به نافورة من الرخام ويتكون من طابقين.(أنظر الصورة رقم 74 أدناه).

الصورة رقم 74 : جناح من قصر أحمد باي تتوسطه نافورة بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر:تصوير الباحث،2019

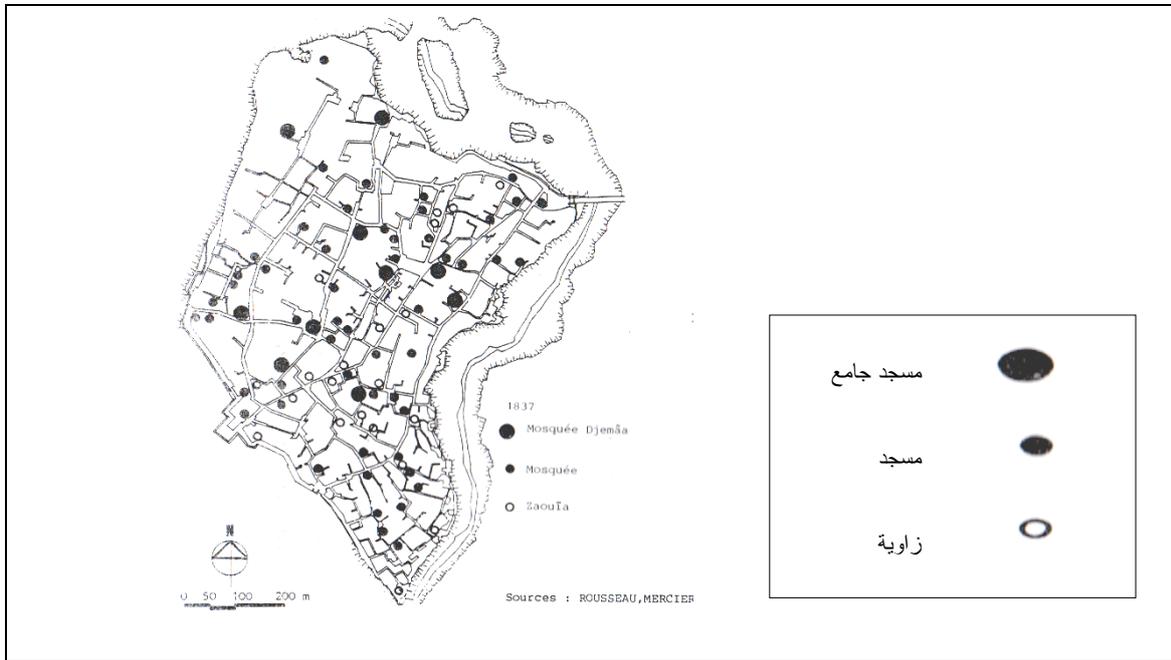
فالقصر يحتوي على مسكن للنساء و قسم خاص بالغسيل و قسم خاص بالمحكمة ، و هو الجناح القضائي و الذي يطل على حديقة النخيل.يتكون من طابقين و يضم محكمتين إحداهما للمذهب المالكي، والأخرى للمذهب الحنفي، و علية مخصصة للحرس.و في الطابق تحت الأرضي يوجد الاسطبل و حمام الباي.قسم القصر الى جناحين، الجناح الغربي مخصص لاقامة الباي في فصل الصيف بينما الجناح الشرقي خاص باقامة فصل الشتاء،أما الطابق الثاني مخصص للحرس. يتميز القصر بوجود عناصر زخرفية و رسومات جدارية تغطي 1600متر مربع من مساحة الجدران، وتجسد رحلة الباي.

5.5. حالة المساجد و المدارس و الزوايا التاريخية القسنطينية في الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني:

1.5.5. حالة المساجد التاريخية في المدينة العتيقة بقسنطينة:

تميزت مدينة قسنطينة بالمساجد التاريخية الواقعة في قلب المدينة العتيقة، فعرفت عملية بناء المساجد بها سيرورة دائمة و التي ساهمت في بناء الطابع الديني للمدينة. و هذا نتيجة تطورها العمراني و تعاقب حكم البايات عليها، الا أن أغلبها تعرضت للتخريب من طرف المستعمر الفرنسي. و بقيت نسبة قليلة منها محافظة على طرازها المعماري و الفني الأصيل، بينما شهدت نسبة كبيرة تغييرات و تجديدات، و في بعض الأحيان اعادة بنائها و استحداث عناصر معمارية منها. « أن المدينة كانت تحوي سنة 1837 على مائة من المباني الدينية من مساجد و مدارس و زوايا. وفي كل مسجد نجد اماما يصلي بالناس و حرابين يتلو القرآن و مؤذنا و ناظرا يدير أملاك الجامع. و وكلاء يجمعون كراء هذه الأملاك ». ²⁸ (أنظر خريطة رقم 8 أدناه).

خريطة رقم 8: التجهيزات الدينية للمدينة العتيقة بقسنطينة سنة 1837



المصدر: (PAGAND, 1989) + معالجة الباحث، 2019.

²⁸ بورويبة رشيد. (2013). قسنطينة. بن مرابط للنشر. قسنطينة. ص 100.

و من أبرزها خمسة مساجد جامعة وهي : الجامع الكبير ،جامع سيدي الكتاني،جامع حسن باي- سوق الغزل،الجامع الأخضر و جامع رحبة الصوف.بالإضافة الى مساجد الأحياء الخاصة بالصلوات الخمسة.و عادة ما تحمل أسماء الأحياء المتواجدة فيها أو بعض العلماء و الأولياء الصالحين و كذلك الى بعض أسماء العائلات الكبيرة:كمسجد الأربعين شريف،مسجد سيدي لخضر، مسجد سيدي بوعنابة و مسجد السيدة حفصة.(أنظر الصورة رقم 75 & 76 أدناه).

الصورة رقم 75 & 76 : مدخل مسجد الأربعين شريف(في طور الترميم)

& مدخل جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة.



المصدر :تصوير الباحث،2018.

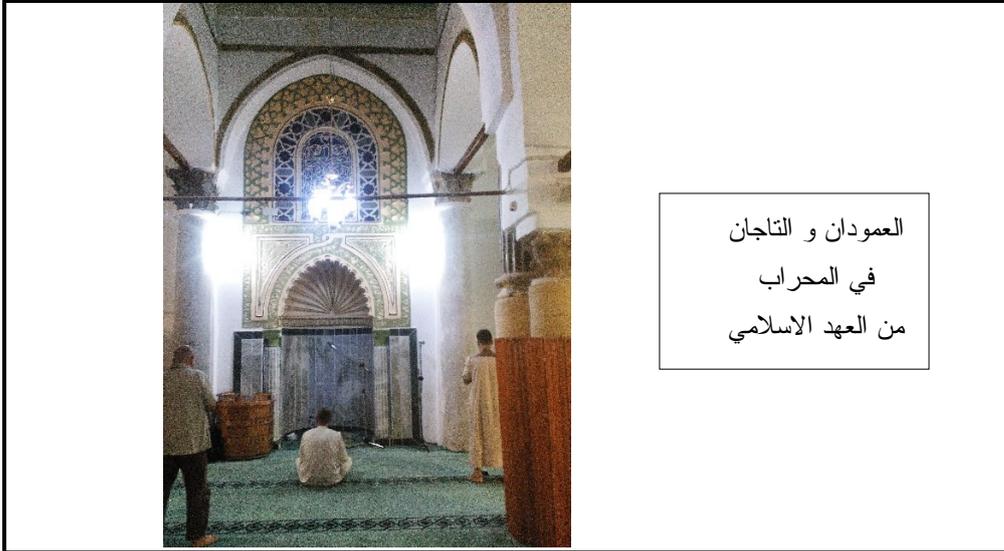
أ. الجامع الكبير القسنطيني:

يمثل الجامع الكبير المعلم الاسلامي الوحيد الذي يرجع الى العصر الوسيط.و قد أقيم على أنقاض المعبد الروماني،الكائن ببطحاء السويقة بنهج العربي بن مهدي حاليا و المعروف بتسمية الطريق الجديدة.أما تاريخ بنائه فهو محل اختلاف بين بعض المختصين.و يرجعها البعض الى أيام يحي بن العزيز حسب كتابة أثرية عثر عليها بورويبة رشيد بمحراب الجامع.» أما علم الكتابات فيعلمنا بأن الجامع الكبير القسنطيني بني في عهد يحي ، الأمير الحمادي الأخير[...]. ان الجامع الكبير القسنطيني الذي بني في سنة 530هـ /1136م قد صلح فيما بعد.فهو يحتوي على

حرم و صحن»²⁹. تمت توسعة جهته الشرقية سنة 1561م من طرف عائلة بن لفقون و نشير الى تعرض الجامع الكبير الى تغييرات في هندسته الخارجية الأصلية عند شق طريق يربط بين باب القنطرة وساحة الثغرة ابان التواجد الفرنسي كما تم تجديد مناراته سنة 1951م. و بيت الصلاة لجامع المسجد الكبير القسنطيني حاليا له شكله شبه منحرف قائم الزاوية يبلغ طول قاعدته الكبرى 24 م و طول قاعدته الصغرى 22 م بينما يبلغ ارتفاعه 10,20م. منبر الجامع الكبير القسنطيني يقع يمين المحراب و يتكون من 7 درجات و له باب مزين بقوس مزينة بزخارف نباتية و يتميز بالكتابات العربية المنقوشة على جدرانه.

« يشكل الجامع الكبير القسنطيني متحفا حقيقيا للأعمدة التي أخذت كما ذكرناه فيما سبق من معبد فينوس و معبد اتفاق المستعمرات السيرتية. فنجد فيه أعمدة اسطوانية و أعمدة منتفخة و أعمدة ملساء أو مزينة بعشرين أو أربعة و عشرين أو ثمانية و أربعين أخدودا [...] ولا نجد الا عمودين اسلاميين و هما العمودان اللذان عليهما قوس المحراب و التاجان اللذان يعلوانهما هما أيضا من العهد الاسلامي»³⁰. (أنظر الصورة رقم 77 أدناه)

الصورة رقم 77 : العمودان و التاجان في محراب الجامع الكبير من العهد الاسلامي



العمودان و التاجان
في المحراب
من العهد الاسلامي

المصدر: تصوير الباحث، 2018

²⁹ بورويبة رشيد، المرجع السابق، ص 68.

³⁰ بورويبة رشيد، المرجع السابق، ص 70.

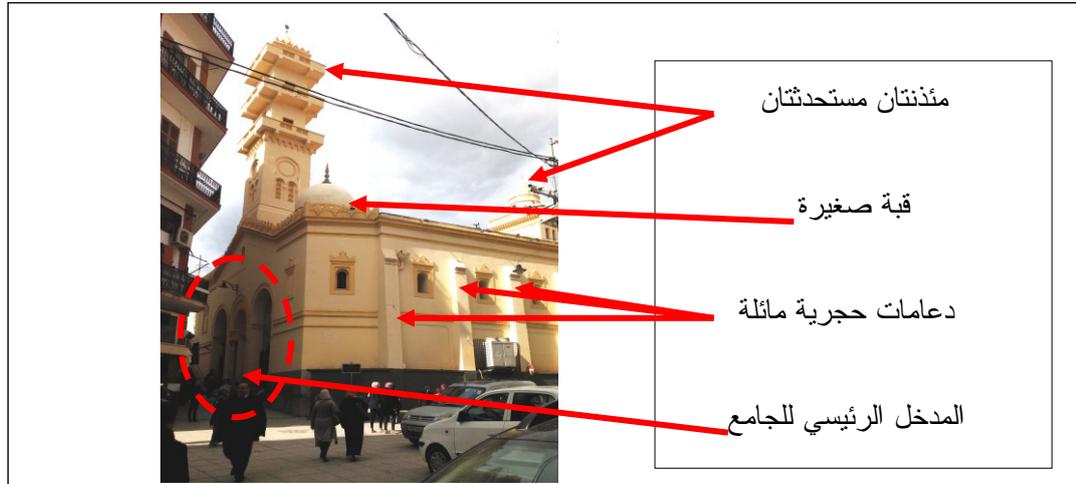
ب. جامع حسن باي-سوق الغزل:

يقع المسجد شرق قصر أحمد باي، غرب شارع ديدوش مراد. وعرف بتسميات متعددة كجامع حسن باي و جامع سوق الغزل نسبة الى السوق الذي كان بالقرب منه والذي كان مخصصا لبيع الأصواف. تم تحويله من طرف القيادة العسكرية الفرنسية إلى كاتدرائية مباشرة بعد احتلال مدينة قسنطينة و تم الاستغناء عن الصحن مع تغييرات و تجديدات كثيرة وظل كذلك إلى أن عاد إلى أصله بعد الاستقلال. تم بناؤه على يد الباي حسين بوكمية، في 1143هـ/ 1730 م حسب الكتابة التأسيسية الموجودة في القصر.

و حسب محمد الصالح بن العنثري صاحب المخطوط الذي تناول تاريخ قسنطينة، فان الباي حسين بوكمية تولى حكم بايليك قسنطينة في سنة 1125 هـ/ 1713 م. مخطط الجامع بشكل عام له شكل مستطيل، فبيت الصلاة مستطيل أيضا و يتجه بشكل عرضي عن المحراب، طوله 24 م وعرضه 18 م .

و تتميز الواجهة الشرقية بوجود دعائم حجرية مائلة تلعب دور الاسناد للحائط وتتوسطهما نوافذ صغيرة مرتفعة. تنتهي الواجهة الرئيسية بشرفات. و يحتوي الجامع على 17 قبة مئمة متشابهة في الشكل، و في أركانه واجهته الرئيسية على قبتين صغيرتين و قبة كبيرة من القرميد تظهر في الواجهة الخلفية و هي مستحدثة. كما يحتوي الجامع على مؤذنتين و هما مستحدثتين بشكل تام. (أنظر الصورة رقم 78 أدناه).

الصورة رقم 78: جامع سوق الغزل بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير و عمل الباحث، 2018.

ت. جامع سيدي الأخضر:

يقع الجامع الأخضر أو جامع سيدي لخضر بوسط المدينة العتيقة بالقرب من رحبة الصوف، أما تسمية الجامع فقد اختلف الباحثون حول أصلها. أمر ببنائه الباي حسن بن حسين الملقب أبو الحناك في عام (1156هـ/1743 م)، كما تدل عليه الكتابة التأسيسية المثبتة على لوح من الرخام فوق باب المدخل. و بيت الصلاة مستطيل الشكل يقع في الطابق العلوي فوق المحلات التجارية. (أنظر الصورة رقم 79 أدناه)

الصورة رقم 79: بيت الصلاة في جامع سيدي لخضر بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2015

و بيت الوضوء يقع في الطابق السفلي كما لا يحتوي على صحن و جدران الجامع مبنية بالحجارة و تتميز بسماكتها. (أنظر ملحق « خ »). و يظهر جليا طابع الطراز العثماني في المأذنة، و هي مستقلة عن جدار الجامع، و ترتفع بشكل مربع 3 أمتار ثم يتخذ البدن الشكل المثلث. كما تتخذ قبيبة المأذنة الشكل المثلث عن طريق عوارض خشبية.

ث. جامع سيدي الكتاني :

يقع جامع سيدي الكتاني بالجهة الشمالية من المدينة العتيقة أسفل القصبية، بالقرب من سوق الجمعة، بساحة سوق العصر حاليا. بني الجامع بجوار ضريح يعرف باسم سيدي الكتاني والذي

استمد تسميته منه. أمر صالح باي بن مصطفى الزميرلي -التركي الأصل ببناؤه في عام (1190هـ / 1776 م). حسب كتابة تأسيسية مثبتة فوق المدخل الرئيسي للجامع من الجهة الجنوبية. و قد جلب دعائمه الرخامية و أهم مواد بنائه من ايطاليا، و أوقف على المسجد و المدرسة أموالا عظيمة من عام 1190هـ / 1776م، كما شكل صالح باي لجنة من علماء مختلف المذاهب قامت بتنظيم الأوقاف و الحركة العلمية بالمسجد و المدرسة.

مخطط الجامع مستطيل الشكل كما أن بيت الصلاة يقع في الطابق الأول و يتخذ الشكل المستطيل أيضا. يتميز الجامع بمئذنة تتشكل من أربعة أجزاء و تنتهي بشرفة دائرية و قبية مخروطية. (أنظر الصورة رقم 80 أدناه). (أنظر ملحق « د »). و يذكر (دحدوح، 2015) أن الجامع عرف العديد من التغييرات و التعديلات في الفترة الفرنسية في الطابقين و الواجهتين و في الميضاة .

الصورة رقم 80: مئذنة جامع سيدي الكتاني بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير و عمل الباحث، 2018

2.5.5. حالة المدارس التاريخية في المدينة العتيقة بقسنطينة :

أجمع أغلب المؤرخين على تمركز حركة التعليم في الجزائر قبل العهد العثماني في كل من: الجزائر، بجاية، تلمسان و قسنطينة. و كذلك على الانتشار الكبير للمدارس في العديد من المدن و القرى خلال العهد العثماني. و قال المؤرخ بن علي شغيب: « كان التعليم في القطر الجزائري و في

قسنطينة خاصة يتمثل في الكتائب و الزوايا و المساجد و المدارس». وشهد عهد حكم صالح باي 1771م-1792م العديد من الاصلاحات. « بجانب مسجد سيدي الكتاني أسس صالح باي مدرستين بقسنطينة ألا و هما : مدرسة سيدي الكتاني و مدرسة سيدي الأخضر اللتين تبيينان الى أي حد كان هذا الباي يهتم برفع مستوى رعيته الثقافي³¹. »

أ. مدرسة الجامع الأخضر :

تقع مدرسة الجامع الأخضر بجوار الجامع الأخضر في الجهة الشرقية منه، و هي تعلو في جانبها الشمالي ميسأته، و في جانبها الجنوبي حوانيت تفتح على الصباط الذي يربط بين نهج سيدي لخضر و نهج بن صغير عبد الوهاب المفتوح على رحبة الصوف. و كان تأسيس مدرسة الجامع الأخضر في سنة 1193 هـ/1779م. بنيت المدرسة في وسط مجموعة من المباني و التي تحيط بها من ثلاث جهات. و هي متواجدة في الطابق الأول، فوق ميسأة الجامع الأخضر.

تقع قاعة التدريس في الجهة الشرقية من الصحن، و لها شكل مستطيل، و الصحن له شكل يقترب الى المربع، و له أربعة أروقة بها أعمدة رخامية. تحتوي المدرسة على ثلاث غرف، تقع في الجهة الشمالية من الصحن و على مطبخ في الجهة الغربية و على ميسأة صغيرة. و قد تعرضت المدرسة الى عدة تغييرات و تقسيمات عشوائية.

ب. مدرسة سيدي الكتاني:

تقع مدرسة سيدي الكتاني بجوار جامع سيدي الكتاني و ملاصقة من الناحية الشرقية. (أنظر ملحق « د »). و عرفت المدرسة عدة تغييرات معمارية أفقدتها الكثير من طرازها الأصيل. و المخطط

الحالي للمدرسة يتشكل من طابقين و هو مغاير للمخطط الأصلي للعهد العثماني.

و يجمع أغلب المؤرخين و من بينهم دحدوح عبد القادر على أن المدرسة كانت في العهد العثماني مكونة من طابق واحد، يتوسطها صحن و يحيط به رواق من ثلاث جهات و مقبرة في المؤخرة، تقابله قاعة الدرس في جهة القبلة و تحيط بالصحن غرف عددها خمسة بالاضافة الى حجرة صغيرة و دورة للمياه.

³¹ بورويبة رشيد، المرجع السابق، ص 146.

3.5.5. حالة الزوايا التاريخية في المدينة العتيقة بقسنطينة:

عرفت الجزائر عددا كبيرا من الزوايا انتشرت في الأرياف و المدن، منها: زاوية و ضريح عبد الرحمان الثعالبي و زاوية ولي داه ، و زاوية عبد القادر الجيلاني زاوية سيدي محمد الشريف و زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري. كما كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها و كانت هناك زوايا خاصة بالأتراك و الكراغلة مثل زاوية رضوان خوجة و في نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي. كانت مدينة قسنطينة تضم عدة زوايا تقوم بمهام تعليم القرآن الكريم و الدروس العلمية و الصلوات المكتوبة، وكانت للزوايا علاقة وطيدة بنظام الأوقاف حسب القرارات البلدية المذكورة في كتاب أم الحواضر للمؤرخ محمد مهدي شغيب ،حيث قام ببنائها من الميسورين و أصحاب العلم، فوجد أمثلة كثيرة منها: زاوية سيدي عبد المومن، زاوية سيدي مخلوف، زاوية أولاد لفكون، زاوية رضوان خوجة، زاوية نعمان و زاوية التلمساني.

أ. زاوية سيدي عبد المومن :

تقع زاوية سيدي عبد المومن بشارع ملاح السعيد وقد كانت تتفتح على سوقة باب الجابية بأحد الشوارع الرئيسية التي كانت بالمدينة خلال العهد العثماني و الرابط بين الجابية و باب القنطرة. « و قد اختلف الباحثون حول مسألة سيدي عبد المومن كونه مسجدا أو زاوية و لكن المسألة ترجح أنه زاوية و دليل ذلك هناك لوحة رخامية في أعلى الزاوية تُرَجِّح ذلك.»³² تتوسط زاوية عبد المومن مجموعة من البنايات كما يقع مدخلها في الناحية الغربية للزاوية و نترج في الدخول عبر سقيفة مستطيلة الشكل. تتكون من طابقين أرضي و علوي. كما يتشكل بيت الصلاة من رواق يحيط بصحن أوسط من ثلاث جهات و رواقان في الجهة الرابعة. يتوسط الصحن بيت الصلاة بشكل مستطيل غير منتظم الأضلاع ، يتوسطه محراب نصف دائري، و يحتوي في جانبيه على عمودين ببدن حلزوني و من غير قاعدة و لا بدن. و يعلوه نصف قبيبة مزينة بخطوط تتطلق من نصف دائرة. (أنظر ملحق «ذ»). تميزت قبة سيدي عبد المومن بشكلها المثلث و بزخرفتها البسيطة. تعرضت هذه الزاوية الى تغيرات كثيرة مما أفقدها أصالتها. ويذكر كمال غربي أن من

³² سعد الله أبو القاسم. (1998) تاريخ الجزائر الثقافي. ج1. دار الغرب الاسلامي. ط1. بيروت. لبنان. ص 264.

العلماء الذين سبق لهم التدريس في زاوية عبد المومن العلامة الشيخ الصالح بن الموفق القسنطيني القاضي الشرعي بمحكمة الخروب.

ب. زاوية بن عبد الرحمن :

تقع زاوية بن عبد الرحمن بحومة الشارع من حي باب القنطرة، وهي تتفتح على شارع رئيسي كان يربط بين باب القنطرة، رحبة الصوف و سوق التجار. (أنظر الصورة رقم 81 أدناه)

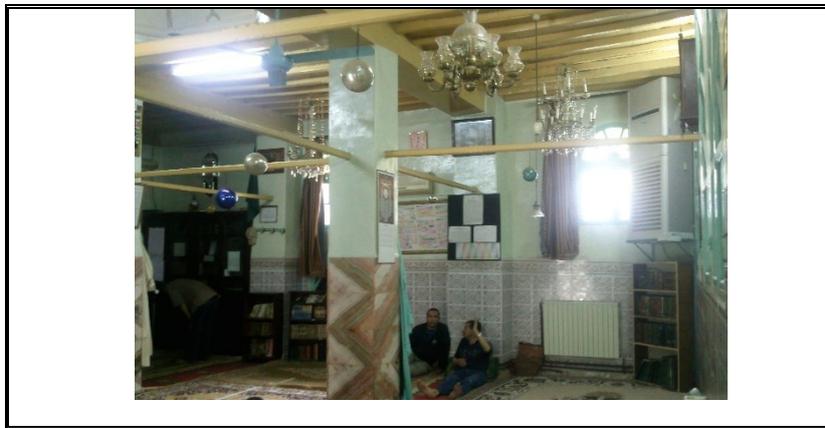
الصورة رقم 81 : زاوية بن عبد الرحمن بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2013

و تسمى أيضا الرحمانية و زاوية ابن باش تارزي و هذا نسبة الى المؤسس الأصلي لهذه الزاوية و هو عبد الرحمن باش تارزي ، توفي في حدود عام 1221هـ/1806م. تتكون الزاوية من مدخل رئيسي يقع وسط الجدار الغربي و يفتح على الصحن. يتخذ الصحن شكل يقترب من المربع و حوله رواق من ثلاث جهات ، و في شماله توجد الميضاة. يحتوي بيت الصلاة على قبة مركزية، و يتم الدخول اليه عبر الصحن. (أنظر الصورة رقم 82 أدناه).

الصورة رقم 82 : بيت الصلاة في زاوية بن عبد الرحمن بالمدينة العتيقة بقسنطينة



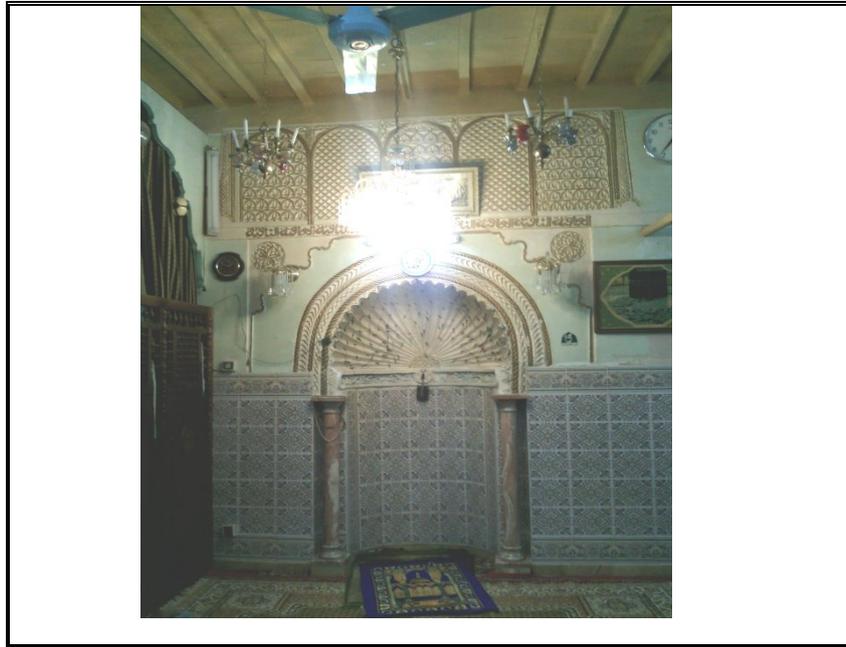
المصدر: تصوير الباحث، 2013

و جدار القبلة يتوسطه محراب، به بلاطات حديثة و يعلوها كتابة خطية لآية قرآنية، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ۖ ﴾. (النساء: الآية 103).

كما يتميز المحراب بعقد مفصص يقوم على عمودين حديثين و باطار مشكل من شريطين بهما زخرفة هندسية بارزة. و عن يساره يوجد ضريح مؤسس الزاوية، يحيط به سياج من مشربيات- حديثة الصنع. عرفت الزاوية تغيرات جذرية عديدة و هي حاليا في مرحلة ترميم واسعة باشراف مكتب دراسات معماري. (أنظر الصورة رقم 83 أدناه).

الصورة رقم 83 : محراب في زاوية بن عبد الرحمن بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2013

خلاصة:

قمنا في هذا الفصل بتقديم حالة المساكن التقليدية للمدينة العتيقة بقسنطينة فكان علينا البدء بتقديم لمدينة قسنطينة و التطرق لموقعا الطبيعي المتميز و الحصين وبعد ذلك البحث في تاريخ المدينة منذ فترة العصور القديمة الى غاية فترة الانتداب العثماني، مروراً بكل الحقب الزمنية المتنوعة .

مرت قسنطينة بالعديد من الفترات التاريخية حيث كانت المدينة في العهد الروماني على جانب كبير من التحضر و بعد تهديم المدينة عام 311م، أعاد بنائها الامبراطور الجديد قسطنطين و بعد دخول

العرب سميت باسمه قسنطينة. أما في أيام الوندال و البيزنطيين رفض أهالي مدينة قسنطينة الوجود الروماني ، و استمرت مقاومتهم له حتى سنة 427 م. وجاء البيزنطيون بعد الوندال، فكانت قسنطينة مقر الوالي العسكري للناحية، الذي كان يسمى دوكنس نوميديا.

و ابان الفتح الاسلامي، يُرجح أغلب المؤرخين أن القائد المسلم أبو المهاجر دينار له فضل كبير في فتح مدينة قسنطينة حسب الأحداث الواقعة في المنطقة. و ظلت قسنطينة عاصمة لاقليم قائم بذاته ، و تابع اداريا وسياسيا للقيروان في عهد الولاة الذي دام نحو قرن من الزمن و بقيت محافظة على اسلامها منذ عهد أبي المهاجر دينار.

أما في عهد الأغالبة و الفاطميين، فكانت القيروان عاصمة الأغالبة وقسنطينة تابعة لها. عملت أسرة الأغالبة على نشر الحضارة الاسلامية في البلاد التي خضعت لنفوذها، كما أن أمراءها أقاموا المدن و القصور، و شجعوا الآداب و العلوم و الفنون. و اعتنى الفواطم بإنشاء المدارس و القصور و المصانع.

إن مدينة قسنطينة التي كانت تلعب أدوارا ثانوية في الفترة التي امتدت من الفتح العربي الاسلامي لبلاد المغرب، حتى أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، و استرجعت أهميتها مكانتها كمدينة استراتيجية و تجارية وثقافية هامة في العهد الزييري و الحمادي. و الدولة الحمادية، وهي فرع من دولة آل زييري وقد حكمت من سنة 1014م إلى 1153م، وكانت ثاني دولة مسلمة جزائرية نظامية بعد الدولة الرستمية. و قد عرفت المدينة تطورا معماريا ، ونشاطا عمرانيا كبيرا، سواء منها المنشآت الدينية المسجد الكبير -الجامع الكبير- الذي شيده الأمير الحمادي الأخير يحيى بن العزيز سنة 530هـ/ 1236 م.

و تنتسب الدولة الموحدية الى مؤسسها ابن تومرت و ظلت موالية للموحدين و أهلها يؤدون الطاعة و الولاء لهم. أما في الفترة الحفصية، كانت مدينة قسنطينة عاصمة لاحدى المقاطعات التابعة للحفصيين الثانية بعد مدينة تونس. حيث كانت لقسنطينة مكانة و أهمية كعاصمة ثانية لبني حفص، فانتسج عمرانها. و نهضت قسنطينة نهضة علمية وثقافية في عهد بني حفص ،لم تشهد لها من قبل مثيلا، فقد انتشر بها التعليم بواسطة الكتاتيب و المدارس و الجوامع و الزوايا.

أما قسنطينة في العهد العثماني فلقد أجمع الكتاب و المؤرخون على أن الحكم العثماني قد استقر تدريجيا بقسنطينة و كذلك على صعوبة التحديد بدقة، تاريخ دخول العثمانيين مدينة قسنطينة.

المتبقية

تعتبر مدينة قسنطينة في العهد العثماني المدينة الثانية بعد العاصمة، فهي عاصمة المقاطعة الشرقية الممتدة، على رقعة شاسعة. كما أن قسنطينة عاشت أوج ازدهارها في ظل حكم صالح باي (1185 - 1207 هـ/1771-1792م) الذي كان رجلا شجاعا و حكيما في سيرته و سياسته ، و من مآثره أنه شجع الحركات العلمية و المشاريع العمرانية. يجمع أغلب المؤرخين أن فترة الانتداب العثماني اتسمت بالهدوء النسبي، بفضل تضامن و تحالف أهل قسنطينة مع العثمانيين. كما كانت مدينة قسنطينة بها العديد من الساحات العمومية، وهي عادة ما تضم مسجدا و سوقا و الادارة ، بالاضافة الى محلات الحرف المتنوعة و المنظمة حسب طبيعة الحرف.

إن الدراسة التاريخية لمدينة قسنطينة تبين أن موضعها الجغرافي الحصين ساعد على نموها و تطورها منذ الفترات القديمة الى غاية الفترة العثمانية. كما أن الظروف السياسية و الادارية ساهمت في تطورها بالاضافة الى تميز موقعها و انتقالها من عاصمة في الفترة النوميديية الى عاصمة لبيلايك الشرق في الفترة العثمانية. و التحصين و الأمان نجده ضمن المبادئ الاسلامية للمدينة ، حيث شملته العمارة التقليدية القسنطينية. و تخطيط مدينة قسنطينة يشمل العمائر الدينية و المدنية المذكورة في النص القرآني. والمسجد يحتل موقع مركزي في الأحياء السكنية كمركز جذب للنشاطات الدينية و الاجتماعية.

ان دراسة حالة العمارة التقليدية تمر بمرحلة أولى تبدأ بالتفصيل عن طريق دراسة تحليلية للفضاء المعماري لفترة الانتداب العثماني بحصر أنواع المباني السكنية ثم تحليل مكونات المسكن بتعمق مع ابراز دور الفناء الداخلي كعنصر مركزي و محوري في عملية التدرج الداخلي و الخارجي، أفقيا و عموديا. كما أن مفهومي العام و الخاص في المسكن يتسمان بالترابط و التزامن و بالخاصية التكميلية فيما بينهما. و العلاقة في المسكن هي تزامنية و متدرجة و مترابطة ببعضها بين الفضاء العام و شبه العام و شبه الخاص و الخاص. كما أنها مرتبطة بين طبيعة تصور الفضاء الاجتماعي و المعماري و التي تعكس طريقة تعامل ساكني الفضاء حسب المبادئ و القيم الاسلامية و التركيبية الاجتماعية للمنطقة. ان عامل الضوء له دور في الراحة النفسية للساكنين انطلاقا من الفناء، كمصدر رئيسي للضوء و الهواء، حيث كلما اتجهنا إلى داخل الغرف المحيطة يوجد تدرج للإضاءة ابتداء من الرواق أو السطحة. و نجد حسن استعمال النشاطات حسب طبيعة تدرج الاضاءة داخل الغرف. كما تتحقق حرمة الكشف البصري للغرف لتحقيق الخصوصية.

المتبقية

و تقنيات البناء تحترم مبدأ دفع الضرر من خلال الحفاظ على البيئة و عدم الاسراف باستعمال مواد بناء محلية متوفرة في المنطقة كالحجارة و الرخام و الطوب، و استخدام تقنية ادخال روافد من جذوع أشجار العرعار، و كذلك تقنية الأقواس والأقبية عن طريق مزيج من مواد محلية طبيعية. أما المرحلة الثانية تعتمد على تقديم كل من قصر أحمد باي و المساجد و المدارس و الزوايا في المدينة العتيقة بقسنطينة محل الدراسة في الفصل المقبل. و نشير الى أن أغلب هذه العمائر تعرض لتغيرات كثيرة سابقا مما أفقدها الطابع الأصلي. و بعضها مغلق و في حالة ترميم واسعة منذ 2015 كجامع الكتاني و الجامع الأخضر و زاوية بن عبد الرحمن.

الفصل السادس

تأثير النص القرآني في العمارة التقليدية المتبقية

بالمدينة العتيقة بقسنطينة و في فنها الزخرفي

مقدمة :

هذا الفصل عبارة عن استكمال تطبيق الفصل الخامس، حيث يُكمل سابقه في عملية اسقاط كل ما تطرقنا اليه في الجانب النظري على العمارة التقليدية المتبقية في المدينة العتيقة بقسنطينة و فنها الزخرفي. و هي التي شملت الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني. و هذا للتأكد من فرضية البحث عن طريق الاستعانة، بالمراجع، المصادر التاريخية انطلاقا من النص القرآني، باعتباره أصدق المصادر و أصحها على الإطلاق، لأنه ذو وثيقة تاريخية لا تقبل الجدل، اضافة الى الزيارات الميدانية لمختلف هذه العمائر. و كذلك اثبات استخدام و تطوير عناصر معمارية في العمارة التقليدية المتبقية في المدينة العتيقة بقسنطينة و فنها الزخرفي من حضارات سابقة.

و يتمثل الجانب التطبيقي في دراسة تأثير المبادئ عامة و القيم الاسلامية ابتداء من النص القرآني على العمارة التقليدية المتبقية في المدينة العتيقة بقسنطينة،بالاضافة الى تأثير النص القرآني في فنها الزخرفي، مع تحديد كل من العناصر الزخرفية الاسلامية:النباتية،الهندسية، الخطية،الكائنات الحية و العناصر المعمارية.

و اقتضى منهج البحث الملاحظة الجيدة و الاستدلال من النصوص القرآنية و كذلك الاستنباط من تفاسيرها بالاستعانة بأدوات المنهج الاستنباطي كالقياس و التركيب من أجل تحديد الاستنتاجات. كما اقتضى منهج التحليل المعماري أدوات كالملاحظة الجيدة للعمائر انطلاقا من تفكيك عناصرها الأساسية، تفسيرها و توضيحها ثم تقويمها بأسلوب معمق للوصول الى الاستنباط عن طريق تركيب النتائج و تحديد الاستنتاجات.

1.6. تأثير المبادئ عامة و القيم الاسلامية ابتداء من النص القرآني في العمارة التقليدية المتبقية بالمدينة العتيقة بقسنطينة:

رغم تعرض الكثير من العمائر المتبقية في المدينة العتيقة بقسنطينة الى عمليات ترميم واسعة الى تعديلات ، الا أن دراسة مدى تأثير المبادئ عامة و القيم الاسلامية ابتداء من النص القرآني بالعمارة التقليدية القسنطينية في الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني، توضح توجيهها في تخطيط العمارة و عناصرها، أين تبرز خاصة من خلال توجيهات المساجد و المساكن. نلاحظ ذلك في المساجد الجامعة الثلاثة الخاصة بالفترة العثمانية و هي جامع سيدي الكتاني، جامع سوق الغزل

و جامع سيدي لخضر أما الجامع الكبير فهو يعود الى الفترة الاسلامية وقد تعرض الى العديد من التغييرات خاصة واجهته الأصلية.

إن هذه المساجد تتبع في مخططاتها و مكوناتها و عناصرها المعمارية ما هو معروف عن المساجد في العالم الاسلامي من اعطائه الدور الحقيقي في الإسلام. حيث تحتوي على العناصر الأساسية المكونة للمسجد و التي ترتبط بوظيفته الدينية و بمكوناته التي فرضتها الوظيفة من: بيت الصلاة، محراب، منبر، بيت الوضوء و منذنة. فالوظيفة الأولى للمساجد هي العبادة و قد يسر الله على الإنسان من سبل الحياة، فالصلاة تجوز في أي مكان طاهر.

و قد رغب الله تعالى في بناء المساجد و رتب الأجر الكبير على عمارتها، لجمع المسلمين في مكان واحد و على قلب رجل واحد ليذكر فيها اسمه و ليحفظهم في فضاء يحميهم من التقلبات المناخية و الذي يشترط الطهارة ضمن الحرم الداخلي الذي تحدده جدران المسجد الأربعة حيث يظهر جليا هنا مبدأ التوحيد في المساجد.

يُبين النص القرآني أن المساجد لله أي بنيت لذكر الله و طاعته، قال تعالى :

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. (الجن : الآية 18).

و في النص القرآني ثناء على عمار المساجد في قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. (التوبة: الآية 18).

و في تفسير الميسر¹:

« لا يعتني ببيوت الله ويعمرها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة، ولا يخافون في الله لومة لائم، هؤلاء العُمَّار هم المهتدون إلى الحق »
فأنتى الله عز و جل على عُمَّارِ المساجد بالايمن و العمل الصالح و زكاهم بالهداية. كما و أن المشارك في عمارة المسجد يبقى أجره على مر الأزمان لأن المسجد وقف، فيبقى الأجر ما بقي الوقف. قال تعالى :

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾. (النور: الآية 36).

¹<http://www.quran7m.com/searchResults/009018.html>

و في فنها الزخرفي

و من بين ما قال بعض أهل التأويل² في قوله : (في بيوت أذن الله أن ترفع) أي : مساجد تبنى. كما حرص النبي صلى الله عليه و سلم على عمارة المساجد من خلال العديد من الأحاديث الشريفة و من بينها قوله عليه السلام: « أن من بنى لله بيتاً بنى الله له بيتاً في الجنة ». و كذلك تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبعة وعشرين درجة. إن القيم الإسلامية المستنبطة من النص القرآني ابتداء من خلال منظومة للقيم العليا و هي : التوحيد ، التزكية و العمران. تعتبر المنهج الصحيح و المنطلق الأولي ابتداء من التوحيد. و بهذا المنهج يتبعه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم، من خلال نصوص قرآنية، في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.
(الأحزاب: الآية 21).

و في تفسير الميسر³:

« لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال »، كما قال تعالى :

﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.
(الحشر: الآية 7).

و في قوله عز و جل :

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ...﴾. (النساء: الآية 80).

يقول السعدي⁴ في التفسير :

كل من أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه (فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) تعالى لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله أمر بطاعته مطلقاً، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقاً، ويمدح على ذلك. وهذا من الحقوق المشتركة فإن الحقوق ثلاثة: حق الله تعالى لا يكون لأحد من الخلق،

²https://islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&idfrom=3543&idto=3543&bk_no=50&ID=3568

³ <http://www.quran7m.com/searchResults/033021.html>

⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura4-aya80.html>

و في فنها الزخرفي

وهو عبادة الله والرغبة إليه، وتوابع ذلك. و قسم مختص بالرسول، و هو التعزير و التوقير و

النصرة. و قسم مشترك، و هو الإيمان بالله و رسوله و محبتها و طاعتها.

إن ما قرره النص القرآني ابتداء ثم ما نشأ عن تعاليم الرسول صلى الله عليه و سلم ثانيا، حدد بابا مهما في العمارة الإسلامية بما يسمى فقه عمارة المساجد. و الذي يركز على تهيئة الفراغ المعماري الذي يساعد المسلم على تأدية فرائض الصلاة في أجواء مريحة تساعد على الخشوع. فكان الاعتناء بكل جوانب عمارة المساجد المادية بتشديد البناء و رفعه و الاهتمام به و بتفاصيله و صيانتها باستمرار و الذي من شأنه توفير كل الظروف الملائمة لتحقيق العمارة المعنوية. فعمارة المساجد لا تكتفي بالبناء و التشييد و إنما تسعى لتحقيق العمارة المعنوية التي هدفها الأسمى هو إقامة ذكر الله فيها. فهي تشمل الأعمال الصالحة و أبرزها الصلاة و تلاوة القرآن و الذكر و تعلم العلم و تعليمه. و لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة عمارة المساجد بالطاعة و القربة الى الله و الذكر و التعليم و التعلم في العديد من الأحاديث الشريفة.

و مبدأ دفع الضرر نجده مطبقا في المئذنة و التي تتجنب الكشف البصري باتخاذ اجراءات و حلول احترازية تضمن عدم كشف أسطح البيوت المجاورة أو من خلال تصميمها المعماري. فمآذن المساجد المدروسة بالمدينة العتيقة بقسنطينة ، لها مساحات ضيقة و تحتوي على فتحات صغيرة جدا، لتجنب الكشف البصري على البيوت المجاورة. أما مئذنة جامع سيدي الكتاني فهي تتوسط بيت الصلاة و الميضأة أين تقع بين وسط المسجد و المدرسة و ضريح صالح باي. و هي بذلك تحتل موقعا وسطيا ضمن المجمع الديني و تتجنب الاطلاع على المساكن المجاورة لها.

و مبدأ دفع الضرر نجده في تجنب الأذى بالروائح الكريهة في بيت الصلاة عن طريق تمرکز الميضأة بعيدة عن بيت الصلاة. فبيت الصلاة في جامع سيدي لخضر يتواجد في الطابق الأول بينما الميضأة تتواجد في الطابق الأرضي. و في جامع سيدي الكتاني تقع الميضأة في الطابق السفلي. كما أن كل المراحيض في كل هذه المساجد و المدارس المدروسة بالمدينة العتيقة بقسنطينة ، تتبع كل التوجيهات في عدم استقبال القبلة و استنبارها. و مبدأ التوحيد نجده في الشكل الرمزي للمئذنة بالإضافة الى صوت الأذان الذي ينتشر في كل الفضاءات المعمارية في الأوقات الخمسة للصلاة.

و بالمعانية الميدانية نلاحظ تميز جامع سيدي الكتاني و جامع سيدي لخضر بحسن استغلال الفراغ المعماري في التصميم حيث اشتملا على خاصية معمارية مشتركة لم تتوفر في جوامع

و في فنها الزخرفي

قسنطينة.تتمثل في بناء بيت الصلاة في الطابق الأول بينما أسفل المسجد توجد به مرافق و متاجر كوقف تدفع المتطلبات المالية للمسجد، نظرا لتواجدهما في موقع سوق تجاري و هنا تحقيق لمبدأ دفع الضرر بعدم الاسراف.

و أشار (دحدوح، 2015) أن أول نموذج لهذا النمط ظهر في الجزائر في مسجد علي بنتشين في القصبة بمدينة الجزائر ثم انتقل الى قسنطينة عبر جامع سيدي الكتاني و جامع سيدي لخضر.و قد أدخل من طرف العثمانيين الى قسنطينة و يسمى بالمساجد المعلقة ، حيث يتيح هذا النمط الاستغلال الأحسن للفضاء المعماري للمساجد.

و الملاحظ أن مدرسة سيدي لخضر تعد المدرسة الوحيدة في المدينة العتيقة بقسنطينة المبنية في الطابق الأول، فوق المحلات التجارية و ميضأة جامع سيدي لخضر.و هذا النمط يتبع الأنماط الموجودة في العمارة العثمانية، و التي أولت اهتماما كبيرا ببناء المدارس ، حيث يتم استغلال الطابق السفلي في المحلات التجارية المطلة على الشوارع و بناء المرافقة التابعة للمدرسة في المساحات الداخلية.

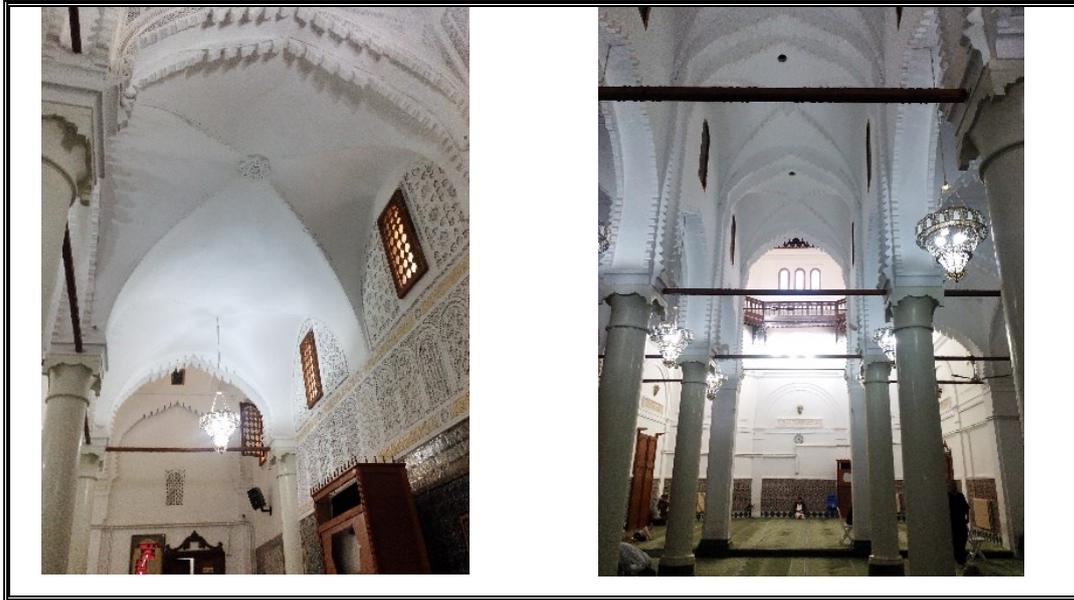
وقد حدث تطور في تصميم المساجد عندما ظهر نظام المدارس في الإسلام ، دعت إليه مستلزمات المدرسة و مرفقاتها.و مثال ذلك مسجد السلطان سليمان في إسطنبول.و يعد من أشهر المساجد العثمانية، حيث شرع في بناء الجامع و المركب المحيط به في 1550م ، و تم الانتهاء منه في 1557م.

و يحتوي المجمع التعليمي للسلطان سليمان القانوني باسطنبول على المباني الملحقة، كالمدرسة وأجنحة سكن الطلاب والسوق كما تتميز المدارس في المجمع ببنائها في الطابق الأول.و الملاحظ أن الجامع الأخضر يتميز بساباط تتفتح عليه عدة محلات تجارية في جانبيه و الى الميضأة و التي تقع خلفهما. أما جامع سيدي الكتاني فيتميز بوجود ستة محلات تجارية على جانبيه و خلفهما صحن ينفتح على الميضأة.كما يبين (وزير، 2004) أن ظهور هذا النوع من النمط من الجوامع المعلقة يرجع ظهوره الى أواخر العصر الفاطمي بمصر (358-567هـ/969-1171م)، حيث يعد جامع الصالح طلائع (555هـ/1160م) أول مسجد استغل الطابق السفلي في بناء الحوانيت و خزانات للمياه.و هو آخر المساجد التي بنيت في العصر الفاطمي قبل سقوط الدولة الفاطمية بإحدى عشرة سنة، ويعتبر أحدث مسجد فاطمي في القاهرة.

و في فنها الزخرفي

فكانت أرضيته عند بنائه ترتفع عن مستوى الشارع بنحو أربعة أمتار. و تحتوي على طابق تحت سطح الأرض يضم مخازن وحوانيت ذات أقبية نصف أسطوانية موقوفة لإصلاح المسجد. يتميز بيت الصلاة في جامع سوق الغزل بتقاطع البلاطات الأفقية مع البلاطات العمودية على جدار القبلة. كما تغطيها أقبية و قباب في صفوف متناوبة. و قد كان أول ظهور لهذا النمط في العصر العثماني في أول الأمر بجامع السلطان بايزيد الأول أواخر القرن الرابع عشر الميلادي في مدينة بورصة بتركيا، و الذي يعرف باسم أولو جامع (Ulu Cami)، و هو من أهم خمسة جوامع في العالم. و تخطيط الجامع جاء لأول مرة على شكل مستطيل بعيداً عن النمط التقليدي للمساجد العثمانية المبكرة ببورصة والتي كانت تُخَطَّط على هيئة (T مقلوبة). و المسجد غطي بيت الصلاة فيها بقباب و أقبية متعددة، و قد كان سقفه مشكلاً من عشرين قبة متساوية مرتبة في أربعة صفوف. و انتشر هذا الطراز في معظم مدن تركيا العثمانية حتى نهاية القرن السابع عشر. (أنظر الصورة رقم 84 أدناه).

الصورة رقم 84 : بيت الصلاة في جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2018

تميزت مئذنة الجامع الأخضر بالشكل المثلثي أما مئذنة سيدي الكتاني فتتخذ الشكل المثلثي ثم الاسطواني. و يعتبر الطرازين من العصر العثماني لكن أصولهما يرجع الى فترات سابقة. إن أقدم المآذن التي بقيت من العمارة الإسلامية المبكرة هي مآذن شيدت خلال الفترة العباسية، وبخاصة

و في فنها الزخرفي

خلال القرن التاسع الميلادي - الثالث الهجري. أما شرقاً وخلال الانتشار المبكر للإسلام، فإن مؤذنة ناين في إيران تشكل نموذجاً آخر من حيث تصميم المآذن. حيث تبدأ بقاعة مربعة ثم تأتي مرحلة أعلى ثمانية الأضلاع و تنتهي بمرحلة ثالثة أسطوانية الشكل. و كانت معظم المآذن الأولى في إيران ثمانية الشكل، كما أن تجارب تشييد المآذن في إيران وأفغانستان وبلاد الأناضول خلال فترة حكم السلاجقة لهذه المناطق جعل تأثيرات في تصميم المآذن، حيث أن البدن الأسطواني أو شبه المخروطي طغى على تصميماتها. ومع تقدم العثمانيين في بلاد الأناضول غرباً، ظهر النموذج المعروف عند مآذن العثمانيين في معظم البلدان التي تحت حكمهم.

إن المساكن في المدينة العتيقة بقسنطينة تخضع في تخطيطها وهيكلتها لأسس المسكن المنتشر في البحر المتوسط، حيث يعتبر هذا النمط الغالب في مساكن الحضارة الإسلامية و يختلف في بعض التفاصيل المعمارية. كما أن الخصائص الشكلية للتكوين المعماري على مستوى الواجهة الداخلية للمسكن التقليدي القسنطيني اتسمت بالتوحيد في خصائص الشكل العام لها.

و تمثل هذه الخصائص بمجموعها نظام الشكل المعماري لتكوين هذه الواجهات كما أعطتها خصوصيتها المعمارية من خلال انسجامها و توافقها. فاعتمدت على نظام موحد نجده في بيت بن شيكو و بن شريف، حيث تميزت هذه الواجهات باستخدام أبعاد وقياسات متناسقة مع بعضها، وعلى مستوى خصائصها الشكلية بالإيقاعية المتنوعة و المنسجمة مع التشكيل الكلي. و كذلك تميزت المساكن باحتوائها على فراغ معماري ذو مقياس انساني، و الذي يحترم الأبعاد الانسانية من خلال الارتفاع اللازم للغرفة و المسكن ككل، لما له من راحة نفسية بالنسبة للسكانين.

و نجد النظام الموحد من خلال منح الانسجام في الأشكال لتحقيق الراحة البصرية للسكانين. و كذلك الاعتماد على الأشكال ذات الأبعاد المتناسبة، كالمربع في شكل الفناء و المستطيل في الواجهة الداخلية و في شكل الأبواب و النوافذ و في التفاصيل الفنية و الهندسية لها. كما نجد التكرار في شكل الوحدة المتمثلة في تفاصيل واجهة الغرف و الأروقة المحيطة بها، مما يحدث الانسجام و الإيقاع المتنوع و التوازن في أشكال الواجهات الداخلية للغرف. و من تحليل المباني السكنية في المدينة العتيقة بقسنطينة، نجد أن المساكن تشترك في وجود الفناء المكشوف الوسطي الذي يتخذ عموماً الشكل المربع أو المستطيل و يحيط به الرواق من كل الجوانب، تلتف حوله عناصر و حجرات المسكن و يتكون من طابق أو طابقين.

و في فنها الزخرفي

و نجد مبدأ المركزية في المسكن التقليدي القسنطيني عبر الفناء المكشوف الذي يهيكل مختلف الفضاءات حوله، حيث يعتبر المركز الرئيسي للتوزيع الفضائي و الذي يربط بين مختلف الفضاءات حسب المحور العمودي في اتجاه السماء.

و الملاحظ أن المسكن يتميز بأن له مدخل واحد رئيسي يختلف موضعه حسب موقع المسكن و يفتح على الشارع بشكل منكسر لتحقيق الخصوصية.

و نجد مبدأ التحصين أو الأمان في الاتجاه الى الداخل في التصميم المعماري و الواجهات الصماء. كما يخضع التصميم لشكل قطعة الأرض و التي لم تكن منتظمة غالبا، و ذلك نظرا لتعرج طرق و مسارات المدينة العتيقة بقسنطينة و اختلاف عروض شوارعها. و على الرغم من ارتباط المسقط الأفقي بشكل قطعة الأرض، إلا أن الفناء الوسطي كان دائما منتظم الشكل، كبيت بن شيكو و بن شريف و بيت العلي.

و قد حافظ التصميم على خصوصية المسكن من خلال المدخل المنكسر و كذلك على الاتجاه للداخل حول الفناء الوسطي و على الفصل بين جناحي الرجال و النساء حيث أن الطابق الأرضي كان يستخدم للمعيشة اليومية و للاستقبال، بينما استخدمت الطوابق العليا للفضاءات الخاصة بالنوم حسب تدرج الخصوصية.

و استخدمت الحجارة كمادة بناء أساسية و الجص في الزخارف و استخدم خشب العرعار كمادة محلية في دعائم الأسقف و في الحوائط. كما استخدمت الأقبية في تسقيف بعض الغرف. و يتضح أن أهم الأسس التصميمية التي تميزت بها المباني السكنية في المدينة العتيقة بقسنطينة و الخاصة بالفترة الإسلامية و فترة الانتداب العثماني:

أ. تشكليا: اعتمد في المسكن التقليدي الاتجاه نحو الداخل و عني بالواجهات الداخلية عكس الخارجية التي كانت في أغلبها صماء.

ب. وظيفيا: لقد حقق تصميم المسكن الاحتياجات السكنية اللازمة لراحة العائلة.

ت. اجتماعيا: تحقيق الخصوصية الخارجية والداخلية عن طريق المدخل المنكسر.

ث. بيئيا: يوفر تصميم المسكن التقليدي بيئة داخلية عن طريق اتجاه عناصر

المسكن نحو الداخل، بالاعتماد على الفناء المكشوف كمحور يوفر للسكان

مصدرا للتهوية و الضوء.

و في فنها الزخرفي

إن تخطيط عمارة المباني السكنية يخضع الى توجيهات النص القرآني ابتداء ثم الحديث النبوي الشريف و الى التوجيهات الفقهية التي تعتبر مرجعا تنظيميا للفضاء المعماري ، مع الحفاظ على مبدأ دفع الضرر و ستر المرأة من الأعين الخارجية. فالنص القرآني يأمر بغض البصر، قال تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۖ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾. (النور: الآية 30).

و يتجلى اتباع تعاليم النص القرآني كذلك في الواجهة الخارجية الصماء مع امكانية وجود نوافذ مرتفعة و صغيرة الحجم لغرض التهوية.بالاضافة الى طريقة توزيع وحدات الغرف في المسكن و المقسمة الى قسمين،الأول يعرف بالسلمك خاص بالضيوف و الثاني الحرملك خاص بالحريم.فقد جاء هذا التدرج في فصل الفضاءات المعمارية، تماشيا مع تعاليم الدين الاسلامي الرامي أساسا الى ستر المرأة من أعين الغرباء.و كذلك الضيوف والزوار في المناسبات.فالمرأة تقوم بكل الأعمال المنزلية و الموسمية داخل الفناء،الذي يعتبر المكان الآمن و المخصص لها و لأبنائها الصغار. قال تعالى :

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۗ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ ۗ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۗ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾. (النور: الآية 31).

وقد اتبعت مساكن و قصر المدينة العتيقة بقسنطينة مبدأ دفع الضرر فاعتمدت على المداخل المنكسرة لمنع كشف المرأة المتواجدة في الداخل،كما أن طبيعة هذا الفضاء المعماري مكنت من ايجاد حل معماري يكمل و يحقق نفس الغرض و المتمثل في المقاعد المبنية على جانب أو جانبي المدخل أو السقيفة حسب طبيعة و جهة الانكسار، فنجدها في بيت بن شريف.

حيث كانت مخصصة لجلوس الغرباء وانتظار الاذن من أصحاب البيت بالدخول أو الانصراف خارجا.و قد تميزت قسنطينة في فترة الانتداب العثماني بالاعتماد على الأعمدة المسترجعة من أنقاض المدينة الرومانية و التي اشتهرت بالأعمدة الرخامية.و نجد الأعمدة أيضا في المباني

و في فنها الزخرفي

السكنية كصحن بيت بن شريف و بن شيكو.بالإضافة الى تواجدها في بعض الغرف في بيت العلي لدر بن شريف،و بالمعينة لم نجد الأعمدة واحدا يتوسط غرفة.(أنظر الصورة رقم 85 أدناه).

الصورة رقم 85 : نماذج لأعمدة في البيوت التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينة



عمود في غرفة بيت العلي عمود في صحن بيت بن شريف عمود في صحن بيت بن شيكو

المصدر: تصوير الباحث، 2012

نجد مختلف أصناف من الأعمدة في قصر أحمد باي.(أنظر الصورة رقم 86 أدناه).

الصورة رقم 86 : نماذج لمختلف الأعمدة الرخامية في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة



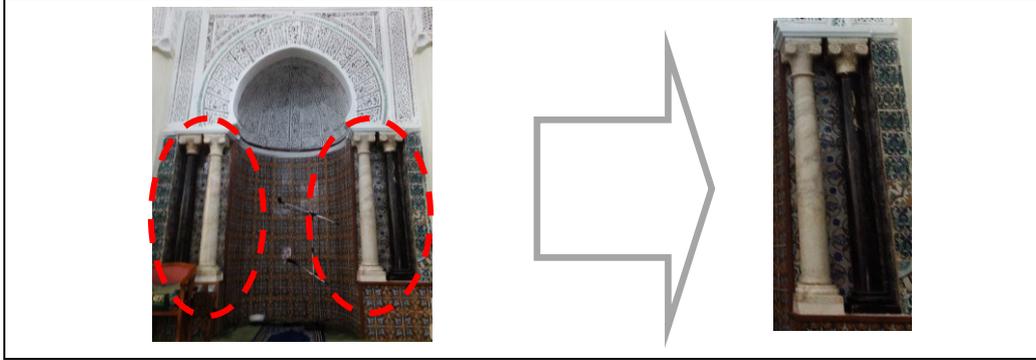
المصدر: تصوير الباحث، 2019

و نجد أعمدة تعود للفترة الإسلامية اكتسبتها العمارة الإسلامية، لها طابع مميز في انشائها و زخرفتها، كالأعمدة ذات البدن الأسطواني، الأعمدة المضلعة بشكل حلزوني و الأعمدة ذات البدن المثمن الشكل.ونجد أيضا الأعمدة في المحاريب، حيث تتميز كل من محراب الجامع الأخضر و

و في فنها الزخرفي

مدرسة سيدي الكتاني و زاوية سيدي عبد المومن بعمودين أما سوق الغزل و جامع سيدي الكتاني فنجد أربعة أعمدة.(أنظر الصورة رقم 87 أدناه).

الصورة رقم 87 : استخدام 4 أعمدة رخامية محراب جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر :تصوير الباحث،2018

وقد استخدمت الأعمدة أيضا في الواجهات الخارجية كالمداخل الخاصة بالمساجد و الزوايا كمسجد جامع الكبير و جامع سيدي الأخضر بالإضافة الى تميز مدخل زاوية سيدي عبد المومن بالأعمدة عن باقي كل الزوايا بقسنطينة.و تتميز الأعمدة المتواجدة في أغلب معالم المدينة العتيقة بقسنطينة باعتمادها على عدة أنواع مع اختلاف كل أجزاءها حيث لا يمكن التعرف على أجزاء العمود الواحد.ف نجد بذلك اختلافا واضحا بين القاعدة،البدن و التاج،كما يصعب تحديد أصنافها.(أنظر الصورة رقم 88 أدناه).

الصورة رقم 88 : نماذج من قواعد الأعمدة في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر :تصوير الباحث،2019

اختلفت أبدان الأعمدة عبر التاريخ ،حيث عرف الفراغنة هذا الشكل من الأعمدة و انتشر بعد ذلك في العهد الاسلامي.ف عرف الشكل المربع لأبدان الأعمدة عند الفراغنة أما المسلون فتميزوا بابتكار الشكل المثلث و الحلزوني.كما تميزت كل من الأعمدة الرومانية و الاغريقية، بنوعين من الأشكال

و في فنها الزخرفي

أسطواني أملس والآخر أسطواني بحفريات و قنوات. يمكن تصنيف أبدان الأعمدة الى أربعة نماذج في قصر أحمد باي بقسنطينة و نموذجين آخرين، الأول بشكل حلزوني من الأسفل الى الأعلى و الثاني يجمع بين نموذجين فهو بشكل اسطواني في نصفه العلوي و مثن في النصف السفلي ويختلف أجزائه أحيانا في حيث الطول. و نجد نموذجا مماثلا لأحد نماذج قصر أحمد باي بشكل مثن في الأسفل لكن جزئه العلوي بشكل حلزوني ذو قطر كبير و بارز في أعمدة صحن مدرسة الجامع الأخضر. تتعدد أشكال التيجان حيث يمكن تصنيفها الى مجموعات استنادا الى الطرز التي تنتمي اليها. (أنظر الصورة رقم 89 أدناه).

الصورة رقم 89 : نماذج من تيجان الأعمدة في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2019

أ. الطراز الحفصي : جاءت تسميته نسبة الى الدولة الحفصية التي حكمت المغرب الأدنى - تونس و المنطقة الشرقية الجزائرية. و يجمع أغلب الباحثين على أن هذا الطراز هو السمة المميزة للعمارة الحفصية. نجد هذا الطراز في : جامع القيروان ، قلعة بني حماد ، مسجد سيدي أبي مروان بعنابة و محراب الجامع الكبير بقسنطينة.

ب. الطراز المغربي الأندلسي: وظهر هذا الطراز في المغرب و الأندلس. و نجد له أمثلة عديدة، في جوامع قرطبة و قصر الحمراء و باب الرواح في المغرب. و قد تعددت أشكاله و له زخارف

و في فنها الزخرفي

متنوعة نباتية هندسية و كتابية. ونجد 3 أنماط بقسنطينة، منها في الجامع الكبير بقسنطينة للفترة الحمادية، الجامع الأخضر و جامع سيدي الكتاني.

ت. طراز التيجان ذات الطابع الكورنيثي: يتميز بوجود صف من أوراق الأكانتس سفلي تعلوه في الأركان حلزونيّات، و له 4 أنماط ونجده في قصر أحمد باي.

ث. طراز التيجان ذات الطابع الدوري: يتشكل من ثلاث أجزاء السفلي اسطواني في ثلاث أنماط و مثن في نمط تعلوه حلقة اسطوانية في نمطين، و متدرجة في نمط ثالث و مثمثة في نمط رابع.

ج. طراز التيجان ذات الطابع الأيوني: و هو من العصر الاغريقي ويتميز باحتوائه على حلية السبحة و الأقراص و البيضة و السهم. وله 5 نماذج نجد منها في قصر أحمد باي و جامع و مدرسة سيدي الكتاني.

ح. طراز التيجان ذات الطابع المركز: يجمع بين الطراز الأيوني و الكورنيثي. ونجده بقسنطينة في قصر أحمد باي و محراب جامع سوق الغزل.

خ. الطراز التركي: تتخذ التيجان شكلا ناقوصيا تزينها واجهاتها في أسفل الحلزونيّات الأربعة الركنية أوراق عريضة ولها زخارف متنوعة و أشكال متعددة كالأهلة. و نجدها في قسنطينة بمحراب جامع سيدي الكتاني.

تنوعت الدعائم في مختلف العمائر القسنطينية من حيث أنواع استعمالها و من حيث أشكالها. وقد استخدمت الدعائم في عدة أشكال اما مدمجة مع الجدار تقوم عليها العقود، أو مستقلة في قاعات الصلاة تعلوها أما العقود، الأسقف الخشبية أو القباب كزاوية بن عبد الرحمن و زاوية سيدي عبد المؤمن. و كان للعقد استخدام واسع في مختلف العمائر مع الابداع فيه، فاستعمل في قسنطينة في مختلف العمائر، كما تنوعت العقود بها الى عدة أصناف:

أ. العقد الحدودي: وتسميته جاءت نسبة الى التشابه في شكله مع حدوة الحصان، فهو مستدير ويتعدى بقليل نصف الدائرة ويرتفع مركزه عن رجليه و أحيانا يكون منكسرا ليأخذ شكلا مدببا. انتشر هذا العقد في الحضارة البيزنطية ثم انتقل الى العمارة الاسلامية. فنجده في الجامع الأموي بدمشق و جامع قرطبة و جامع القيروان في عهد الأغالبة و في المغرب، كما ظهر في قسنطينة في كل من بعض الأروقة المطلّة على الصحن و الحدائق و مداخل الغرف.

و في فنها الزخرفي

ب. العقد ذو الفصوص :عبارة عن العقد الدائري ذو المركز الواحد ولكن يختلف عنه باستقامة نهاية رجلي العقد - بطنيه العقد تتألف من سلسلة أقواس نصف دائرية .و تنتهي عند رجلي العقد إما بكابولي أو مقرنصة.ظهر استعماله في بلاد المغرب والأندلس ومنه انتشر الى بلاد المشرق، حيث أنه يمكننا استعمال هذه الفصوص في العقد المخموس و بنفس نظام العقد الدائري كما .نجده في جامع قرطبة و الجامع الكبير بتلمسان و في محراب الجامع الكبير بقسنطينة.أما في الفترة العثمانية نجده في محراب زاوية بن عبد الرحمن و الجامع الأخضر و مدرسة سيدي الكتاني.

ت. عقد مقبض القفة أو الجزائري :لقد اقتصت به العمارة الجزائرية في الفترة العثمانية،فهو عقد أطلق عليه العديد من الأسماء منها مارسية ، فأطلق عليه اسم مقبض القفة للتشابه بشكله.نجده في جامع صالح باي في عنابة و في قصر أحمد باي بقسنطينة.(أنظر الصورة رقم 90 أدناه).
الصورة رقم 90 : عقد مقبض القفة في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2015

ث. العقد النصف دائري:هو عقد يتكون من نصف دائرة ظهر في بلاد الرافدين ومنه انتقل الى الرومان ثم استعمله المسلمون في كل من قبة الصخرة و جامع القيروان.نجده في معظم معالم مدينة قسنطينة فنجده في بيت الصلاة بجامع سيدي الكتاني،الجامع الأخضر و عقود أروقة صحن سيدي الكتاني و عقود بيت الصلاة بزواية عبد المؤمن و العقود التي تقوم عليها كل من القبة الضريحية بالجامع الأخضر و مدرسة سيدي الكتاني و عقود بعض أروقة قصر أحمد باي و عقود الصحن ببيت بن شريف.

و في فنها الزخرفي

ج. العقد المصنح :و قد ظهر في فترة قبل الاسلام و يتسم بتعاقب ألوانه،كما استعمل عند الرومان و البيزنطيين.نجده في الفترة الاسلامية في عقود جامع قرطبة.كما ظهر العقد المصنح بجامع الزيتونة تتعاقب فيه الحجارة باللونين الأبيض و الرمادي.ونجده في مدخل باب جامع سيدي الكتاني وهو من الرخام يتعاقب فيه اللون الأبيض و الأسود.

نجد القبة في بيت الصلاة بجامع سوق الغزل ويبلغ عددها 17 قبة.و قبتين في الجامع الأخضر وثلاث قباب في جامع سيدي الكتاني و زاويتي كل من بن عبد الرحمن و سيدي عبد المومن.و نجد القباب المخروطية في قمتي مئذنة الجامع الأخضر و مئذنة جامع سيدي الكتاني.تتنوع زخارف القباب في قسنطينة كما تتميز قباب جامع سوق الغزل بوجود فتحات نجمية الشكل مغطاة بالزجاج.كما نجد القبة النصف دائرية في الجزائر؛ في كل من جامع صالح باي بعنابة و جامع كتشاوة بمدينة الجزائر كما نجدها في قسنطينة تتقدم محراب جامع سوق الغزل.

تمثل القباب المضلعة نسبة كبيرة في قباب قسنطينة ، حيث نجدها بالجامع الأخضر و جامع سيدي الكتاني، و كل من زاوية بن عبد الرحمن و زاوية سيدي عبد المؤمن.و نجد 16 قبة في بيت الصلاة بجامع سوق الغزل.و يشير أغلب المؤرخين أن القبة الكبيرة هي مستحدثة و يرجح أنها غطت صحن المسجد.(أنظر الصورة رقم 91 أدناه).

الصورة رقم 91 : قباب في جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة



القبة الكبيرة مُستحدثة
و يُرجح أنها غطت
صحن الجامع

المصدر :تصوير الباحث،2018.

و نجد الشرفات بأعلى المباني،و باعتبارها من العناصر الأساسية في العمارة الاسلامية و نجدها في نهاية أسوار القلاع و المساجد و غيرها من المباني،فهي تعطي نهاية جميلة أعلى المباني و

و في فنها الزخرفي

أنواعها كثيرة و هي المحددة للعصر التي تم انشاؤها فيه. فظهرت في حضارات بلاد الرافدين بالشرفات المسننة ثم الفرعونية و اشتهرت بشرفات ذات نهايات مقوسة. و طور الساسانيون شكلها في العمارة الحربية كما اعتمدها البيزنطيون و أخيرا المسلمون. فاتخذوها كعنصر للحماية و الأمن في قصورهم العسكرية و استعملت في المساجد كجامع القيروان. و استخدمت في قسنطينة في النهايات العلوية للمساجد كجامع سوق الغزل و جامع سيدي الكتاني و عرفت 3 أشكال، طور أحدهما في العهد الزييري بالجامع الكبير بصفاقس على شكل ورقة ثلاثية الفصوص مستوحاة من فصوص نباتية متأثرة بزخرفة التوريق. (أنظر الصورة رقم 92 أدناه).

الصورة رقم 92: شرفات محيطة بالقبة الكبيرة في جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2018

2.6. تأثير النص القرآني في الفن الزخرفي للعمارة التقليدية المتبقية بالمدينة العتيقة بقسنطينة:

تعتبر العمارة الإسلامية خير شاهد على عظمة الحضارة التي ميزت التاريخ الإسلامي و إنسانيتها، فقد جمعت بين مختلف أشكال الفنون الأخرى و تميزت بالزخرفة، أين شملت الفنون الإسلامية عناصر زخرفية متنوعة و متعددة. لقد مرت الزخرفة بالعديد من التطورات عبر التاريخ، ابتداء من زخارف الكهوف للإنسان البدائي، حيث كانت فترة تطورها و بروزها بشكل واضح في العصور الإسلامية. و فن الزخرفة الإسلامية يمثل شكلا نسيجيا متكاملًا بين الشكل و المضمون، فهو يعبر عن الرمزية و دلالات للتكوين الهندسي كما للزخرفة الإسلامية مزاياها و أشكالها الخاصة التي تميزها عن غيرها. فهي تركز على التقاليد المتوارثة عبر الأجيال ضمن المعايير الإسلامية المسموح بها حيث أن الهدف الأسمى للبناء و الفنان المسلم إبراز خصوصية هذه التقاليد التي تتبع من توجيهات الدين الإسلامي ابتداء من النص القرآني.

و الفنان المسلم يستمد مبادئ ابداعه من توجيهات النص القرآني ابتداء، و التي أمدته بالحرية الابداعية في العمل الفني مع التحلي بالمسؤولية و الأمانة. قال تعالى:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾. (التوبة: الآية 105).

و كل مسؤول عن عمله، فهو محاسب عن طاقاته و امكانياته لذلك عليه حسن التعامل مع هذه النعم، قال عزّ و جلّ:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾. (الاسراء: الآية 36).

و مسؤولية العمل تعني الصالح من الأعمال الذي فيه نفع للناس. و تبقى المخلفات الفنية و الآثار ملموسة حتى بعد رحيل صاحب العمل الفني، قال تعالى :

﴿ ... وَتَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾. (يس: الآية 12)

لقد اتسم الاسلام بالشمول و من أبرز معانيه، أنه رسالة للإنسان في كل مجالات الحياة، وفي كل ميادين النشاط البشري. و الإسلام يجعل الكون كله والخلق كلهم ملكاً لله، كما أن الكون كله مسخر للإنسان. قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾. (آل عمران: الآية 190).

و قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾. (الطلاق: الآية 12).

لقد استخلف الله الإنسان في الأرض ليعمرها، و لحمل رسالة الحياة كما أن رسالة الإنسان هي: أن يعرف الله عزّ و جلّ حق المعرفة، و أن يعبدّه كما أمره. قال تعالى :

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ... ﴾ (الذريات: الآية 56).

و المسؤولية هي الرسالة و الأمانة التي يحملها الانسان المسلم و الفنان المبدع من خلال العمل. قال تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۗ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾. (الأحزاب: الآية 72).

كما سمى الله تعالى التقصير في تحمل المسؤولية و الأمانة بالخيانة، فمن أدى الأمانة استحق من الله الثواب الجزيل، في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. (الأنفال: الآية 27).

و المسؤولية دليل على وجود الإرادة والقدرة، وبارتفاعهما ترتفع، فكل ما أمر الله به أو نهى عنه مقدورٌ للإنسان، قال تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۖ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾. (النساء: الآية 28).

و قال تعالى:

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾. (المائدة : الآية 6)

و المسؤولية طابعا شخصي بقدر الحرية، قال تعالى :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾. (الأنعام : الآية 164).

و قال تعالى :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) ﴾. (الشعراء: الآية 88-89).

و الفنان المبدع يتمتع بحرية واسعة لكن ضمن مبدأ التوحيد في تطبيق معظم أعماله ، من خلال حضور فلسفة التجريد والرمز في الزخارف و بتأطير الفكر الجمالي الاسلامي.

والجمال من المنظور الاسلامي، يتحقق من خلال رؤية الاسلام الشاملة للعالم وعلاقته بالله سبحانه وتعالى. و هذه الرؤية تمثل التصور الاسلامي لله والكون والانسان والحياة، كما أنها مرتبطة فيما بينها ارتباطا يجعل منها وحدة متكاملة، ضمن نظام موحد و منسجم مع كل جزئياته. و نجد العديد من الآيات في النص القرآني، التي تشير الى الأنظمة والقوانين التي تحكم حركة الحياة في الكون، فكل حركة في الكون تجري وفق نظام و سنة إلهية، تعتبر مصدر الهام للفنان المسلم. و الله سبحانه و تعالى أمر وحث على التفكير في خلق السماوات والأرض، فقال عزَّ وجلَّ مادحاً عباده :

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾. (آل عمران: الآية 89).

و في قوله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾. (الرحمن: الآية 7).

و للدلالة على كمال قدرة الله ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾. (الحج : الآية 63).

وقال تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۗ ﴾. (القمر: الآية 49).

و الفنان المسلم حينما يعرف الله من خلال آياته في الكون، عن طريق التفكير و التدبر يبحث عن منهج الله و شرعه، فيتبع أوامره و يطبق أحكامه. و القرآن الكريم قد عني عناية خاصة متميزة بالجانب الأخلاقي. فمنهج الله أخلاقي، قال تعالى:

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ ﴾. (ص: الآية 29).

يقول السعدي⁵ في التفسير :

(لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. (ولِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب.

و الاسلام يقدم مفهوماً واضحاً وعميقاً للجمال من خلال رؤية كونية شاملة يملئها العقل المستقيم والفطرة السليمة. كما أن الفنان المسلم يتخذ من الجمال بالمفهوم الاسلامي منطلقاً للابداع في المنتوجات الفنية، متخذاً ابداعه من خلق الله عزاً و جل. قال تعالى:

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾. (البقرة: الآية 117).

يقول البغوي⁶ في التفسير:

« أي مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق». و يقول السعدي⁷ في التفسير: «خالقهما على وجه قد أتقنهما وأحسنهما على غير مثال سبق».

و الفنان المسلم يستلهم اتقان عمله من النص القرآني، قال تعالى :

﴿...صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۗ ﴾. (النمل: الآية 88).

⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura38-aya29.html>

⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura2-aya117.html>

⁷ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura2-aya117.html>

و في فنها الزخرفي

يقول ابن كثير⁸ في التفسير: « وقوله : (صنع الله الذي أتقن كل شيء) أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق ، و أودع فيه من الحكمة ما أودع ، (إنه خبير بما تفعلون) أي : هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر فيجازيهم عليه».

و يستلهم الفنان المسلم جمال الابداع الفني من جمال ابداع خلق السموات في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾. (الحجر: الآية 16).

يقول السعدي⁹ في التفسير: « يقول تعالى -مبيناً كمال اقتداره ورحمته بخلقه - : (ولقد جعلنا في السماء بروجاً) أي: نجوماً كالأبراج والأعلام العظام يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، (وزيناها للناظرين) فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها»، قال تعالى :

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۚ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۚ فارجع البصر هل ترىٰ من فطورٍ (3) ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسيرٌ (4)﴾. (الملك: الآية 3-4).

و في قوله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾. (الفرقان : الآية 61).

يقول السعدي¹⁰ في التفسير :

(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) وهي النجوم عمومها أو منازل الشمس والقمر التي تنزل منزلة منزلة وهي بمنزلة البروج والقلاع للمدن في حفظها، كذلك النجوم بمنزلة البروج المجعل للحراسة فإنها رجوم للشياطين. (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) فيه النور والحرارة وهو الشمس. (وَقَمَرًا مُنِيرًا) فيه النور لا الحرارة وهذا من أدلة عظمته، وكثرة إحسانه، فإن ما فيها من الخلق الباهر والتدبير المنتظم والجمال العظيم دال على عظمة خالقها في أوصافه كلها، وما فيها من المصالح للخلق والمنافع دليل على كثرة خيراته.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾. (ق: الآية 6).

⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer-tabary/sura27-aya88.html>

⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura15-aya16.html>

¹⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura25-aya61.html>

و في فنها الزخرفي

يقول البغوي في التفسير: « ثم دلهم على قدرته ، فقا: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها)

بغير عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) شقوق وفتوق وصدوع ، واحدها فرج».

كما يستلهم الفنان المسلم جمال الابداع الفني من جمال ابداع خلق الأرض في قوله تعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾. (الحجر: الآية 19).

يقول السعدي في التفسير:

(والأرض مددناها) أي: وسعناها سعة يتمكن الآدميون والحيوانات كلها على الامتداد

بأرجائها والتناول من أرزاقها والسكون في نواحيها. (وألقينا فيها رواسي) أي: جبالا عظاما

تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد وتثبتها أن تزول (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) أي: نافع

متقوم يضطر إليه العباد والبلاد ما بين نخيل وأعناب وأصناف الأشجار وأنواع النبات.

و مبدأ التوحيد نجده ظاهرا في مفهوم الجمال و الوظيفة و التناسق بينهما لخلق توافق و انسجام

لخصوصيات الفن الإسلامي و المعماري.و الزخرفة الاسلامية منبعها هو الاسلام حيث لم يتأثر هذا

الفن بالفنون السابقة ، بل استلهم الفنان المسلم بعض منها و طورها و حورها،و أضاف اليها

عنصر الابداع و الاستلهم ابتداء من النص القرآني.و الزخرفة تتيح للفنان المسلم الابداع في

تشكيلها، وفق قواعد وأصول مشتقة من مبدأ التوحيد. فالتنوع في الأساليب و الأشكال في الفن

الاسلامي يبقى دائما متصلا بالتوحيد، و الذي يمثل العامل المشترك في تكوين هوية العمارة

الاسلامية.لقد ابتعد الفنان المسلم عن التشخيص و التجسيم من خلال الزخرفة الاسلامية، باتباع

التعاليم الاسلامية ابتداء من القرآن الكريم، من خلال الأشكال الهندسية و النباتية و الكتابية و ذلك

لكراهية الفراغ في المساحات الزخرفية و البعد عن رسوم الكائنات الحية.

و تمتاز كذلك بأنها ليست لها بداية و لا نهاية ، فظهر فن الأرابيسك أو فن الرقش العربي.و هو من

ابتكار الفنان المسلم،حيث بدأ بالانتشار في العهد العباسي من القرن الثاني أو الثالث للهجرة وكذلك

الأموي في الأندلس،واستمر في العهد المملوكي والعثماني.يقوم على زخرفة المساجد و القصور و

القباب بأشكال هندسية أو نباتية ، و شاع استخدامه في زخارف الأبواب الخشبية.تدخل الكتابات في

الترزين وكثيرا ما كانت خلفية لكتابات كوفية أو ثلثية.و استخدمت الزخرفة في العمائر الاسلامية

كالمساجد و القصور بالمدينة العتيقة بقسنطينة و باعطائها اللمسة المميزة للعمارة الاسلامية.

و في فنها الزخرفي

ويمكن تصنيف الزخرفة الإسلامية فيها الى أربعة أصناف هي: زخرفة تعتمد استخدام الصور الأدمية والحيوانية، زخرفة الرسومات الهندسية، زخرفة نباتية و زخرفة خطية، أين تجلت أرقى صور الفنون الإسلامية في العمارة التقليدية.

2.2.6. عناصر الزخرفة الإسلامية في العمارة التقليدية القسنطينية :

1.2.2.6. الزخرفة النباتية في العمارة التقليدية القسنطينية :

تعتبر الزخرفات النباتية من أهم الفنون منذ العصور القديمة، بلغت أهمية كبرى خلال العصور الإسلامية. و الزخرفة النباتية هي فن من الفنون التشكيلية التي تعتمد على مختلف أنواع النباتات، فهي تعد من أهم الزخارف التي أبدع فيها الفنان المسلم في استخدام الأشكال النباتية، كفروع الأشجار والأوراق والثمار والأزهار، حيث ابتكر أشكالاً نباتية مختلفة خرج بها عن الأشكال الطبيعية المألوفة في التجريد، التحوير، التوريق والبعد عن محاكاة الطبيعة و يراعي في تصميمها شغل الفراغ. و النبات تعبير عن الجنة في أنواع الثمار، قال تعالى :

﴿... وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾. (الرحمن : الآية 54).

يقول السعدي¹¹ في التفسير : «الجنى هو الثمر المستوي أي: وثمر هاتين الجنتين قريب التناول، يناله القائم والقاعد والمضطجع» .

قال تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴾. (الانسان : الآية 14)

و يفسرها السعدي¹²: « قربت ثمراتها من مريدها تقريبا ينالها، وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع» .

و قال تعالى: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾. (الحاقة: الآية 23)

يقول السعدي¹³ في التفسير : « ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها قياما وقعودا ومتكئين.» . كما تتألف الزخارف النباتية من ورق نخيل أو أنصاف ورق نخيلية أما من النباتات أوراق الأكانتس و أوراق العنب ، سويقاته وعناقيده، و من أشهر الأزهار التي غالبا ما كانت تستعمل في الأعمال الزخرفية هي : ورد القرنفل، التوليب، الخشاش، الطحالب،

¹¹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura55-aya54.html>

¹² <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura76-aya14.html>

¹³ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura69-aya23.html>

و في فنها الزخرفي

النرجس والبنفسج، وانتشر استعمالها في العمائر في تزيين الجدران والقباب و في مختلف التحف الخزفية، النحاسية و الزجاجية.

و من أبرز المواد المستخدمة فيها : الخزف، الرخام، الجص، الخشب، المعادن، الجص، الآجر. تعتمد الزخرفة النباتية في قواعد التركيب على نظم معروفة من أبرزها: التناظر، التكرار، التناوب، التقابل و التعاكس. قال تعالى:

﴿...وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ...﴾. (البقرة: الآية 164).

يقول البغوي¹⁴ في التفسير: « قوله تعالى: (واختلف الليل والنهار) أي تعاقبهما في الذهاب و المجيء يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده نظيره قوله تعالى: (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه). (الفرقان-62)». و قد استلهم الفنان المسلم من هذه الآية نظام التكرار و الثنائية في الفن الزخرفي، بحثا عن مبدأ التجريد. و قد اقترن ذكر النبات في النص القرآني بذكر الأرض، و كلما ورد لفظ النبات أو الزرع أو الثمر يرد لفظ الأرض معها، فهي مصدر و منبت الزرع. و قد ورد في النص القرآني ذكر العديد من النباتات. كاليقطين في قوله تعالى:

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾. (الصافات: الآية 146).

يقول السعدي¹⁵ في التفسير: « (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ) تظله بظلمة الظليل، لأنها بادرة باردة الظلال، ولا يسقط عليها ذباب، وهذا من لطفه به، وبره » . و لقد ورد في النص القرآني ذكر لأشجار عديدة منها : النخلة ، و هي التي ضرب الله بها المثل لكلمة التوحيد، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾. (ابراهيم:

الآية 24)

يقول السعدي¹⁶ في التفسير: « يقول تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً) " وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) وهي النخلة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) في الأرض (وَفَرْعُهَا) منتشر (في السَّمَاءِ)». و نجد شجرة السرو في الزخارف الجصية في القباب كقبة زاوية بن عبد الرحمن. (أنظر الصورة رقم 93 أدناه).

¹⁴ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura2-aya164.html>

¹⁵ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura37-aya146.html>

¹⁶ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi-saadi/sura14-aya24.html#saadi>

و في فنها الزخرفي

الصورة رقم 93 : رسم لشجرة السرو في قبة بيت الصلاة في زاوية بن عبد الرحمن بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2013

كما أن لشجرة السرو اهتمام كبير عند العثمانيين. وقد شاع استعمالها في المقابر لرائحتها الزكية و اخضرار أوراقها طوال العام. أما من الجانب العقائدي في هذه الزخرفة، فيعتقد أن اخضرار أوراقها طوال العام يرمز الى الخلود، كما أن ارتفاعها الشاهق يرمز الى الأذان والصلاة. أما اللون الأخضر فهو يرمز الى لون ثياب أهل الجنة في القرآن الكريم.

و تتواجد الزخرفة النباتية في اللوحات الخزفية في عمائر قسنطينة و في جامع سوق الغزل و بعض البلاطات الخزفية الايطالية الصنع في جامع سيدي الكتاني. كما تتوافق مع نظم : التناظر، التكرار و الدوران حول المركز، المستمدة من خلق الله في الكون. (أنظر الصورة رقم 94 أدناه).

الصورة رقم 94 : نماذج لمربعات الزخارف النباتية في مسجد سيدي الكتاني بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر : (رشيد بورويبة، 2013) + معالجة الباحث، 2019

و في فنها الزخرفي

استعملت المربعات الخزفية في كل قصر أحمد باي ماعدا القبو، حيث غطت الجزء السفلي من الجدران و اطارات الأبواب و النوافد و حتى المقاعد الخاصة بالسقيفة. و تتواجد الزخرفة النباتية في الزخارف الجصية في قصر أحمد باي.

2.2.2.6. الزخرفة الهندسية في العمارة التقليدية القسنطينية :

لقد تميزت الحضارة الاسلامية بالزخارف الهندسية عن غيرها حيث أبدع فيها الفنان المسلم في استعمال الخطوط الهندسية و صياغتها في أشكال فنية منسجمة، فظهرت المضلعات المختلفة و الأشكال النجمية و الدوائر المتداخلة. حيث يعتمد المنتوج الهندسي في الفضاء المعماري على قواعد رياضية و هندسية، أين يُبرز فيها الفنان المسلم انسجام العناصر المكونة له و توازن الوحدة الزخرفية.

بتحليل المكونات الهندسية للزخرفة نجد أنها تعتمد على أشكال أولية من مثلث و مربع أو مستطيل و دائرة أو نصف دائرة. و التي تتميز بانسجام و تناسق أشكالها الجزئية و تجانسها من خلال الاعتماد على القيم الجمالية كالتنظيم، التناظر، الوحدة والتجانس.

و يعتمد الفنان المسلم في تصميم الأشكال الهندسية بمحاولة ربطها بعلاقات جمالية كالإيقاع، التناغم، التماثل، التباين، النظام و التماسك. فجمالية الزخرفة الهندسية في فن العمارة الاسلامية تنبع من خصائص الشكل و علاقتها التناسبية بين أبعادها بالإضافة الى النسق والنظام. و هذا تبعا للمتغيرات البصرية للشكل الهندسي: اللون، الضوء، الملمس والحجم. فالاعتماد على مبدأ التناسب ضروري لتكوين الوحدة الزخرفية، كما أن النموذج البصري المحصل يعتمد على مبدأ المقياس و الذي يراعي فيه مقياس الوحدة الزخرفية ثم المقياس الانساني و المتمثل في حجم الفضاء المعماري، بالنسبة للشكل العام للوحدة الزخرفية نسبة الى أبعاد الانسان.

وتجتمع الزخرفة الهندسية بالنباتية في الكثير من النماذج. وقد زينت الزخرفة الهندسية المباني، كما وشحت التحف الخشبية والنحاسية، ودخلت في صناعة الأبواب وزخرفة السقوف.

و فن الزخرفة الاسلامية يمتاز بخاصية الحركة في العمل الفني، من خلال أصغر وحدة في الأشكال الأولية الى غاية الشكل النهائي مشكلة انسجاما و تواسلا في الرؤية. كما أن الأشكال الهندسية الأولية تمثل الوحدة التي ينطلق من خلالها التنوع للأشكال و التراكيب الهندسية و النجمية،

و في فنها الزخرفي

و هذا لما لها من رمزية عند الفنان المسلم، حيث يستلهم أشكالها من النص القرآني. فشكل الدائرة مستلهم من الشمس و القمر، قال تعالى:

﴿...وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ.﴾ (الرعد: الآية 2).

يقول البغوي¹⁷ في التفسير: « (وسخر الشمس والقمر) ذلكهما لمنافع خلقه فهما مقهوران (كل يجري) أي : يجريان على ما يريد الله عز وجل (لأجل مسمى) أي : إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا». و هذه الأشكال الأولية المستلهمة تتميز بخاصية الحركة. و شكل الدائرة مستلهم من حركة الدوران المقدسة و هي الطواف حول الكعبة بشكل دائري ، كما أن الهلال هو أحد الأطوار الثمانية التي يمر بها وجه القمر. و الشكل المربع مستلهم من الكعبة و الشكل المثلث يتحصل عليه من حركة الدوران حول الكعبة. و الشكل المثلث مستلهم كذلك من خاصية الحركة من خلال المراحل الثلاث التي يمر بها الانسان و المذكورة في النص القرآني. (أنظر الصورة رقم 95 أدناه).

الصورة رقم 95 : زخرفة هندسية لتعدد المثلثات بسقف خشبي في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2019

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾. (الأعراف: الآية 25).

¹⁷ <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura13-aya2.html>

و في فنها الزخرفي

يقول الطبري¹⁸ في التفسير:

القول في تأويل قوله : قَالَ فِيهَا تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)
قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال الله للذين أهدبهم من سمواته إلى أرضه: (فيها تحيون)، يقول: في الأرض تحيون، يقول: تكونون فيها أيام حياتكم = (وفيها تموتون)، يقول في الأرض تكون وفاتكم، (ومنها تخرجون)، يقول: ومن الأرض يخرجكم ربكم ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء.

و في قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾. (طه: الآية 55)

يقول ابن كثير¹⁹ في التفسير: « أي : من الأرض مبدؤكم ، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من آدم الأَرْض ، (وفيها نعيدكم) أي : وإليها تصيرون إذا متم وبلبتم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى. (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) . (الإسراء : 52) . »

و النص القرآني يتميز بأنه يُبين لنا الأشكال من خلال الحركة ، و كذلك الآيات الكونية يصفها في حالة الحركة. فالفنان المسلم يستلهم أعماله الفنية الزخرفية من خلال المشاهد الطبيعية و حركتها فيستخرج منها الجانب الجمالي. و حركة القمر تبين عدة أشكال في مدة زمنية محددة و كذلك حركة السحاب و ما نتج عنها من تساقط للأمطار. و الله بين لنا الآيات الكونية في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : الآية 164).

يقول السعدي²⁰ في التفسير: « أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة، آيات أي: أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته. »

و تعتبر الآيات الكونية مصدر الهام للفنان المسلم كما تنتوع الأنماط الهندسية في مختلف المواد كالرخام ، البلاطات الخزفية ، الخشب و الجص. فنجد المربعات الخزفية الهندسية في اطارات الأبواب و النوافذ في قصر أحمد باي. (أنظر الصورة رقم 96 & 97 أدناه).

¹⁸ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura7-aya25.html>

¹⁹ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura20-aya55.html>

²⁰ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura2-aya164.html>

و في فنها الزخرفي

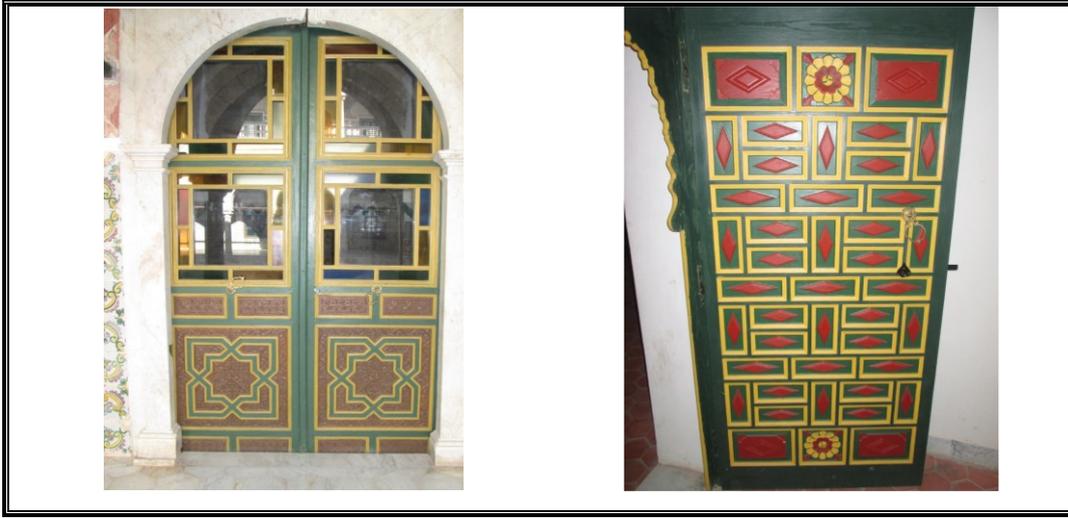
الصورة رقم 96 & 97: مربعات خزفية باطارات النوافذ & الأبواب في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة.



المصدر: تصوير الباحث، 2019

و نجد الزخارف الهندسية في أبواب جامع سيدي الكتاني و بعض أبواب قصر أحمد باي. (أنظر الصورة رقم 98 أدناه)

الصورة رقم 98: نماذج للزخرفة الهندسية لأبواب داخلية في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2015

حسب (عيساوي، 2011) فان الخزف الايطالي تم اقتناؤه من المدعو شيافينو مقايضة بالقمح. استورد أحمد باي الخزف من حوض البحر الأبيض المتوسط، حتى و ان كان كل شيء يوحى بوجود صناعة محلية. نجد منها الهولندية، الايطالية، التونسية، المرسلية، السورية و أخرى مجهولة المصدر. المربعات الأكثر عددا هي المربعات ذات الأصل الايطالي موضوعة على شكل مجموعات رباعية: زهرة القرنفل ضمت الى مربع آخر يمثل أشكال هندسية أحادية اللون - أسمر منغيزي على أرضية بيضاء. و يحتوي قصر أحمد باي على بلاطات خزفية أغلبها مصدرها تونسي و ايطالي. (أنظر الشكل رقم 23 أدناه).

الشكل رقم 23 : تصنيف المربعات الخزفية حسب مصدرها في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر : تصوير و عمل الباحث، 2015

ارتبط رمز الهلال بالحضارات السابقة، و كان القمر يحمل أهمية و رمزية كبيرة عند العرب و زاد الاعتناء بالهلال بعد ظهور و انتشار الاسلام. و ذلك بغرض ضبط بدايات الشهور القمرية حيث ذكر الهلال في النص القرآني و السنة النبوية الشريفة.

قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾. (البقرة: الآية 189).

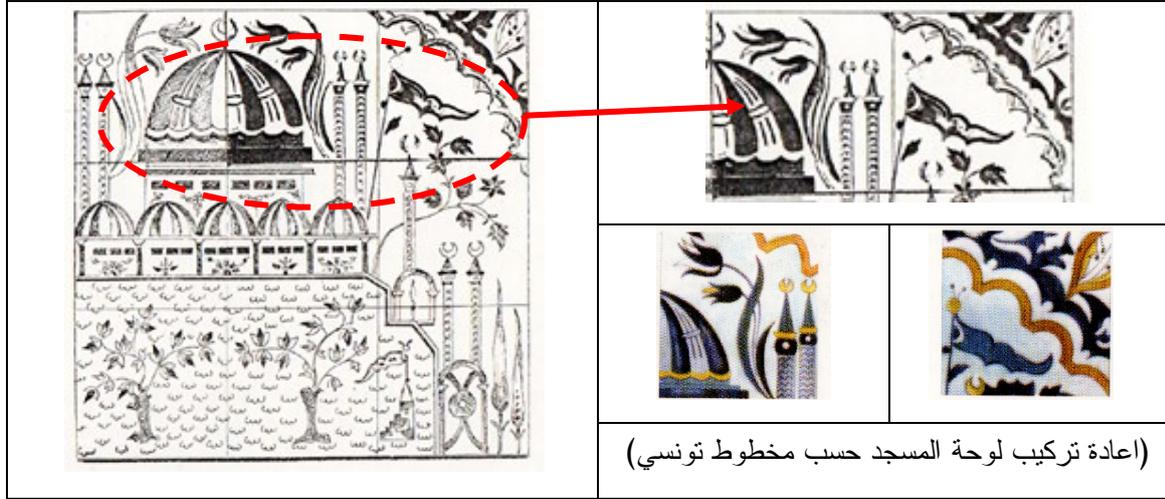
فإنه عزَّ و جلَّ جعل الأهلة ميقاتاً للناس.

و النبي صلى الله عليه و سلم، قال: « صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته». و صار الهلال مرتبطاً بدين الإسلام كشعار له في الدولة العثمانية، و لم يتحول إلى صورة منتشرة على صعيد واسع إلا مع العثمانيين أواسط القرن الرابع عشر. كما أن أول من أدخل الهلال على المسجد النبوي هو العثمانيين في التوسعة العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي. و ما لبث أن أصبح شعار علم دولتها رسمياً منذ عام 1453م.

و انتشر استخدام الهلال عند العثمانيين في عمارة المساجد، فوضعوه في أعلى القباب و المآذن، ليُميزوا دور عبادة المسلمين عن غيرها.

وجدت الأهلة في المدينة العتيقة بقسنطينة مجسمة في قمة مئذنة الجامع الأخضر و مئذنة جامع سيدي الكتاني. كما وجد الهلال يتوج المآذن و القباب في مجموعة من البلاطات الخزفية التونسية الصنع، و الزخارف الملونة في قصر أحمد باي. (أنظر الشكل رقم 24 أدناه).

الشكل رقم 24 : الهلال في مجموعة من بلاطات خزفية في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: (karaali,2012) +معالجة الباحث 2019

كما نجد الهلال منحوتا في بعض تيجان و قواعد الأعمدة الرخامية بجامع سوق الغزل و مدرسة سيدي الكتاني و قصر أحمد باي.(أنظر الصورة رقم 99 أدناه).

الصورة رقم 99: الهلال منحوت في تيجان و قواعد الأعمدة في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2019

و يمكن تصنيف الزخارف الهندسية في عمائر قسنطينة الى زخارف هندسية بسيطة كالمثلثات، المربعات، المعينات، الأشكال الخماسية والمسدسة، الدوائر و أنصافها و الخطوط الحلزونية. و منه فان المقياس و التناسب مبدآن جاليان ضروريان بالنسبة لتكوين الشكل الهندسي للوحدة الزخرفية و طبيعة علاقاتها المادية و الحسية في الفضاء المعماري.

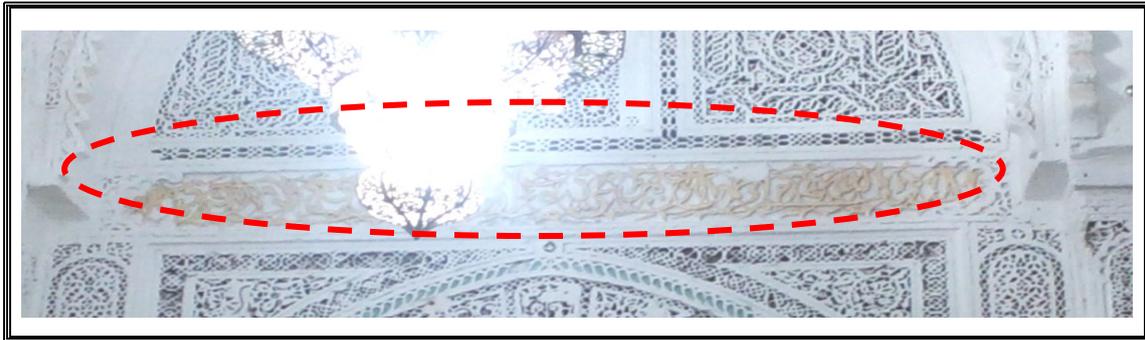
و الفنان المسلم يعتمد على التوحيد بين المقياس و التناسب في الوحدة الزخرفية و أجزائها و كذلك المطابقة بين الشكل و المضمون عبر البحث عن التوافق بين الأشكال و المقياس حسب طبيعة الفراغ المعماري.

3.2.2.6. الزخرفة الخطية في العمارة التقليدية القسنطينية :

تمكن الفنان المسلم من إدخال الحروف العربية كعنصر رئيسي من عناصر الزخرفة، فقد كان استعمال الكتابة في أول الأمر مقتصرًا على المنتجات الفنية كوسيلة من وسائل الحمد والشكر لله. حيث تميز الخط العربي كفن بطابع الأصالة. « كان للخط العربي أهمية في العمارة الإسلامية. وأقدم أثر معماري بقي بحلته الأصلية تقريبًا حتى اليوم هو قبة الصخرة، وقد اشتمل على شريط طويل من الخط العربي كانت له أهميته الزخرفية إلى جانب قيمته التسجيلية »²¹. و من أمثلة العماثر التي استخدم فيها الخط في مصر : جامع بن طولون و الأزهر و قبة قلاوون و مدرسة السلطان حسن.»²².

تعتبر الزخارف الخطية من مميزات الفنون الإسلامية و تتمثل في أنواع الخط العربي حيث تمكن الفنان المسلم من إدخال الحروف العربية كعنصر رئيسي من عناصر الزخرفة و أصبح بذلك هذا النوع من الزخرفة مظهرًا من مظاهر الزينة و الجمال. فاستخدمت الكتابات في تسجيل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمأثورات و الدعاء. و أبدع الفنان المسلم في كتابة العبارات باستخدام أنواع الخطوط المختلفة و ابتكارها، كما أدخل التوريقات النباتية على بعض الخطوط الزخرفية كالخط الكوفي. (أنظر الصورة رقم 100 أدناه).

الصورة رقم 100 : الكتابة الخطية القرآنية في محراب جامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة.



المصدر: تصوير الباحث، 2018.

²¹ محمود عباس حمودة. (2000). تطور الكتابة الخطية العربية: دراسة لأنواع الخطوط ومجالات استخدامها. دار نهضة الشرق. القاهرة. ص 306.

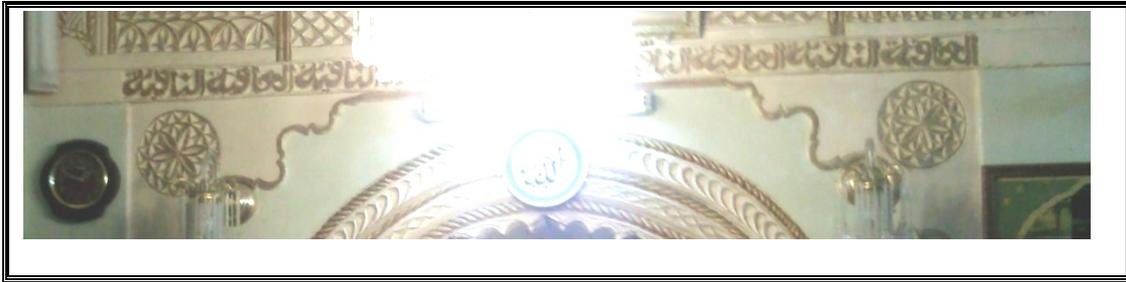
²² محمود عباس حمودة، المصدر السابق، ص 306-307. عن حسن الباشا. دراسة أثرية حول رقبة شمعدان. مجلة المجلة العدد 14. ص 89.

و في فنها الزخرفي

تنوعت الكتابات الخطية في عمائر مدينة قسنطينة، كخط الثلث و خط الطغراء. و انتشر خط الطغراء في العهد العثماني، و هو مزيج بين خطي الديواني و الإجازة ، و في الغالب يكون مزيجا من خط الديواني و خط الثلث.

و نجد كتابة البسمة بخط الطغراء في قصر أحمد باي. كما نجد الكتابات الخطية في الأشرطة الكتابية في التكريات الجدارية الخزفية في كل من الجامع الأخضر ومدرسته و جامع سوق الغزل و محراب زاوية بن عبد الرحمن. و في تجويف محراب جامع و مدرسة سيدي الكتاني و محراب زاوية بن عبد الرحمن و واجهات كل من محراب زاوية بن عبد الرحمن و جامع سوق الغزل. استعملت تقنية النقش البارز في أغلب النصوص الكتابية عدا بعض اللوحات التأسيسية لجامع سيدي الكتاني و جامع سوق الغزل، حيث استعملت فيهما تقنية الحفر الغائر ثم ملئت التجاويف بالرصاص الأسود. استعملت تقنية القالب في بعض الكتابات الجصية المتكررة كعبارات: "العز لله" في مدرسة الجامع الأخضر و "العافية الباقية" بجامع سوق الغزل و "العافية النافية" في زاوية بن عبد الرحمن. (أنظر الصورة رقم 101 أدناه).

الصورة 101: كتابة عبارة العافية النافية في محراب جامع زاوية بن عبد الرحمن في المدينة العتيقة بقسنطينة.



المصدر : تصوير الباحث، 2013

و بخصوص مضمون كتابات الآيات القرآنية الخاصة في كل من المساجد و المدارس و الزوايا و الأضرحة خاصة في شواهد القبور بقسنطينة، فنجدها في الجامع الكبير بقسنطينة و الذي يعود للعهد الحمادي أما في العهد العثماني فنجد العديد من الأمثلة ، في الآية 36 من سورة النور غير مكتملة في كل من واجهة محراب جامع سوق الغزل و مكتملة في اللوحة التأسيسية لجامع كل من سوق الغزل بالنص التالي ، قال تعالى:

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾. (النور: الآية 36).

ونجدها في زاوية بن عبد الرحمن، بقوله تعالى :

﴿ وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (114) وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ (هود: الآيتين 114-115).

و بمعاينة نوع المبنى و العبارات الكتابية القرآنية نلاحظ الانسجام بين وظيفة المبنى و النصوص القرآنية. فنجد أن لها دور الموجه و المذكر و بالدعوة للصلاة و التسبيح و بالصلاح. فهذا التقليد متوارث عند المسلمين في الجزائر منذ العهد المرابطي كالجامع الكبير بتلمسان الى غاية العهد العثماني.

4.2.2.6. زخرفة الكائنات الحية في العمارة التقليدية القسنطينية:

إن تمثيل الكائنات الحية يعتبر من أهم الوحدات الزخرفية التي اتخذها الفنانون قبل الاسلام، كما عرف المسلمون الصور الأدمية و رسوم الحيوانات، الا أن كراهية تصوير الكائنات الحية ترجع إلى عصر النبي صلى الله عليه و سلم، و هذا للقضاء على مظاهر الوثنية التي تقربهم من عبادة الأصنام. إن الفنانين المسلمين لم يصوروا الإنسان أو الحيوان، وإنما كانوا يستلهمون منهما موضوعات زخرفية. فحلت بذلك الرسوم الجدارية كبديل الا أن الالتزام بكراهية تمثيل الكائنات الحية لم يستمر، حيث ازدهرت صناعة الصور و الرسوم التوضيحية في المخطوطات و المنتجات الزخرفية في كل من ايران، الهند و تركيا. فلا نجد في عمائر قسنطينة الا القليل من نماذج زخرفة الكائنات الحية، تمثل زخارف رمزية منذ القدم و لها عدة دلالات عند الفينيقيين و القرطاجين، كيد لاله و يد مريم عند الأوروبيين. أما عند المسلمين فتعددت أسماؤها من كف العباس أو خمسة و خميسة في الجزائر. و هي تدرج ضمن التقاليد القديمة، للاعتقاد بأن العدد خمسة يحمي من شر العين و الحسد. فنجد يد الانسان منقوشة على النحاس تعلو باب بيت بن شريف، كما نجد في قصر أحمد باي بعض نماذج الرسوم على الجص في شكل فرسان فوق خيل بيضاء و سوداء يحملون بنادق. و نجد في البلاطات الخزفية رسوم بمختلف أشكال الحيوانات من خيول و طيور و أسماك لما لها من رمزية خاصة عند المسلمين.

و الطيور هي من المخلوقات التي خصها الله بذكرها في النص القرآني، منها قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۗ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ۗ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (الملك: الآية 19).

و في فنها الزخرفي

في الدلائل على انفراد الله تعالى في التصرف في أحوال الطير في نظام حركاتها، و هو أقوى دلالة على عجيب صنع الله تعالى. وكمال اقتداره، تبارك الله رب العالمين. و في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾. (النحل: الآية 78).

في الدلالة على أنه سبحانه تعالى بكل شيء ذو بصر وخبرة. و في الدلالة على كمال حكمته و علمه الواسع و عنايته الربانية بجميع مخلوقاته. وتحدث القرآن الكريم عن الطير في أطُرٍ و أغراض متعددة، منها طائر السلوى. و الذي جاء ذكره في قصة الأمة العجيبة أمة بني إسرائيل كنعمة أنعم الله بها عليهم، قال تعالى:

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ۗ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۗ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾. (البقرة: الآية 57).

و نجد طائر الطاووس في مربعات خزفية جدارية ، في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة. (أنظر الصورة رقم 102 أدناه).

الصورة رقم 102: مربعات خزفية لطائر الطاووس مع عناصر نباتية في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر : تصوير الباحث، 2019،

و الخيل من الحيوانات المذكورة في القرآن الكريم، قال تعالى :

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۗ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. (النحل: الآية 8).

عُرف السمك منذ عهد الفراعنة و استمر الى غاية عهد المسلمين،لما له من رموز عديدة.و ذكر الحوت في النص القرآني،قال تعالى:

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) ﴾. (الكهف: الآية 63).

و في قوله تعالى :

﴿ فَالْتَمَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾. (الصافات : الآية 142).

5.2.2.6. زخرفة العناصر المعمارية في العمارة التقليدية القسنطينية :

قد استعملت بمنازل مدينة قسنطينة الزخرفة الاسلامية و رسومات لنباتات و زهور على مواد مختلفة كالخشب في بعض أبواب مداخل البيوت القديمة و التي تميزت معظمها بأبواب صغيرة بمصراعين، كما تميزت بيوت العائلات العريقة بالأبواب الكبيرة والمطعمة بالنحاس و المزينة بأشكال لها دلالات رمزية.و نلاحظ أن أكثر الرموز انتشارا هي الهلال و المثلث و خاصة النجمة السداسية.حيث استخدمت الدولة التركية القديمة والدولة العثمانية هذه الرموز المثلثة في العديد من الزخارف الفنية في المساكن و المساجد.و هذا لما له من رمزية كبيرة عند المسلمين باعتباره رمز من خاتم سليمان عليه السلام و نمطا زخرفيا هندسيا.كما عثر على هذا الشكل في الحضارة الصينية والمصرية و معظم الحضارات القديمة.و النجمة السداسية لا تختص الا باليهود بل تركها المسلمون،بعد أن اتخذها اليهود رمزا في معظم فنونهم لا سيما الدينية منها.أما الألوان فمعظمها أزرق قاتم أو فاتح، بالإضافة إلى استخدام متقارب للبي و الأخضر و الأصفر.يحتوي قصر أحمد باي على مجموعة كبيرة من الأبواب منها الأصلية و المرممة،كما تختلف في أشكالها و أحجامها فمنها ذات مصراع واحد ومنها ذات مصراعين،أما في العمل الفني فهي تختلف في الجزئيات فقط.و قد برع الفنانون المسلمون في زخرفتها و اعتماد تقنيات مميزة كالتجميع و التطعيم و التلوين كما استعملت ثلاث تقنيات للحفر و هي المائل و البارز و الغائر.أما في الجص فهي محفورة أو مصبوغة بالألوان.

إن الزخارف النباتية كانت مصدر الهام للتزيين كورقة الاكانتس و زهرة الأقحوان و القرنفل، و كذلك التلوين حيث اتخذت الألوان المتواجدة في النباتات الطبيعية كالأزرق والأحمر و الأخضر و الأصفر.

و في فنها الزخرفي

تنوعت الزخارف الخشبية في قصر أحمد باي و تعددت مجالات استعماله، حيث استعمل في التسقيف و النوافذ والخزائن الجدارية بالإضافة الى الدرابزين و الأبواب. كما اعتمد في استعماله كعوارض في بعض الغرف و الأروقة. نشير كذلك الى تنوع أساليب و تقنيات الزخرفة حيث استعمل تقنيات التفريغ و الخرط في تشكيل الدرابزينات. (أنظر الصورة رقم 103 أدناه).

الصورة رقم 103: نماذج لدرابزينات في قصر أحمد باي في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2015

و نجد الزخرفة الاسلامية في الخشب، منفذة في منبر كل من الجامع الأخضر و جامع سوق الغزل. (أنظر الصورة رقم 104 أدناه).

الصورة رقم 104: منبر الجامع الأخضر في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2018.

و نجد الزخرفة الاسلامية منفذة على باب بيت الصلاة لزاوية بن عبد الرحمن و أبواب بيت الصلاة لجامع سيدي الكتاني (ملحق « ر »). و كذلك في ضريح مؤسسها. (أنظر الصورة رقم 105 أدناه).

الصورة رقم 105: الزخرفة الخشبية لباب بيت الصلاة لزاوية بن عبد الرحمن في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2012.

نجد الزخرفة في الرخام بمنبر جامع سيدي الكتاني، كما استعملت أيضا في تبليط الأرضيات و في درجات السلالم و كذا أطر الأبواب في قصر أحمد باي، حيث زخرفت هذه الأطر الرخامية بمجموعة من الزخارف البارزة. (أنظر الصورة رقم 106 أدناه).

الصورة رقم 106: نماذج من الاطارات الرخامية للأبواب في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة

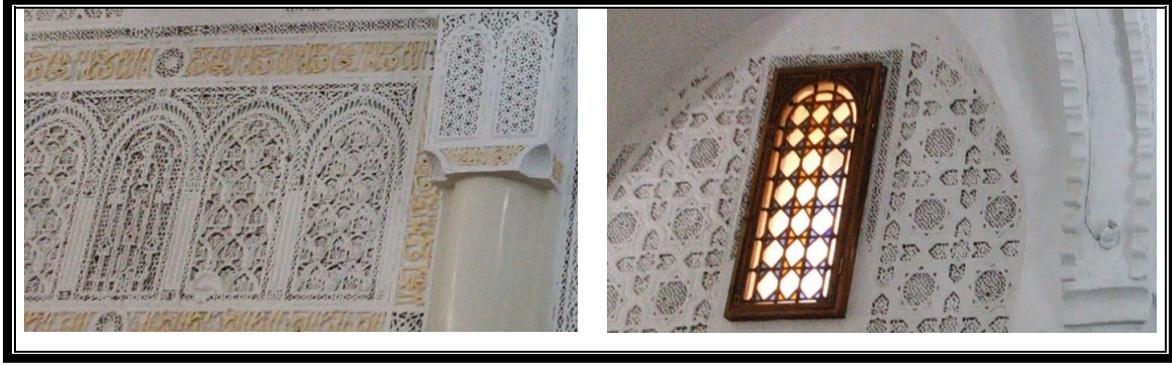


المصدر: تصوير الباحث، 2019.

و في فنها الزخرفي

و نجد الزخرفة على الجص، في جامع سيدي الكتاني و جامع سوق الغزل و زاوية بن عبد الرحمن.
(أنظر الصورة رقم 107 أدناه).

الصورة رقم 107: الزخرفة على الجص في جدار القبلة لجامع سوق الغزل في المدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2018.

و نجد العناصر الزخرفية منقذة في بعض البلاطات الخزفية، أين تتنوع أماكن صنعها فمنها الايطالية و التونسية، في كل من جامع سوق الغزل و قصر أحمد الباي. كما نجد الهولندية و التركية الصنع أيضا في قصر أحمد باي بالاضافة الى مجموعة من البلاطات الخزفية مجهولة المصدر، نظرا لاسترجاعها من بعض البنايات المجاورة، و التي تم شراؤها من أجل بناء القصر. نجد الرسومات الجدارية في قصر أحمد باي بقسنطينة و هي تجسيد لرحلة الحج عبر البحر و فيها تظهر بنايات مختلفة بقباب و مآذن و أبراج. (أنظر الصورة رقم 108 أدناه).

الصورة رقم 108 : رسومات جدارية تجسيد لرحلة الحج في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر: تصوير الباحث، 2019

و في فنها الزخرفي

و كذلك في رسم جداري يظهر فيه أشكال للمساجد و كثرة النخيل. (أنظر الصورة رقم 109 أدناه).

الصورة رقم 109 : رسومات جدارية تظهر المساجد و النخيل في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة



المصدر :تصوير الباحث، 2019

و ذكر النخيل في عدة مواضع في النص القرآني، منها قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾. (يس : الآية 34).

يقول السعدي²³ في التفسير : « (وَجَعَلْنَا فِيهَا) أي: في تلك الأرض الميتة (جَنَّاتٍ) أي: بساتين، فيها أشجار كثيرة، وخصوصا النخيل والأعناب، اللذان هما أشرف الأشجار، (وَفَجَّرْنَا فِيهَا) أي: في الأرض (مِنَ الْعُيُونِ)». و في قوله تعالى :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾. (الرعد : الآية 4).

و أجمع أغلب المفسرين في هذه الآية أن الله جعل في الأرض أنواع للأشجار و جعل الاختلاف والتباين في ثمر النخيل اختلاف في شكله وحجمه، واختلاف في لونه وصنعتة، واختلاف في صغره وكبره. و رغم تنوع أصنافها فهي تسقى من ماء واحد، وتنبت في تربة واحدة، كذلك يوجد التباين حتى في الطعوم. و هنا إشارة قرآنية لكامل قدرته وبديع صنعتة عزاً و جللاً. و لمكانة شجرة النخيل حيث نجد فكرة الوحدة ضمن التنوع.

²³ <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura36-aya34.html>

خلاصة :

من خلال دراسة تأثير المبادئ عامة و القيم الاسلامية ابتداء من النص القرآني في العمارة التقليدية المتبقية في المدينة العتيقة بقسنطينة و في فنها الزخرفي ، و الممتدة بين الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني. تبين من خلال النصوص القرآنية التوجيه في التخطيط المعماري و لعناصره من خلال توجيهات المساجد و المساكن.

و تبين أن المساجد الجامعة الثلاثة الخاصة بالفترة العثمانية و هي جامع سيدي الكتاني ، جامع سوق الغزل و جامع سيدي لخضر أما الجامع الكبير فهو يعود الى الفترة الاسلامية. وقد تعرض الى العديد من التغيرات خاصة واجهته الأصلية. كما أن هذه المساجد تتبع في مخططاتها و مكوناتها و عناصرها المعمارية ما هو معروف عن المساجد في العالم الاسلامي. حيث تحتوي على العناصر الأساسية المكونة للمسجد و التي ترتبط بوظيفته الدينية و بمكوناته التي فرضتها الوظيفة من : بيت الصلاة ، محراب ، منبر ، بيت الوضوء و منذنة.

و يظهر جليا مبدأ التوحيد في المساجد من النص القرآني ابتداء، كما حرص النبي صلى الله عليه و سلم على عمارة المساجد من خلال العديد من الأحاديث الشريفة. و تبين أن القيم الاسلامية المستنبطة من النص القرآني ابتداء من خلال منظومة للقيم العليا و هي : التوحيد و التركيز و العمران ، حيث تعتبر المنهج الصحيح و المنطلق الأولي ابتداء من التوحيد. و بهذا المنهج يتبعه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم، من خلال العديد من النصوص القرآنية.

إن ما قرره النص القرآني من مبادئ عامة و قيم اسلامية ابتداء ثم ما نشأ عن تعاليم الرسول صلى الله عليه و سلم ثانيا، حدد بابا مهما في العمارة الإسلامية بما يسمى فقه عمارة المساجد و الذي يركز على تهيئة الفراغ المعماري. فكان الاعتناء بكل جوانب عمارة المساجد المادية و الذي من شأنه توفير كل الظروف الملائمة لتحقيق العمارة المعنوية.

و مبدأ دفع الضرر نجده مطبقا في مآذن المساجد المدروسة بالمدينة العتيقة بقسنطينة، فهي تتميز بمساحات ضيقة و تحتوي على فتحات صغيرة جدا، لتجنب الكشف البصري على البيوت المجاورة. أما منذنة جامع سيدي الكتاني فهي تتوسط بيت الصلاة و الميضأة. و التي تقع بين وسط المسجد و المدرسة و ضريح صالح باي، و هي بذلك تحتل موقعا وسطيا ضمن المجمع الديني و تتجنب بذلك الاطلاع على المساكن المجاورة لها. و مبدأ دفع الضرر نجده مطبقا في المساجد

و في فنها الزخرفي

المدرسة بالمدينة العتيقة بقسنطينة بتجنب الأذى بالروائح الكريهة في بيت الصلاة، عن طريق تمركز الميضاة بعيدة عن بيت الصلاة. فبيت الصلاة في جامع سيدي لخضر يتواجد في الطابق الأول بينما الميضاة تتواجد في الطابق الأرضي. و في جامع سيدي الكتاني تقع الميضاة في الطابق السفلي كما أن كل المراحيض في كل هذه المساجد و المدارس بالمدرسة بالمدينة العتيقة بقسنطينة، تتبع كل التوجيهات في عدم استقبال القبلة واستدبارها.

تميز جامع سيدي الكتاني و جامع سيدي لخضر بحسن استغلال الفراغ المعماري في التصميم حيث اشتملا على خاصية معمارية مشتركة لم تتوفر في جوامع قسنطينة و المسماة بنمط المساجد المعلقة. و تتمثل في بناء بيت الصلاة في الطابق الأول بينما أسفل المسجد توجد به مرافق و متاجر كوقف تدفع المتطلبات المالية للمسجد، نظرا لتواجدهما في موقع سوق تجاري.

و الملاحظ أن مدرسة سيدي لخضر تعد المدرسة الوحيدة في المدينة العتيقة بقسنطينة، المبنية في الطابق الأول فوق المحلات التجارية و ميضاة جامع سيدي لخضر. و هذا النمط يتبع الأنماط الموجودة في العمارة العثمانية و المسماة بالمدارس المعلقة.

و يتميز بيت الصلاة في جامع سوق الغزل بتقاطع البلاطات الأفقية مع البلاطات العمودية على جدار القبلة. كما تغطيها أفبية و قباب في صفوف متناوبة. و قد كان أول ظهور لهذا النمط في العصر العثماني في أول الأمر بجامع السلطان بايزيد الأول أواخر القرن الرابع عشر الميلادي في مدينة بورصة بتركيا، و الذي يعرف باسم أولو جامع (Ulu Cami)، و هو من أهم خمسة جوامع في العالم.

تميزت مئذنة الجامع الأخضر بالشكل المثلثن أما مئذنة سيدي الكتاني تتخذ الشكل المثلثن ثم الاسطواني. و يعتبر الطرازين من العصر العثماني لكن أصولهما يرجع الى فترات سابقة.

و الخصائص الشكلية للتكوين المعماري على مستوى الواجهة الداخلية للمسكن التقليدي القسنطيني اتسمت بالتوحيد في خصائص الشكل العام لها. فاعتمدت على نظام موحد نجده في بيت بن شيكو و بن شريف، حيث تميزت هذه الواجهات باستخدام أبعاد و قياسات متناسقة مع بعضها ، و على مستوى خصائصها الشكلية بالايقاعية المتنوعة و المنسجمة مع التشكيل الكلي. و كذلك تميزت المساكن باحتوائها على فراغ معماري ذو مقياس انساني ، و الذي يحترم الأبعاد الانسانية من خلال اعطاء الارتفاع اللازم للغرفة و المسكن ككل، لما له من راحة نفسية بالنسبة للسكانين.

و في فنها الزخرفي

و نجد النظام الموحد من خلال منح الانسجام في الأشكال لتحقيق الراحة البصرية للسكان. و كذلك الاعتماد على الأشكال ذات الأبعاد المتناسبة كالمربع في شكل الفناء و المستطيل في الواجهة الداخلية و في شكل الأبواب و النوافذ و في التفاصيل الفنية و الهندسية لها. كما نجد التكرار في شكل الوحدة المتمثلة في تفاصيل واجهة الغرف و الأروقة المحيطة بها ، مما يحدث الانسجام و الإيقاع المتنوع و التوازن لأشكال الواجهات الداخلية للغرف.

و من تحليل المباني السكنية في المدينة العتيقة بقسنطينة نجد أن:

- المساكن تشترك في نفس النمط الغالب في مساكن الحضارة الاسلامية مع اختلاف في التفاصيل.
- يتميز المسكن بأن له مدخل واحد رئيسي و يفتح على الشارع بشكل منكسر لتحقيق الخصوصية.
- يخضع التصميم لشكل قطعة الأرض و التي لم تكن منتظمة غالبا.
- الفناء الوسطي كان دائما منتظم الشكل مربع أو مستطيل.
- تدرج الخصوصية في الفصل بين جناحي الرجال و النساء حيث أن الطابق الأرضي كان يستخدم للمعيشة اليومية و للاستقبال، بينما استخدمت الطوابق العليا للفضاءات الخاصة بالنوم.
- واستخدام المواد المحلية و غير المكلفة، حيث استخدمت الحجارة كمادة بناء أساسية و كذلك الجص في الزخارف و استخدم خشب العرعار كمادة محلية في دعائم الأسقف و في الحوائط. كما استخدمت الأقبية في تسقيف بعض الغرف.

و يتضح أن أهم الأسس التصميمية التي تميزت بها المباني السكنية في المدينة العتيقة بقسنطينة تتمثل في الجانب التشكيلي، الوظيفي، الاجتماعي و البيئي. كما أن تخطيط عمارة المباني السكنية يخضع الى توجيهات النص القرآني ابتداء ثم الى الحديث النبوي الشريف و الى التوجيهات الفقهية التي تعتبر مرجعا تنظيميا للفضاء المعماري. و قد تميزت قسنطينة في فترة الانتداب العثماني بالاعتماد على الأعمدة المسترجعة من أنقاض المدينة الرومانية، التي اشتهرت بالأعمدة الرخامية. كما نجد أعمدة تعود للفترة الاسلامية أكتسبتها العمارة الاسلامية، كالأعمدة ذات البدن الأسطواني، الأعمدة المضلعة بشكل حلزوني، و الأعمدة ذات البدن المثلث الشكل.

و في فنها الزخرفي

و قد استخدمت الأعمدة أيضا في الواجهات الخارجية كالمداخل الخاصة بالمساجد و الزوايا كمسجد جامع الكبير و جامع سيدي الأخضر بالإضافة الى تميز مدخل زاوية سيدي عبد المومن بالأعمدة عن باقي كل الزوايا بقسنطينة.ونجد أيضا الأعمدة في المحاريب،حيث تميز كل من محراب الجامع الأخضر و مدرسة سيدي الكتاني و زاوية سيدي عبد المومن بعمودين أما سوق الغزل و جامع سيدي الكتاني فنجد أربعة أعمدة.

و تتميز الأعمدة المتواجدة في أغلب معالم المدينة العتيقة بقسنطينة باعتمادها على عدة أنواع مع اختلاف كل أجزاءها حيث لا يمكن التعرف على أجزاء العمود الواحد فنجد بذلك اختلافا واضحا بين القاعدة ، البدن و التاج ، كما يصعب تحديد أصنافها.و تميزت تيجان الجامع الكبير بالطراز الحفصي، أما تيجان محراب جامع سيدي الكتاني فتميزت بالطراز التركي.

و تميزت الفترة العثمانية بعقد مقبض القفة أو الجزائري و الذي نجده في قصر أحمد باي.و بالقباب المخروطية في قمتي مئذنة الجامع الأخضر و مئذنة جامع سيدي الكتاني.و كذلك استخدام منبر رخامي في جامع سيدي الكتاني.تتنوع زخارف القباب في قسنطينة كما تتميز قباب جامع سوق الغزل بوجود فتحات نجمية الشكل مغطاة بالزجاج.و استخدمت الشرفات في قسنطينة في النهايات العلوية للمساجد كجامع سوق الغزل و جامع سيدي الكتاني.

يمثل فن الزخرفة الإسلامية شكلا نسيجيا متكاملًا بين الشكل والمضمون، فهو يعبر عن الرمزية و دلالات للتكوين الهندسي، أين يبرز جليا تأثير المبادئ عامة و القيم الاسلامية ابتداء من النص القرآني في الفن الزخرفي للعمارة التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينة في الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني.

و الفنان المسلم يستمد مبادئ ابداعه من توجيهات النص القرآني ابتداء ، و التي أمدته بالحرية الابداعية في العمل الفني مع التحلي بالمسؤولية و الأمانة. لكن ضمن مبدأ التوحيد في تطبيق معظم أعماله، من خلال حضور فلسفة التجريد والرمز في الزخارف و بتأطير الفكر الجمالي الاسلامي.و الجمال من المنظور الاسلامي يتحقق بالتصور الاسلامي لله والكون والانسان والحياة، ضمن نظام موحد و منسجم مع كل جزئياته،باتباع منهج الله الأخلاقي.و الفنان المسلم يتخذ من الجمال بالمفهوم الاسلامي منطلقا للابداع في المنتوجات الفنية.و مبدأ التوحيد نجده ظاهرا في مفهوم الجمال و الوظيفة و التناسق بينهما لخلق توافق و انسجام لخصوصيات الفن الإسلامي و

و في فنها الزخرفي

المعماري. و الزخرفة تتيح للفنان المسلم للابداع في تشكيلها، وفق قواعد وأصول مشتقة من مبدأ التوحيد و تعتمد على التنوع في في الأساليب و الأشكال في الفن الاسلامي، و يتبين ذلك من خلال تنوع الفن الزخرفي في عمائر مدينة قسنطينة. حيث يمكن تصنيفها الى أربعة أصناف هي: زخرفة تعتمد استخدام الصور الأدمية والحيوانية، زخرفة الرسومات الهندسية، زخرفة نباتية و زخرفة خطية. تتواجد الزخارف النباتية في اللوحات الخزفية في عمائر قسنطينة. كما تمت الاستعانة فيه بالبلاطات الخزفية المستوردة. استعملت المربعات الخزفية النباتية و الهندسية في كل قصر أحمد باي ماعدا القبو. حيث غطت الجزء السفلي من الجدران و اطارات الأبواب و النوافذ و حتى المقاعد الخاصة بالسقيفة. كما استعملت المربعات الخزفية النباتية و الهندسية في بعض البلاطات الخزفية الايطالية الصنع في جامع سيدي الكتاني. كما نجد الزخارف الجصية في قصر أحمد باي.

و نجد الزخرفة الهندسية في العمارة التقليدية القسنطينية، و وشحت التحف الخشبية والنحاسية، ودخلت في صناعة الأبواب وزخرفة السقوف. كما تتنوع الأنماط الهندسية في مختلف المواد كالرخام و البلاطات الخزفية والخشب و الجص. و نجد الزخارف الهندسية في أبواب جامع سيدي الكتاني وبعض أبواب قصر أحمد باي. و انتشر استخدام الهلال عند العثمانيين في عمارة المساجد، فوضعوه في أعلى القباب والمآذن. و وجدت الأهلة مجسمة في قمة منڈنة الجامع الأخضر و منڈنة جامع سيدي الكتاني. كما نجد الهلال منحوتا في بعض تيجان و قواعد الأعمدة الرخامية بجامع سوق الغزل و مدرسة سيدي الكتاني و قصر أحمد باي.

و يمكن تصنيف الزخارف الهندسية في عمائر قسنطينة الى زخارف هندسية بسيطة كالمثلثات و المربعات و المعينات و الأشكال الخماسية و المسدسة و الدوائر و أنصافها، و الخطوط الحلزونية. و منه فان المقياس و التناسب مبدآن جماليان ضروريان بالنسبة لتكوين الشكل الهندسي للوحدة الزخرفية و طبيعة علاقاتها المادية و الحسية في الفضاء المعماري. و الفنان المسلم يعتمد على التوحيد بين المقياس و التناسب في الوحدة الزخرفية و أجزاءها و كذلك يعتمد على قيمة الوسطية من خلال المطابقة بين الشكل و المضمون عبر البحث عن التوافق بين الأشكال و المقياس في الفضاء المعماري.

تعتبر الزخارف الخطية من مميزات الفنون الاسلامية، و تتمثل في أنواع الخط العربي حيث تمكن الفنان المسلم من إدخال الحروف العربية كعنصر رئيسي من عناصر الزخرفة. و تنوعت الكتابات

و في فنها الزخرفي

الخطية في عمائر مدينة قسنطينة، فنجدها في الأشرطة الكتابية في التكسيات الجدارية الخزفية في كل من الجامع الأخضر ومدرسته و جامع سوق الغزل و محراب زاوية بن عبد الرحمن. و في تجويفه محراب جامع و مدرسة سيدي الكتاني و محراب زاوية بن عبد الرحمن و واجهات كل من محراب زاوية بن عبد الرحمن و جامع سوق الغزل. استعملت تقنية النقش البارز في أغلب النصوص الكتابية، استعملت تقنية القالب في بعض الكتابات الجصية المتكررة كعبارات: "العز لله" في مدرسة الجامع الأخضر و "العافية الباقية" بجامع سوق الغزل و "العافية النافية" في زاوية بن عبد الرحمن. أما مضمون كتابات الآيات القرآنية فنجدها في الجامع الكبير بقسنطينة و الذي يعود للعهد الحمادي أما في العهد العثماني فنجد العديد من الأمثلة ، كآلية 36 في سورة النور غير مكتملة في كل من واجهة محراب جامع سوق الغزل و مكتملة في اللوحة التأسيسية لجامع كل من سوق الغزل. عرف المسلمون الصور الآدمية ورسوم الحيوانات، الا أن كراهية تصوير الكائنات الحية ترجع إلى عصر النبي صلى الله عليه و سلم. فلا نجد في عمائر قسنطينة الا القليل من نماذج زخرفة الكائنات الحية.

نجد في قصر أحمد باي في البلاطات الخزفية رسوم بمختلف أشكال الحيوانات من خيول و طيور و أسماك ، لما لها من رمزية خاصة عند المسلم. فالخيل و الطير ذكرت في القرآن الكريم. و نجد طائر الطاووس في مربعات خزفية جدارية في قصر أحمد باي بالمدينة العتيقة بقسنطينة. قد استعملت بعمائر مدينة قسنطينة الزخرفة الاسلامية في العناصر المعمارية، حيث يحتوي قصر أحمد باي على مجموعة كبيرة من الأبواب منها الأصلية و المرممة. فقد برع الفنانون المسلمون في زخرفتها و اعتماد تقنيات مميزة كالتجميع والتطعيم و التلوين كما استعملت ثلاث تقنيات للحفر و هي المائل و البارز و الغائر. أما في الجص فهي محفورة أو مصبوغة بالألوان. كما أن الزخارف النباتية كانت مصدر الهام للتزيين كورقة الاكانتس و زهرة الأقحوان و القرنفل، و كذلك التلوين حيث اتخذت الألوان المتواجدة في النباتات الطبيعية كالأزرق والأحمر و الأخضر و الأصفر.

تنوعت الزخارف الخشبية في قصر أحمد باي و تعددت مجالات استعماله، حيث استعمل في التسقيف و النوافذ والخزائن الجدارية بالإضافة الى الدرابزين و الأبواب. كما أعتمد في استعماله كعوارض في بعض الغرف و الأروقة. بالإضافة الى تنوع أساليب وتقنيات الزخرفة حيث استعمال

و في فنها الزخرفي

تقنيات التفريغ و الخرط في تشكيل الدرابزينات، في قصر أحمد باي و كذلك في بيت بن شيكو و بن شريف. نجد الزخرفة الاسلامية في الخشب ، منفذة على باب بيت الصلاة لزاوية بن عبد الرحمن و أبواب بيت الصلاة لجامع سيدي الكتاني و كذلك في ضريح مؤسسها. و نجدها أيضا في منبر كل من الجامع الأخضر و جامع سوق الغزل. نجد الزخرفة على الجص، في جامع سيدي الكتاني و جامع سوق الغزل و زاوية بن عبد الرحمن. و نجد الزخرفة في الرخام بمنبر جامع سيدي الكتاني كما استعملت أيضا في تبليط الأرضيات وفي درجات السلالم و كذا أطر الأبواب في قصر أحمد باي. حيث زخرفت هذه الأطر الرخامية بمجموعة من الزخارف البارزة. و نجد الرسومات الجدارية في قصر أحمد باي بقسنطينة و هي تجسيد لرحلة الحج عبر البحر و فيها تظهر بنايات مختلفة و مساجد بقباب و مآذن. بالإضافة الى أشجار النخيل التي لها مكانة خاصة في النص القرآني.

الخاتمة

1. نتائج البحث :

إستند عمل بحث الدكتوراه على فرضية اعتماد العمارة التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينة خلال الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني، على المبادئ الاسلامية عامة و القيم الاسلامية المستنبطة من توجيهه الأولي، للنص القرآني خاصة في التطبيق المعماري، كما للنص القرآني توجيه أولي لفنها الزخرفي.و كذلك اعتماد العمارة التقليدية للمدينة العتيقة بقسنطينة خلال الفترة الاسلامية وفترة الانتداب العثماني،على استخدام و تطوير عناصر معمارية في العمارة و فنها الزخرفي من حضارات سابقة.

و قد كان موضوع البحث :المبادئ و القيم الاسلامية في العمارة التقليدية الجزائرية -دراسة حالة المدينة العتيقة بقسنطينة.حيث درس درجة علاقة النصوص القرآنية بالعمارة التقليدية القسنطينية في توجيهه و التطبيق المعماري.و هذا بهدف الوصول الى اجابات لتوضيح الثابت و المتغير في علاقة المبادئ و القيم الاسلامية بالعمارة التقليدية.و لمحاولة حصر الحقبة الزمنية للعمارة التقليدية الاسلامية عبر دراسة تاريخية لمدينة قسنطينة منذ فترة العصور القديمة الى غاية فترة ما قبل الاستعمار الفرنسي.و كذلك لإستنباط المبادئ عامة و القيم الإسلامية ابتداء من النص القرآني و مدى تطبيقها في العمارة التقليدية في المدينة العتيقة بقسنطينية و محاولة إبراز تأثيراتها في اختيار التنظيم الفضائي و المعماري بالاضافة الى علاقتها بالفن الزخرفي في الفترة الاسلامية وفترة الانتداب العثماني.و كذلك بهدف الاستفادة من دراسة نماذج للعمارة التقليدية الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط بما فيها الجزائر و محاولة ابراز دور توجيه النص القرآني في تحديد شكل و ملامح الفضاء المعماري بدقة،و التأكد من استخدام ناتج تفاعل الحضارات السابقة في عمارتها التقليدية و فنها الزخرفي و تطوير أشكال جديدة.

و العمارة التقليدية في المدينة العتيقة مرت بفترات تاريخية متعددة حصل فيه التحوير و التطوير.فالشكل و الفراغ المعماري الثابت عبر فترات زمنية طويلة يعبر عن عمق المدلول الفكري و الثقافي و أصالته، حيث تتجلى فكري الثابت في توحيد المضمون و المتغير في الناتج المعماري و تقنيات بنائه.و تحديد الثابت و المتغير في الاسلام يضع القواعد الثابتة غير أن المتغير تابعا و محكوما له.إن أهم المجالات الثابتة في الأحكام الشرعية تتمثل في المصدر الرئيسي للتشريع وهو كتاب الله ثم تأتي سنة رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم خاتم الأنبياء و المرسلين كمصدر ثاني و

هي تمثل مصادر أصلية للتشريع و يليها ما أشارت إليه كتب الفقه في تنظيم حياة المسلمين و شؤونهم من أعراف و أحكام للبينان.فالثابت و المتغير في الاسلام ليس مطلقاً،بل ان الاسلام جعل تناسقا و توازنا دقيقا بينهما في أحكامه و تعاليمه.كما أن التطور الحاصل في بعض الأحكام يكمن في الفرعيات و الأساليب و الوسائل.نزعة هذا الإنسان إلى الحركة لتغيير الواقع وتطويره أيضاً حقيقة ثابتة منبثقة بالدرجة الأولى من الطبيعة الكونية العامة و ثانياً فهي نابعة من فطرة هذا الإنسان ليحقق وظيفته في خلافة الأرض.

المبادئ الإسلامية عامة هي ثابتة في العمارة التقليدية كما للقيم الإسلامية ابتداء من النص القرآني خاصة الثبات، تنطلق منها منظومة القيم العليا في التوجيه المعماري.فصفة العالمية هي صفة لصيقة بالقرآن الكريم،و المؤمنون به هم الأمة التي تحمل الدعوة الى غيرها من أمم البشر.و الأمة هي المجال الحيوي لبلوغ مقاصد القيم.فالقيم العليا تمثل قواعد العمارة الحضارية،و هي قيم انسانية عالمية و قيم اسلامية عليا،هدفها خلافة الانسان في الأرض مع عبادة الله تعالى.

إن الدول الواقعة في البحر الأبيض المتوسط باعتباره قلب العالم جعل من عماراتها التقليدية للفترة الإسلامية لها العديد من أوجه الشبه في اتباع توجيهات المبادئ عامة.و نلاحظ أن هذه النماذج من العمارة التقليدية تتميز باختلاف في ظروف نشأتها و تطورها و هي تعبر عن هوية ساكنيها.كما تتناسق مع الثقافة المحلية و تتميز بالثراء المعماري مع الاعتناء بالفن الزخرفي في كل تفاصيل العمارة التقليدية خاصة في الفترة العثمانية.

و الجزء التطبيقي من البحث اعتمد على منهج الاستنباط للنصوص القرآنية و منهج التحليل للعمارة التقليدية.و اقتضت العملية الاستدلالية الاعتماد على أدوات لاستخراج المبادئ من المقدمات عن طريق الملاحظة الجيدة لكل الظواهر و الفرضيات بدقة و عناية للحصول على النتائج و تقديم تفسير للاستنتاجات.فالقياس يستخدم عمليات استدلالية منطقية أين تكون النتائج موجودة في المقدمات بطريقة ضمنية.أما التركيب ينطلق من مقدمات مسلم بها ناتجة عن عمليات استدلالية منطقية يتم التأليف بينهما للوصول الى نتائج أخرى. كما اقتضى التحليل المعماري الملاحظة الجيدة للظاهرة انطلاقاً من التفسير ثم التقويم للوصول الى الاستنباط عن طريق تركيب النتائج.

و باستنباط المفهوم الدقيق للمصطلحات المعمارية المتقاربة كالبيت،المسكن،المنزل،الدار و القصر. نجد أن النص القرآني قد فصل بدقة في طبيعة و صفة كل الفضاءات المعمارية و بين شروط

خصوصياتها. و يظهر التقسيم الواضح للوظائف من خلال التصور المكاني و الشكلي للبيت. فالبيت خاضع للخصوصية و التدرج ابتداء من المدينة إلى حدود البيت، كما تتحقق الخصوصية من الداخل و الخارج في البيت حسب طبيعة التدرج. و اقترن التوزيع المكاني بالتوزيع الزمني كما اقتضى البحث التقديم المكثف للنصوص القرآنية من أجل البحث عن العمارة التقليدية و عناصرها و مواد البناء المذكورة في النصوص القرآنية مع تقديم التفسير و الاستدلال و الاستنباط. كما أن البحث في تاريخ المدينة منذ فترة العصور القديمة الى غاية فترة الانتداب العثماني، مرورا بكل الحقبات الزمنية المتنوعة يسعى لتحديد الفترة الزمنية الخاصة بالعمارة التقليدية في مدينة قسنطينة و المتمثلة في الفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني.

تميزت قسنطينة بكونها مبنية على موضع كان مقرا لحضارات متعاقبة وهذا لحصانتها الطبيعية و لما لها من دور دفاعي للاستجابة للظروف الأمنية وخصائصها المميزة، كانت لها أدوار هامة في تطورها و نموها و استمرارها رغم كل الحقبات الزمنية التي مرت بها، حيث تبلورت شخصية المدينة في العهد العثماني، أين استفاد العثمانيون من الارث الهام للمدينة التاريخي و العمراني. مما جعل قسنطينة عاصمة لبايلك الشرق، فكان ذلك مصدرا لتطورها و ازدهارها، كما كانت مقصدا للعلماء فتعددت بها المساجد المدارس و الزوايا و الكتاتيب.

لقد تميزت العمارة التقليدية في دول البحر الأبيض المتوسط بالجانب الانساني في مختلف مبانيها من حيث البعد الفكري الاسلامي الذي ينطلق من القيم الاسلامية العليا و هي التوحيد، التزكية و العمران. فتعتمد على تحقيق مقاصدها و تسعى الى تحقيق المنهج العادل و المعنى الايماني في التشكيل المعماري. فنجد الوسطية الاسلامية مجسدة في العمارة التقليدية من خلال التوافق الموجود بين الشكل و المضمون لتحقيق المفهوم المعماري المستمد من النواة الدينية الاسلامية و التي تعنتي بالجوهر قبل المظهر و تسعى الى تحقيق التوافق بينهما، حسب أهمية و طبيعة وظيفته داخليا و خارجيا. و من خلال توفير الأمن و السكينة في داخل المسكن و توفير الخصوصية في الفراغ الداخلي و حسن استغلاله بين أفراد العائلة. و كذلك الشكل الخارجي للمسكن الذي يتبع الطابع الجماعي من حيث ارتفاع المبنى و شكله العام و الذي ينتمي الى الخارج. و هي نفس الخصائص التي تنطبق على المسكن التقليدي القسنطيني. و المباني المشيدة هي نابعة من جوهرها الداخلي كالمسجد الذي يعنتي بالجانب الوظيفي مع التركيز على الجانب الروحي، لخلق التوازن بينهما بما

يحقق مفهوم الاستمرارية التي نابعة من القيم الاسلامية.و يتجسد المعنى الايماني في التشكيل المعماري للمسجد كما تتحقق الوسطية بين الشكل و المضمون من خلال معايير تصميمية،لتوفير البعد الانساني في المكان و لتحقيق الوظيفية بجمال روحي و لضمان ملائمة الشكل للمضمون.و هي نفس الخصائص التي تنطبق على المساجد و المدارس و الزوايا في المدينة العتيقة بقسنطينة.إن العمارة التقليدية القسنطينية للفترة الاسلامية و فترة الانتداب العثماني حافظت على العناصر الثابتة في العمارة الاسلامية و المتواجدة في البحر الأبيض المتوسط،و من مبادئ عامة : مبدأ التوحيد،مبدأالمركزية،مبدأ التجمع،مبدأ دفع الضرر و مبدأ التحصين أو الأمان. كما أن المتغير يكمن في تنوع الأشكال و الأساليب دون المساس بالجوهر.إن ما قرره النص القرآني ابتداء من القيم العليا و هي التوحيد و التزكية و العمران ، ثم ما نشأ عن تعاليم الرسول صلى الله عليه و سلم ثانيا ،حدد بابا مهما في العمارة الإسلامية بما يسمى فقه عمارة المساجد و الذي يركز على تهيئة الفراغ المعماري، و التي نجد تأثيرها في العمارة التقليدية القسنطينية.

إن المدينة العتيقة بقسنطينة تحتوي على المعالم المدنية و الدينية المذكورة في النصوص القرآنية : كالمساجد و المدارس و الزوايا و المساكن والقصر.كما تبين النصوص القرآنية عناصر العمارة التقليدية كالأسس و السقف و العمود و الزخرفة.و هي العناصر الأساسية في ثبات المبنى و تزيينه.و كذلك مختلف مواد البناء التي صخرها الله سبحانه و تعالى للإنسان،لاقتان العمل و البناء: كالحديد، الصخر، النحاس، البلور،الطين جلود الأنعام.و هي المواد الأساسية في البناء.

و من خلال البحث في العمارة التقليدية القسنطينية و النصوص القرآنية و الاستنباط من تفاسيرها، يمكن الاستدلال و الاستنباط على:

أ. أن الله جعل للإنسان بنائين :البناء المادي و جعله مقرونا ببناء أساسه تقوى الله،حيث ذكر النص القرآني أسس البنين و المتمثل في قواعده الصلبة و المتينة كتشبيه لمدى قوة و متانة و صلابة التقوى من الله.و جعل للإنسان اشارة قرآنية في الاستقرار في ثبات البنين و كذلك الى الاستقرار المعنوي بتقوى من الله.إن عمارة المساجد لا تكتفي بالبناء و التشييد و انما تسعى لتحقيق العمارة المعنوية التي هدفها الأسمى هو اقامة ذكر الله فيها.

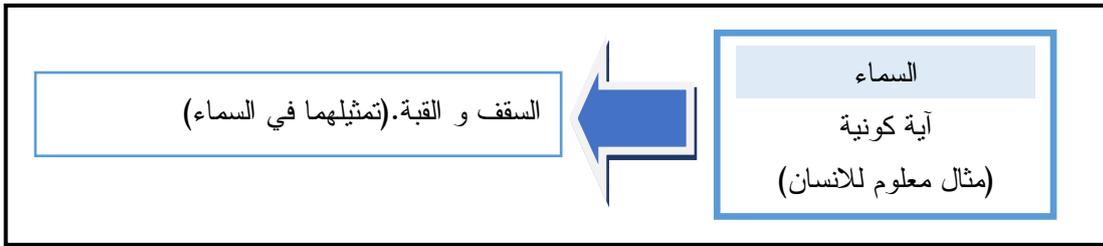
ب. يمكن الاستنباط أن النص القرآني يمثل المرجع الأولي الموجه للإنسان في التطبيق المعماري. حيث بينت النصوص القرآنية تقنية البناء،كل أجزاء ثبات هيكل البناء و مراكز انهيار البناء.كما

بينت النصوص القرآنية اشارة الى أن طبيعة البناء تكون حسب الظروف المكانية و الزمانية، أما في البيوت فهي تتحت في الجبال، نظرا لتوفرها على الصخور. يمكن الاستنباط أن الوصف القرآني للجبال، قد بين للانسان مصدر الهام لتقنيات البناء بالاضافة الى الزخرفة من خلال المعادن و المواد المسخرجة منها. كما أن الوصف القرآني للزخرفة تبيّن من خلال خيرات الله في الأرض. ت. يكمن تمثيل السقف في السماء في النصوص القرآنية. و يُرَجِّح (لمعي، 1987) أن أقرب تصور للسقف المرفوع بدون أعمدة هو القبة. و نعتقد أن هذا التصور هو الأقرب الى الصواب بالرغم من عدم وجود نص قرآني يذكر القبة، حيث يفسر ابن كثير السقف كالقبة في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۗ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾. (الأنبياء: الآية 32)

ث. يمكن الاستنباط أن السماء هي مصدر تمثيل للقبة. (أنظر الشكل رقم 23).

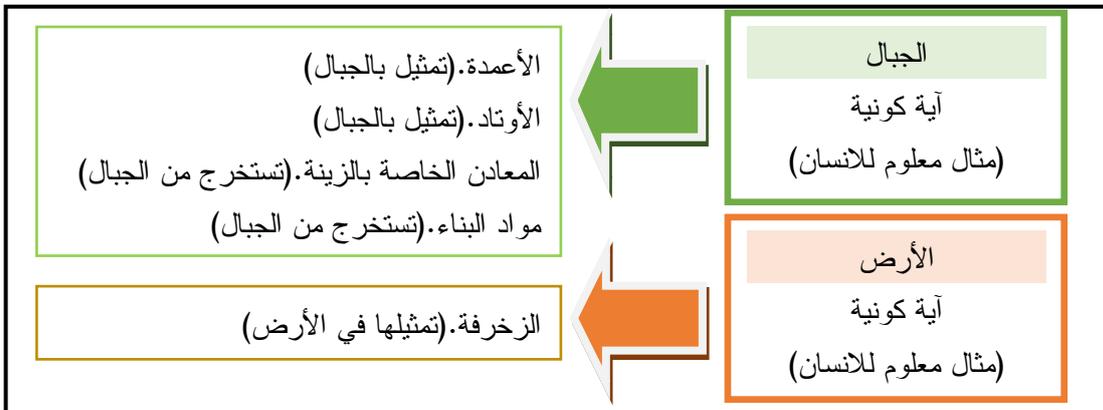
الشكل رقم 25 : السماء مصدر تمثيل في النصوص القرآنية للسقف و القبة



المصدر: عمل الباحث، 2019

ج. أن الله سبحانه و تعالى وفر للانسان كل ظروف اعمار الأرض من خلال الثروات و وسائل استغلالها و البناء في الأرض و كذلك القدرة على اكتساب مهارات البناء و التدبير في آيات الله الكونية و الاستفادة من محاكاتها. و يُمكن الاستنباط أن الأرض و الجبال هما آياتان كونيتان لعظمة الخالق و مصدر تمثيل معلوم للانسان في عناصر و مواد البناء. (أنظر الشكل رقم 24).

الشكل رقم 26 : الجبال و الأرض مصدر تمثيل في النصوص القرآنية لعناصر و مواد البناء



المصدر: عمل الباحث، 2019

و من خلال تقديم عناصر الزخرفة الاسلامية في العمارة التقليدية القسنطينية و النصوص القرآنية و تفاسيرها، يمكن الاستدلال و الاستنباط على:

أ. أن الفن الزخرفي الاسلامي له علاقة أولية بالقرآن الكريم. فالنص القرآني هو منبع الفن و يمثل النموذج الفني من خلال الآيات الكونية و هي الآيات المنسوبة الى الكون، فهو الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، نذكر منها: الشمس، القمر، السموات، الأرض، الجبال، السهول، الأنهار و سائر المخلوقات.

ب. إن الفن الزخرفي ينطلق في تشكيله ابتداء من الأشكال الأولية، و التي تتصف بخاصية الحركة. و الفن الزخرفي يتصف بالوحدة، فمن وحدة الاسلام الذي ينطلق من التوحيد الى وحدة الأمة الاسلامية ثم وحدة مختلف الشعائر الاسلامية.

ت. للنص القرآني تأثير أولي على العمارة التقليدية القسنطينية من خلال توجيه الفاعل الأول في البناء و التشييد و الزخرفة في المنتج المعماري و الفني، فيستلهم و يبدع من خلال التمعن و التدبر في النص القرآني و الآيات الكونية و خلق الله لأنها ثابتة لا تبديل و لا تناقض فيها.

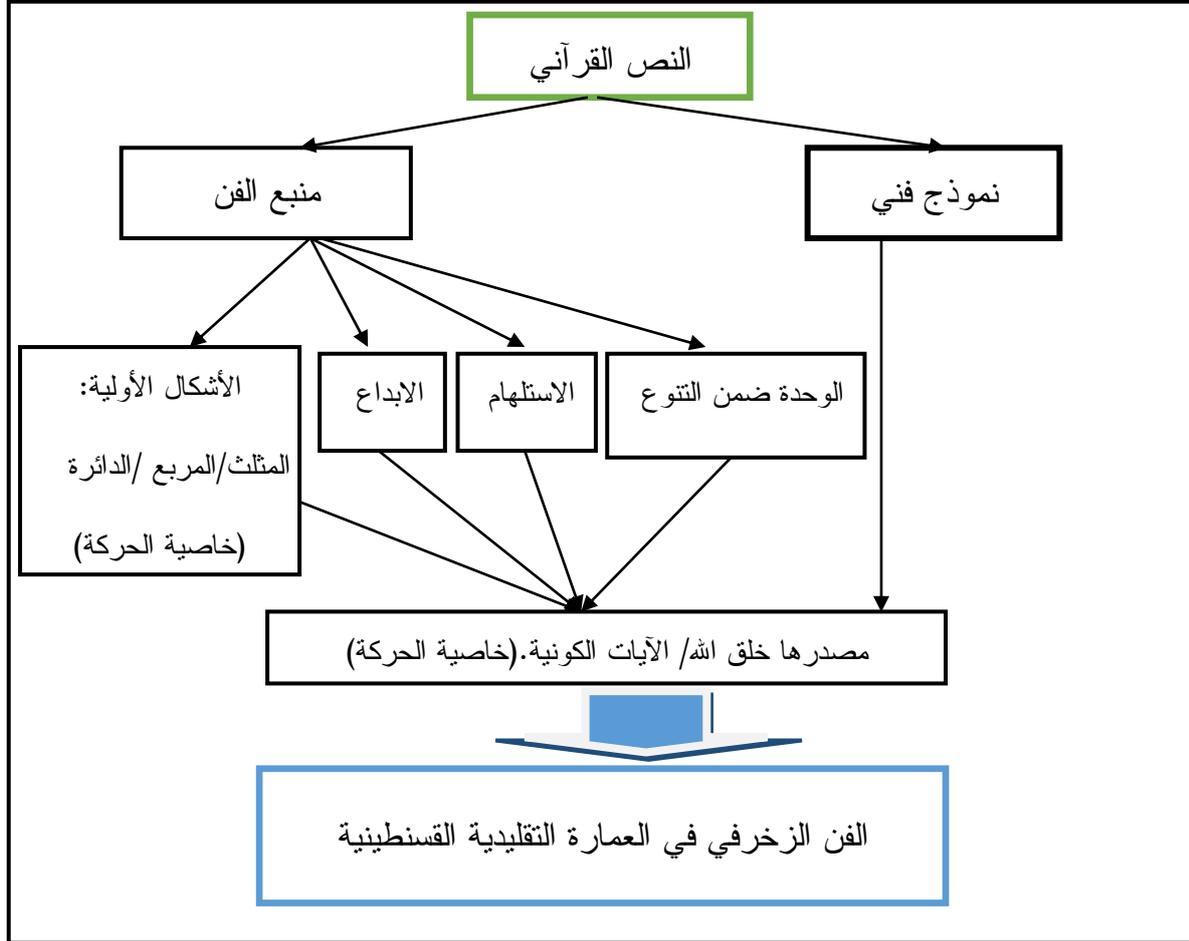
ث. يمكن الاستنباط من تفاسير النص القرآني، على أن الفنان المسلم وعمله الفني ينطلق من منظومة القيم العليا، التوحيد و التزكية و العمران ابتداء من النص القرآني؛ و الذي ينطلق من الأساس الأول و هو التوحيد، فلا معنى للدين من غير تحلي الفنان بتوحيد الله سبحانه و تعالى ثم يحقق مقصد التزكية تطهيرا و تنمية لنفسه، و ماله و علاقاته. و كذلك عمران هذا الكون و بناء الحضارة فيه، بالعمل الصالح و ترك مخلفات فنية و آثار ملموسة. لتمكينه من حمل المسؤولية لأن طابعها شخصي، فيجب على الفنان المسلم التحلي بالارادة و القدرة و لتحقيق الرسالة و الأمانة في الكون. و هذا ما ينطبق على العمارة التقليدية القسنطينية من خلال الناتج الفني الزخرفي.

ج. سمحت لنا الدراسة و الملاحظة الميدانية بالتأكد من أن العناصر المميزة بفترة الانتداب العثماني نجدها في عناصر التصميم و حسن استغلال الفضاء المعماري و مواد البناء بالاعتماد على كل ما يتواجد في البيئة المحلية، و البعد عن الاسراف.

ح. و نجد الوحدة في الفن الزخرفي على اختلاف مكانها و زمانها، حيث نلاحظ الوحدة في كل دول البحر الأبيض المتوسط. و المنتج الفني موحد نظرا لالتزام الفنان المسلم بالتعاليم الاسلامية، حيث أن المنتج الفني ينسب الى الفنان المسلم بعيدا عن شخصه. و الوحدة في الفن الزخرفي

نجدها في العمارة التقليدية القسطنطينية الدينية و المدنية، من المساجد و القصور و المساكن، بالرغم من تنوع الأشكال و الأساليب الزخرفية. (أنظر الشكل رقم 25 أدناه).

الشكل رقم 27: النص القرآني مصدر الفن الزخرفي في العمارة التقليدية القسطنطينية



المصدر: عمل الباحث، 2019

أثبتت نتائج البحث على التأكيد على أن العمارة التقليدية المتبقية في المدينة العتيقة بقسطنطينية في الفترة الإسلامية وفترة الانتداب العثماني، اعتمدت على توجيه المبادئ عامة و القيم الإسلامية ابتداء من النص القرآني في التطبيق المعماري. كما اعتمدت العمارة التقليدية المتبقية في المدينة العتيقة بقسطنطينية على استخدام و تطوير عناصر من الفن الزخرفي و المعماري من حضارات سابقة. بالاعتماد على مخلفات الحضارات السابقة و الاستفادة منها، من خلال إعادة استخدام الأعمدة الرخامية الرومانية و تطويرها، حيث نجد استخدام أعمدة خاصة بالعمارة الإسلامية كالأعمدة ذات البدن الأسطواني، الأعمدة المضلعة بشكل حلزوني و الأعمدة ذات البدن المثمن الشكل. بالإضافة إلى استخدام البلاطات الخزفية من مصادر أجنبية.

2. التوصيات :

إن اقتراح بعض التوصيات ، من شأنها أن تكون مسارات لمواضيع بحث مكمل لبعض المجالات الغير مدروسة في موضوع بحثي، حيث يمكن صياغة هذه التوصيات على النحو التالي:

1. استكمال نتائج هذا البحث، في دراسة علاقة العمارة التقليدية و النصوص القرآنية باضافة المصدر الأصلي الثاني في التشريع و هو الحديث الشريف.و البحث في تأثير نص الحديث الشريف في العمارة التقليدية القسنطينية في العهد العثماني.مع البحث عن مصادر تاريخية أخرى كالمخطوطات التاريخية و التي لها علاقة بالعمارة التقليدية القسنطينية بفترة الانتداب العثماني.

2. فتح تخصصات خاصة بالتقنيات المحلية و الترميم في العمارة التقليدية و الفن الزخرفي، في الجامعات و المعاهد و مراكز التكوين المهني عبر الوطن و تشجيع الطلبة و الباحثين على التعمق فيها.و ادراج مواد للتدريس في المناهج التعليمية مختصة في الفن الزخرفي للعمارة التقليدية القسنطينية.

3. اجراء تربصات ميدانية للمعماريين و المهتمين بالترميم و مراجعة الشروط التقنية اللازمة لمنح الاعتماد لمكاتب الدراسات المتخصصة في الترميم و للمقاولات، لتفادي نقائص تجربة ترميمات المساجد و المدارس و الزوايا في المدينة العتيقة بقسنطينة.

4. البحث في اعادة توظيف الفناء الواسطي في التصميمات المستقبلية و الاعتماد أكثر على المواد المحلية و البيئية مع محاولة تطوير نماذج تصميمية خاصة للوصول الى استخدام مباني ذات صفر طاقة ذاتيا لتحقيق معادلة: صفر طاقة أو بناء منخفض الطاقة و الذي يعرف بالانجليزية بـ: (Zero-energy building) و هذا بالاعتماد على برامج خاصة بالمحاكاة لدراسة كيفية المحافظة على الطاقة.

5. ادراج أدوات رقمية حديثة من أجل تطبيق تقنيات جديدة للمعلومات و الاتصال - (N.T.I.C) (Les Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication) - للتعريف بالعمائر المتبقية في المدينة القسنطينية الخاصة بالفترة العثمانية و لتثمين التراث المادي للمدينة العتيقة بقسنطينة.

6. التحسيس بأهمية المحافظة على العمارة التقليدية القسنطينية للفترة العثمانية من خلال اقامة أيام دراسية، لتكون فرصة لتبادل الخبرات، مع اشراك كل الأطراف الفاعلة من: مختصين، خبراء محليين و أجانب، مجتمع مدني، الجمعيات، الفنانين و الحرفيين، المعاهد و المدارس المتخصصة في التراث.

7. ضرورة اعداد مرجع تقني خاص بالطابع المحلي للمساجد في قسنطينة و الاستفادة منه في تحديد الشروط التقنية في المسابقات المعمارية و ذلك للمحافظة على النمط المحلي. و الحث على مرافقة سكان المباني التقليدية و توجيههم في كل عمليات التعديل، نظرا للجوء العديد من السكان الى احداث تغييرات وتعديلات في العناصر الزخرفية للعمارة.

القائمة العامة للمراجع

القائمة العامة للمراجع :

1. المراجع العربية :

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.

أ. الكتب :

1. ابن خلدون عبد الرحمان.(د.ت).المقدمة.دار احياء التراث العربي.بيروت.
2. البهنسي سعد صديق.(2006). فن العمارة.مكتبة المجتمع العربي.عمان-الأردن.
3. البهنسي عفيف.(1979).جمالية الفن العربي.المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.الكويت.
4. البهنسي عفيف.(2005).العمارة و المعاصرة.دار الشرق للنشر.دمشق.
5. القحطاني سعيد.(2006).صلاة الجماعة في ضوء الكتاب والسنة.مؤسسة الجريسي للتوزيع و الإعلان.الرياض.
6. القرضاوي يوسف.(2011).كلمات في الوسطية الاسلامية و معالمها.دار الشروق.ط3.القاهرة.
7. الولي طه.(1988).المساجد في الاسلام.دار العلم للملايين.ط1.بيروت.
8. بلبشير محمد الحسني.(2014).مدونة في القرآن والسنة.طوب بريس.ط2.الرباط.
9. بن حموش مصطفى.(1999).المدينة والسلطة في الاسلام: نموذج الجزائر في العهد العثماني. مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دار البشائر.ط1.دبي.
10. بن حموش مصطفى.(2013).جوهر التمدن الإسلامي دراسات في فقه العمران.دار باليمبست.الجزائر العاصمة.
11. بن علي شغيب،محمد المهدي.(1980).أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة.مطبعة البعث. قسنطينة - الجزائر.
12. بن يوسف إبراهيم.(2010).إشكالية العمران والمشروع الإسلامي،مطبعة أبو داود.الجزائر.
13. بورويبة رشيد.(2013).قسنطينة.بن مرابط للنشر.الجزائر.
14. بيكوفيتش علي عزت.(1994).الإسلام بين الشرق و الغرب.مؤسسة العلم الحديث.بيروت.
15. تومي إسماعيل.(2010).العمارة و العمران في ظلال القرآن.بيت المعماريين العرب.
16. ثويني علي.(2005).معجم عمارة الشعوب الإسلامية.دار حوران للطباعة والنشر.دمشق- سوريا.600 ص.
17. جميل أكبر.(1992).عمارة الأرض في الإسلام.دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن.بيروت.

18. حارش محمد الهادي.(1992).التاريخ المغربي القديم السياسي الحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي.المؤسسة الجزائرية للطباعة.الجزائر.
19. حجي محمد.(1988).الزاوية الدلائلية و دورها الديني و العلمي و السياسي.مطبعة النجاح الجديدة.ط2.الرباط.
20. خلوصي محمد ماجد.(1998).المسجد عمارة و طراز و تاريخ.دار قابس للطباعة و النشر و التوزيع.بيروت-لبنان.
21. دحدوح عبد القادر.(2015).تاريخ و آثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الاسلامية.نوميديا للنشر. قسنطينة.
22. دحماني سعيد.(2012).تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى.الرجاء للطباعة و النشر. قسنطينة
23. رنا اليسير اسماعيل.(2010).تاريخ العمارة بين القديم و الحديث.اثناء للنشر و التوزيع.الأردن.
24. رثيف مهنا، ويس بحر.(1992).نظريات العمارة.ج1.ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.
25. سالم عبد العزيز.(1999).تاريخ المغرب في العصر الاسلامي.مؤسسة شباب الجامعة.الاسكندرية.
26. سعد الله أبو القاسم.(1998).تاريخ الجزائر الثقافي.ج1.دار الغرب الاسلامي.ط1.بيروت.لبنان.
27. شريط عبد الله ، الميلي محمد.(1965).الجزائر في مرآة التاريخ.مكتبة البعث.قسنطينة.
28. صالح الهذلول.(1994).المدينة العربية الإسلامية: أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية. دار السهن.ط1.المملكة العربية السعودية.
29. عبد الباقي ابراهيم.(1986).المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية.مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية.القاهرة.
30. عبد الباقي ابراهيم.(1987).المنظور التاريخي لعمارة المشرق العربي.مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية.القاهرة.
31. عبد الباقي ابراهيم.(1993).تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الاسلامية المعاصرة.مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية.القاهرة.
32. عبد الستار عثمان.(1988).المدينة الاسلامية.المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب. الكويت.
33. عبد العزيز محمد الحسيني.(1980).دراسات في العمارة و الفنون الإسلامية.المطبعة المصرية. الكويت.

34. عبد الفتاح سيف الدين.(1999).مدخل القيم: إطار لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام.المعهد العالمي للفكر الاسلامي.ط1.القاهرة.
35. عثمان عثمان اسماعيل.(1994). معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة ،الآثار و العمارة و الفنون.من نشر الكاتب.المغرب.
36. عدلي هناء.(2010).موسوعة المحاريب في العالم الاسلامي.دار الكتاب الحديث.مصر. 758ص.
37. عقاب محمد الطيب.(2002).لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر.مكتبة زهراء الشرق، ط1.القاهرة-مصر.
38. عقاب محمد الطيب.(2009).تصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني.دار الحكمة. الجزائر.
39. غربي كمال.(2012).المساجد و الزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية.ذاكرة الناس.الجزائر.
40. فتحي حسن.(1988).الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية.المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-الجامعة المتحدة.طوكيو.
41. فكري أحمد.(2009).مسجد القيروان.دار العالم العربي .ط1.القاهرة.176ص.
42. فيلاي عبد العزيز، لعروق محمد الهادي.(1984). مدينة قسنطينة، دراسة التطور التاريخي و البيئة الطبيعية.دراسات البحث و النشر للطباعة.قسنطينة.
43. قطب سيد.(1997).خصائص التصور الاسلامي و مقوماته.دار الشروق.ط5.القاهرة.
44. قطب محمد.(1983).منهج الفن الاسلامي.دار الشروق.بيروت.234 ص.
45. لمعي صالح.(1987).القباب في العمارة الاسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت-لبنان.
46. مارسى ويليام، مارسى جورج.(2012).تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى، مؤسسة الرجاء للطباعة و النشر.قسنطينة. (ترجمة سعيد دحماني).
47. محمود عباس حمودة.(2000).تطور الكتابة الخطية العربية: دراسة لأنواع الخطوط ومجالات استخدامها.دار نهضة الشرق.القاهرة.
48. مزهود الصادق.(1995).أزمة السكن في ضوء المجال الحضري.دار النور هادف.الجزائر.
49. معتوق فريدريك.(2016).سوسيولوجيا الفن الاسلامي.المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.153 ص.
50. معيرش موسى.(2015).فلسفة القيم ماهيتها و طبيعتها.دار بهاء للنشر و التوزيع .قسنطينة.

51. ملكاوي فتحي حسن.(2013).منظومة القيم العليا الحاكمة: التوحيد والتركية والعمران. منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية.
52. ناجي جلول.(1999).الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط.المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.تونس.
53. هربرت ريد.(1998).معنى الفن .مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .القاهرة. 178ص.
54. وزير ي يحيى.(2004).العمارة الإسلامية و البيئية.سلسلة عالم المعرفة.الكويت.
55. وزير ي يحيى.(2008).إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران.مكتبة عالم الكتب.القاهرة.
56. وزير ي يحيى.(2008).العمران والبنيان في منظور الإسلام.وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية الكويتية.الكويت.

ب. المقالات:

1. بن بلة خيرة.(2012). منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني-دراسة أثرية فنية.مجلة الاتحاد العام بين العرب. المجلد(13).العدد(13).ص146-169.
2. مبركي عمر.(2015).ملاحم التجديد العقدي عند العلامة عبد الحميد بن باديس من خلال كتابه العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية.مجلة الثقافة الإسلامية. عدد(13). وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف.الجزائر.ص 315 - 335.

ت. المجالات العلمية:

1. مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب.(2012).عدد(13).الاتحاد العام للأثريين العرب و المجلس العربي للدراسات العليا و البحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية.القاهرة.
2. مجلة الثقافة الإسلامية.(2015).عدد(13).وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف.الجزائر.
- ث. رسائل ماجستير و دكتوراه :
1. بن بلة خيرة .(2008).المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني.أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية.جامعة الجزائر.
2. بودشيش مولاي جمال القادري.(2001).مؤسسة الزاوية بالمغرب بين الأصالة و المعاصرة. أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الإسلامية.مؤسسة دار الحديث الحسنية.الرباط.
3. دحدوح عبد القادر.(2010).مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني-دراسة عمرانية أثرية. أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية.جامعة الجزائر.2.الجزائر.
4. مروشي صورية.(2007). مبادئ العمران في المدينة العربية الإسلامية و تطبيقاتها في المدن القديمة بالجزائر - دراسة حالة المدينة القديمة لقسنطينة . مذكرة ماجستير في تسيير المدن و التنمية المستدامة.جامعة أم البواقي-الجزائر.

A. Ouvrages :

1. AISSAOUI, Z.(2011). *Carreaux de faïence à l'époque ottomane en Algérie*. Édition barzakh.
2. BOURDIEU, P. (1969) .*L'Amour de l'Art*. Éditions de Minuit. Paris. 2eme éd.
3. BOUSSORA-CHIKH, K.(2004) . *Histoire de l'architecture en pays islamiques-cas du Maghreb*. Casbah éditions. Alger.
4. CHEBEL, M. (1997) .*Symboles de l'islam*. Ed. Assouline, Paris. France.128p.
5. DIEZ, E. (1940). *Histoire de l'art payot : L'art de l'Islam, Index General*, Volume 20, Ed. Petite Bibliothèque Payot. Paris. 200pp.
6. FATHY, H .(1970)*Construire avec le peuple*.éditions Sindbad.Paris.
7. KARAALI-THIBAUT, J. (2012). *Constantine, les richesses de la vieille ville*. Araja édition. Alger.
8. MSEFER, J.(1984). *Ville islamiques cités d'hier et d'aujourd'hui*. C.I.L.F& I.I.A.M. Paris.
9. NORBERG-SCHULZ, C. (1988). *Système logique de l'architecture*. Editions Pierre Mardaga. Paris.
10. NORBERG-SCHULZ, C. (1997). *Art du lieu, Architecture et paysage permanence et mutation*. Edition le Moniteur. Paris.
11. PAGAND, B. (1989). *La médina de Constantine*.C.I.E.M. Poitiers.
12. RAVERAU, A.(1989). *La Casbah d'Alger, et le site créa la ville*. Sindbad. Paris.
13. RAVERAU, A.(2003). *Le M'Zab, une leçon d'architecture*. Nouvelle édition Actes Sud-Sindbad. Arles.
14. SAIDOUNI, M(2000). *Eléments d'introduction à l'urbanisme*. Casbah éditions. Alger.

B. Mémoires et Thèses :

1. BESTANDJI-SLIMANI, S. (1995). *Intérieur-extérieur pour une lecture de l'espace urbain à Constantine*.mémoire de Magister. Université Mentouri Constantine.
2. BOUCHAREB, A. (2006). *Cirta ou le substratum urbain de Constantine -La région, la ville et l'architecture dans l'antiquité (Une étude en archéologie urbaine)*. Thèse de doctorat d'état. Université Mentouri Constantine.
3. BOUMAOUICHE, N. (2005). *Prise en compte de l'humidité dans le projet de réhabilitation des maisons vernaculaires cas de la Médina de Constantine*.mémoire de magister. Université Mentouri Constantine.
4. DEKOUMI, D. (2007). *Pour une nouvelle politique de conservation de l'environnement historique bâti Algérien : Cas de Constantine*. Thèse de doctorat d'état. Université Mentouri Constantine.
5. TOUATI, A.(1997). *L'impact de l'influence extérieur sur La Médina de Constantine*. mémoire de magister. Université Mentouri Constantine.

3. المراجع الالكترونية:

1. <http://ar.islamway.net>
2. <http://quran.ksu.edu.sa>
3. <https://fadiswaiti.wordpress.com>
4. <https://archnet.org>
5. <https://binbaz.org.sa>
6. <https://equran.me>
7. <https://meemmagazine.net>
8. www.alfawzan.af.org.sa
9. www.alhambradegranaada.org
10. www.alhjaz.org
11. www.al-maqdese.org
12. www.almrsal.com
13. www.alro7.net
14. www.andalushhistory.com
15. www.arrajol.com
16. www.atmzab.net
17. www.constantine-hier-aujourd'hui.fr
18. www.delcampe.net
19. www.discoverislamicart.org
20. www.ereemnews.com
21. www.flickr.com
22. www.hodaalquran.com
23. www.islamweb.net
24. www.knoozmedia.com
25. www.kobanisat.net
26. www.marefa.org
27. www.mree.gov.dz
28. www.nabulsi.com
29. www.opvm.dz
30. www.opvmg.org
31. www.qantara-med.org
32. www.quran7m.com
33. www.saaih.com
34. www.safer4free.com
35. www.turkeymoon.com
36. www.turkpress.co
37. www.universalis.fr/encyclopedie/islam-la-civilisation-islamique-l-art-et-l-architecture
38. www.wdl.org

الملاحق

فهرس الملاحق:

- ملحق « أ » : المقال المجاز لمناقشة الأطروحة
- ملحق « ب » : خريطة تضاريس موقع الصخرة بقسنطينة.
- ملحق « ت » : موقع درب بن شريف بالمدينة العتيقة بقسنطينة.
- ملحق « ث » : مخطط بيت بن شيكو بالمدينة العتيقة بقسنطينة.
- ملحق « ج » : مخطط بيت بن شريف بالمدينة العتيقة بقسنطينة.
- ملحق « ح » : مجسم عن قصر الباى بقسنطينة.
- ملحق « خ » : مخطط جامع سيدي لخضر بالمدينة العتيقة بقسنطينة.
- ملحق « د » : منظر علوي يبين مسجد و مدرسة سيدي الكتاني تتوسطهما المئذنة.
- ملحق « ذ » : بيت الصلاة السفلي لزاوية عبد المومن بالمدينة العتيقة بقسنطينة.
- ملحق « ر » : مدخل بيت صلاة في جامع سيدي الكتاني بالمدينة العتيقة بقسنطينة.

العمارة التقليدية و النصوص القرآنية : حالة المساكن التقليدية بالمدينة العتيقة بقسنطينة

العبد هشام¹، دكومي جمال²

1 قسم الهندسة المعمارية ، جامعة العربي التبسي، تيسة ، الجزائر

2 كلية الهندسة المعمارية و التعيير، جامعة قسنطينة 3، الجزائر

تاريخ الإستلام 2016/10/20 - تاريخ القبول 2017/10/24

الملخص

يقدم البحث العلاقة الأصلية بين العمارة التقليدية والنصوص التاريخية الدينية كما يبرز دورها في تحديد شكل و ملامح الفضاء المعماري بدقة .

ومن هنا فإن الدراسة تبرز دور النصوص القرآنية في تحديد معالم المدينة وصارة المساكن التقليدية من خلال حلول معمارية تضمن تحقيق مبدأ الخصوصية الإسلامية .

يركز البحث على تحليل النص القرآني المتضمن للمسكن التقليدي واستنباط المفهوم الدقيق لمصطلحاته المعمارية المتقاربة كما يعتمد على دراسة تحليلية لحالة المساكن التقليدية بالمدينة العتيقة بقسنطينة لفترة ما قبل الاستعمار الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: هندسة معمارية، نص، تقاليد، إسلام، مدينة، مسكن، قسنطينة.

Résumé

La recherche présente la relation intrinsèque entre l'architecture traditionnelle et les textes religieux historiques qui met également en évidence son rôle dans la détermination de la forme et les caractéristiques de l'espace architectural avec précision.

Par conséquent, l'étude met en évidence le rôle des textes coraniques dans la détermination des points de repère de la ville et l'architecture de l'habitation traditionnelle grâce à des solutions architecturales qui assurent le principe islamique de la vie privée.

La recherche se concentre sur le texte coranique contenant l'habitation traditionnelle et déduire avec précision les concepts architecturaux rapprocher et il repose également sur l'étude analytique de l'état de l'habitation traditionnelle dans la Medina de Constantine à la période avant la colonisation française.

Mots clés : Architecture, texte, tradition, Islam, Medina, habitation, Constantine.

Abstract

The paper presents the intrinsic relationship between traditional architecture and historical religious texts also highlights its role in determining the shape and characteristics of architectural space.

Therefore, the study highlights the role of Quranic texts in identifying landmarks and architecture of the traditional housing of the city through architectural solutions that ensure the realization of the Islamic principle of privacy.

The paper focuses on the Quranic text containing the traditional dwelling and accurately deduce architectural concepts closer and it is also based on the analytical study of the status of the traditional dwelling in the Medina of Constantine to the period before French colonization.

Keywords: Architecture, text, tradition, Islam, Medina, dwelling, Constantine.

1. المقدمة :

إن الولوج بتقليد الغرب في مجال العمران والعمارة أثار أزمة البحث عن المعالم و الهوية عند العرب المسلمين بعد ما كانوا عليه من رفعة و عزة يوم كانوا مستمسكين بدينهم. فالنقل من أعظم الآفات التي ابتلي بها المسلمون، لهذا كان لهم العظم الذي شغل بال العلماء المجددين خاصة في القرن العشرين هو محاربة هذه الآفة و التصدي لها بكل الطرق و الوسائل الممكنة. فمن بين رواد التجديد العقيد العلامة عبد الحميد بن باديس¹ رحمه الله والذي نص على أن من وسائل تقوية الايمان النظر في الآيات الكونية المنظورة و المقروءة كما أن من عوامل ضعفه التقليد و صرف النظر عن التدبير في كتاب الله المقروء.

الجزائر بلد عربي مغربي يتميز بتراث محلي متنوع و مثير للاهتمام: عمراني ، معماري ، تاريخي و هذا نظرا لموقعه الجغرافي و الاستراتيجي ، متأثرا بالبحر الأبيض المتوسط شمالا و إفريقيا جنوبا والذي أعطى للجزائر ميزات عديدة و متنوعة للأسف يتعرض اليوم للاهمال و الضياع لعدة أسباب من بينها : جهل القيمة التاريخية، السياسات المحلية و العولمة.

إن العيش ضمن المجمعات السكنية يعتبر مبدأ من مبادئ بلدان البحر الأبيض المتوسط، والذي يعتمد علي العيش ضمن مجموعات تربطها صفات التكافل و التضامن الاجتماعي، فهي تعتبر ضمن التراث الموروث من التراث الإغريقي-روماني و العربي ، العثماني-الإسلامي. لكن ما يميز المجمعات السكنية المعاصرة هو افتقادها الى الروح والهوية حيث أنها تعتمد أساسا على مبدأ الفردية في استغلال الفضاءات المعمارية وهذا نتيجة اتباع التيارات

الغربية و اهمال مبادئ العمارة الاسلامية في تشكيل الفضاءات المعمارية والتي كانت تتميز بطراز معماري فريد و مصدر الهام الحضارات.

لهذا ارتأينا أن نبحت في تاريخنا الإسلامي من خلال تحليل النصوص الدينية ومدى تأثيرها في تشكيل العمارة التقليدية و تحديد الفضاء المعماري الذي يولي الاعتناء بكل جوانب معيشة و راحة الأسرة بصفتها النواة الأولى للمجتمع. وكذلك ابراز دور الحلول المعمارية في تحقيق خصوصية المسكن العربي الاسلامي.

يهدف هذا البحث لدراسة دور النصوص الدينية في تحديد شكل و ملامح الفضاء المعماري بدقة عبر دراسة تحليلية للعمارة التقليدية الجزائرية عموما و مدينة قسنطينة بشكل خاص وذلك من خلال دراسة حالة المساكن التقليدية القسنطينية لفترة ما قبل الاستعمار.

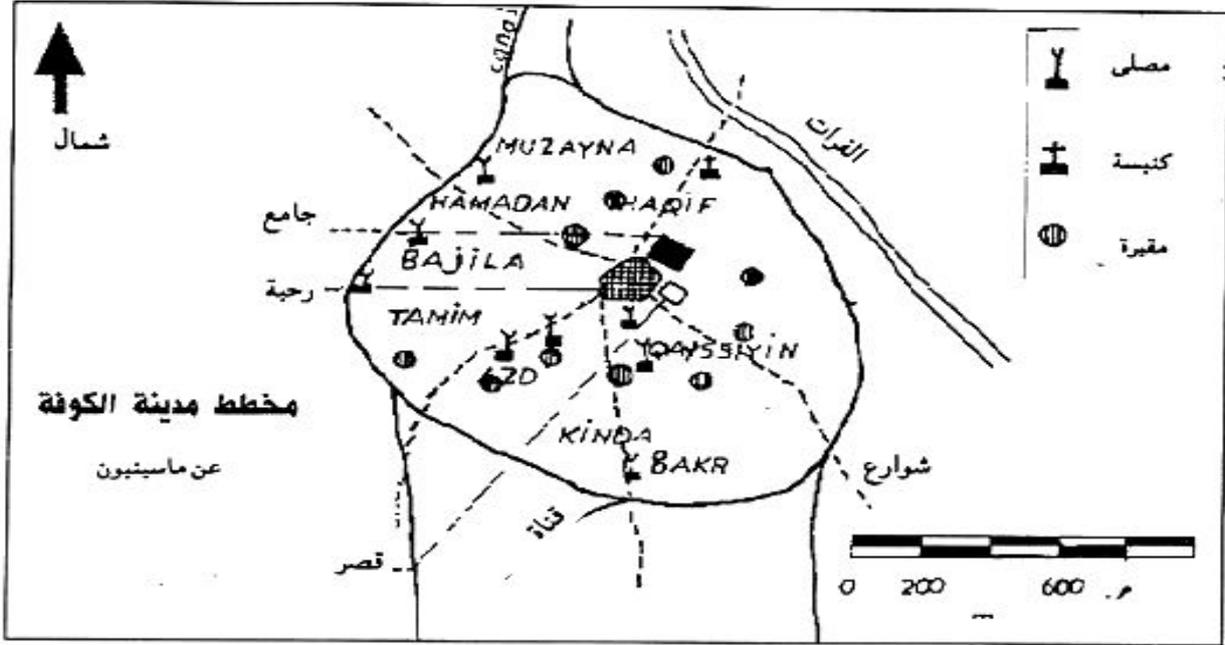
تعتمد الدراسة على تقديم العمارة التقليدية و مدى علاقتها بالنصوص القرآنية بما يتلائم مع الخصوصية العربية الاسلامية بالاضافة الى تحليل النص القرآني واستنباط المفهوم الدقيق لمصطلحاته المعمارية المتقاربة والخاصة بالمباني السكنية و ذلك من خلال تناول النقاط التالية :

- العمارة التقليدية و خصوصية لمسكن.
 - النصوص الدينية.
 - تقديم مدينة قسنطينة و تطورها التاريخي في فترة الانتداب العثماني.
 - دراسة تحليلية للمسكن التقليدي القسنطيني.
- وذلك للوصول للنتائج البحثية فيما يخص هذه الدراسة.

¹ الإمام عبد الحميد بن باديس، (1307-1358) هجرية الموافق لـ (1889-1940) من رجال الاصلاح في الوطن العربي و رائد النهضة الاسلامية في الجزائر ، و مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

2. العمارة التقليدية و خصوصية المسكن :

1.2. العمارة التقليدية :



الشكل 01 : مخطط مدينة الكوفة.
المصدر: إبراهيم بن يوسف، 1992

إن مبادئ الفن الإسلامي في مجال العمارة و التخطيط العمراني تشكل جزء لا يتجزأ من الوحي الإسلامي و منه فان هذه العلاقة موجودة و راسخة بطريقتين :
- علاقة مباشرة:

و تتمثل مبادئها في البعد الداخلي من الوحي القرآني و تقدم العلوم الدينية. و على كل ما يحتوي القرآن الكريم من أحكام حول شروط تكوين المدينة الإسلامية و الفضاء المعماري المخصص للحياة على الطريقة الإسلامية و كذا ما تحويه السنة النبوية الشريفة.

- علاقة غير مباشرة :

إن العمارة و العمران الإسلامي لهم علاقة مع القوانين التشريعية لما تحويه الشريعة من أعراف التي تحكم نظم عيش الفرد و الجماعات بصفة عامة بما في ذلك الموقف و كذا اجتهاد المسلمين في بعض قضايا المحاكم

إن القراءة المتأنية لتاريخ الفن بشكل عام و الناتج المعماري بشكل خاص و تطوره عبر الزمن، تقودنا إلى فهم و تحديد العمارة التقليدية و التي تشكل اليوم جزء من التراث المتوارث عبر الأجيال.

لقد برزت أولى خطوات تخطيط المدينة في العهد الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة المنورة حيث قام الرسول صلى الله عليه و سلم بتغيير الهيكل العام للمدينة، و بناء عناصرها التخطيطية الأساسية التالية:
- بناء المسجد، البيوت السكنية المحيطة بالمسجد، سوق المدينة و مصلى العيد، الطرقات و الشوارع، تحصين المدينة.
و قد أدت حركة الفتحات الإسلامية إلى تطورات جديدة و تأسيس قواعد عسكرية و التي تحولت فيما بعد إلى مدن حيث تعتبر البصرة و الكوفة و الفسطاط أولى نماذج التغيير في المدن.

العمارة التقليدية و النصوص القرآنية
حالة المساكن التقليدية بالمدينة العتيقة بقسنطينة



الشكل 02 : حصن قصبة الجزائر العاصمة في القرن 16.
المصدر : https://ar.wikipedia.org/wiki/الجزائر_القصبة#/media/File:Vieil_alger18.jpg



الشكل 03 : مقطع يوضح أماكن الظل في البيت الميزابي-غرداية.
الجزائر.
المصدر:

<http://www.babelio.com/auteur/Andre-Ravereau/30689>

الشرعية حول نزاعات البنيان و تطبيق أصول الفقه لضبط بعض اختلافات قضايا العمران، في مجال العمارة أو في أي مجال له علاقة بالإسلام.

عند التحدث على الهندسة المعمارية التقليدية في الجزائر، نشير الى نموذج القصبة في الجزائر العاصمة و الهندسة المعمارية الميزابية بغرداية و التي طالما تحدث عنها رافيرو أندري - (RAVEREAU André) " ما ينتبه اليه الملاحظ في أول اتصال مع الميزاب ، هو الوحدة العامة للطابع ، ليست هناك حركتين، والتي يتم فيها بناء السد، المسجد و البيت لا يوجد أي قصر في الميزاب " 2.

² RAVEREAU André, "Le M'Zab, une leçon d'architecture", nouvelle édition Actes Sud-Sindbad, Arles, 2003, p29.

Réf « Ce qui frappe l'observateur dans le premier contact avec le M'Zab, c'est l'unité générale de caractère. Il n'y a pas deux gestes, que l'on construisse le barrage, la mosquée, la maison. Pas de palais au M'Zab. »

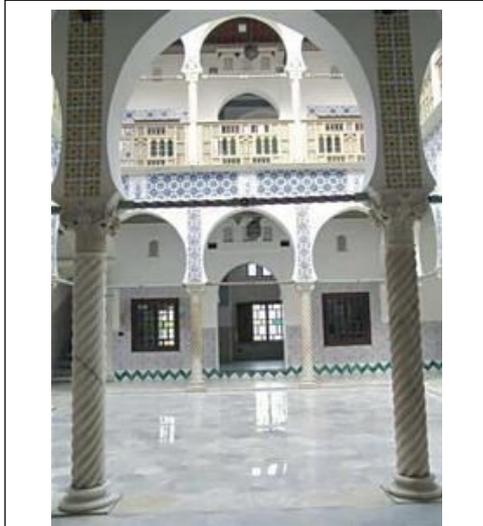


الشكل 04 : منظر داخلي في قصر خداج العمية بقصبة الجزائر العاصمة.
المصدر : <http://www.kobanisat.net/threads/42656/>

تحققت الخصوصية في المسكن العربي الاسلامي عن طريق تسخير العوامل المناخية لخدمة الإنسان، اتباع المقياس الانساني و اعتماد تحديد ارتفاع المباني لضمان حقوق الجوار بالاضافة الى ايجاد حلول معمارية من خلال اعتماد العناصر المعمارية التالية :

-الفناء الداخلي :

الصحن أو " وسط الدار" يعتبر عنصر معماري رئيسي في تصميم المنزل الاسلامي لما يلبيه من احتياجات وظيفية و رمزية عديدة.



الشكل 05 :فناء داخلي في بيت بحي القصبة العتيق بأعالي العاصمة الجزائرية.
المصدر / <http://www.algeriepyrenees.com/>

فالفناء الداخلي يضمن الأمان من العوامل الخارجية كما أنه يعتبر عنصر داخلي و خارجي في نفس الوقت باعتباره

2.2. الخصوصية المعمارية للمسكن التقليدي :

1.2.2. المسكن :

اشتقت كلمة المسكن من فعل سكن والسكون هو الهدوء والسكينة وهي الطمأنينة، حسب نوربوغ شولتز كريستيان- (NORBERG-SCHULZ Christian) ، فان للسكن وظائف انسانية أساسية تنحصر بين الاتجاه،الذاكرة والهوية. فالاتجاه يعتمد على تحديد حيز و أنماط الحركة أما الذاكرة فلها علاقة بالتاريخ الذي يحدد الهوية المعمارية. فالهوية لها علاقة باختيار الطابع و الشكل المعماري المنسجم مع البيئة و الانسان.

تعتمد العمارة الاسلامية على المضمون الاسلامي المستنبط من تعاليم الدين الحنيف في تحقيق الراحة الجسدية و النفسية و الروحية للمسلم عن طريق حلول معمارية لتحقيق الخصوصية في المسكن العربي الاسلامي.

يتميز المسكن في الاسلامي باعتناؤه بالقيم الوظيفية و الجمالية وفقا للمنظور الاسلامي حيث أنه يتميز بالبساطة في البناء وبراغي بذلك الجانب الأمني لساكنيها كما يحرص على جانب الخصوصية و الحرمة.ومن مميزاته أيضا الانسجام و التأقلم مع الظروف المناخية مع اعتماد المواد المحلية في البناء.فالمسكن يضمن الايواء،الأمان،الارتفاع و راحة الحواس المادية و المعنوية لذلك فالمسكن يحتاج الى تحقيق شروط معمارية،بيئية وجمالية.

2.2.2.الخصوصية المعمارية في المسكن العربي الاسلامي:

يتميز المسكن العربي الاسلامي بوظائف خصوصية إسلامية ، نجد مرتكزاتها في فكر اسلامي موحد وفي مناخ ديني واجتماعي مشترك وذلك لحرص الاسلام الشديد على حرمان البيوت و حريات الأشخاص وسلامة المجتمع و ترابطه.كما أن تصميم هذه الأنماط السكنية قد نبع من الداخل إلى الخارج وليس العكس.

ورغم أن النمط المعماري للمسكن ذو الفناء قد وجد في الحضارات السابقة إلا أنه في الحضارة الإسلامية يلبى بالدرجة الأولى احتياجات الإنسان المسلم النابعة من مصادر التشريع الإسلامي.

العمارة التقليدية و النصوص القرآنية حالة المساكن التقليدية بالمدينة العتيقة بقسنطينة

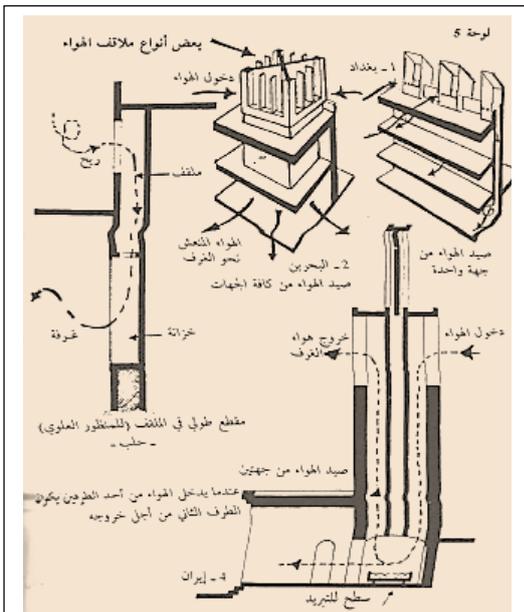


الشكل 07 : مشربيات أحد بيوت خان الخليلى القاهرة.
المصدر: <https://ar.wikipedia.org/wiki/مشربية>

بدخول الرياح الملطفة و هذا عبر تغطية الفتحات و النوافذ المظلة على الفضاء الخارجي و التي تسمح بحفظ الخصوصية و حماية أهل البيت من الأنظار الخارجية خاصة النساء.

- ملاقف الهواء:

ملاقف الهواء هي من بين الحلول المعمارية المعتمدة في المناطق الحارة الجافة لغرض الحصول على الرياح الملطفة دون اعتماد توجيه المبنى إليها. هي فتحات على مستوى السقف تمثل مداخل للهواء تدخله للغرف وتخرج عبر الفناء الداخلي، كما أنها تعتمد الحجر السميك في بناء الملقف ووضع الفسقية و ذلك لدورهما في تلطيف درجة حرارة الهواء أثناء مروره .



الشكل 08 : أنواع ملاقف الهواء وفتحاتها.
المصدر: <https://3aaber.wordpress.com>

فضاء داخلي بالنسبة للمنزل و خارجي بما أنه يسمح للسكان بالتمتع بالفسحة السماوية بنفس معطيات الفضاء الخارجي. كما أن الفناء الداخلي يضمن التهوية الجيدة عن طريق نظام تهوية المدفأة كما يمتاز بتوزيع تدريجي للاضاءة حسب طبيعة الفضاء المعماري نظرا لتواجهه في الوسط،فهو أيضا عنصر توزيع للحركة في المسكن.كما أن الفناء الداخلي يحتوي في الأغلب على نافورة داخلية وسطية بأشكال هندسية مثمثة داخل مربع و هذا لما له من قيمة رمزية فالفناء يعتبر جزء من الكون كما أنه جزء لا يتجزء من الطبيعة نظرا لارتباطه الوثيق بها،بتحويل الطبيعة الى عناصر معمارية بواسطة الرموز،فتدقق الطبيعة عبر النافورة يعتبر رمز من رموز الحياة التي يتأملها الانسان.
-ستر المدخل و السطوح:



الشكل 06 : خصوصية المدخل المنكسر أو السقيفة لبيت في وادي ميزاب-الجزائر.
المصدر: <http://www.opvmg.org/>

يعتبر المدخل المنكسر أو "السقيفة" من بين الحلول المعمارية التي تضمن الستر لسكاني المسكن من الأنظار الخارجية للمارة في الطريق حتى و لو بقي الباب الرئيسي مفتوحا كما أن ستر السطوح يكون باعتماد ارتفاع مناسب للجدار و ذلك لحفظ خصوصية وحرمة هذه الفضاءات التي تستعمل في مختلف الأنشطة المنزلية خاصة من طرف النساء.

-المشربية: المشربيات الخشبية تعتبر من أبرز العناصر المعمارية التي تميزت بها العمارة الإسلامية حيث صممت بأشكال هندسية مدروسة، لضبط مرور الضوء و السماح

3. النصوص:

ان كلمة نص في اطار معناها الموسع تعرف بأنها درجة من الوصف اللساني. فلنص وظيفة مؤسسية في المجتمعات التي تعتمد على القانون المكتوب و في الديانات التي تركز على الكتب المقدسة حيث يتجلى النص القراني بأسلوبه البياني المعجز البليغ.

تلعب القيم الاسلامية دورا جوهريا في اختيار التنظيم الفضائي المعماري و العمراني . كما تعتبر مختلف المخلفات النصية لأي فترة زمنية شاهدا ملموسا لأي حقبة زمنية مميزة حيث يمكن للنص أن يؤثر في القارئ وله القدرة على التأثير على الناتج المعماري ،فهو عبارة عن ناتج اجتماعي-ثقافي مهيكلا بعدة رموز يمكن لها أن تحدث حالة تقييم القيم.

1.3. النص الديني:

النص الديني يتمثل في القرآن الكريم والحديث الشريف. لقد اعتمدنا على النص الالهي المقدس: القرآن الكريم، لأنه صالح لكل زمان و مكان، حيث نجد فيه كل الأحكام و الإجابات عن تساؤلات في بعض المسائل المتعلقة بالعمارة و العمران و التي تعتبر من أبرز المجالات التي شملتها الرؤية الاسلامية باستيعاب مختلف أبعاد الانسان.

ان من جوانب اعجاز القرآن الكريم هو حصر لأهم المباني على اختلاف وظائفها من خلال آيات كريمة جاءت في صور متعددة، وتميزت بدقة وصفها و التفريق بينهما، كما أشار (يحيى وزيري، 2008) على أن بعض الباحثين من آيات القرآن الكريم تمكنوا من استنباط المفهوم الدقيق للمصطلحات المعمارية المتقاربة كالبيت ،المسكن، المنزل ،الدار والقصر.

-البيت : ان معنى البيت هو البناء الذي له رب واحد يتصرف فيه كيف شاء، لذلك سميت الكعبة بيت الله الحرام ، و كذلك سميت المساجد بيوت الله ، و البيت كلفظ مفرد و معرف يعبر عن بيت الله الحرام بمكة المكرمة كما ورد في آيات القرآن الكريم.

و قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.(البقرة: الآية 127). و قوله تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ

وَأَمْنَا وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَوَعَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا لِّبَيْتِي لِّلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.(البقرة: الآية 125).

والبيت في معناه اللغوي يعبر عن الاستقرار والديمومة، كما يعبر عن ملكية لأسرة واحدة تبيت فيه، ويمكن أن نستلهم هذا المفهوم من قوله تعالى: ﴿ وَقرنَ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.(الأحزاب: الآية 33).

كما أن للبيوت حرمة و خصوصية معتبرة ،يتضح ذلك من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.(النور: الآية 27). كما تعود كلمة بيت على مأوى كل المخلوقات سواء الانسان أو الحيوان، كما في قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.(النحل: الآية 68).

-المسكن : سكن الشيء سكونا ذهب حركته و قر استقر و ثبت و المسكن في اللغة من سكن السكون بعد الحركة، وهو بمعنى أن يكون البناء قد أقيم على أرض جديدة او موطن جديد بعد أن تم الانتقال من الموطن الأصلي الى موطن جديد ،يقول تعالى :

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقُهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.(إبراهيم: الآية 37). لقد كان للقران الكريم السبق في التحديد المبكر لمعنى البيت و المسكن. وأن البيت ليس كالمسكن حيث يقول جل في علاه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ .(النحل: الآية 80)، فالله هو الذي جعل البيت مسكنا،

و ورود البيت قبل المسكن فيه اشارة واضحة الى انه لكي يصبح البيت سكنا فهو بحاجة الى فترة من الزمن حتى يتحقق الارتباط الذهني بين الساكنين و الوسط الفيزيائي الذي هو البيت، وعند اسقاط هذا الايضاح القرني على

المُفْلِحُونَ﴾. (الحشر: الآية 9). و المقصود بالدار في الآية الكريمة المدينة المنورة.

القصر : القصر في اللغة يعني البيت الفخم الواسع، و هو مقصور على ساكن واحد و أسرة واحدة، و قد وصف الله تعالى قوم ثمود بالغنى و الثراء في قوله : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَتَّخِثُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. (الأعراف: الآية 74). كما ورد ايضاح الفخامة في وصف القصر في موضع آخر من القرآن الكريم في قول الله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبُيُوتٌ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾. (الحج: الآية 45). كذلك القصر المشيد هو الرفيع حيث تدل كلمة مشيد على الفخامة و المغالاة في الزخرفة.

1.1.3 الآيات الواردة في القرآن الكريم :

1.1.1.3 التعريف القرآني للبيت:

البيت هو أول المعالم الحضارية و أهمها فقد ورد في قوله عز و جل : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾. (القصص ، الآية 81). فالله سبحانه تعالى شمل عملية الخسف للإنسان و البيت معا لأنهما متكاملان. و تؤكد نفس الأمر في قوله تعالى : ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. (الذاريات : الآية 36).

ومنه إذا كان الإنسان يعتبر أساس العمران فان الدار أو المسكن جوهره. و يكفينا برهانا على ذلك أن الله اتخذ له بيتا فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. (الحج : الآية 26). " و قال في سورة قريش ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. (قريش: الآية 3).

وللبيت أهمية كبرى فقد ورد على عكس الحصون، القلاع و القصور في مواضيع شتى من القرآن الكريم. فسمي بالبيت في سورة النحل في قوله عز و جل: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ

الجدل القائم باللغة ان البيت هو الوسط الفيزيائي للمسكن و لا يعد البيت مسكنا الا اذا حدثت العلاقة الحميمة التي يشير اليها القرآن من خلال فعل السكن الذي هو علاقة اجتماعية زمنية، و هذا مما تؤكد اشارة اخرى في القرآن الكريم حيث يقول سبحانه و تعالى : ﴿ أَلَيْسَ عَلَيْنِكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾. (النور: الآية 29).

-**المنزل :** من الفعل نزل، و النزول هو الهبوط من أعلى الى أسفل، فهو يعني المهبط أو المقر الأخير، و المنزل هو المكان الذي يتوفر فيه الفضل و العطاء و البركة، يقول سبحانه و تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾. (المؤمنون: 29: الآية).

و جمع منزل منازل بمعنى موقع و مواقع و مما يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْأَسَابِ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. (يونس: 5). وقوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾. (يس: الآية 39).

-**الدار:** الدار من دار يدور من كثرة حركة الناس فيها، فهي تدل على كثرة عددهم و هو ما يحيط بسكانه، و هو يعني جميع ما في الموقع من عناصر البناء و الفناء، و هو مكان يشغله أناس من عدة أجناس، و قد سمي الله سبحانه و تعالى الأخره بالدار : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هُذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾. (غافر: الآية 39). و كما سمي الجنة بالدار : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِدَارُ الْأَخْرَةِ خَيْرٌ وَلَنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾. (النحل: الآية 30).

كما تعني الدار البلد، ولهذا سمي البناء دارا لكثرة سكانها وتعدددهم كما يتعدد سكان البلد، يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَهُمُ أَصْوَابَهَا وَسُرَّهَا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾. (الزخرف: الآية 34). وفي سورة يوسف ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾. (يوسف: الآية 31).

في قوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾. (النحل: الآية 80).

2.2.1.1.3. التصور المكاني للبيت :

التصور المكاني للبيت يكون حسب الوظائف اليومية: وظيفة الاستقبال لها مكان خاص بالضيافة، وإعداد الطعام له مكان كذلك، بالإضافة لمكان الراحة والنوم، ومكان الطهارة تحقيقاً لشروط العبادة.

فالبيت خاضع لمبدأ الحرمة والتدرج ابتداءً من المدينة إلى حدود البيت وكذا الفضاء الداخلي له. فالبيت له حرمة من خلال قوله عز وجل:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (البقرة: الآية 189)، و حتى يتحقق ذلك، كان لزاماً وجود واجهة أمامية

لها المدخل أو الباب و واجهة خلفية الظهر ليكون التمثيل الفضائي أو الإسقاط الفيزيائي مطابقاً تماماً للسلوك داخل حدود المكان .

-خصوصية من الداخل و الخارج:

تعتبر المباني السكنية من بين نعم الله على الإنسان حيث تؤدي وظائف عديدة منها الراحة، السكنية، الجمالية، الحماية الخصوصية. هذه الأخيرة تتوفر من الداخل و الخارج وهي من أبرز مبادئ المساكن لحرص الإسلام على احترام حرمان البيوت و حريات الأشخاص وسلامة المجتمع و ترابطه.

وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾. (النحل: الآية 80).

و سمي بالدار كذلك في قوله تعالى :

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾. (الاسراء: الآية 5). وذكر باسم المسكن في سور في قوله ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَإِنَّكُم مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾. (القصص: الآية 58).

2.1.1.3. التصور المكاني و الشكلي للبيت في القرآن :

يتبين من خلال الآيات التقسيم الواضح للوظائف من خلال التصور المكاني و الشكلي للبيت.

1.2.1.1.3. التصور الشكلي:

إن انجاز البيت يكون حسب طبيعة الإقامة فان كانت محدودة الزمن فهي مبنية بالجلود و غيرها لسهولة استعمالها و خفة وزنها. و إن كانت دائمة فهي مبنية بالحجارة و غيرها من المواد التي لا تتآكل بفعل المناخ و الزمن .

-الواجهة الأمامية و الخلفية للبيت:

و تحتوي على المدخل أو الباب، وله الواجهة الخلفية و هي الظهر لقوله عز وجل :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (البقرة: الآية 189).

-معارض البيت :

وهي السلالم كما ورد في قوله عز وجل :

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾. (الزخرف: الآية 33).

-أبواب، أسقف و أثاث البيت:

وردت في قوله عز وجل:

﴿وَرَأَوْنَاهُ أَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْبْ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. (يوسف: الآية 23).

1.2.4. أنواع المباني السكنية التقليدية :

بيت تقليدي ذو فناء وسطي ذات مواصفات متقاربة مع

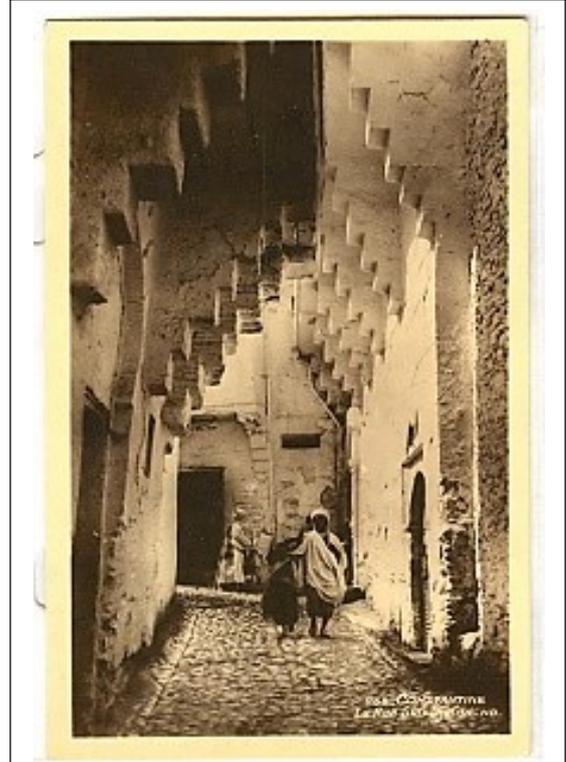
اختلاف في بعض التفاصيل حسب المستوى الاجتماعي:

-المنزل الصغير: للعائلات البسيطة من الطبقة الاجتماعية المتوسطة.

- المنزل الكبير: للعائلات الغنية ذات المكانة الاجتماعية الرفيعة و الذي يتميز بمساحة أكبر واحترام تدرج الارتفاع بطابقين ولهما بئر خاص واستعمال الزخرفة و مواد البناء الرفيعة في الفضاءات الداخلية.

-بيت العلي: الذي يحوي محلات تجارية محاذية للشوارع التجارية في الطابق السفلي مع مدخل للمسكن في واجهة أخرى يتم عن طريق سلالمة ضيقة الى الطابق العلوي و يتميز بفناء في الطابق الأول.

2.2.4. المكونات الداخلية للمباني السكنية التقليدية:



الشكل 10: شارع سيدي الجليس بقسنطينة-الجزائر.
المصدر:

<https://www.delcampe.net/fr/collections/cartes-postales/algerie-constantine/algerien-algerie-constantine-la-rue-sidi-djeliss-320127515.html>

وقد كانت المدينة مقسمة في العهد العثماني إلى خمسة أحياء،

أربعة منها ذات طابع سكني:

الطابية، القصبية، القنطرة، حي باب الجابية والمسماة بالسويقة، سوق التجار.

تحتل الأحياء السكنية للمدينة مساحة أكبر في زوايا النسيج

العمراني حيث يوجد في المدينة القديمة نمط واحد للسكن

وهو النمط التقليدي العثماني، يتميز بصفات مشتركة، حيث

انتشرت هذه المساكن في عهد صالح باي (1771-1792)

وكذلك خليفته أحمد باي (1818-1837).

2.4. دراسة تحليلية للفضاء المعماري لفترة الانتداب

العثماني :

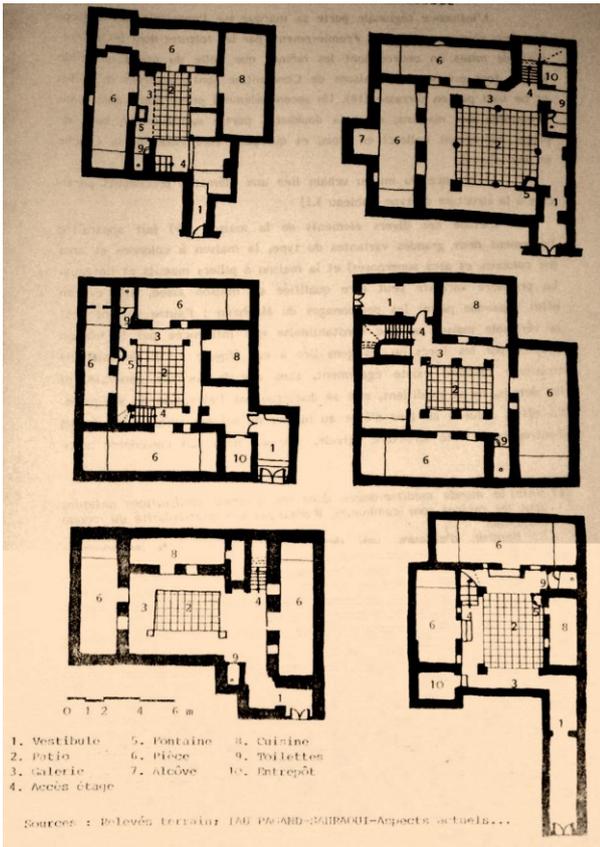
يتميز بمباني مترابطة و منفتحة على الفضاء الداخلي، قد

حددت فيه الأولويات ولها نظام خاص بالنسبة لتسلسل

الفراغات:ابتداء من الفضاء العام نحو شبه العام إلى شبه

الخاص ثم الخاص حيث أنها مرتبطة ببعضها البعض بطريقة

عضوية حسب درجة الخصوصية.



الشكل 11: أمثلة لأنواع المساكن التقليدية القسنطينية(الطوابق الأرضية).
المصدر: عن باقون برنار- (PAGAND Bernard) ، (أطروحة
دكتوراه-1989)

العمارة التقليدية و النصوص القرآنية حالة المساكن التقليدية بالمدينة العتيقة بقسنطينة



الشكل 14: فناء داخلي ببيت عائلة بن شيكو-قسنطينة.
المصدر : العيد هشام، 2012

المقدمة : هو أول فضاء مغطى بعد السقيفة و مفتوح على الفناء له دور استقبال الضيوف.

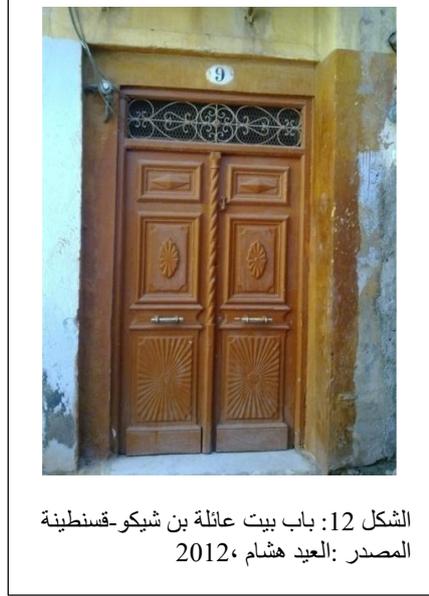
وسط الدار: الفناء أو الحوش و يعتبر المركز الوظيفي و الهندسي للمسكن، له شكل مربع مبلط بالرخام مع وجود أعمدة رخامية، حيث يحتوي على بئر، كما يعتبر المكان المخصص للتجمعات العائلية في الأفراح و المآتم ولممارسة النشاطات اليومية للنساء ،وله خصوصية توفير تهوية جيدة و تشميس كامل.

المجلس : غرفة كبيرة تستعمل لاستقبال الضيوف، تجهز **الديوان :** وهي سقيفة عميقة نوعا ما لها جانب مفتوح على الفناء أو وسط الدار تستعمل في عدة نشاطات كالطهي أثناء الولائم، الأعراس و المآتم.



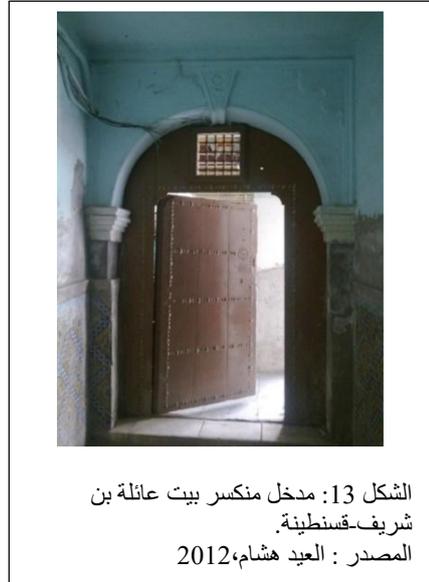
الشكل 15: مجلس ببيت عائلة بن شيكو-قسنطينة
المصدر : العيد هشام، 2012

المدخل: يتميز الدرب بمدخل رئيسي عبر بوابة كبيرة تغلق ليلا و لا يمكن الدخول إلى البيتين إلا عبر بوابة الدرب ذات واجهة واحدة أما المداخل الرئيسية للبيتين فلها أبواب خشبية واسعة و فتحات للتهوية الخارجية.



الشكل 12: باب بيت عائلة بن شيكو-قسنطينة
المصدر : العيد هشام ، 2012

العتبة: تحمي من تسرب مياه الدرب وتمثل حدود الملكية كما لها عدة قيم رمزية.



الشكل 13: مدخل منكسر بيت عائلة بن شريف-قسنطينة.
المصدر : العيد هشام، 2012

السقيفة أو المدخل المنكسر:

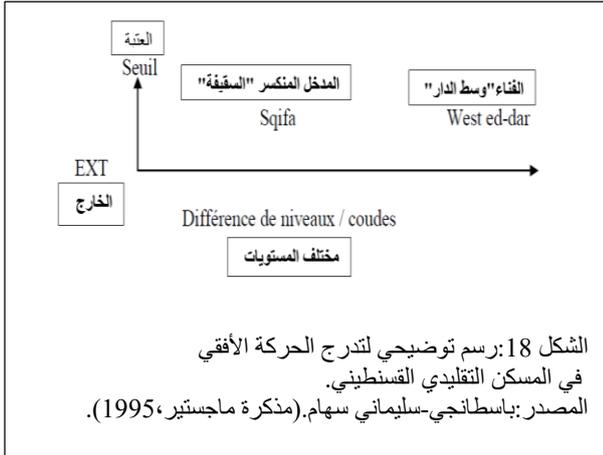
الدخول إلى المسكن يبدأ بساحة صغيرة تدعى السقيفة وهي تلعب دور ستار حاجب ويتم فيها استقبال الضيوف وتتميز بتحقيق مبدأ الخصوصية عبر نظام تكسير الرؤية الخارجية.

3.2.4. تحليل مكونات المسكن التقليدي القسنطيني:

-الفناء يقوم بعملية تنظيم التدرج الداخلي و الخارجي، أفقيا و عموديا.

-التدرج الأفقي:

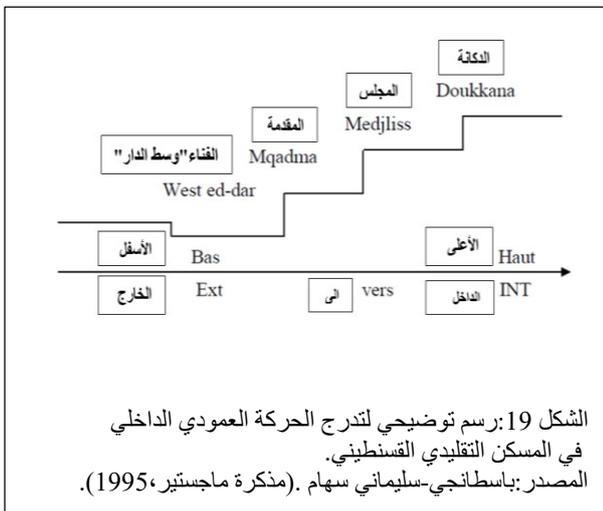
التدرج الأفقي يكون من الشارع إلى وسط المنزل مرورا بالسقيفة، فنجد أن المحور له انكسارات عبر الجدران لكي يحقق التدرج الخارجي، من الفناء إلى الحجرات الداخلية.



فلوصول إلى الحجرات نجد نوعا آخر من التدرج عبر العتبة و السطحة، أما من داخل الغرفة المخطط يتغير فهو يمثل تقاطع محورين للتدرج.

المحور الأول: محور رئيسي يمتد من باب الغرفة إلى القبو.

المحور الثاني: فالمحور الثاني يعامد الأول و يمثل الفضائين الأكثر خصوصية و أهمية إذ نجد التناظر عبر باب داخلي للغرفة و نافدتين يقابله قبو و مقصورتين يمينا و يسارا، لتحقيق تدرج دقيق و متخصص للمكان.



السطحة: تفصل بين وسط الدار و مختلف الغرف، و هي مغطاة بأعمدة تحمل أقواسا ذات زخارف و ترتفع عن مستوى سطح المسكن بدرج واحد محيط به.

الغرف: ذات شكل مستطيل بطول يتراوح بين 8 إلى 10 م و عرض بين 2 إلى 3 م كما تحتوي على قبو و هو مخدع يكون ذو قبة، و الدكانة و هي جزء من الغرفة يوضع عليها



الشكل 16: واجهة داخلية لغرفة بيت العلي- قسنطينة . المصدر: العيد هشام، 2012

السريير، حيث أن مجال الدكانة يحدد بقوس و يوضع عنده ستار لفصل مجال النوم، تعلو الدكانة الأرضية بحوالي 80سم بدرج خشبي، إلى جانب المقصورة و هي غرفة صغيرة تستعمل لترتيب الثياب و الفراش و النوم.



الشكل 17: غرفة ببيت عائلة بن شيكو-قسنطينة. المصدر: العيد هشام، 2012

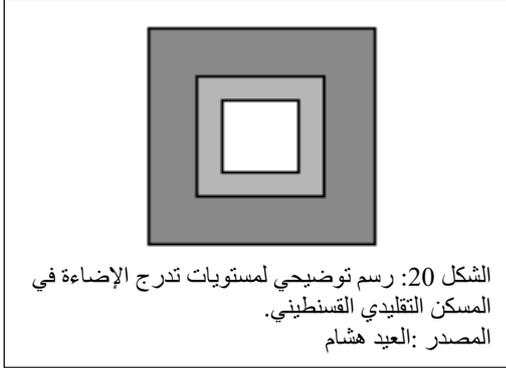
السلالم: توجد في أحد أركان المسكن تؤدي إلى الطوابق العليا.

الدرابزين: يشرف على وسط الدار، من خشب مزخرف يحيط بغرف الطوابق العليا.

فضاءات الخدمات: تستعمل في الطبخ، الغسيل،...

العمارة التقليدية و النصوص القرآنية حالة المساكن التقليدية بالمدينة العتيقة بقسنطينة

أن نرى كل ما يجري في الفناء دون التعرض للكشف من الخارج ومنه نحقق حرمة الكشف البصري للغرف.
-تدرج داخلي للغرف حسب مستوى الإضاءة حيث أن الفضاءات المضيئة مخصصة للأعمال اليومية في حين الفضاءات القليلة الإضاءة تخصص للفضاءات المخصصة للنوم.



- تقنيات البناء :

- الأعمدة من الحجارة و الرخام على مستوى الفناء لاعتبارات الجانب الجمالي.
- الجدران الخارجية مبنية بالحجارة و الطوب الممزوج بالتبن المجفف تحت أشعة الشمس أما الداخلية فهي مكونة أيضا من الحجارة و الأجر الطيني ملبسة بالجبس ومدهونة بالجير لعزل الصوت و الحرارة.
- استعمال تقنية ادخال روافد من الخشب المحلي جذوع أشجار العرعار لمنح الجدران نوع من المرونة خاصة في عمليات التثني.
- استعمال الجذوع الخشبية و الكمرات والعوارض في سطوح الطوابق حيث ترتكز على الجدران الحاملة مع استعمال مزيج من مواد محلية.
- استعمال تقنية الأقواس والأقبية عن طريق مزيج من مواد محلية طبيعية لما لها من مرونة في الشكل.

الخلاصة:

إن دراسة وتحليل الفضاءات المعمارية للمسكن التقليدي القسنطيني وعلاقتها بالنص الديني يوضح أن هناك تطبيق لتعاليم الدين الاسلامي الحنيف لتحقيق كل ما ذكر في الإسلام من القرآن الكريم و السنة النبوية.

إن بساطة الغرفة تتمثل في أن المشهد المذكور و الحدود ممثلة بالأثاث والأقواس الداخلية و بتعدد الوظائف، أما تقاطع المحورين فيشكل المركز والذي نلمسه عبر السقف من خلال الزخرفة المميزة.

-التدرج العمودي:

من الأسفل في اتجاه الأعلى: ويمثل المحور أرض- سماء أو سماء-أرض.

يمثل الدرج أو السلالم العنصر الوسيط للدورة فهو ينظم مرور الأفراد من العام إلى الخاص ويمثل الميدان الداخلي المستوى الأول من الفناء أو وسط الدار إلى المجلس، فهو المكان الذي تقام فيه مختلف الأفراح و الأعياد الدينية، وتحضيرات الحياة اليومية المعيشية أما المستوى الأعلى يمثل المكان المخصص للزوجين أو الأبناء المتزوجين و في حالة أن الساكنين غير المالكين فيكون مخصص للمالكين الأصليين للمسكن. و يمثل المستوى الأول من التدرج تارة ردعا و تارة أخرى دعوة، فاتجاه المسار من الخارج إلى الداخل يكون معلم ماديا بتغيير المستوى، أما تغير المستوى فيكون بالصعود من الفضاء الخارجي إلى الفضاء الداخلي.

-الصعود الأفقي و الذي يهدف إلى التدرج أو الفضاء الشرفي.

-الصعود العمودي والذي يوجه الاتجاه نحو الأعلى أو السماء، يعتبر في نفس الوقت مكان داخلي و خارجي.

عامل الضوء: يمثل الفناء الفضاء المفتوح فهو صورة للفضاء العام في الفضاء الخاص وبالإضافة إلى وظيفته المعتادة يعتبر المصدر الرئيسي للضوء والهواء، حيث يوفر كل الإمكانيات المادية لأجواء عادية للتعامل بانسجام مع الأماكن المحيطة.

نلاحظ أن الغرف المحيطة بالفناء تعبر من خلالها الإضاءة عبر فتحات الأبواب و النوافذ، فهو منبع الإضاءة الطبيعية، حيث كلما اتجهنا إلى داخل الغرف المحيطة يوجد تدرج للإضاءة وتدرج بصري عبر السطحة، فيمكن من الداخل

- 4- تومي إسماعيل، "العمارة و العمران في ظلال القرآن"، بيت المعماريين العرب، 2010.
- 5- عبد الباقي إبراهيم، "تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة"، مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية، القاهرة، 1993.
- 6- عبد العزيز فيلالي، محمد الهادي لعروق، "مدينة قسنطينة، دراسة التطور التاريخي و البيئة الطبيعية"، دار البعث، 1984.
- 7- عمر مبركي، "ملاحم التجديد العقدي عند العلامة عبد الحميد بن باديس من خلال كتابه العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية"، مجلة الثقافة الإسلامية، عدد 13، 2015، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف-الجزائر، ص 315-335.
- 8 - يحيى وزيري، "العمران و البنيان في منظور الإسلام"، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2008.
- المراجع الأجنبية :

I. Ouvrage

- 9 -RAVEREAU André, « Le M'Zab, une leçon d'architecture », nouvelle édition Actes Sud-Sindbad, Arles, 2003.
- 10-BOUSSORA-CHIKH Kenza, «Histoire de l'architecture en pays islamiques -cas du Maghreb », Casbah éditions, Alger, 2004.
- 11-FATHY Hassan, « Construire avec le peuple », éditions Sindbad, Paris ,1970.
- 12-MSEFER Jaouad, « Ville islamiques cités d'hier et d'aujourd'hui », C.I.L.F& I.I.A.M, Paris, 1984.

II. MEMOIRES ET THESES :

- 13- PAGAND Bernard, «La Médina de Constantine : de la ville traditionnelle au centre de l'agglomération contemporaine»,

- تستند العمارة التقليدية إلى قيم الدين الإسلامي الحنيف و هي لا تتغير بتغير الزمان و المكان، ولها بعض الاختلافات من حيث الشكل من منطقة إلى أخرى حسب الظروف الثقافية، الاجتماعية و البيئية .
- ان من جوانب اعجاز القرآن الكريم تحديد المفهوم الدقيق للمصطلحات و الفضاءات المعمارية مع احترام المقياس الانساني في عمارة المساكن عبر تجانس ارتفاع المباني لحفظ الخصوصية و عدم اطلاق الجار على ما يجري عند جاره تطبيقا لمبدأ الضرر لما له من أثر كبير في توجيه المباني السكنية القسنطينية خاصة ضرر الكشف و الاطلاع عبر تخصيص فضاءات تجارية لأماكن بعيدة عنها واستعمال الدروب المسدودة.
- ان المسكن التقليدي القسنطيني له نفس مواصفات المسكن العربي الإسلامي خاصة في تحقيق مبدأ الخصوصية، من خلال حلول معمارية تميزه، كما له دور هام ابتداء من الحي إلى غاية الفناء الداخلي عبر مسار متعرج للمسكن لحجب الرؤية، ومنع دخول الأتربة و من الفناء إلى غاية غرف المعيشة الخاصة عبر نظام دقيق للتدرج.
- اعتماد اتجاه المباني نحو الداخل والواجهات الصماء و التي تحتوي على فتحات صغيرة للتهوية بينما الفتحات و النوافذ الكبيرة تتجه نحو الواجهة الداخلية التي لها زخرفة مميزة لتوفير الإضاءة و توفير نفس الشروط المناخية الخارجية.
- تحقيق لمبدأ التجمع عبر تخصيص الفناء الداخلي وفضاءات أخرى للاجتماع وإقامة الأفراح، الأعياد الدينية والمآتم مع توفير نظام تهوية طبيعي عبر فتحات في الباب الخارجي لتحقيق نظام تهوية عبر الفناء الداخلي.

المراجع:

-المراجع العربية:

- 1-القرآن الكريم.
- 2-إبراهيم بن يوسف، "إشكالية العمران والمشروع الإسلامي"، مطبعة أبو داود -الجزائر، 1992.
- 3-الصادق مزهود، "أزمة السكن في ضوء المجال الحضري"، دار النور هادف، الجزائر، 1995.

thèse de doctorat 3ème cycle, université de Poitiers, 1989.

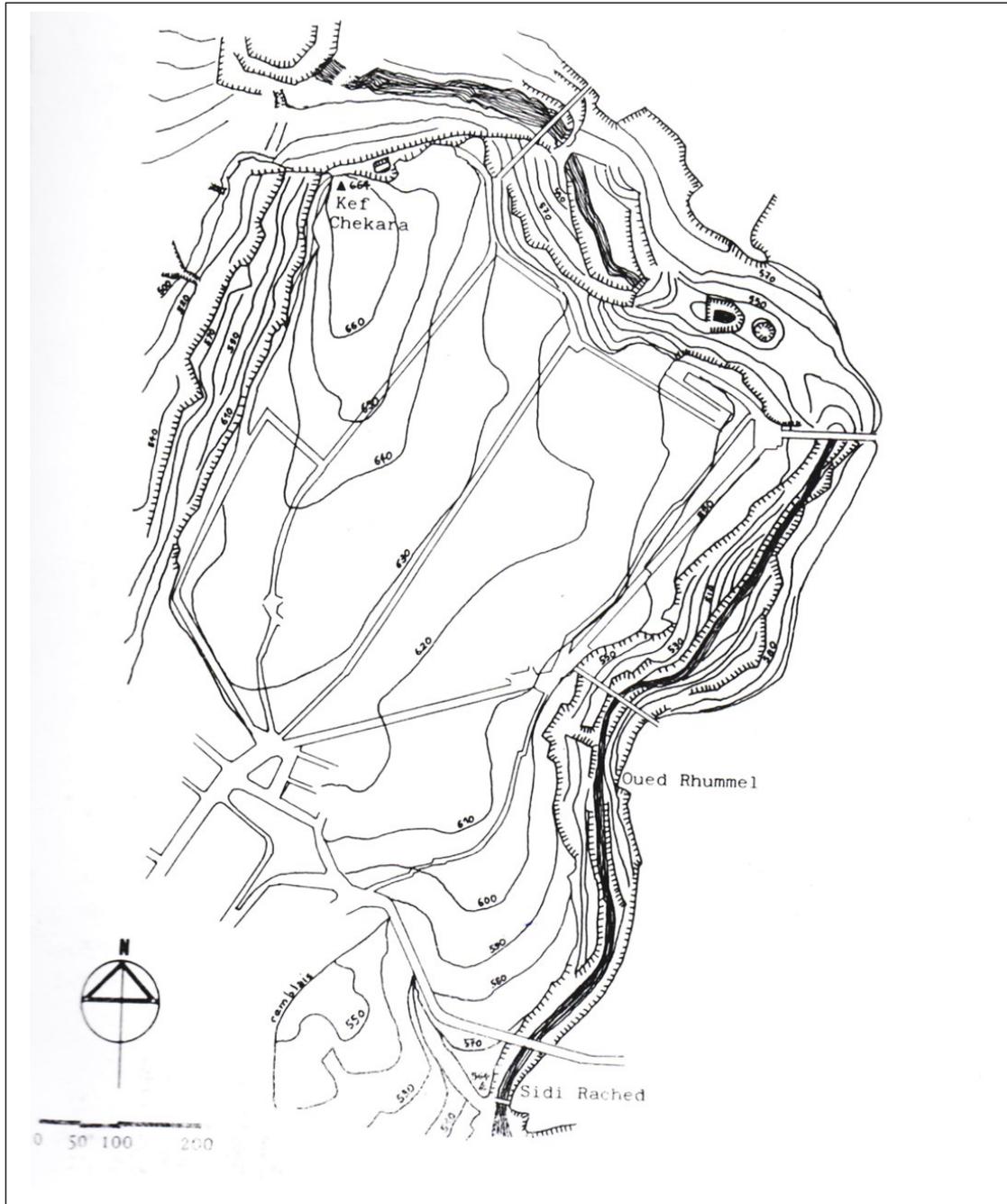
14-BESTANDJI-SLIMANI Sihem, « Intérieur-extérieur pour une lecture de l'espace urbain à Constantine », mémoire de magister, U.M.C, 1995.

15-BOUCHAREB Abdelouahab, « Cirta ou le substratum urbain de Constantine La région, la ville et l'architecture dans l'antiquité (Une étude en archéologie urbaine) », thèse de doctorat d'état, U.M.C, 2006.

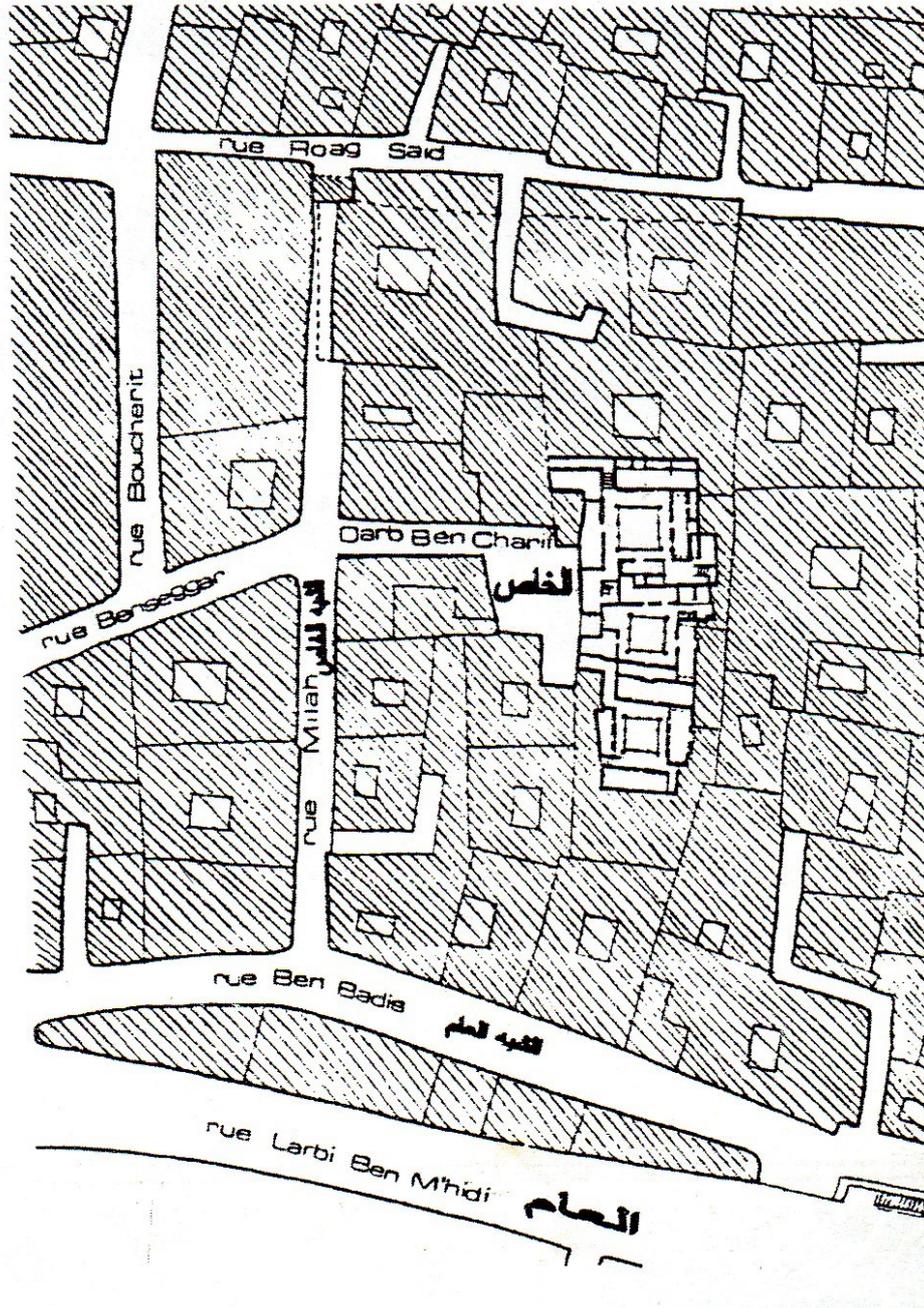
16-DEKOUMI Djamel, « Pour une nouvelle politique de conservation de l'environnement historique bâti Algérien : Cas de Constantine », thèse de doctorat d'état, U.M.C, 2007.

17-TOUATI Abdelhafid, « L'impact de l'influence extérieur sur La Médina de Constantine », mémoire de magister, U.M.C, 1997.

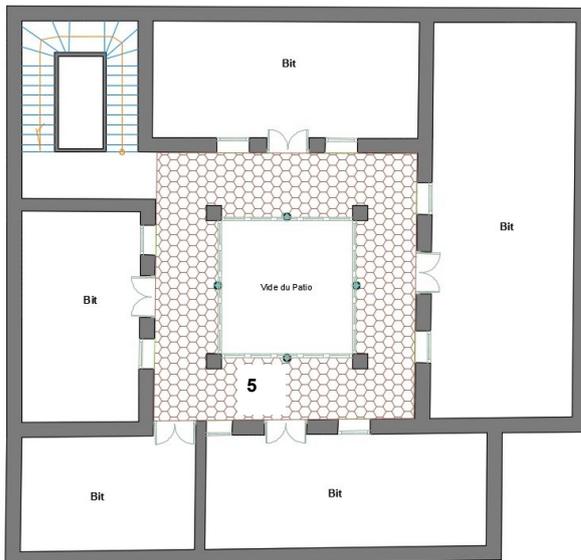
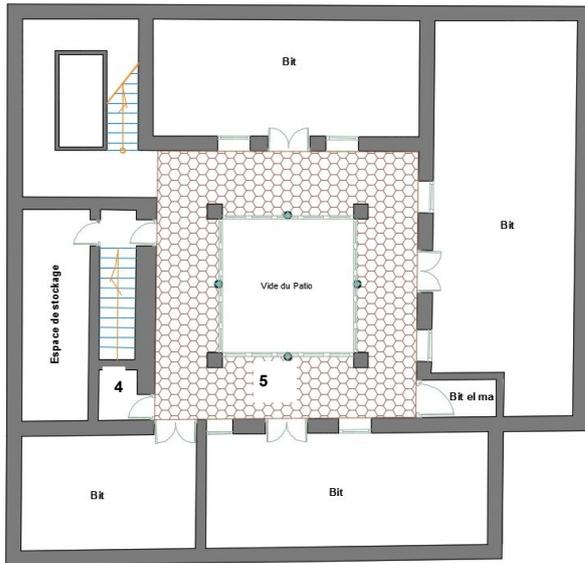
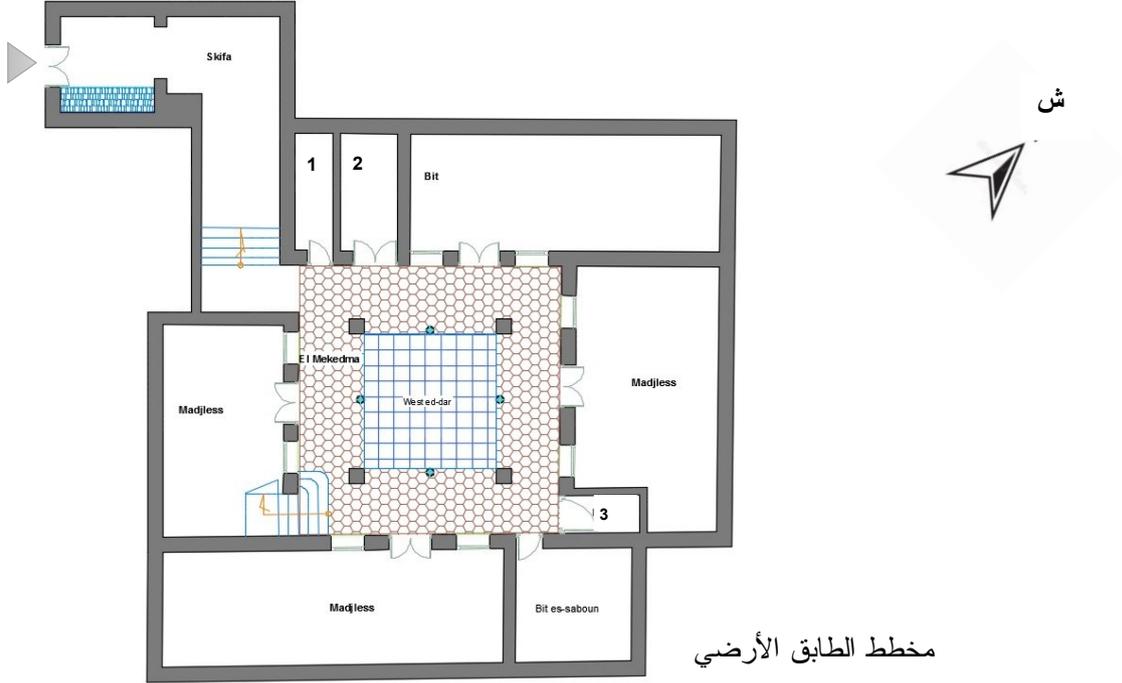
ملحق « ب » : خريطة تضاريس موقع الصخرة بقسنطينة.(عن برنار باقون.)



ملحق « ت » : موقع درب بن شريف بالمدينة العتيقة بقسنطينة. (عن سوسن نوير).



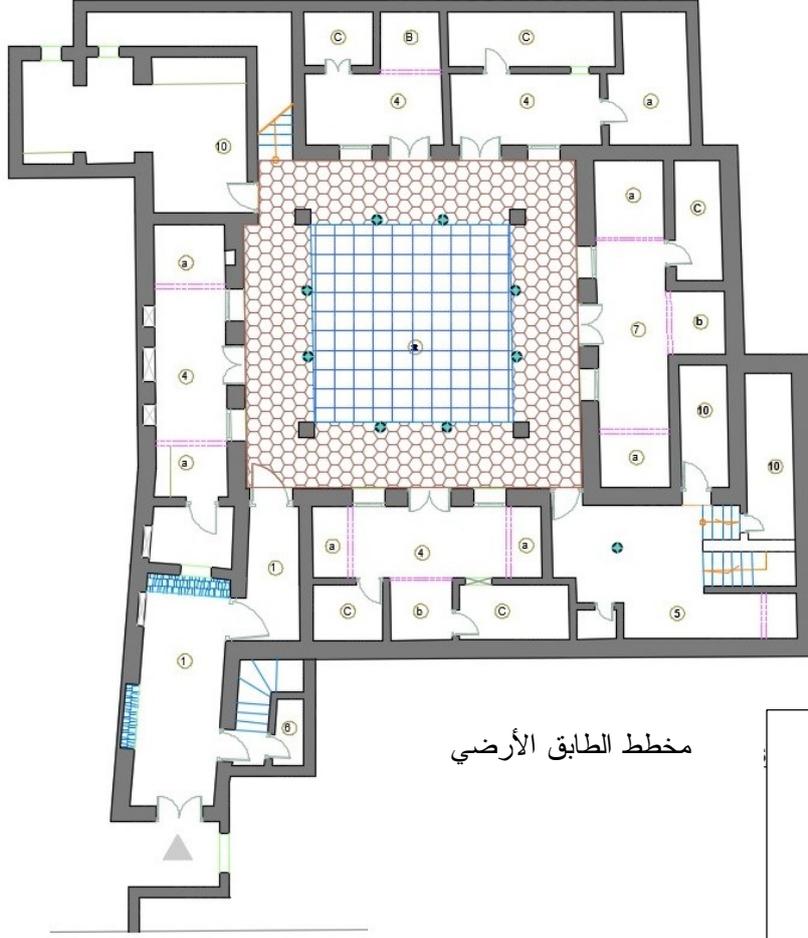
ملحق « ث » : مخطط بيت بن شيكو المدينة العتيقة بقسنطينة. (عمل الباحث، 2019).



1. بيت الماء (المرحاض) - Bit el ma
2. مساحة للتخزين + مضخة ميكانيكية خاصة بالماجن* (*الماجن هو خزان لجمع مياه الأمطار تحت أرضية وسط الدار)
3. مساحة للتخزين
4. المطبخ
5. السطحة
6. سقيفة - Sakifa
7. المقدمة - El Mekedma
8. وسط الدار - West ed-dar (Patio)
9. المجلس - Madjless
10. بيت الصابون - Bit Es-saboun
11. غرفة - Bit
12. مساحة لتخزين الطعام - Espace de stockage
13. فراغ على وسط الدار - Vide sur patio

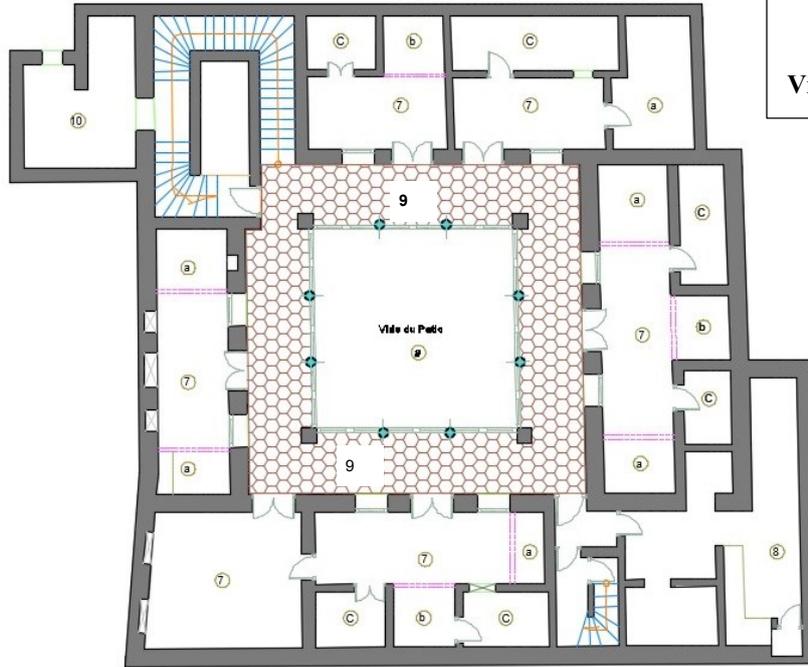


ملحق « ج »: مخطط بيت بن شريف المدينة العتيقة بقسنطينة. (عمل الباحث، 2019).



مخطط الطابق الأرضي

1. سقيفة
2. المقدمة
3. وسط الدار
4. المجلس
5. بيت الصابون
6. بيت الماء (المرحاض)
7. البيوت (الغرف)
8. المطبخ
9. السطحة
10. مساحة لتخزين الطعام
11. فراغ على وسط الدار - Vide sur patio



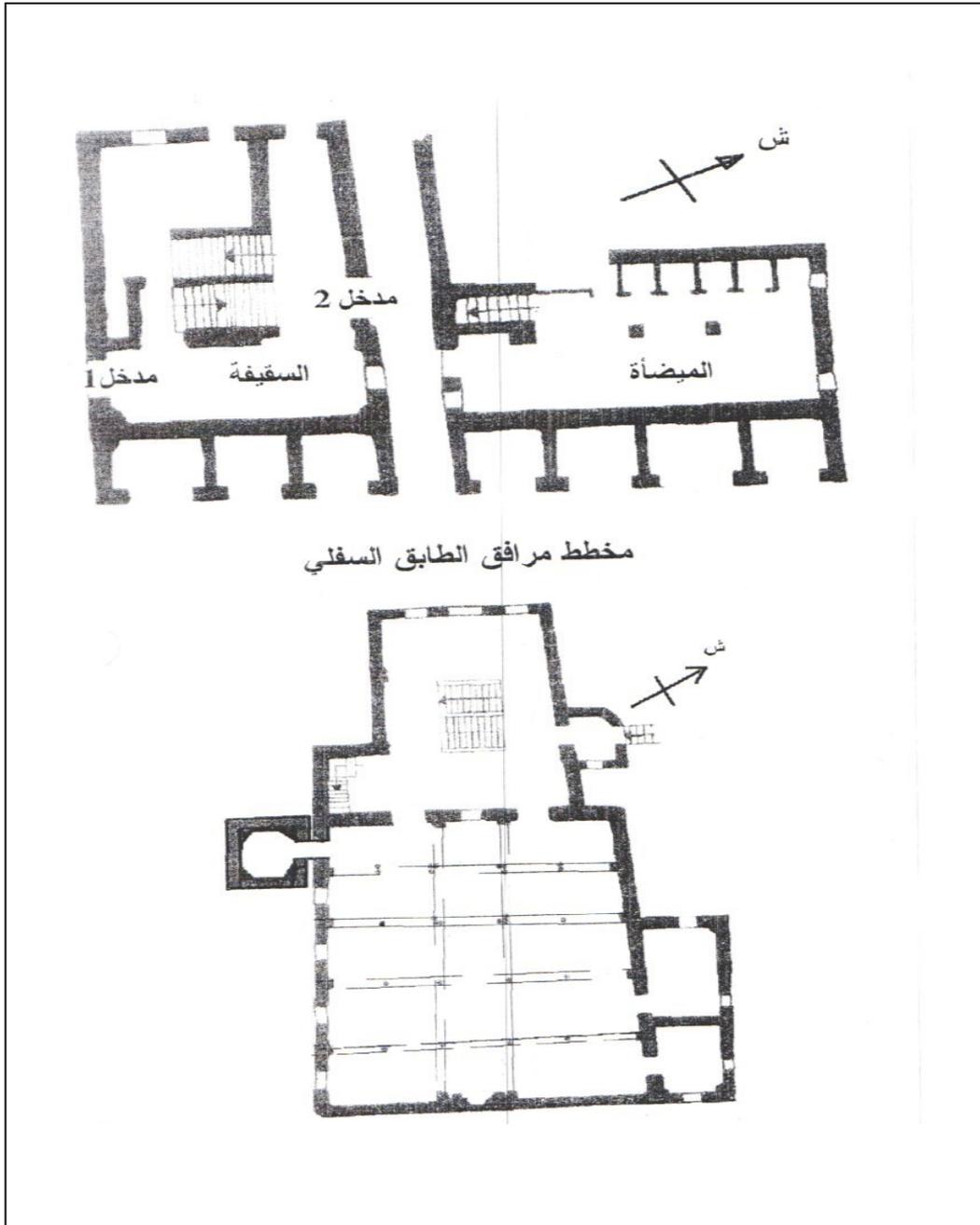
مخطط الطابق الأول و الثاني



ملحق « ح » : مجسم عن قصر الباي بقسنطينة.(تصوير الباحث،2015)



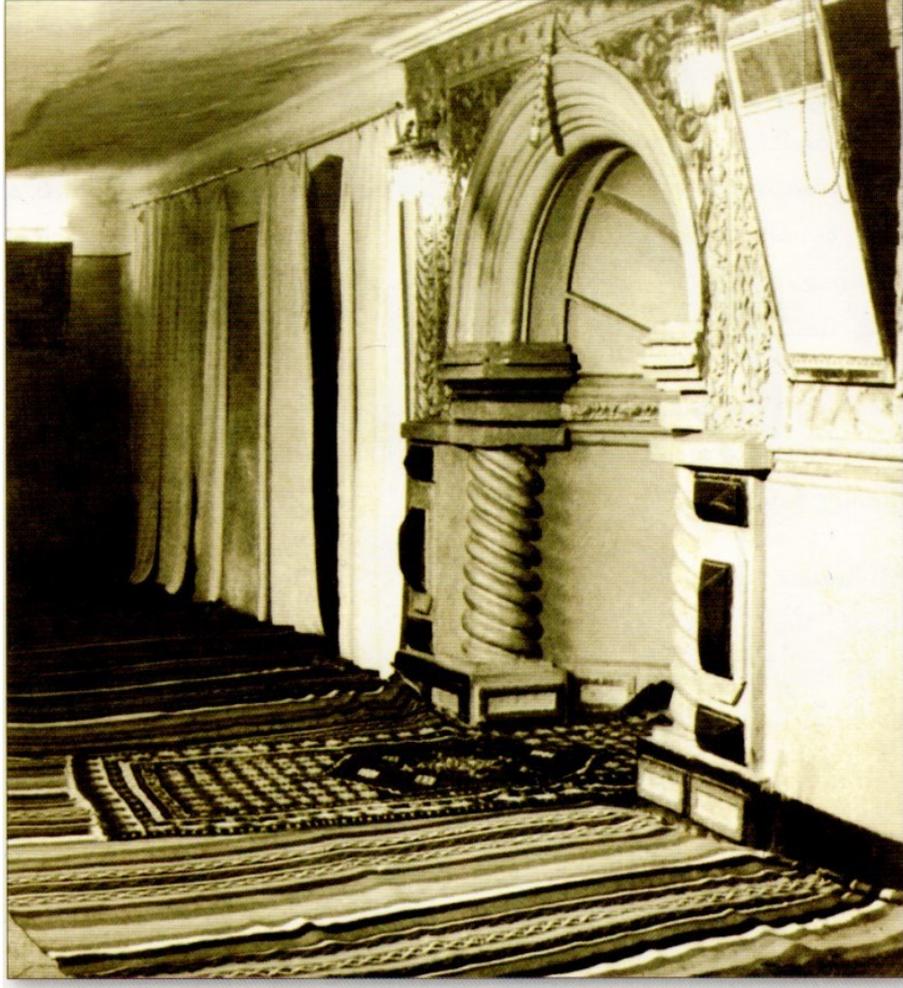
ملحق « خ »:مخطط جامع سيدي لخضر بالمدينة العتيقة بقسنطينة.(مخبر المدينة و التراث ، كلية الهندسة المعمارية و التعمير،جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة 3).



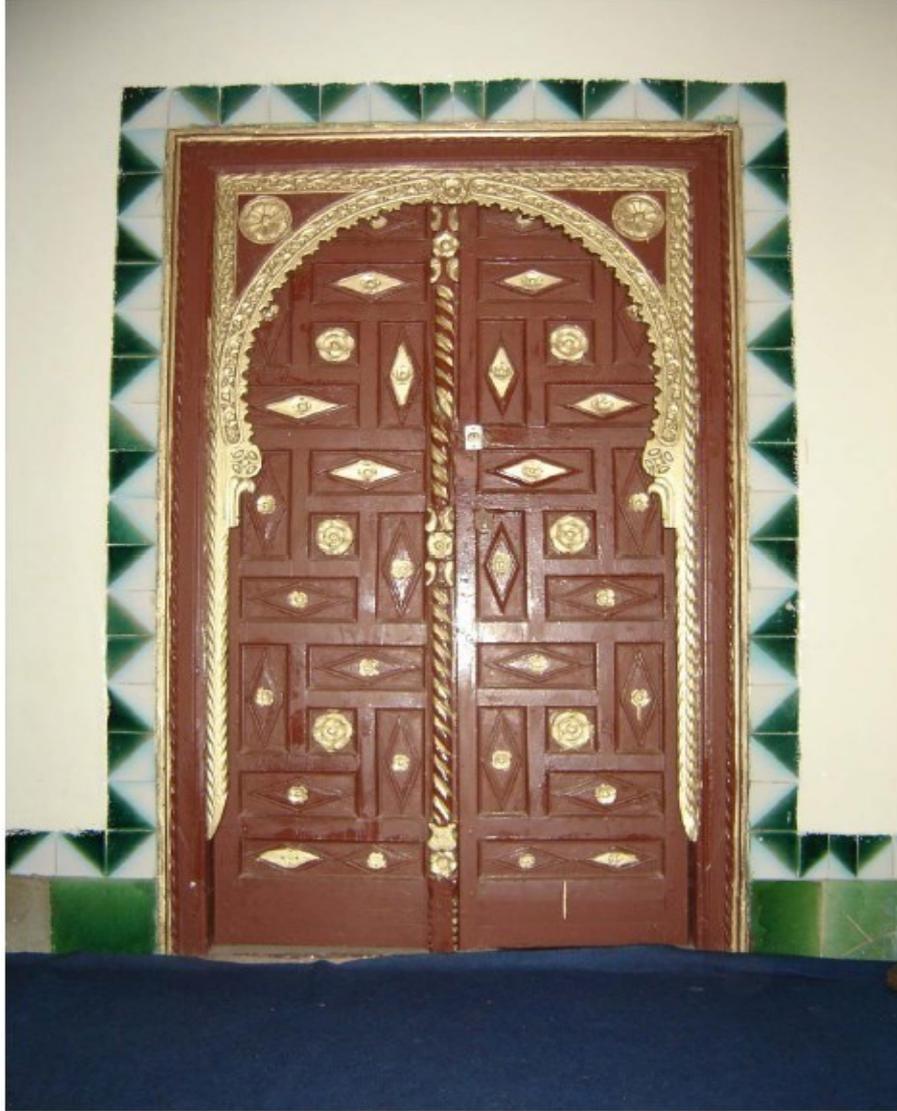
ملحق « د » : منظر علوي يُبين مسجد و مدرسة سيدي الكتاني تتوسطهما المئذنة. (تصوير Yann Arthus-Bertrand)



ملحق « ذ » بيت الصلاة السفلي لزاوية عبد المومن بالمدينة العتيقة بقسنطينة. (عن بورويبة رشيد).



ملحق « ر » : مدخل بيت صلاة في جامع سيدي الكتاني بالمدينة العتيقة بقسنطينة.(عن خيرة بن بلة).





Full Name: **Hichem LAID**
A Communicative Approach
**A Thesis Submitted for the doctorate science
in Architecture**

Abstract

In this study, we examine the subject of Islamic principles and values in the Medina of Constantine for the period preceding French colonization. This research aims to study the relationship of traditional architecture with the Quranic texts through the general principles and Islamic values from the Quranic text and the extent of their application in the traditional architecture of the Constantine Medina. The question lay in the orientation role of the Quranic text towards the application of the traditional architecture of Constantine.

In this research, we relied on the method of deduction for the Quranic texts and the method of analysis for the traditional architecture of inferring from the traditional historical architecture and its relation to the Quranic texts and inferring from their interpretations.

The inferential process also required extracting premises, on which good observation is based, through which the phenomenon is apprehended in all its historical, architectural and artistic aspects. Thus, tools such as analogy and synthesis were used in deduction from Quranic texts. The architectural analysis also required a good observation of the phenomenon based on its interpretation, its clarification, then its evaluation in a scientifically correct way to arrive at the deduction by deducing the synthesis of the results.

The theoretical part proceeds by introducing some general concepts of art, architecture and tradition and their relationship to Islam. With the choice of Quranic texts to research traditional architecture and its decorative art.

This is by defining the terms of the traditional dwelling and its relationship with the Quranic text in the space and architectural configuration, to suit Arab-Islamic privacy. With the development of general principles and higher Islamic values starting with the Quranic text in traditional architecture and ending with the presentation of important examples in the Mediterranean countries.

The applications of the research included the research of traditional architecture and its building elements and materials mentioned in the Quranic texts through interpretation and deduction. Then a historical study in the Medina of Constantine from the period of antiquity to the period before the French colonization. The analytical study of the traditional Constantine habitation was a prelude to the study of the traditional architecture in the Medina of Constantine for the Islamic period and the period of the Ottoman mandate.

The study deals with the impact of the Quranic text with the traditional architecture and decorative art in the Medina of Constantine during the Islamic period and under the Ottoman mandate. It also proves that the Quranic text has always been the main source of guidance for all details of architecture since the earliest Islamic cities, and that architectural elements throughout Islamic history are one of the areas to which the man became interested in using the decorative elements, developing them and being creative.

It should be noted that the traditional architecture in the Medina of Constantine is characterized by the uniformity of its architectural applications and the continuity in the application of local architectural traditions during the period of the Ottoman mandate, as well as by a great architectural diversity and artistic marked by the addition of new Ottoman traditions to the traditional architecture of Constantine.

Keywords : Traditions, decorative art, Constantine, Medina, traditional architecture, Quranic text.

Supervisor: Pr. Djamel DEKOUMI - **University of Constantine3**

December 2021